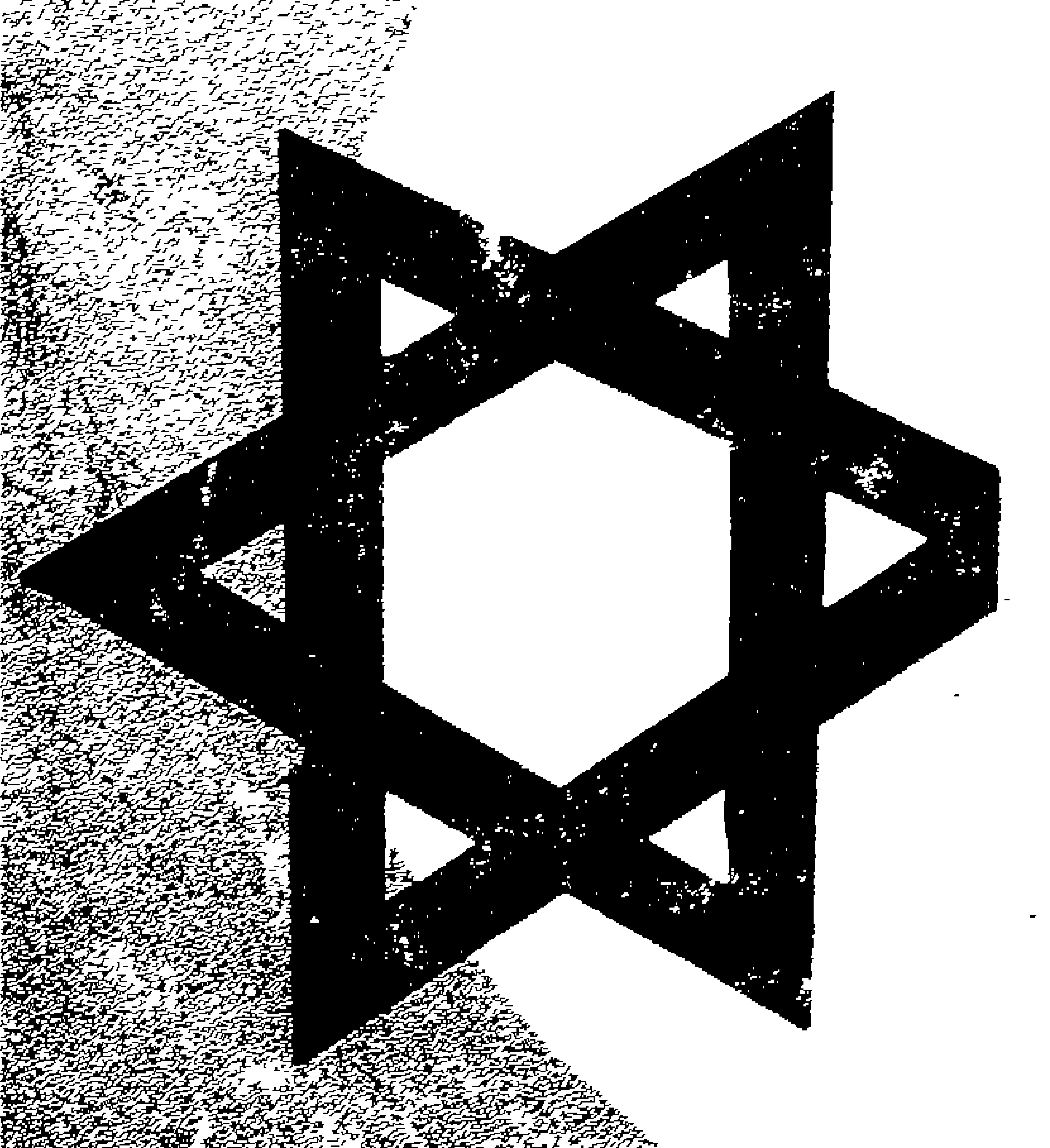
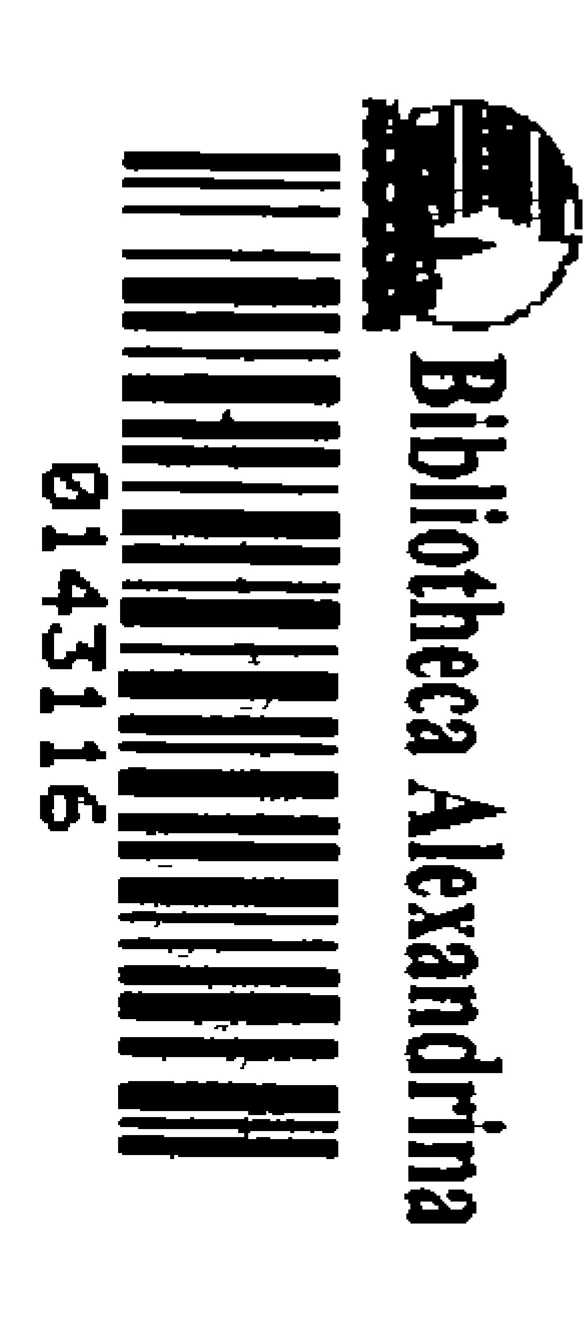
مختارات
التعاون
العالمية

السلام الصعب





فوميل لبيب

مختارات التعاون العالمية :

الســلام الصعب

فوميل لبيب

الناشر
دار التعاون - ٦ شارع عبد القادر حمزة
جاردن سيتي - القاهرة

إهــــداء

إلى صانع السلام والطريق صعب ...

إلى الرئيس أنور السادات ...

فوميل لبيب

طوبى لصانعى السلام

لأنهم ابناء الله يدعون

انجيل مقدس

المبادرة خالدة .. والكتاب وثيقة !

بقلم فكرى اباظة

مجموعة من اصدقائى في النادى الأهلى .. منهم بعض الوزراء السابقين - وبعض مديرى الجامعة ، وبعض الحائزين على الجائزة التقديرية للدولة ، وآخرون من كبار المحامين والمهندسين والمحاسبين .. هذه هى شلتى التى اجتمع بها يوميا وكل مساء .. وأمسية صدور المصور .. يوجه إلىّ بعض هؤلاء المثقفين الكبار هذا السؤال :

ـ من هو فوميل لبيب

فأقول :

ـ أحد زملائى من كبار الصحفيين في دار الهلال ..

والعجيب ان هذا السؤال يحمل الى سؤال آخر هو .

لماذا هذا السؤال في كل أمسية بعد صدور « المصور »

ويقول هؤلاء السائلون :

ـ « الجدع » ده مقالاته مدهشة ..

وبعض هؤلاء يؤجل قراءة هذه المقالات حتى يعود الى بيته فيعيد قراءتها على مهل ، وكنت بالطبيعة أحس بلذعة من لذعات الغيرة ، فلم يتكرم واحد منهم بمثل هذا الاعجاب بمقالة من مقالاتى ..

ان كل كلمة في هذه العجالة صادقة ! ولعل ميزة هذا الزميل الذى عاصرنى وعاصرته زهاء ثلاثين عاما في دار الهلال انه من كتاب السياسة والتحقيقات والاحداث العالمية الخاصة بمصر. ويمتاز بأنه لم يسطر عبارة واحدة نابية أو كاذبة . ولم يحمل حملة نقادة واحدة الا ويكتفى فيها بالخدش او الجرح الذى لا يسيل الدم . والمدهش اننى كنت بصفتى رئيساً للمؤسسة في بعض الاحيان - ورئيسا لتحرير المصور كل الاحيان لا أحذف كلمة ولا أشطب عبارة واحدة مما يكتب - لانه اعتاد بلباقته وغريزة التحرير الناجح المعتدل ان يتجاوز حد المسئولية ..

●●●

وقد قلت مرة للرئيس أنور السادات وهو يمنحنى شهادة الدكتوراه الفخرية .. قلت له بعد الشكر :

- اسمح لى ياسيدى الرئيس أن اقول لك انك رجل مُتعب .. بكسر العين - وان الركض وراءك اضنانا وربما اصابنا ببعض الاصابات النفسية والبدنية !

ولكنى لم اكن من الراكضين ركض الاستاذ فوميل لبيب وراءه ، حيث كان المحرر المختص برئاسة الجمهورية ، ولا أدرى هل استطيع أن احصى رحلاته مع الرئيس السادات من موسكو الى كولومبو ، ومن

سالزبورج الى واشنطن مروراً بأكثر العواصم الاوربية .. ومتوقفا .. وقفة طويلة عند الولايات المتحدة الامريكية حيث أرى ان ما احدثه الرئيس بزياراته ، واتصالاته بالرئيس كارتر ، وخطابه المثير في الكونجرس .. اعتبر هذه الرحلة مبادرة فتحت الباب للمبادرة الكبرى الخالدة وهى رحلته المفاجئة الى القدس ..

كان الاستاذ فوميل لبيب يسجل كل حركة واتصال وخطبة للرئيس السادات ، ولكن الاهم من ذلك كله في علم الفن الصحفى ان رسائله الينا كانت تشمل تحريات دقيقة عما وراء الاحداث أو وراء السطور ، فيقدم رحلة متكاملة .. يغوص فيها الى اعماق الحاضر ، ويستشف المستقبل ببصيرة وذكاء ..

●●●

وكان يجب ان يصدر هذا الكتاب .. من مجموع تحقيقاته ، ومن اضافات مدروسة تبلور موضوعه وتلقى الأضواء على كل جوانبه ، كان يجب ان يصدر هذا الكتاب عن مبادرة القدس التى لم تهزنا وحدنا وانما هزت العالم باسره ، وهزت رجال السياسة ، الاصدقاء وغير الاصدقاء ، ثم استطاعت هذه المبادرة ان تجمع دول اوربا الغربية كلها مؤيدة .. والمستر كارتر رئيس الولايات المتحدة مسانداً لنا ، وفي نفس الوقت معارضا لاسلوب الحكومة الاسرائيلية ، وفارضا عليها بعض الاجراءات الحاسمة .. وأقوى من هذا ان هذه المبادرة لأول مرة في تاريخ الشعب الامريكى سلخت من اسرائيل

كتائب المؤيدين لها ، والمخدوعين بولولتها - ومنهم بعض يهود امريكا بالذات !

وهذه المبادرة لا تموت -- ولن تموت بعد هذه المجموعة العالمية من المؤيدين لها والمعجبين بها ، انها كانت بادرة السلام الذى يتمناه الجميع في هذه المنطقة من مناطق العالم التى ظلت ثلاثين عاماً في حروب واشباه حروب - والتى لا يقتصر انذارها ولا تهديدها على الكيان العربى -- انما قد تمتد الشرارة -- أو تمتد النار الى معركة عالمية ثالثة --

●●●

هذا الكتاب « السلام الصعب » مرجع ثمين جداً . يؤرخ للتاريخ ، ويضع الوقائع لتنطق بنفسها -- تتفاءل بنفسها أو تتشاءم بنفسها . هذا الكتاب جدير بان يوضع في مكان التكريم في المكتبات الخاصة ، وامام كل صحفى للرجوع إليه ، وامام كل طالب علم في جامعة أو مدرسة --

وبعد --

هنيئا للزميل فوميل لبيب ، ودعاء بان يستمر باسلوبه الشيق وامانته ، محققا ومحللا ، ودارسا وكاتبا في معالجة الاحداث السياسية بهذا الشكل المثير الأمين .

فكرى اباظة

١ ـ على الأرض السلام .. بتحفظ !

لملم عام ١٩٧٦ أذياله ومضى .. قد كان عام نكسة صغيرة مسرحها لبنان حين سالت الدماء انهارا في الربيع والصيف .. ولم تجف الا في الخريف حين انعقد مؤتمر الرياض وبعده قمة القاهرة .. وانقذ حكماء العرب وطنهم الكبير من « البلقنة » التى كانت تدبر له والتى كانت اسرائيل تبنى عليها حساباتها .. حتى ان كسنجر قالها لسمحا دينتيز سفير اسرائيل في امريكا ، فيما يتعلق بالمبادرات السياسيه فانه يمكن لاسرائيل اليوم ان تأخذ اجازة بسبب الحرب في لبنان ·

وساد الهدوء كل تخوم اسرائيل مع العرب فعادت اسرائيل تستعيد نظرية عتيقة زلزلتها حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . نظرية « اتفق العرب على الا يتفقوا » ..

وجاء مطلع الشتاء يحمل دفء الاخوة العربية .. في لقاء السادات والاسد في القاهرة ،. ذلك اللقاء الذى اعتبر نصرا عربيا جديدا .. لانه

اطاح بكل حسابات اسرائيل ورد للعرب اعتبارهم في نظر الاصدقاء الذين كان يحيرهم أمرنا .. واكثر من هذا صدرنا التمزق الذى كان عربيا .. الى قلب اسرائيل فحدث فيها ماحدث ..

حدث انها كانت تحتفل بوصول ثلاث طائرات من طراز الصقر - ايجل ف ١٥ - وهى ضمن صفقة امريكية . وهذه الطائرات لها قدرات عالية ، فهى تخترق حاجز الصوت بسرعة مذهلة . ثم تسبح في الفضاء القريب في صمت رهيب ، وتدور في مدى يقل عن ٨٠٠ متر ... احتفلت اسرائيل بها ، وقال رابين انها دعامات للسلام ، لان اسرائيل القوية هى القادرة على فرض السلام ، وفي اليوم التالى قدم الحاخام كاهان اقتراحا بسحب الثقة من حكومة رابين وهو يقول : « لقد بادرت بتقديم هذا الاقتراح وانا في غاية الاسى ، فانه من المستحيل ان نثق في حكومة لديها الاستعداد لخرق السبت المقدس باقامة احتفال عام ومثير » ..

والحاخام كاهان من مجموعة الحزب القومى الدينى التى بمقاعدها العشر في الكنيسيت تعطى لحزب العمل الحاكم اغلبية في المجلس .. قد جرى التخلص من وزراء هذا الحزب بعد هذه المعركة التى انتهت لصالح رابين .. ومعنى التخلص من الحزب القومى الدينى هو قيام حكومة مؤقته تمارس سلطاتها حتى الانتخابات القادمة في اسرائيل ، حكومة لها حرية الحركة في مفاوضات جنيف ، وحكومة ازاحت من على صدرها تعصب الحزب القومى الدينى الذى يعارض التنازل عن اى شبر من الضفة الغربية . ولا يقيم اى وزن للرأى العام العالمى .. ورابين وهو يمضى الى مظاهرة المرونة السياسية بعد ان تخلص من المتشددين في حكومته يطمع في ان يحظى بتأييد امريكا له ، فتساعده ضد منافسه الاول شيمون بيريز حتى يكون مرشح حزبه للوزارة القادمة .. والصراع بين الاسماء الكبيرة ديان وآلون وبيريز ومناحم بيجين واريل شارون

يأخذ الان شكل سلسلة من المعارك المتلاحقة بتبادل فيها الجميع الاتهامات ..

وتتزايد في داخل اسرائيل اسراب « الحمائم » التى تريد ان تحاصر الصقور وبقايا الحرس الصهيونى القديم . ويكتب مردخاى سطوف تحت عنوان « كارثة تهدد اسرائيل » منددا بمن يسيئون فهم اقوال الحكام العرب المعتدلين .. ويقول : « كانت جولدا مائير تقول دائما دلونى على زعيم عربى واحد يقبل السلام او يتحدث عنه .. وهى لا تكمل جملتها لانها لم تكن تجد من يجيب بالايجاب » ويقول سطوف ايضا : بلاشك يجب الا نضيع فرصة جنيف لأن المستقبل لا يخفى لنا افضل من هذه الفرصة .. وليس امامنا مفر من اجتياز المفاوضات في جنيف . واذا كان الامر هكذا فلا يجب ان تجرى مفاوضات تراجيدية . وهى التى تخاف منها منذ ٢٨ سنة . ولكن في اختبار جنيف سوف يتضح لنا اذا كانت قد خلقت بالفعل الظروف التى تؤدى الى التوقيع على الاتفاقية التى تمكننا من الحياة والتقدم والتطور » .. ويستطرد سطوف قائلا : واننى اتفق في هذا مع من يوصون بمبادرات كثيرة واقتراحات كثيرة . وتنازلات كثيرة لكى نضع العرب موضع اختبار في جنيف .. وليست هناك طريقة اخرى الا ان نحاول » ..

انذار اقتصادى

هذه الاصوات المعتدلة في جنيف تكون الان مظاهرة مع اصوات اخرى اعتدلت منذ هزيمة اسرائيل في حرب اكتوبر ١٩٧٣ بل ان « يهوشع راببنوفتش » وزير الخزانة الاسرائيلى صرح بأن حرب الغفران كلفت اسرائيل انتاجية عام كامل .. وقال : « وسوف نشعر بهذا خلال السنوات القادمة . ولهذا فان حربا اخرى يمكن ان تسبب كارثة

اقتصادية قومية » وطالب يهوشع بأن تحل اسرائيل المشكلة حلا جذريا بالانسحاب الى خطوط ٥ يونيه لان هذا ما يطالب به الرأى العام العالمى ..

ويضيف يهوشع قائلا : « ان الاتجاه الى السلام يفيد اسرائيل ، لأن التخفيض الحقيقى للنفقات العسكرية وعدم التبعية الكاملة لامريكا يمكن ان يؤديا الى تنمية فروع الاقتصاد ، ووضع الاساس لاقامة علاقات تجارية واقتصادية مع الدول العربية .. ـ ومع دول آسيا وافريقيا ، بل مع الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية »..

وقد ازدادت اصوات الحمائم ارتفاعا منذ التقت مصر وسوريا لانه لقاء شبيه بما حدث قبل اكتوبر ، بل ان هناك صدى سريعا لتصريح الرئيس السادات بانه لا يمانع في لقاء بريجنيف في اى وقت .. لان هذا اللقاء يحبط حسابات أخرى لاسرائيل ، حسابات تقوم على ان مصر والاتحاد السوفيتى جمدا علاقاتهما تماما .. وان ما يصدر من جانب الاتحاد السوفيتى لمناصرة العرب مواقف للاستهلاك العربى .. ولكنها ليست مواقف حاسمة يمكن ان تضع الاتحاد السوفيتى في مواجهت الولايات المتحدة الامريكية ، لان السوفييت فقدوا الثقة في العرب ..

هكذا قدرت اسرائيل .. ولكن التحرك المصرى والعربى في اتجاه موسكو للتنسيق في جنيف ، زاد من مخاوف الحمائم الذين يرون بواقعية ان الحلقة تضيق حول اسرائيل وان جنيف هى الفرصة المواتية .. والفرصة الذهبية ..

وقبل ان انتقل الى « وكر » الصقور الاسرائيليين اقف وقفة عند الادارة الامريكية الجديدة التى تتقلد مهامها في مطلع عام ١٩٧٧

واذا كانت هذه الادارة قد تطرفت في مجاملة الاصوات اليهودية اثناء المعركة الانتخابية .. فان الذى حدث بعد الفوز يؤكد ان العملية كانت تكتيكا انتخابيا ذكيا .. ان « سيروس فانس » وزير خارجية امريكا

الجديد اجتمع بكسنجر الذى نصحه بالبحث عن اجراء يكفل اشتراك الفلسطينين ولو بصورة رمزية في المفاوضات . وقال له ان اسرائيل قد تقبل ان تكون المنظمة داخل احد الوفود العربية ـ ليس الاردن بالضرورة ـ بل ونصحه بعدم العمل على التوصل الى حل شامل في جنيف يتعذر تطبيقه حسب اعتقاده ـ اعتقاد كسنجر ـ في الظروف الراهنة ..

في هذا الوقت .. وقت النصيحة تصاعدت من امريكا اصوات تحبذ التسوية الشاملة في المستقبل القريب جدا ، وصرح فانس بانه من الضرورى ممارسة ضغوط ثقيلة على اسرائيل من اجل الوصول الى حل لمشكلة الشرق الاوسط ..

وقد كتبت صحيفة ايطاليه ان رابين سعيد بهذا التصريح المتشدد لانه يعنيه على التقدم الى الناخبين بسياسة واقعية هى التى تضمن السلام .. والا فان اسرائيل سوف تتعرض لحرب اخرى لا يعرف احد نتائجها ..

ومن المعلقين من يعتقد ان كارتر سوف يصطدم حتما برابين ـ ولو اننى لست من انصار الاعتماد على هذه الافتراضات او التكهنات ـ فهم يقولون ان كارتر يضع في المقام الاول من الاهمية الحد من الاسلحة النووية .. واسرائيل ضد هذا لانها لم توقع الى الان على المعاهدة الدولية لمنع انتشار الاسلحة النووية .. وقد كان لها موقف مهين لامريكا حين رفضت ان يزور بعض اعضاء الكونجرس المفاعل الذرى في ديمونه ..

كارتر ـ من منطلق التعلق الشديد بالدين وحب الانسانيه ـ يريد تجنيب العالم ويلات الحروب النووية .. واسرائيل لا تشاركه هذه النظرة ..

رجال من امريكا

وكارتر لا يمكن ان يخرج على السياسة التى انتهجها البيت الابيض منذ نيكسون الذى فطن لحقائق الامور في الشرق الاوسط بعد لطمة

حرب الغفران .. فقد قال « انه من الضرورى بمكان ايجاد كيان للشعب الفلسطينى المشتت الذى يكافح من اجل الحصول على وطن » .

وقد كان مضى فورد على هذا الطريق رغم سقطة شحن طائرات الصقر تحت ضغط التطاحن والتنافس مع كارتر على اصوات اليهود .. والامم المتحدة وافقت على طلب مصر الخاص بانعقاد مؤتمر جنيف في مارس ١٩٧٧ باغلبية ساحقة . واحست اسرائيل بالخذلان فسحبت مشروعا كانت قد تقدمت به في مظاهرة تقول بها للعالم انها لا تترك ساحة مبادرات السلام لمصر وحدها .. وكان هذا على اثر اللقاءات المتعاقبة التى تمت بين فورد والكونجرس الامريكى مع الرئيس السادات .. واحساس اسرائيل بالاحباط الكامل لان هذه الوفود عادت الى امريكا بانطباع واحد هو ان العرب يريدون السلام .. واسرائيل تصم اذنيها .. اقول : سحبت اسرائيل مشروعها وغضبت من امريكا لانها لم تمارس ضغوطها على الامم المتحدة لترفض المشروع المصرى ..

اذن فالولايات المتحدة الامريكية - وان كانت صوتت ضد المشروع من منطلق التزام تعتبره تاريخيا - الا انها تركت الرأى العام العالمى يقول كلمته دون تدخل منها .. وهذه امارة جديدة على ان امريكا تريد لمؤتمر جنيف ان ينعقد ..

واذا كان العالم قد بنى نجاح التحركات في الشرق الاوسط على المكوك الشهير بكسنجر ، فانه عاد يدرس من جديد الرجال الجدد الذين دخلوا البيت الابيض مع كارتر ووقفوا بالفأل عند رجلين هامين :

● سيروس فانس وزير الخارجية الامريكية وهو قانونى تسيطر عليه روح العدالة ، وليس دارسا او مدرسا للعلوم السياسية الذى يعشق المناورة . وله ادوار شهدت له بهذا منها محادثات باريس مع الفيتناميين الشماليين ، ومحادثات وقف اطلاق النار بين الهند والصين ، وهو مشهور بذاكرته التى تحفظ وتستوعب ادق المعلومات ويبقى له وضوح الرؤية

ودقة القانونى المتمرس مهما تزاحمت هذه المعلومات في تلافيف رأسه .
ومن يعرفونه جيدا يقولون عنه « هذا رجل مفيد يقوم بعمل جيد ، بغض النظر عن الموضوع والمكان » .. لعله وهو يمارس قضية الشرق الاوسط ـ وهو يفعل هذا الان تماما ـ لا يتخلى عن خلة من خلاله التى تجعل المعلقين يراهنون على احتمالات نجاحه ..

● وبرزينسكى .. مستشار الرئيس الامريكى لشئون الامن القومى ، وهو من حيث ثقافته واكاديميته يمكن ان يكون البديل الذكى لكسنجر .. وهو كاثوليكى بولندى ارستقراطى زوج بنت اخت الرئيس بنز رئيس تشيكو سلوفاكيا في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية .. ومن فكره يمكن الحكم عليه : فهو يدعو لبناء الجسور مع اوربا الشرقية عن طريق مبادرات تجارية ودبلوماسية .. وفي هذا يختلف عن كيسنجر الذى اعطى اهمية اولى لمحور واشنطن ـ موسكو لان هذا المحور في نظره اهم من اى صلات غربية باوربا الشرقية .. وهو صاحب نظرية المثلثات .. يقول ان امريكا ضلع في مثلث أعداءهما الاتحاد السوفيتى والصين ، وضلع مرة اخرى في مثلث اصدقاء هما اوربا واليابان ، وهو في حسابات المثلثات يطالب بتوثيق العلاقات مع مثلث الاصدقاء لان هذا كفيل بعزل السوفييت نفسيا عن المسرح العالمى ..
ثم ان برزينسكى يرى ان العلاقات الامريكية يجب ان تنمو في اتجاه العالم النامى ..

ومن هنا نستطيع ان نستخلص انه وان لم يتعامل تعاملا مباشرا مع قضية الشرق الاوسط الى الان الا ان فكرة يتجه قطعا الى الابقاء على الجسر الجديد الممتد مع العرب .. وعدم السماح للنفوذ السوفيتى بالعودة الى المنطقة .. لان رهان العرب على الجواد الامريكى ... سيتحول بكليته الى السوفييت ان ركبا الجواد الامريكى في ساحة جنيف ..

حسنا .. في الموقف الامريكى نـئم امل خاصة بعد ما طوقت السعودية ودولة الامارات رقبة امريكا بحكاية الخمسة في المائة فقط زيادة لسعر البترول رغم اصرار كل دول الاوبك على ان يرتفع السعر الى ١٥ ٪ ..

وبالناس المسره .. هل يمكن ؟

واسرائيل تعرف هذا كله ..

ورغم ان مجموعة ما كتبت يوحى بأن آية السيد المسيح وشيكه التحقيق .. آيه : « على الارض السلام وبالناس المسرة » .. تلمع في عيد ميلاده الذى يحتفل به الشرقيون .. واقباط مصر .. واعينهم تتطلع بالحسرة الى ارض مشى عليها المسيح بقدم طاهرة وتمشى عليها الان كعوب الصهاينة الظالمة الغادرة .. رغم ان مجموع ما كتبت يوحى بأن آية على الارض السلام وشيكه التحقيق الا ان الاغراق في التفاؤل ينبغى الا يستغرقنا لأن للعملة وجها أخر ..

اننا نتعامل مع عدو لئيم يجيد ابتزاز المواقف لصالحه ، ها هى لعبة اجراء انتخابات جديدة قد تجعله يسوف .. وهناك عدة تواريخ مطروحة لاجراء هذه الانتخابات : احد هما يقول مايو ١٩٧٧ والثانى يقول اكتوبر .. والثالث يقول بل في مطلع الربيع تماما وها هى اصوات خبيثة تفرش من الآن طريق المناورة في اتجاه اخر فتقول ان اسرائيل تحتاج الى عام كامل للدخول في المفاوضات على اساس انه يتعين اجراء استفتاء لاستطلاع الرأى العام في ذلك الشأن ..

ويخطب ايجال الون وزير خارجية اسرائيل في مجموعة من الاساتذة الامريكيين والكنديين والاستراليين واليابانيين المعنيين باقرار السلام في

الشرق الاوسط .. يخطب فيهم قائلا « انه من غير المحتمل ان يسفر استئناف عقد مؤتمر جنيف لاقرار السلام عن حل حقيقى للنزاع القائم في الشرق الأوسط » ..

واسحق رابين رغم مظاهرات المرونة التى يبديها ليسحب سجادة المرونة من تحت اقدام العرب يقول : « يجب الا نتجاهل حقيقة انه لدينا خلافات في الرأى مع الولايات المتحدة الامريكية .. ليس الآن ولكن في فترات رياسة سابقة . فلا يوجد اتفاق مع امريكا بشأن ماهية السلام . وبشأن وضع الحدود الآمنة .. وبشأن الفلسطينيين » ..

اما هارون ياريف قائد المخابرات الاسرائيلية في هزيمة حرب الغفران فقد قال انه يرى ان المفاوضات لن تسفر عن شىء . وان اسرائيل لن توافق على شروط العرب . وبذا سنصل الى طريق مسدود لان اسرائيل لن تعتمد على الضمانات الدولية فيما يتعلق بامنها . ورد الأرض سوف يضيع عليها مركز القوة في أى حرب قادمة . وهو ان سلم يرد بعض الارض فشرطه ان تبقى ٦٨ مستعمرة اسرائيلية .. ورأيه ان عام ١٩٧٧ سوف يكون عاما سياسيا .. ولكن اواخره سوف تحمل نذر الحرب ..

واذا كانت هذه أراء الصقور .. ومن ورائهم جولدا مائير التى مازالت مايسترو السياسة الاسرائيلية، واذا كان ماضى اسرائيل في الامور لا يبشر بالخير .. فان الذى سيبقى دائما هو الصف العربى الواحد . سنعقد عليه الأمل في استرداد الارض . بعد ان نشهد العالم بالدبلوماسية الذكية على ان اسرائيل متعطشة للدماء . ومدمرة للسلام .. مدمرة لابن الانسان ..

فالافراط في التفاؤل نظرة لوجه واحد من وجهى العمله .. والافراط في التشاؤم ينبغى ألا يكون لان المناخ العالمى فيه ريح طيبة تملأ الشراع العربى . والعقل الاريب يحسب الحسابات بموضوعية . ويعتمد

على القوة الذاتية . حتى لا تحدث مفاجأة من الصديق التقليدى .. ولا يحدث غدر من جياد الرهان الحديثة ..

والعرب في حاجة الى تجميع كل الصفوف حتى يذهب القطار الى جنيف وفيه قوة تزلزل ... واذا كان شتاء عام ١٩٧٦ قد اعاد للعرب الامل في وحدة الصف الشامل .. فان عام ١٩٧٧ يجب ان يكرس للخطوات العملية للجيش العربى الكبير الواحد . والموقف البترولى المتناسق تماما . فان هذه ادواتنا على ساحة نطرح عليها غصن الزيتون ليكون على الارض السلام .. او نطرخها على ساحة القتال لنكمل قصة التحرير الى المنتهى ..

---

٢ ـ حوار في أوربا

عندما احزم حقيبتى لاطير وراء السادات في رحلة الى الخارج احس انني استقبل جرعة من الثقة بالمستقبل وشحنة من التفاؤل بالغد . احس ان مصر قادرة بهذا الريفى الطيب الذى يتسلل بسرعة الى القلوب والعقول معا ان تحقق النجاح في معركة السلام ـ تماما مثلما حققت اعظم انتصارتها على يديه في حرب اكتوبر .. احس ان ساحة الاصدقاء حولنا تتسع ورقعة الاعداء تضيق .. احس بأننى اغفر للقاهرة زحامها ، وللجمعية طوابيرها وللتليفونات برودتها لاننى سوف اعايش مجدا مصريا صميما يصنعه السادات بكل رحلة من رحلاته .

والسادات هذه المرة يطير الى المانيا الغربية .. ثم يقف في محطته الثانية .. في فرنسا وقد يعرج على يوغوسلافيا .. وقد لا يعرج . ثم يحلق الى الولايات المتحدة الأمريكية ..

ولكن لماذا يقف السادات في هذه المحطات قبل وصوله الى محطته النهائية هدف الرحلة الأولى ؟ اقول : لأن له في كل عاصمة صديقا . وله مع كل حكومة تفاهم مشترك . وهو بهذه الدروع من الاصدقاء يتقدم لامريكا . ولكنه قبل أن يمضى الى امريكا رتب البيت العربى تماما تماما . ورتب البيت الأفريقى جار البيت العربى تماما تماما . وتلقى من الاخوة الفلسطينيين ميثاقهم الجديد الذى حظى باحترام العالم . لأنه ميثاق مكتوب بنغمة المرونة والرغبة في السلام التى يحبها العالم .. لانشاز فيه من رفض الرافضين الذى كانت اسرائيل تستغله لصالحها اكثر مما يستثمره الشعب الفلسطينى لصالح قضيته المقدسة ..

لو نظرت للساحة العربية قبل عام واحد ـ أى في عام ١٩٧٦ ـ والدماء في لبنان روافد وأنهار . والشقة بين العرب صورة طبق الاصل ـ ولكن بغير دماء ـ لما يحدث في لبنان . والموقف السياسى تجاه اسرائيل راكد .. راكد بعد ان قال كيسنجر لرابين : الآن من حق اسرائيل ان تسترخى تماما حتى ينتهى العرب من معاركهم فيما بينهم .. لو نظرت الى الماضى بلونه الحزين . وتطلعت الى الحاضر وقد اصبح الجدار العربى قويا كما قبل اكتوبر .. وسوريا ومصر خط المواجهة الأول في وحدة سياسية . والاردن وسوريا في شيء بذلك اشبه . والسودان دولة العمق تشد الازر . ودول المساندة على خط النار بسلاح لا ينطلق في اتجاه اسرائيل وحدها . بل في اتجاه كل دول الغرب التى دعمتها او ساندتها .. سلاح البترول اعنى .. لا يشق الجدار العربى معارض مهما كان حجمه .. فمصر قطب الرحى معها دول الفعاليه . والرافضون هم الذين قال عنهم جمال عبد الناصر : « اننا نحارب وهم يخطبون ويرفعون الشعارات » .

بهذا الثقل العربى . بهذا التفاهم العربى .. بهذه النظرة الموضوعية العملية التى اعلنها المجلس الوطنى الفلسطينى من القاهرة يذهب السادات الى القارتين؛ مشدود الظهر . قوى الجانب .. بل والجوانب ..

الحكومة والمعارضة معنا

لو عدت الى الوراء قليلا .. وراء بعض السنين الماضية لوجدت هذا الجسر المتين بين مصر والمانيا الغربية من صنع السادات .. فقد بدأ الجسر قبل حرب اكتوبر قنطرة صغيرة . ثم اصبح جسورا بعد زيارة السادات لالمانيا الغربية في ربيع عام ٧٦ . فالشعب الالمانى - مهما قيل عن عقدة ذنبه أمام اسرائيل - يضمر في اعماقه كراهية « تاريخية » لها . ويختزن في صدره حبا جارفا لمصر حضارة وشعبا واذا كانت السياسة والضغوط الامريكية قد جعلته يمد اسرائيل بالتعويضات فقد كنت اذا زرت المانيا الغربية ايام القطيعة بيننا - وقد استمرت سبع سنوات - اسمع العتب على اننا تركنا الساحة لأسرائيل وأتلقى والتمنى علينا بأن نفتح عقولنا للمرونة . ونمارس الدبلوماسية بلغة العصر ونقتحم على العدو الساحة الألمانية التى خلت له .. فبث فيها من دعايته الصهيونية ما كاد يهز حب الشعب الالمانى لنا ..

الآن تغيرت الصورة .. جملة وتفصيلا .. وقد كانت مبادرة ويلى برانت حين زار مصر مبادرة رائعة لم ينج منها حين عاد من بلاده .. فقد تحركت ضده فضيحة الجاسوس الشيوعى الذى عمل في عقر مكتبه فاستقال الرجل وانسحب الى الظل . وجاء مكانه هاموت شميث في حين أصبح والترشيل وزير خارجية برانت رئيسا للجمهورية .. ولم تكن اسرائيل مرتاحة لهذا التغيير و إنها تخلصت من برانت فجاءها « برانتين » في شخص والتر .. وفي ثياب شميث ..

حفاوة والتر بالسادات .. وتفاهمه معه على كل شىء لفتا انظار الصحافة العالمية في الرحلة الأولى . وبساطة هلموت شميث وهو يصرح للصحفيين : « هذه هى المرة الاولى التى أفهم فيها قضية فلسطين كما يجب » . حدث هذا بعد لقائه مع السادات . ومواقف المانيا الغربية من الانحياز القديم لاسرائيل الى الحياد الايجابى بينها وبين العرب ..

والحياد الايجابى معناه الا تقف مكتوفة اليدين وهى ترى عجلة السلام راكدة في الشرق الاوسط .. بل ان تبذل مسعاها ليتحقق السلام . ولا اقول ان موقف المانيا موقف عاطفى من اجل سواد عيوننا .. بل اقول انه موقف من منطلق مصلحتها في بترول العرب . وهى تأخذ منه ثلثى حاجتها . وموقف مصلحى من اجل كسب صداقة العرب الذين اصبحوا بعد اكتوبر قوة سادسة .. وسوقا مالية وسوقا استهلاكية ..

حسنا .. في الماضى كان كل هذا قائما ولم نستثمره . ودبلوماسية السادات الذكية تستثمره . المانيا قدمت دليلا آخر على رغبتها في صداقة العرب وتوسيع دائرة الصداقة عاما بعد عام .. ومبادرة جينشر لحث دول السوق الاوربية على اتخاذ موقف موحد تجاه القضية مبادرة تقبلها العرب بالامتنان . وتلقتها اسرائيل بالامتعاض . وقد استمدت المبادرة اهمية خاصة لان المانيا الغربية كانت رئيسة لدورة اجتماعات السوق في ذلك العام .. كما ان المانيا الغربية هى رجل اوربا الثرى الذى يدفع الحساب لكل دولة اوربية تخذلها مواردها او تستبد بها ازماتها .

وقد تجول جينشر في العواصم العربية بادئا بمصر . وعمق خط الصداقة مع العرب جينشر - ويسمونه صانع السياسة الالمانية الجديدة - يرى ان عام ١٩٧٧ عام مناسب لحل ازمة الشرق الاوسط . فظروف المنطقة من تلاقى العرب وتجمعهم . ومن اعتدال النبرة عند بعض الاسرائيليين . ومن ظهور الاعتدال عند الفلسطينيين .. كل هذا يعتبر فرصة ملائمة للسلام ينبغى منحها كل دعم ممكن من الجانب الاوربى ..

وسياسة المانيا الغربية تتميز بالثبات في هذا الموقف . لان الحكومة والمعارضة متفقتان عليه . وقد زار مصر الدكتور هانس فلبينجر رئيس وزراء مقاطعة بادن فور تمبرج .. وهو عضو الحزب الديمقراطى

المسيحى .. حزب المعارضة في المانيا وقد صرح بأن سياسة الحزب تتفق مع سياسة الحكومة في الشرق الاوسط وتؤيد مساعيها في حل الأزمة ..

والسادات حين هبط في بون ليلتقى بساسة الشعب الذى يحبنا .. تشاور مع اصدقاء يدعمون مواقفنا . ولهم قوة التأثير على الولايات المتحدة الامريكية كقادة لالمانيا وكعضو في السوق الاوربية ..

ديستان .. صديق عظيم

ومحطة السادات الثانية هى فرنسا ..

وفرنسا منذ ديجول تلتزم مع العرب سياسة الواقعية والصداقة . فديجول هو الذى اذاب مرارة الفرنسيين من وقفة مصر الرائعة بجانب الثورة الجزائرية .. هل تذكر جى مولييه رئيس وزرائها الاشتراكى الذى تحالف مع اسرائيل وبريطانيا علينا عام ١٩٥٦ ؟ ديجول طوى صفحة وبدأ صفحة .. وكان أول بيان في صفحته الجديدة ما قاله عام ١٩٦٧ أن فرنسا لن تعطى سلاحا للمعتدى .. وهكذا أغلق الأبواب في وجه اسرائيل

وفرنسا بومبيدو صعدت المواقف الديجولية . اما فرنسا ديستان فقد اخذتها الى ابعاد جديدة وفتحت امام العلاقات الفرنسية العربية عامة والعلاقات الفرنسية المصرية خاصة مجالات لم تكن تخطر بالبال

وأنا اجزم أن اللقاءات الشخصية بين السادات وديستان هى التى فعلت هذا ..

لماذا ؟..

لأن اللقاء الشخصى هو التلاحم فكرا والتلاقى عاطفة وفهما .. وعندما زار أنور السادات فرنسا لأول مرة في يناير عام ١٩٧٥ كانت نتائج الرحلة ارقا لاسرائيل وحجرا على انفاسها . وقد حركت بعض وسائل الاعلام الموالية لها . وحركت المظاهرات . ولكنها لم تظفر بطائل لأن ديستان أعلن ان الوشائج بين مصر ثقافة وتاريخا .. وهذا البحر الواصل

بين الاسكندرية ومرسيليا بحيرة صداقة والعدل ـ عند دولة الاخاء والحرية والمساواة ـ يجب ان يكون الحكم الوحيد في المساواة وفي السياسة الدولية . والعدل هو أن يسترد العرب الأرض التى احتلتها اسرائيل . وتعود للشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة .

وكانت فرنسا هى المحرك لدول السوق الاوربية التى أصدرت تصريحها التاريخى من كوبنهاجن ـ في نوفمبر ١٩٧٣ ـ اى بعد اسابيع من معركة المجد المصرى ـ وهو التصريح الذى دعم المطالب العربية .. وطالب بضرورة تطبيق قرارات الامم المتحدة .. وجميعها لصالح العرب .

وديستان هو الذى قال ان فرنسا تضع كل امكانياتها في خدمة التنمية المصرية . وهو الذى سمح ببيع الأسلحة لمصر والعرب . بل هو الذى وافق على اسهام فرنسا في تصنيع السلاح العربى . وآخر مواقفه الشريفة موقفه من قضية ابو داود . عندما قبضت عليه سلطات الامن الفرنسى فاذا به يطلق سراحه . وثارت ثائرة اسرائيل التى تتهم ابو داود بأنه قائد مذبحة الاسرائيليين في اولمبياد ميونخ .. ورد ديستان بأصرار : « أن المانيا صاحبة الحق في طلبه لم تطلبه . ونحن لا نريده لانه لم يرتكب جريمة عندنا . واسرائيل لا تملك قانونا حق طلبه » ..

وبلغت الأزمة بين اسرائيل وفرنسا حافة الانقطاع ..

استطيع أن أقول أن فرنسا بما لها من وزن داخل دول السوق ـ الدولة النووية القوية ـ وبما لها من فكر داخل اوربا ـ هى صاحبة شعار اوربا للاوربيين . وشعار وحدة اوربا الذى اصبح وشيك التحقيق لأن السوق الاوربية كانت مرحلته التمهيدية . وفرنسا بما لها من دور مؤثر في الاحداث العالمية لها قدرة الضغط على امريكا . خاصة وأن الدبلوماسية الامريكية الجديدة تسعى الى معاملة حلفائها في اوربا معاملة الند . ومعاملة الاحترام بعد ما تجاوز كيسنجر حدوده في تخويف

اوربا او السخرية منها أو التهديد بسحب القوات الامريكية أو الغطاء الجوى عنها ..

هذا مناخ تستطيع فرنسا أن تفعل فيه اكثر مما فعلت في الماضى . وان تقدم لاصدقائها العرب اكثر مما قدمت في الماضى .. وان تعزف مع المانيا الغربية لحنا منسقا داخل السوق وان تلعب دورا في جنيف ..

فالسادات يريد لاوربا ان تلعب دورا في جنيف .. ضامنا ان مصالح اوربا في البترول وفي صداقة العرب طفت على مصالحها مع اسرائيل واثقا من ان اوربا استوعبت درس اكتوبر عندما تهددت حضارتها بالانهيار لما ظهرت في العالم قوة تحت الشمس خاضت حربا باسلة . وحققت نصرا عزيزا ..

امريكا .. امريكا .. امريكا

محطة النهاية هى الهدف .. فالدعوة من كارتر هى سبب تحليق الطائرة . والموقف في الشرق الاوسط ودبلوماسية السادات التى تضع اسرائيل في عزلة وامريكا في حرج .. والعالم تحت وطأة تأنيب الضمير لأنه رغم اجماعه على ضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضى المحتلة وعلى رد الحق الشرعى للفلسطينيين في ارض ودولة لا يزال الموقف جامدا بسبب تعنت اسرائيل . ومنذرا بالحرب لأن العرب لن يقفوا مكتوفى الايدى امام محاولة اسرائيل فرض الامر الواقع .. العرب المنتصرون قد يلقنون اسرائيل درسا ثانيا ..

هذا كله هو موضوع الزيارة الرسمية الى امريكا ..

وكارتر الرجل الجديد في البيت الابيض الامريكى لم يعد الرجل الغامض الذى نتشكك فيه طويلا . ان من بعض تصريحاته ما يمكن ان يكون منعطفا جديدا في السياسة الامريكية كتصريحه في خطاب له في ولاية مساتشوستس بضرورة أن يكون للفلسطينيين . دولة وخروجه

على عرف امريكى عمره ربع قرن في تجاهل الفلسطينيين . ومصافحته لنائب ممثل فلسطين في الامم المتحدة في حفلة العشاء التى اقامها كورت فالدهايم سكرتيرها العام تكريما لكارتر بعد أن القى خطابه في الجمعية العامة ..

والبحث في اعماقه .. والتفتيش في فكره قد يكشف عن بعد يمكن ان يحكم كل قرارات الرجل المتدين . والدين يغرس خلة العدل في القلب والعقل . وحتى لو تغاضيت عن هذا .. وتصورت ان حول رجل البيت الأبيض من يمكن ان يشيروا عليه بالقرار الذى يتخذه وان الدراسات التى تقدم له تجعله ينظر للاسود على انه ابيض .. أو الابيض على انه أسود .. فالذى استطيع ان اقوله بعد ما انتصرنا في حرب اكتوبر وبعد ان عرفت امريكا ان العرب يستطيعون الوقفة الواحدة .. الذى استطيع ان اقوله هو ان الاقبال من امريكا على مصر كان بداية .. ثم اصبح الامر واضحا لما رأت امريكا ان اسرائيل تتعنت .

اذكرك بواقعة سفر كيسنجر من تل ابيب الى امريكا في مارس عام ١٩٧٥ وهو يصرح بأن اسرائيل هى السبب في عرقلة المباحثات الخاصة باتفاقية سيناء الثانية .. بعدها اعلن فورد أن امريكا ستعيد النظر في سياستها في الشرق الاوسط .. والتقى بالسادات في سالزبورج النمساوية في مايو عام ١٩٧٥ .. وبعد اشهر - في اكتوبر عام ١٩٧٦ - التقى به ضيفا رسميا على امريكا .. واذا كان بعض التحفظ قد سيطر على تصريحات فورد .. فان الامر لا شك فيه ان امريكا قد عدلت بعض الشىء من مواقفها الضالعة مع اسرائيل تماما . واعتدلت بعض الشىء في مواقفها المتعنتة من العرب .. فقد كان لهذه الزيارة اثرها الذى تجاوز البيت الابيض ورجاله وتعدى حدود المآدب الرسمية الى رجل الشارع الامريكى الذى ظل لربع قرن يسمع اسرائيل وحدها فاذا به يسمع أنور السادات ويفهم اشياء جديدة عن قضية فلسطين . ويرى رجلا حضاريا يتحدث

عن السلام كأنشودة وعن التحرير كابطال امريكا القدامى . وعن المساواة بين البشر دون تمييز عنصرى ..

ولقاءاته مع اعضاء الكونجرس تعددت في مصر التقى بهم قبل ان يذهب وفي واشنطن التقى بهم هناك حين صفقوا له تصفيقا حادا قال عنه فورد « أننى احسدك عليه » .. وفي مصر مرة اخرى التقى بهم بعد عودته وطرح عليهم مبادرات السلام التى تحرك الموقف . وهؤلاء يخرجون من القاهرة الى تل أبيب .. يسمعون في القاهرة منطق العدل ترفرف عليه اغصان الزيتون . ويسمعون في اسرائيل مواقف الصلف من عقدة المهزوم . ومنطق المفترى الذى يحتل الارض .. حتى لو تهدد العالم كله بالخراب والحرب ..

رجل الشارع الامريكى كون انطباعا عن القضية ..

ولنا في امريكا جماعات وصحف شريفة تساند القضية بعد أن صنع السادات وضوح الرؤية ..

وفي الكونجرس من اعتدل .. ومنه من مال للعدل واتجه للعرب ..

وهذه كلها مكونات وضوابط أو ضغوط على كارتر وهو يتخذ قراره .. فالمساحة ليست لاسرائيل وحدها .. فالعرب هناك ..

ربما كان الوجود العربى لا يتكافأ البتة مع حجم الحق العربى . ولا يوازى ابدا سطوة الصهيونية وتغلغلها كالسم الزعاف في بدن الاعلام الامريكى . ولكن الحقيقة الباهرة ان حكاية العرب ـ اصبحت حكاية مسموعة في قارة كانت ساحة لاسرائيل وحدها ..

فضلا عن هذا .. فان في البيت الابيض والخارجية الامريكية ومعاهد الدراسات الاستراتيجية والسياسية دراسات تشير بوضوح الى أن حرب اكتوبر أصبحت منعطفا جديدا في السياسة الدولية وفي الحسابات الدولية . وأصبح من واجب امريكا ان تنظر الى هذه المنطقة من العالم بعين مصلحتها اولا . ولم تعد اسرائيل التى كانت تصور نفسها على أنها

محطة الدفاع الامامية لامريكا . لم تعد اسرائيل كذلك بعد هزيمتها ، ومصلحتها ثانيا في علاقات طيبة مع سادة المال والبترول . لأن المال يقبل عثرة الانهيارات الاقتصادية في الدول الصديقة لامريكا .. تلك التى لا يبخل عليها المال العربى بالدعم . ولأن البترول هو وقود وشعلة الحضارة الغربية .. وحاجة اصدقاء امريكا اليه متصاعدة ، ومصلحتها ثالثا في أن تنهى الوجود السوفيتى من المنطقة أو على الأقل تحجمه وتقلص مساحته . فالواقع ان السوفييت يبقون ببقاء الحرب لأنهم دكان سلاح . السلام فقط هو الذى يمكن ان يجعل العرب في غنى عنهم . أو يجعل علاقاتهم بالعرب ليست علاقة قط وفار .. بل قط وقط ..

ثم ماذا ؟ الدراسات كلها .. وتقارير البيت الابيض من اثرتون الى بزرنيسكى تقول ان حل القضية الفلسطينية هو مفتاح السلام في الشرق الاوسط والدراسات والتقارير تقول هذا ملفوفا أو غامضا . ولكنها تقول . تعلنه أو لا تعلنه ولكنها تهمسه في اذن كارتر . ولعله لهذا صرح تصريحه في مساتشوستس . ولعله لهذا يستقبل السادات بفكر وعقل مفتوح ..

وكارتر قدم عرابينه على نظرته الجديدة للشرق الاوسط وهى نظرة تعتبر خطوة ابعد من خطوات فورد ..

فكارتر هو الذى منع قنابل الارتجاج العنقودية عن اسرائيل . وهى قنابل رهيبة الانفجار شديدة التدمير . وكارتر هو الذى اشترط ان يوقع على كل صفقة اسلحة تزيد على خمسة ملايين دولار - ولنا تحفظ لأن اسرائيل اصبحت ترسانة سلاح وعندها ما يكفيها - وكارتر هو الذى اوفد فانس في أول مهمة سياسية له .. اوفده الى الشرق الاوسط ليجمع من المنطقة تصورا يعين كارتر على فتح ملف الشرق الاوسط بوعى . وهكذا قفز بقضية الشرق الاوسط الى المقام الاول من الأهمية ، مع أن من المعلقين من وضعها في المقام السادس .. أو بمعنى آخر وضعها في

« الثلاجة » الامريكية تماما كما فعلت امريكا بالاتفاق مع السوفييت قبل حرب اكتوبر ..

هذه العرابين الكارترية .. بالاضافة الى تصريحه عن فلسطين تفرش طريقا للسادات الذى يصل الى الولايات المتحدة .. والعالم كله يتطلع بالفضول واللهفة والمنى الى رحلة السادات ..

فهى رحلة سياسية من الدرجة الأولى ..

٣ ـ التقرير ذو اللون القرمزى

قبل يوم واحد من تحليق طائره الرئيس انور السادات في سماء ولاية ميرلاندلتهبط في قاعدة اندروز الجويه وهى قاعدة عسكرية لها حجم مدينة صغيرة وتقع على بعد اربعين كيلو مترا من قصر « بلير هاوس » الذى نزل فيه الرئيس انور السادات . كانت واشنطن تعيش احلى ساعات الربيع الذى بدأت بشائره بالمناخ المعتدل ... والشمس المتداخلة بالنسمات البارده .. فهنا في واشنطن يتأكد الربيع رسميا باحتفال مهرجان زهور الكريز الذى يكاد يشبه شم النسيم عندنا حيث يستقر المناخ على الاعتدال بعد أن يروا اشجار الكريز وقد ازهرت زهورا بأرق الوان البنفسج تطوق بحيرة تتوسط قلب المدينة وتستلقى على ذراع نهر البوتوماك وهى ـ اى البحيرة ـ واسطة عقد بين مبنى الكابيتول شمالا ونصب ابراهام لينكولن محرر العبيد جنوبا والبيت الابيض غربا ونصب توماس جيفرسون شرقا ..

أهل واشنطون في فرحة ومسيرة الاستعراض الموسيقى بها اجمل البنات في ثياب جميلة كالتى تراها ـ اعنى البنات ـ في الافلام الامريكيه .. وعشرات الالوف تصطف على الجوانب لتحتفل بالربيع الصاعد على أغصان الكريز . هذه الاشجار عددها ثلاثة آلاف شجرة وقد حمل هذه الهدية الى واشنطون وفد من اليابان وجعلها رمزا للصداقة وزرعت زوجة الرئيس الامريكي تافت اول شجرة في حقل زرعت فيه شينوا زوجة السفير اليابانى شجرة أخرى .. وكان هذا عام ١٩١٢ ومنذ ذلك الحين .. اصبح الاحتفال بالكريز والصداقة احتفالا ربيعيا شيقا حتى ولو عرف الواشنطونيون ان زهور الكريز لاتبقى فوق الاغصان اكثر من خمسة عشر يوما ..

صحف المدينة عاصمة الولايات المتحدة الامريكية لم تعتبر عيد الكريز حدثها الوحيد . حدثها ايضا هو وصول الرئيس انور السادات للمرة الثانية الى امريكا .. في مهمة تحريك الصمت الذى تحاول اسرائيل ان تجمد فيه القضية الساخنة،ومهمة تحقيق السلام .. وتحرير الارض .. وتقرير حق الشعب الفلسطينى في دولة .. فما هى العلامات المضيئة على هذا الطريق والتى يمكن ان تعطيك مناخا ثم تفتح لك افاق تقدير الموقف اثناء المباحثات بل وتصور ماذا يمكن ان تكون محصلاتها ... وحصادها أو بتعبير اخر كيف كانت امريكا كارتر عندما وصل اليها الرئيس انور السادات .

قرات عن حادثة عبد الخليص حماس الذى هاجم جماعة ايلجيا محمد واتهمها بأنها لاتعرف من الاسلام شيئا وان ايلجيا عندما وصف نفسه بأنه نبى الله الى زنوج امريكا وعندما قال ان الله أسود والشيطان أبيض رفع شعارا سياسيا يرد على العنصرية ولم ينفذ الى اعماق الاسلام الحقيقية .. عبد الخليص حنفى سنى له جماعته الاسلامية المتطرفة وقد ارسلت جماعة ايلجيا عصبة الى بيته قتلت اولاده الثلاثة واغرقتهم في بانيو الحمام وقتلت ضيفة عنده وتم القبض على بعض المشتبه فيهم ورغم

مرور اربعة اعوام على الحادثة لم تتم المحاكمة النهائية وثار عبد الخليص وقرر أن يثأر . وهاجم مع رجاله في وقت واحد ثلاثة مراكز هامة في قلب واشنطن أولها مبنى البلدية وثانيها مبنى البناى بريث وهى منظمة صهيونية شديدة التطرف في الدعوة لاسرائيل ثم المركز الاسلامى واحتجز رهائن في كل هذه المواقع كان عددهم ١٣٤ غالبيتهم الساحقة من اليهود وطالب بتسليم المجرمين اليه .. وطالب بوقف عرض فيلم « محمد رسول الله » .. وطالب بأن تعتذر له جماعة ايلجيا محمد وهى الجماعة التى ينتمى اليها محمد على كلاى .. وكان في المركز الاسلامى في واشنطن الدكتور محمد عبد الرؤف المصرى مع خمسة من المصريين .. وتلاحقت دقات قلب امريكا هلعا على مصير الرهائن خاصة وأن التليفزيون بكل قنواته أشعل فضول الناس وحماستهم بل وذعرهم على كل المقبوض عليهم ..

قال لى السفير الدكتور اشرف غربال :

ابلغى اديب اندرواس رئيس مكتب وكالة انباء الشرق الاوسط في واشنطن بالخبر .. فاتصلت بالمسئولين الامريكيين ليتدخلوا في حذر وينقذوا الارواح .. وبعد دقائق تلقيت من المسئولين ان عبد الخليص لايثق في احد منهم وانه يشتم كل من يتحدث اليه . وقالوا لى ولهذا نرجوك ان تتدخل لتفاوض عبد الخليص . واضاف الدكتور اشرف قائلا :

- انظر المغزى ، ابلغنى مصرى مسيحى : انا المصرى المسلم لتسفر العملية عن انقاذ ارواح اليهود هذه هى الهدية التى ارسلتها السماء لنا في وقت رائع فقد انتهت زيارة اسحق رابين وقد احدثت اثرها في اتجاة اسرائيل طبعا خاصة وان الاعلام الصهيونى نشط ليغطيها تماما تماما ..

فكان لابد من شى ما .. شيء لاتستطيعه الا السماء لنسحب السجادة من تحت قدمى رابين وهو هنا ..

والباقى في قصة عبد الخليص معروف . ذهب اشرف غربال مع سفيرى ايران والباكستان لتقدير الموقف داخل غرفة العمليات التى كان فيها الى جانب عمدة واشنطون ومدير الأمن خمسة من علماء النفس يسمعون عبد الخليص ثم يشيرون بما يمكن عملة . اما الدكتور اشرف فقد كان يعرف ان الحديث بالقرآن اروع كثيرا من الحديث بعلم النفس وقد استطاع بعد ست ساعات ان يقنع عبد الخليص بالجلاء عن المبانى التى يحتلها وانقذ بالكلمة الطيبة والاقناع الذكى الرجل الذى رفض عرض السفير الايرانى بأن يأخذ عشرة الاف دولار ويستقل طائرة تحمله بعيدا وكتبت الصحف عن الدكتور اشرف غربال ـ اعنى عن مصر لانه سفير مصر ـ وتلقى برقية شكر من كارتر . وتوالت مئات البرقيات واحدة منها من زوجة ناحوم جولد مان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية التى قالت له انك بعد ما فعلت وانقذت ارواح اليهود اعيد النظر في كل القضيه .. واقيمت للدكتور اشرف الحفلات وقدمت له المنظمة الصهيونية جائزة السلام لعام ١٩٧٧ وقدمت له جمعية الشابات المسيحيات تذكاراتها وشكرته منظمة البناى بريث ... في صفحة اعلانية في واشنطن بوست .. كتبت بعض عباراتها باللغة العبريه .

واصبحت مصر انشودة محبة ورمز خلاص فقد محا هذا الموقف الذى قلت لك انه هدية السماء الكثير من البقع السوداء للسمعة العربية القديمة والكثير من الاكاذيب التى صبتها الصهيونية طوال ثلاثين عاما عن وحشية العرب وهمجية العرب ورغبة العرب في ابادة اليهود .

وهذا الموقف زهور كريز تفرش طريق السادات ليست كزهور الربيع التى تبقى خمسة عشر يوما لانها تبقى في اعماق الشعب الامريكى دائما عنوانا على حب مصر للسلام دون تمييز عنصرى وتبقى دائما مصداقا لكل مبادرة سلام تقدمها مصر ..

فانس قبل رابين

أما أسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل فقد عمل المستحيل ليصل الى أمريكا قبل أى بيان آخر .. أى قبل تحرك أمريكى في القضية كأنما يريد أن يوجه الضربة الأولى للعرب ولكن الدبلوماسية المصرية إستطاعت أن تكشف أن هذا لو حدث سيعطى نتائج عكسية عند الإقتراب الحقيقى من القضية . واللواقع أن الذى بدا على السطح .. هو أن الدبلوماسية المصرية أثناء المعركة الإنتخابية كانت تميل الى فورد على أساس أنه رجل عرف القضية وقد أعطاها وعوداً . ولكن الذى كان في أعماق الدبلوماسية المصرية هو أن الشرق الأوسط ليس قضية رجل يذهب أو رجل يجىء بل أنها قضية عدالة ومبدأ وفيها ما يمكن أن يقنع أى رئيس مفتوح القلب والعقل بالعدل . وقد رحبت مصر بالتعاون مع كارتر منذ أول لحظة إيماناً منها بأن الرئيس الجديد يمكن أن تكون له مبادرة لا ترد عليها قيود تعهدات قديمة أو تورطات سابقة ..

وقد تسألنى ، ولكن كارتر كان شديد الضراوة وهو يقود معركته . إنه لم يقل كلمة واحدة يسعد بها العرب وقال كل الكلام لصالح إسرائيل . وأقول لك .. هذا صحيح . ولكن هذا خط معروف في الإنتخابات الأمريكية لما للصهيونية من سطوة على الإعلام وسطوة على تكوين الحملات الإنتخابية . وإذا كان الرئيس كارتر قد قال كلاماً فان فورد فعل وصدر لإسرائيل سلاحاً مخيفاً ليشترى أصوات اليهود . ولعله لهذا إهتزت صورته عند بعض الأمريكيين الذين نادوا بالاعتدال بشأن قضية العرب وإسرائيل .

ليس المهم إذن ما قاله كارتر أثناء الحملة الإنتخابية . المهم ماذا فعل وماذا قال بعد أن وصل إلى البي الأبيض وتوسط قاعته

البيضاوية . ووقف أمام عدسات التليفزيون وقام بجولاته في المدن لتعميق وشائجه وتقوية جسوره مع الشعب الأمريكى .

أولا : قرر أن يرسل فانس الى منطقة الشرق الأوسط بعد أن أعلن أنها منطقة الأهمية الأولى في العالم . منطقة يتفجر منها الخطر ويحوم حولها شبح الحرب . كما أنه ليس مثلها منطقة لأمريكا فيها مصالح .. ولأصدقاء أمريكا فيها مصالح ولأعداء أمريكا فيها مؤامرات على شعوبها ومحاولة لوضع الأقدام على كل شبر متاح فيها .

رجل كشف الحقائق

ثانيا : انه الرئيس الامريكى الوحيد الذى تحدث الى الشعب الامريكى عن آمال الشعب الفلسطينى . وقد قال في بلده « كلينتون » ان من حق الفلسطينيين ان يكون لهم وطن .. واصبحت هذه العبارة التى جاءت بعد ساعات معدودة من مغادرة رابين لامريكا حاسمة خاصة وان رابين ردد تصريحا لكارتر يشبه زلة اللسان عن الحدود الدفاعية لاسرائيل وتوسع في تفسير الحدود واراد ان يصنع فتنة بين العرب وامريكا . فسارع كارتر الى توضيح تصريحه وقال ما معناه ، انه لا يقبل ان يضع رابين كلاما في فمه . وقال : ان تصوره بخصوص فلسطين هو انه لا بد ان يكون لها دولة .. وتصوره بالنسبة لاسرائيل هو انه يجب ان تعيش في سلام والفلسطينيون عانوا التشرد لسنين طويلة . ولا بد ان يعيشوا في الضفة الغربية .

وقد قال كارتر « هناك كثير من الحقائق لم يعرفها الشعب الامريكى

وهو قول اغضب الصهيونية العالمية وبقايا الحرس القديم في اسرائيل . لان هذه اول مرة كما قلت يتحدث فيها الرئيس الامريكى للشعب الامريكى بوجهة نظر فلسطين وهى وجهة نظر لم يعرفها الشعب الامريكى الا بعد حرب اكتوبر وسقوط الاكاذيب الاسرائيليه .

لى الآن . وانا مهمتى ان اشرح للشعب الامريكى وسوف اصدقه القول بكل ما اعرف »

وهنا يدور سؤال : هل حقيقة ان كارتر هو اول من صارح الشعب الامريكى بالاوضاع الحقيقية في الشرق الاوسط ..

اقول لا .. فقد سبقة الى ذلك وليم روجرز وزير الخارجية ايام نيكسون الذى قدم مقترحاته بتنفيذ قرارات الامم المتحدة التى تعنى انسحاب اسرائيل الى حدوذ ٦٧ مع تعديلات يتفق عليها . وقد قبل الرئيس جمال عبد الناصر هذه المبادرة ولكن امريكا تخلت عنها امام الضغوط الصهيونية القوية التى وجهت لروجرز ضربات تحت الحزام . ايامها لم يكن نيكسون وراء روجرز.لم يسنده ولهذا سقط روجرز . هذه المرة كارتر هو الذى يقول ان على اسرائيل ان تنسحب مع تعديلات طفيفة يتفق عليها الطرفان .. لان كارتر هو الذى يخطط السياسة الامريكية وفانس وغيرهاجهزة تنفيدية لما يخططه كارتر ..

اقول : اننى سمعت من الامريكيين انهم انبهروا بما قاله كارتر عن الفلسطينيين .. كأنهم كانوا يعيشون في غيبة هذه الحقائق في غيبوبة تامة عما يجرى بعيدا عن ارضهم .. او هو بتعبير أخر : ان التعمية التى صنعتها أجهزة الاعلام الاسرائيلى قد ارتفعت من فوق العيون بكلمات كارتر في « كلينتون » وبالتالى بداوا يرون الحقائق .

وكارتر وهو يصنع السياسة يريد تأييد شعبيه لانه قد يصطدم بالكونجرس الذى اعتبر دائما قلعة صهيونية . وفي هذه الحالة قد يعيد سيرة ايزنهاور الذى منذ عشرين عاما طلب الى اسرائيل ان تنسحب من سيناء بعد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ فلما رفضت هدد بقطع المساعدات الامريكية عنها فاذعنت صاغرة كل هذا والكونجرس يقف ضده ..

كارتر له رؤية شاملة

وفي تصريحات كارتر ايضا مايعتبر جديدا تماما في الموقف الامريكى . فقد فرق فيها بين الحدود والأمن . فالحدود لاتصنع الامن

اذا بقيت نية الحرب في الضمائر . الحدود يمكن ان تكون آمنة بخلق مناطق مجردة من السلاح او وضع قوات دولية او انشاء مراكز على الجانبين بالانذار المبكر .

اما الامن فهو حسن الجوار والاتفاق على العيش في سلام وهنا اقول ان كارتر لايتصور حلا واحدا قد يتطلب تنفيذه زمنا ليس بالقصير . رؤيته للسلام .. هى السلام الشامل .. الذى يتضمن فتح الحدود ولا يتجمد عند الحدود الآمنة . ولهذا يطالب اسرائيل ان تنسحب من الاراضى التى احتلتها عام ٦٧ لكى يضع موضع التنفيذ مبدأ انه لا ينبغى لدولة ان تكسب ارضا على اساس الغزو . وقال ان على الفلسطينيين ان يتحركوا لانهم لم يعترفوا حتى الان .. باسرائيل . وعاد الى اسرائيل ليقول لها انا معك بالسلام ومكوناته .. ولكن يجب الا تعتمدى .. على جيشك لان القوات الدولية والضمانات الدولية تستطيع ان تحقق هذا السلام ..

من كل هذه الدردشات تستطيع ان تستنتج ان كارتر خطا الى الامام خطوة ليس على طريق الحل خطوة بخطوة .. بل على طريق الاعداد لسلام شامل كامل يتفق عليه الطرفان .. ويكون لامريكا فيه دور .. ولكن السؤال هو : كيف كون الفلاح .. تاجر الفول السودانى او .. مهندس الطاقة الذرية . او رجل البيت الابيض الجديد .. كيف يكون فكره وينسج رؤيته للموقف .. في الشرق الاوسط ؟ ..

اقول : بالطبع كانت زيارة فانس للشرق الاوسط نافعة من كل الوجوه لانها وضعت امام كارتر ان العرب يريدون السلام واسرائيل هى التى تتعنت وتلتوى وتريد ان تضيع الوقت ..

واقول ، ان كارتر ينطلق في سياسته من اساس اخلاقى قوامه شعور دينى اصيل بالحق والعدل .. انه يدافع عن الثائرين الشيوعيين بالكتلة الشرقية وعلاقاته تسوء مع موسكو بسبب خطاب وجهه الى

زخاروف يقول له فيه « أن امريكا ستحمى حقوق الانسان حيثما كان الانسان .. ليس بغريب اذن ان يفتح قلبه للفلسطينيين الذين وصفهم بقوله انهم عانوا منذ ثلاثين عاما ومن حقهم ان يكون لهم وطن . هذه القاعدة الضميرية غابت كثيرا عن البيت الأبيض وقد عادت اليه مع كارتر .

وأقول ثالثا ، ان كارتر لا يفكر تفكيرا عشوائيا ولا يصدر في تصريحات عن هوى أو غرض . انه يعنى ما يقول لانه لا يقول الا بناء على دراسة .. وهذا ما يضايق منه الصهاينة الذين يحاولون وصمة بالجهل والانزلاق في الكلام او ما نسميه نحن « مدب » .. والاعلانيون الصهاينة يستفزونه في كل حديث لكى يخطىء ثم يتصيدون الخطأ . حدث بعد ان نجح في الانتخابات ان سأله احدهم ، هل تحس انك مدين بالاعتذار للعرب ؟ اجاب بالنفى . وقد نشرت الصحف العربية هذه العبارة في مانشتات ضخمة تماما مثلما علقت عليها صحف اسرائيل . وصحف العرب نشرتها استنكارا ، وصحف اسرائيل نشرتها نكاية ووشاية وقد قال لى مسئول مصرى ان علينا ان نحذر من محاولات الوقيعة بين العرب وكارتر التى تخطط لها الصهيونية من الآن ..

اقول في ثالثا ان كارتر لا يفكر تفكيرا عشوائيا انه قرأ ملف الشرق الاوسط جيدا وهو يستكمله برحلة السادات التى تعطيه اكبر كمية من المعلومات الحاسمة لان الرئيس السادات هو من تعرفه امريكا منذ زيارته السابقة . صاحب النبرة الهادئة الذى يفكر بواقعية ومعقولية ومنطق ويحترم في النهاية حتى من يخالفه الرأى .

كارتر وهو يفكر يعتمد على الدراسات من حوله . وفي أمريكا عدة مراكز للدراسات عن الشرق الأوسط تتبع الجامعات او المعاهد العلمية

وتخدم الحقيقة التاريخية المجردة اى هى لا تكتفى بالتقارير التى ترضى الحاكم بل تكتب التقارير التى تقدم الحقائق وحلول المشاكل ٠ واشهر تقرير صدر في امريكا هذا العام هو تقرير معهد « بروكنجز » في واشنطن الذى اعده خمسة عشر استاذا جامعيامنهم« برزينسكى » من جامعة كولومبيا الذى اصبح مستشار الامن القومى .. للرئيس كارتر وغيره» وتقرير معهد بروكنجز » سمى بالورقة القرمزية لان غلاف التقرير بهذا اللون

ويقول التقرير : ان سياسة التوتر في الشرق الاوسط قد تؤدى الى نشوب حرب عربية اسرائيلية بل قد تثير مواجهة كبرى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠ وتتحمل الحكومة المعنية بصورة مباشرة مسئولية التفاوض والاتفاق . ولكن لا يحتمل ان تتمكن من الوصول الى اتفاق بمفردها فقد يتطلب الامر ان تحصل على مبادرة وقوة دفع ومساندة من الخارج ونظرا لان الولايات المتحدة تتمتع بقدر من ثقة الاطراف في كلا الجانبين وتمتلك الوسائل التى تمكنها من مساعدة هذه الاطراف اقتصاديا وعسكريا فهى لاتزال افضل دولة كبرى تستطيع العمل مع هذه الدول من اجل تحقيق التسويه ٠

والتقرير يقع في خمسة فصول هى :

١ ـ مصالح امريكا .. وهنا يصارح التقرير الشعب الامريكى بان له مصالح سياسية واقتصادية . بل ومعنوية في سلام مستقر في الشرق الاوسط .. سلام يضمن أمن واستقلال ورخاء كل دولة بل يضمن صداقاتها لبعضها البعض واى حرب تنشب سوف تهز المصالح الامريكية الى الاعماق ٠

٢ ـ عنصر الزمن : يوصى التقرير بضرورة الاستعجال في معالجة الموقف في الشرق الاوسط لان تركه هكذا قد يولد انفجارا لا يمكن محاصرة اثاره ٠

٣ ـ عملية التفاوض .. هذه جاء وقتها ولا بد ان يكون الاتجاه الى تفاوض في مؤتمر عام .. او عن طريق طريق اجتماعات موسعه غير رسمية . وكل ما تم قبل ذلك من اجتماعات لم يسفر عن نتائج عملية . ولهذا لا بد من دوران عجلة المفاوضات على الاسس الجديدة .

٤ ـ التسوية .. لا بد من تسوية دائمه تتضمن مبادىء دائمة كاقتراح سيادة واستقلال كل دولة في المنطقة . وان يتم الجلاء عن الاراضى المحتلة الى الحدود التى يتفق عليها على مراحل بحيث لا تنفذ مرحلة قبل التنفيذ التام للمرحلة السابقة عليها وان يقبل العرب ليس فقط وقف الهجوم او المقاطعة او الدعاية ضد اسرائيل بل ايضا قيام علاقات طبيعية بينهما . وعلى اسرائيل ان تنسحب الى حدود ٥ يونيه عام ٦٧ بعد تعديلات طفيفة يجرى الاتفاق عليها . وهذه الحدود قد تحتاج الى مناطق منزوعة السلاح ترابط فيها قوات الامم المتحدة، اما عن فلسطين فلا بد ان يعطى شعبها حق تقرير المصير على ارض تقام عليها دولتهم . وقد تكون مستقلة وقابلة لكل الالتزامات التى تفرضها وثائق السلام او قد ترتبط بشكل او بآخر وبارادة فلسطين الحرة مع الاردن .

اما فيما يتعلق بالقدس فان تقرير معهد « بروكنجز » لا يقدم حلا انما ينصح ان تراعى امور هامة مهما كانت صورة الحل للمدينة المقدسة . كان يتبع كل مكان عبادة أصحابه الحقيقين والا تكون في المدينة حواجز تمزق ما بينها . ومن حق كل مجموعة دينية في المدينة ان يكون لها ادارة سياسية مستقلة .

٥ ـ الضمانات : يمكن ان يتولى مجلس الامن انجاز اتفاقية السلام ويتخذ كل ما من من شانه دعمها وتنفيذها . ولكن بجانب هذا يتطلب الموقف تقديم ضمانات لطرف او لاخر ومساعدات اقتصادية او عسكرية والاخيرة تخضع لاجراءات الرقابة على الاسلحة التى يتم الاتفاق عليها .

٦ ـ دور الولايات المتحدة .. الاطراف لن يكون في مقدورهم التفاوض مباشرة ولهذا وبناء على ما تتمتع به امريكا من ثقه هذه الاطراف وبما

تستطيعه من مساعدات اقتصادية وعسكرية لهما فانها تبقى القوة القادرة على العمل بفعالية مع الاطراف المعنية وعليها ان تقدم المقترحات مثلما عليها ان تقدم المعونات لكل هذا فان على الولايات المتحدة ان تعمل مع الاتحاد السوفييتى بالدرجة التى يبديها الاتحاد السوفييتى في تحقيق السلام ..

من يحمى اسرائيل من نفسها ؟؟

احدث هذا التقرير اكبر دوى في امريكا فهو ايضا يفرش طريق السادات الى امريكا لانه يتفق في نقاط كثيرة مع ما صرح به السادات خاصة فيما يتعلق بدور الولايات المتحدة التى قال عنها انها تملك ٩٩ ٪ من اوراق اللعب . وقد كتب بعض المعلقين الصهاينة ان تقرير معهد « بروكنجز » يكاد يكون طبخة عربية ولكن هذه النغمة للتشكيك في هذه الدراسات العلمية لا تعنى الامريكى الذى يحترم كل ما هو فكر علمى .

وقد فرشت طريق السادات الى امريكا كتابات اخرى كثيرة لعل أهمها مقال جورج بول وكيل الخارجية الأمريكية من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٦ والذى كان مرشحا لمنصب وزير الخارجية في حكومة كارتر . كتب يقول ، انه يطالب كارتر ان يحمى اسرائيل من نفسها ورد عليه روستو يطالب كارتر بأن يحمى اسرائيل من « جورج بول » .

وكل هذه المناقشات الحامية تضع قضية العرب على كل لسان وكل الاحاديث التى ادلى بها الرئيس السادات قبل وصوله الى امريكا والتى قدمها التليفزيون الامريكى أو الصحافة .. الامريكية او الاذاعة الامريكية كان لها احسن الوقع عند الامريكيين الذين اقتنعوا بالسادات .. كرجل سياسة في زيارته الاولى . وبلقائه مع اعضاء

الكونجرس الذين زاروا مصر . وبارادة السلام يطالب بها ويقدم عليها الدليل . اننى لا اقول ان الشعب الامريكى قد تخلى عن اسرائيل وانتهى امرها .. ابدا .. ان تسميم العقول لثلاثين عاما .. يحتاج الى بضعة اعوام لتنقيتها وقد بدأت هذه العمليه فعلا . ان السادات تحدث عن كارتر الفلاح بالقرية وهو مثله فلاح ابن قريه . وتكلم عن الوازع الدينى عنده مثلما الوازع الدينى عند العربى . هذه صور مضاهاة اعجبت الامريكيين الذين يباهون بكارتر حين يعود بهم الى مظلة الاخلاق وهيبة الدين ..

واستطيع ان اضيف الى كل ما سبق شيئا جديدا يفرش طريق السادات هو انبهار الامريكيين في واشنطن بما راوا من عظمة توت عنخ آمون الملك الصغير الذى قام بدور سفير حضارى . الذى قال لامريكا من وراء قناع من ذهب وقلادات من عقيق وزمرد واوان من الاباستر ان مصر الحضارية هى الاصل والتاريخ . هى العراقة والريادة والقيادة وان كل ما ادعته الصهيونيه على مصر كذب في افتراء، قد زاره كارتر ووقف مبهورا امام الملك الصغير وهو يقول لا اكاد اصدق .. لا اكاد اصدق ..

وانا اكاد اصدق ان الابواب تلين لطرقات السادات، لست اقول ان الحل وراء الباب على الفور . الحل يتطلب وقتا فالعدو الصهيونى خطير ومتلاف .. .. فقد يفسد كل الاشياء فجأة .. هل تذكرون كنيدى .. قلبى على كارتر وهو يسعى مسعى السلام ويفتح اعين الشعب الامريكى بالحقائق التى ظلت مجهولة

٤ ـ الاتفاق ... على عام السلام

ذهب السادات الى امريكا وفي صدره من دواعى الفال اشياء كثيرة :

اولها : انه ذهب وخلفه صف عربى واحد يجعل حديثه من مركز قوة .

وثانيها : انه جاء وخلفه صف افريقى واحد .. لا نشاز فيه الا من يحركون الغزو الاحمر ضد الجيران في زائير. أو من يقيمون جبهتم العنصرية المتحالفة مع اسرائيل في جنوب افريقيا . وهذا الصف الافريقى الواحد اتخذ موقفا ساخنا وطازجا في لقاء القمة العربية الافريقية قبل ثلاثة اسابيع فقط من رحلة السادات الثانية إلى واشنطن .

افريقيا الآن تستمد اهميتها من مجرد انها منجم المواد الخام . بل من ان ارضها أو بعض ارضها في شرقها وغربها وجنوبها أصبح ساحة للصراع السوفيتى الامريكى ..

وثالثها : انه جاء وخلفه صفوف أخرى تدعمه .. مثل صف عدم الانحياز بأدائه الرائع في الأمم المتحدة . وصف دول السوق الأوربية

المشتركة .. ومعنى هذا ان اسرائيل في شبه عزلة ان دبلوماسية السادات الهادئة تطوقها وتحاصرها . وعللها في التسويف الى مالا نهاية تسقط تماما بعد ان تجرى الانتخابات فيها . ويجىء رئيس وزراء يستطيع ان يوقع مواقيق الانسحاب ..

ورابعها : لم يحمله السادات إلى امريكا .. ولكنه اختيار الشعب الامريكى ذاته في معركته الانتخابية الأخيرة .. إنه كارتر الذى يلتزم قاعدة اخلاقية في التعامل ..

هذه المتغيرات بين الرحلتين اضافت للرصيد العربى . واذا كانت الرحلة الأولى رحلة تعارف وتعريف بالمشاكل في الدرجة الأولى . فان الرحلة الثانية رحلة دخول الى لب الموضوع وصميم المشكلة . ومصارحة متبادلة بالممكن ثم الضرورى .. هذا عن الازمة ... اما عن العلاقات المصرية الامريكية فإن الرحلة الثانية رحلة تعميق الانفتاح وتسكين المشروعات الامريكية في مواقعها . وبدء صفحة تكاد تكون جديدة بعد ماسماه السادات « بالتزام امريكا الادبى تجاه مصر كدولة صديقة » ..

والرحلة نجحت ودليل نجاحها ضراوة الصهيونية في التصدى لها . وموقف الجمود في الشرق الاوسط سوف ينتهى بعد ان صرح كارتر بأن عام ١٩٧٧ سوف يكون عام السلام فعلا .. ولست ادرى أى اسلوب سيتبعه كارتر مع اسرائيل لتفتيت صفها . ولكنى ادرى انه جاد فعلا في تحقيق سلام هذه المنطقة .. لان سلامها فيه مصلحة لامريكا . واستقرار للعالم .

وقد طرحت في لقاءات كارتر والسادات موضوعات كثيرة .. دعنى اقدم لك هذه الموضوعات واحدا بعد الآخر ..

اولا : السلاح .. فقد اعلن الرئيس السادات انه ذاهب الى امريكا ليطلب سلاحا . ولم يعد عند الصحافة الصهيونية في امريكا هم الا ان تطارد هذه القضية . وتسأل هل قدم السادات كشفا بطلبات السلاح ؟ **هل طلب صواريخ ؟ هل طلب اسلحة متقدمة ؟ وقد كانت اجابات**

كارتر مقتضبة . قال انه ناقش القضية . واجاب السادات بانه تحدث بصفة عامة ولم يقدم كشوفا .. والباب مفتوح للحوار - أما « جودى باول » المتحدث باسم البيت الأبيض فقد أعلن أنه لا يعرف أن السادات قدم كشوفا لكارتر وسئل هل قدمها للبنتاجون - أى وزارة الدفاع - فقال : « أنا لا أتحدث إلا بأسم البيت الأبيض » .. وتطاول عليه صحفى صهيوني وقال له : أنت سخيف » .. وأعلن شارلز بيرسى رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس الأمريكى أن الرئيس السادات طلب سلاحا دفاعيا . ولم يطلب سلاحا هجوميا .. وأن السلاح الذى يعطى اليه لن يستعمل في حرب في المنطقة ورغم أن الجملة الأخيرة « غريبة » الا أنها كانت في مناخ حديث ودى للغاية أدلى به بيرسى بعد لقاء السادات مع لجنة العلاقات الخارجية ..

على أن معلق « الايه بى سى » الامريكى قال في تعليق تلفزيونى . ان مصلحة أمريكا أن تعطى سلاحا لمصر . لأن أمريكا أخطأت خطأ قاتلا عندما رفضت اعطاء السلاح .. لمصر منذ ٢٢ عاما فقط . وأمريكا تدفع الثمن منذ ذلك الحين . أما الخطأ الأمريكى الثانى في ربع القرن الأخير فقد كان حرب فيتنام . وامام أمريكا الآن فرصة اصلاح الخطأ الأول بعد أن أصلحت الخطأ الثانى ..

وبعض المعلقين يقول إن اعطاء السلاح لمصر هو الذى يخلق توازنا حقيقيا بينها وبين اسرائيل، وتوازن القوى هو الذى يحقق السلام ..

وعندما سأل رؤساء تحرير الصحف الأمريكية الرئيس السادات عن قضية السلاح قبل ساعة من طيرانه عائدا. قال: لقد سألنى عضو في مجلس الشيوخ عن السلاح . فقلت : دعونا نجعل الأولوية لأحاديث السلام . ونؤجل السلاح للمرحلة التالية . واذا تحقق السلام فلن نكون في حاجة الى السلاح .

على ان ماانتهى اليه من مجموع ماسمعته ان الحديث عن السلاح كان واردا بالطبع . وان الباب فيه مفتوح لمناقشة التفاصيل . إن وجهة النظر الجديدة هى ان السلاح في مصر سوف يخدم قضايا الحرية . ويواجه الترسانات السوفيتية التى تنشر المؤامرات وتوزع الاحداث الدموية على افريقيا ..

ثانيا : افريقيا .. وافريقيا لم تكن في حساب المعلقين السياسيين . ولكنها اخذت اهمية قصوى منذ صرح كارتر في كلمته في حفلة العشاء انه . « استنار تماما بما قاله السادات عن افريقيا » . واذا كانت امريكا مشغولة بالغزو الاحمر لزائير . فان مصر مشغولة بالوقفة الافريقية الواحدة التى يجب ان تساند كل دولة افريقية يقع عليها العدوان . التقت وجهة النظر الامريكية مع وجهة النظر العربية وهى ادانة الغزو . وادانة وجود قوات اجنبية على الارض الافريقية .. ومصر بما لها من ثقل عربى وافريقى تستطيع ان تقوم بدور هام في التصدى لهذا المد الشيوعى الذى قفز الى الجنوب . مصر والعرب يهددهم الخطر الزاحف من الشرق في مؤامرات تواترت عليها الادلة .. تنفذها الشيوعية الدولية . وفي هذه الصدامات الدولية في مناطق المعارك في زائير .. مما يشكل خطراً يزحف من الجنوب .. ومن مصحة امريكا . بل ومن حسن السياسة ان تدعم أصدقاءها ليقفوا في وجه هذا الخطر . انها لن تتدخل بجيوشها . ولكن واجبها هو ان تقوى جيوش الذين يكافحون من أجل استقلال اراضيهم . والذين يتصدون للهيمنة السوفيتية التى تتسلل حتى تحت الحزام العربى الى افريقيا السمراء ..

ثالثا : اسرائيل .. هذا بيت القصيد او مربط الفرس . والادارة الامريكية الجديدة واضحة في ارادة السلام للمنطقة . وكارتر مع الحل الانسانى للقضية الفلسطينية . وقد طرحت كلمات الحدود الدفاعية . وحدود الامن . والأمن المجرد المضمون بقوات دولية او بمناطق منزوعة السلاح على الجانبين . كارتر مع تطبيق قرار ٢٤٢ للامم المتحدة الذى ينص على الانسحاب الشامل .. لا ترد على هذا النص في نظر كارتر « الا

تعديلات طفيفة » . وهو يتفهم وجهة النظر العربية من ان الأمن لا تفرضه الجيوش ولا الجبهات القتالية الحصينة . فهذه نظرية تساقطت في حرب عام ١٩٧٣ ، وداستها اقدام الابطال الذين عبروا القناة وحطموا بارليف . الأمن يفرضه السلام ، والتعايش مع الجيران ..

ولا اقول ان التصور الكامل للموقف قد وضع بين كارتر والسادات ، ولا هو موضوع من قبل بين كارتر ورابين . ان كارتر يسمع كل الاطراف ويقرأ كل الملفات . ان السادات رسم صورة الموقف العربى ، وعلى هذا الضوء يبدأ التحرك الامريكى .. او يبدأ العمل الامريكى الذى قال كارتر انه سيكون نشيطا ليصبح عام ١٩٧٧ عام السلام

ولكن هل سيكون كارتر مطلق اليد وهو يعالج الموقف في الشرق الأوسط أم أن الكونجرس باق هناك حسكة في الزور ، وصديقا تقليديا لاسرائيل ؟

رابعا : القضية الفلسطينية : من اول خطاب القاه السادات في قاعة البيت الابيض الشرقية ، الى اخر حديث ادلى به لرؤساء تحرير الصحف ، وعبر ثلاثة ايام مشحونة باللقاءات والاحاديث كانت القضية الفلسطينية قاسما مشتركا اعظم ، وقد قال عنها السادات انها لب القضية ، وما لم تحل اولا .. فلن يحل شيء . موقف مصر مبدئى لم تتزحزح عنه ابدا . الاقتراب الامريكى من القضية الفلسطينية يعتبر جديدا مائه في المائه ، السادات قالها انه حث الأمريكيين على الحوار مع المنظمة الفلسطينية ، ولما سئل هل اتفقت مع ياسر عرفات على ما يقال .. قال : انه التقى بياسر عدة مرات ، وصرح تشارلز بيرسى رئيس لجنة العلاقات الدولية بالكونجرس .. أن المطروح هو دولة فلسطينية تتكون من الضفة الغربية وقطاع غزة وممر بينهما ، دولة تحتوى العناصر المتطرفة في ايجاد وطن قومى للفلسطينيين ، وتتحالف هذه الدول مع الأردن .. وليس هذا التصور للدولة الفلسطينية في صالح اسرائيل فقط ، انه من أجل سلام العالم كله ..

خامسا : جنيف .. فالعودة الى المفاوضات التي توقفت منذ ثلاثة أعوام هو الهدف الأول . وكسر الجمود هو محور رحلة السادات الثانية . إن اسرائيل تريد ان تكسب الوقت لتفرض الأمر الواقع . ورغم أن الاقلام الامريكية الصديقة للعرب تحذرها من الوقت . وتحذرها من الحرب الخامسة . فانها تمضي الى صلفها وكأنها منتصرة .

وقد طرح السادات فكره عن جنيف وضرورة تمثيل الفلسطينيين فيها . والاعداد لجنيف بما يضمن النجاح . وليس معنى أن الولايات المتحدة على خلاف الآن مع الاتحاد السوفيتي أن تتعطل جنيف « ان لقاء ثانيا يتم بينهما في مايو ١٩٧٧ .. في جنيف . سوف يتفقان عليها فيها » . وقد قال السادات أنه كان يأمل أن تبدأ مفاوضات جنيف في ابريل أو مايو ولكن الانتخابات الاسرائيلية تجعل عقدها في النصف الثاني من هذا العام ضرورة . والسؤال هو : هل يمكن اذا تعنت الاتحاد السوفيتي أن تنعقد جنيف بالوساطة الامريكية وحدها ؟ أقول إن احدا لم يتصور هذا . لأن الاتحاد السوفيتي مسئول أمام الأمم المتحدة ـ أى أمام العالم ـ بدفع عجلة جنيف لأنه احدى دولتين تدعوان الأطراف . فالتواجد السوفيتي ضرورة . والتعنت السوفيتي هنا غير وارد حتي لايكشف الاتحاد السوفيتي أنه كان يخادع العرب بكل التصريحات التي اصدرها لصالحهم .. أو أنه لم يكن يعنى بها الا كسب المواقف وطرح الشعارات . وكارتر يريد أن يتحرك مع الاتحاد السوفيتي ..

حنيف اذا ضرورة .. الوجود الفلسطينى فيها حتم مهما كانت الصورة التى كان يتم بها هذا التواجد . وهذه الصورة هى التى يمكن ان يتفق عليها الامريكان مع السوفييت . ويتولى الامريكان اقناع اسرائيل .. ويتولى السوفييت اقناع الفلسطينيين .

وهذا الكلام مطروح من زمن · وهناك مشروعات كثيرة منها المشروع السوفيتى بطلب دخول المنظمة للمفاوضات في مرحلة تالية ·· ولا أظن السوفييت يتخلفون عن دفع عجلة جنيف لانهم بذلك يخسرون كل مواطىء الاقدام حتى في ارض الرفض . ويقامرون بكل وجودهم ومستقبلهم في المنطقة العربية ··

سادسا : العلاقات المصرية الامريكية ·· اذا كانت للقضايا الاولى اولويات ساخنة من أجل سلام المنطقة بل وسلام العالم ، فان هذه القضية - العلاقات المصرية الامريكية - قضية لها نفس السخونة عند رجل الشارع المصرى الذى يريد ان يترجم كل علاقة مع دولة اجنبية الى ازمة تنفرج ·· الى لحوم في الجمعية ودجاج ·· الى مرفق يتحسن أو خدمة تتقدم وتعالج من الشلل . ورجل الشارع المصرى وهو يفكر من هذه الزاوية عنده الحق ·· لانه يدفع الثمن دائما ·· أليس هو بطل حرب أكتوبر التى قلبت الموازين . وجعلت الابواب تتفتح امام مصر المنتصرة ؟ ماذا أخذ رجل الشارع المصرى بعد حرب أكتوبر ؟ ·

امريكا ·· في احداث ١٨ ، ١٩ يناير خفت الى الدعم الاقتصادى لمصر . بادرة لم ينسها السادات وهو يتحدث عن العلاقات العربية الامريكية · تثبيت المعونة الامريكية هام جدا خاصة في سنوات الاختناق · الرئيس السادات شرح انه اتفق على مشروعات انفتاحية كثيرة ، زراعية وصناعية بل وسكنية مع من التقى بهم في امريكا . الدكتور حامد السايح وزير الاقتصاد ·· قال لى : ان استمرار امريكا في دعمنا ببليون دولار سنويا هام جدا لمسارنا الاقتصادى ، وامريكا ذات تأثير ونفوذ بين اربع عشرة دولة سوف نلتقى بها في باريس ايام ١١ ، ١٢ ، ١٣ مايو ١٩٧٧ لبحث حاجتنا من قروض بالخطة العاجلة · اننا نريد ٢٠ بليون دولار ، سبعة بلايين منها عاجلة · وهذا الاجتماع سيتم في اطار صندوق النقد الدولى ·· واعتقد ان تأييد امريكا لنا . وحثها لهذه الدول صديقاتها سوف يحقق لنا مانريده من قروض لخطتنا ··

وقد قدمت امريكا لمصر من صندوق فائض القمح مائة ألف طن من الذرة .. وعشرين ألف طن من الدجاج المجمد .. والصندوق تجمع فيه فرق سعر القمح بعد ما أنخفض سعره ولهذا تقدمه أمريكا معونات للدول التى تحتاج اليها ..

وأمريكا تتفهم جيدا الحالة الاقتصادية في مصر . والحوار متصل بشأن دعم مصر اقتصاديا لتجتاز أزمتها وشركة شيكاغو التى تبحث عن البترول عند خليج السويس رصدت سبعة ملايين ونصف مليون دولار .. لاعمال التنقيب خلال الاشهر الستة التالية ومشروعات الانفتاح في مجالات الصناعة والزراعة كثيرة وقائمة .. وهناك مشروعات تدرس . وسوف تضاف الى القائمة . المهم ان رأس المال الامريكى يمشى وراء السياسة الامريكية وما دامت السياسة الامريكية تثق في الاستقرار المصرى والمستقبل المصرى فان رأس المال الامريكى يدخل من نفس الباب الذى تدخل منه السياسة الامريكية ..

وهناك علاقات ثقافية .. وتبادل مهارات أو بمعنى ادق تدريب على مهارات وقد سمعت ثناءا مستطابا على العناصر المصرية التى ذهبت في اطار التدريب على المهارات لان هذه العناصر لها قدرة مذهلة على الاستيعاب السريع ..

على كل حال .. في امريكا الان مئات من حملة الدكتوراه المصريين يتوزعون في الجامعات والمعاهد والشركات الكبرى .. ويعطون لرأس المال الامريكى الثقة في انه اذا جاء الى مصر فسوف يجد اقارب وأهل هذه العقول المصرية الذكية التى يعايشها في أفريقيا ..

وهكذا ..

كارتر فتح الابواب .. على وجهه ابتسامة عريضة . ولكنها ليست ابتسامة الساذج أو الضعيف . أنه يعرف أنه بما قاله عن « وطن الفلسطينيين » .. وانسحاب اسرائيل من الأراضى التي احتلتها بعد تعديلات طفيفة .. يعرف أنه سوف يصادف متاعب كبرى . ولكن

الذى يجمع عليه المعلقون ان كارتر سيكون « عنيدا وعنيفا ونشيطا ومجدداً » وهو عل أتم استعداد لمحاربة الكونجرس الامريكى أو أية جهة أو فرد يقاوم أو يعترض طريق تنفيذ برامج وسياسته المعلنة. ومن المرجح ان تكون العلاقات بينه وبين الكونجرس عاصفة وهو جاء بالرغم من سيطرة الأغلبيةالديموقراطيةعليه . كما تشير الدلائل الى أن الرئيس كارتر مستعد في أى وقت للخروج على التقاليد المتبعة ومحاولة الاتصال مباشرة بالشعب الامريكى لترويج برامجه وكسب التأييد لها . وذلك عنطريق استغلال وسائل الدعاية الحديثة والمتوفرة اذا ما رفض الكونجرس الموافقة على برامجه الاصلاحية المبتدعة . ومن المنتظر ان يتسم عهده بالعناد والعنف وبقوة القصد والعزيمة مما قد يجعله من اعنف وأقسى الرؤساء الامريكيين منذ عقود مضت .. لانه رجل عقيدة ومبدأ .. ويتصرف عند الازمات بذكاء وفطنة . ولكن بصرامة وحزم .. ويؤمن بفلسفة « تكلم بهدوء وأمسك بعصا غليظة » ...

فهل يمسك كارتر العصا الغليظة وهو يواجه الكونجرس في قضية الشرق الاوسط ؟

فهل يمسك كارتر العصا الغليظة وهو يواجه الكونجرس في قضية الشرق الاوسط ؟

والواقع ان الكونجرس الجديد قد لا يكون بالضرورة صورة طبق الاصل من الكونجرس القديم في تحيزه لاسرائيل فهذا الكونجرس الذى جاءت به الانتخابات الجديدة فيه شخصيات « شبابية » مرنة متفهمة لحقائق العصر .. وليست متورطة في تصريحات مسبقة لمساندة اسرائيل أو التعصب لها تعصبا أعمى . والعناصر القديمة فيه فقدت المواقع لان من اعضاء الكونجرس من تقابلوا مع الرئيس السادات . وتجولوا في المنطقة العربية وزالت بالتالى الغشاوة التى وضعتها على اعينهم الدعايات الصهيونية . وليس معنى هذا ان الكونجرس لم يعد نصير اسرائيل . معناه

فقط انه اصبح على استعداد لمناقشة وجهة النظر الاخرى ، وان الغالبية الساحقة التى كانت تتمتع بها اسرائيل داخلة بدأت تتحلل ..

ولكنى اعتقد ان التحرك الصهيونى في دهاليز الكونجرس لن يجعل نوايا كارتر من أجل السلام تتحرك بسهولة . هذا التحرك الصهيونى قد يفسد اشياء كثيرة .. لن يصلحها الا ان يتصدى كارتر بالقوة التى يعرفها عنه المعلقون السياسيون هنا .. وقد قرأت تعليقا ساخنا لوكيل سابق للخارجية الامريكية صرح اثناء حفلة اقيمت في احدى ضواحى واشنطن بقوله « ان ما تبديه الدول العربية من تشكك وقلق تجاه مواقف وسياسات الكونجرس الامريكى هو أمر في غاية الفطنه والذكاء .. لانه لا يمكن لاحد التنبؤ بما قد يقدم عليه « اولاد الحرام « اولئك من قرارات وتصرفات » ..

والمتتبع لسلوك الكونجرس في العامين الاخيرين يستطيع ان يلاحظ - كما قلت انه بدأ يعتدل بعض الشىء ، ويسمع وجهة النظر الاخرى . قد حاول مجلس الشيوخ مثلا منع قرار بتخفيض الاسلحة لاسرائيل ، ولكن مجلس النواب تصدى لمجلس الشيوخ .. وانتصر عليه بمعاونة حكومة فورد . وفي التصويت على ميزانية عمليات السلاح - وهى الميزانية التى كانت مخصصة لتنفيذ اتفاقية سيناء قدم الكونجرس ما يدل على مرونته الجديدة فقد وافق على ان يأخذ العرب ٥ ر ١٧٤ مليون دولار مقابل ٧٠٠ مليون اخذتها لسرائيل . كما وافق على بيع طائرات نقل ضخمة لمصر طراز ١٣٠ . وهو امر كان يدخل في عداد المستحيل قبل ان يبدأ الكونجرس في الاستماع الى وجهة النظر الاخرى ..

ولكن اكبر دلائل التحول ما جاء في تقرير السناتور ريبكوف عضو الشيوخ عن ولاية كونتكتكت . والثانى هو بيكر ممثل ولاية تينيسى . والاول زعيم جبهة المعارضة للمقاطعة العربية والاقتصادية لاسرائيل .. والثانى زعيم الاقلية من الشيوخ الجمهوريين وكان احد المرشحين لرئاسة الجمهورية عام ١٩٧١ .. قد كتبا تقريرهما تلخيصا لمشاهدات وانطباعات

وفد من اثنى عشر عضوا من اعضاء الكونجرس في جولة في منطقة الشرق الاوسط ..

يقول التقرير :

● اشتراك الفلسطينيين في المفاوضات سيفيد كثيرا لأن هدفه هو التوصل الى حل سلمى دائم للمشكلة ..

● نادى التقرير بضمان حدود آمنة لاسرائيل يمكن الدفاع عنها عسكريا ، واتفق مع رغبة الدول العربية وتفضيلها الحصول على ضمانات السلام في المنطقة من الولايات المتحدة بدلا من محاولة اقامة علاقات او روابط مباشرة مع دولة اسرائيل .

وهذا التقرير يعتبر « ثورة » في فكر الكونجرس ، وقد علق توم برلون في النيويورك تايمز قائلا « ان مجلس الشيوخ اصبح اكثر اعتدالا عن ذى قبل ، بل والرأى العام الامريكى عامة » ولقد بدأ بعض الشيوخ في التساؤل والاعتراض على ظاهرة اعتماد اسرائيل على الشيك على بياض الذى تضعه الولايات المتحدة الامريكية تحت تصرفها .

وقد احدث تقرير ريبكوف اثره في الشعور الزائد عند الكونجرس بأن يتم توزيع المعونة الامريكية على دول منطقة الشرق الاوسط بالعدل والتساوى من أجل المحافظة على التوازن .. والتوازن امر حيوى لاية تسوية للنزاع في الشرق الاوسط .

والموقف في مجلس النواب قد يكون اقل تعصبا لاسرائيل ، وشت بهذا حادثة هامة في انتخابات لجان المجلس . فقد تقدم لرئاسة لجنة العلاقات الخارجية عضو هو كليمنت زابلوكى ضد بنيامين روزنتال المعروف بتحيزه الشديد لاسرائيل ، واذا بروزنتال يحمل على زابلوكى حملة شعواء ، ويتهمه بأنه صديق العرب .. ولكن حملة روزنتال تبددت على صخرة من ذكاء وكفاءة زابلوكى .. الذى صوت من قبل في صالح اعطاء طائرات النقل لمصر . وانتقد التحيز ضد العرب ..

نجاح زابلوكى اتخذ سابقة على أن الصهيونية لم تعد تتحكم تماما في مجلس النواب . اقول إنه رغم هذه البشائر في المجلسين . رغم الدعـ

الجديد الوافد في انتخابات نوفمبر ١٩٧٦ ورغم اعتدال عدد من التقليديين في التحيز لاسرائيل امثال جافيتز وبيرسى وجريفين ، فإن المسألة ليست بهذه السهولة وتصور ان الكونجرس سيخذل اسرائيل تصور حالم · الرهان ينبغى ان يكون .. او الهدف ينبغى ان يتحدد في أن نجتذب المزيد من المعتدلين .. حتى نضمن « مد » الاعتدال لصالح العرب ·

أننى أريد أن أقول ان العرب عليهم واجب ايضا .. وليست القضية ان يحدثوا كارتر وينتهى الامر .. القضية ان يتحدثوا الى اعضاء الكونجرس بتوسع .. قد زار مصر اكثر من ٢٠٠ منهم في الاعوام الثلاثه الماضية ، ويجب ان تدعو البلاد العربية وفودهم لسماع نغمة السلام والواقعية والاعتدال التى اصبحت محببة عند الشعب الامريكى ..

اننى سمعت ان جان ابو رزق عضو الشيوخ الامريكى العربى الاصل ، ينوى اعتزال السياسة لانه يئس من اقناع العرب الموجودين في امريكا بالتحرك من أجل قضيتهم .. لعله وهو صوت قوى في الكونجرس يعدل بعد ان يرى العرب .. في البلاد العربية قد تحركوا من أجل قضيتهم ..

اننى وقفت عند سؤال قدمه رؤساء تحرير الصحف الامريكية للسادات عن الوقت الذى يراه كافيا للانسحاب فأجاب قائلا :

ـ في عام ١٩٥٧ ـ عندما اراد ايزنهاور انسحبوا في شهرين .. انا اعطيتهم ستة اشهر ..

ولم يعد السؤال هو متى تبدأ محادثات جنيف ، فقد تعاهد الجميع على ان يكون عام ١٩٧٧ عام سلام .. فهل تقبل اسرائيل السلام .. أم تجر العالم الى حرب ليس في الدنيا من يستطيع ان يتكهن بنتائجها ..

ان رحلة السادات لامريكا فيها محصلات ايجابية ، انه القى بذورا طيبة والحصاد قادم ، وعلى من يحرق حقل الامل الغرم كله .. لان الجريمة لا تفيد ...

٥ ـ سياسة الرقبة الغليظة

دخل مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل الجديد منطقة انعدام الوزن منذ اليوم لفوزه برئاسة الوزارة الاسرائيلية فقد صدر من التصريحات مالو صدقناه لتصورنا ان الحرب قادمة لاريب فيها وان كل الذى بذل من اجل السلام باطل وقبض الريح . وان اسرائيل اصبحت الدولة « السوبر » التى ترتفع فوق مستوى النصيحة . وتركل قرارات الامم المتحدة . وتخرج لسانها لولى امرها .. من صنع لحم اكتافها . وعلمها الرماية كل يوم .. اعنى امريكا .. ولكنى لا اصدق هذه الزفة الكبيرة التى صنعها مناحم بيجين . بدليل انه يناقض نفسه من يوم الى آخر .. فبينما يعلن ان الضفة الغربية جزء من ارض اسرائيل لن يتنازل عن شبر منه . وبينما يرفض فكرة الدولة الفلسطينية رفضا قاطعا يتجاوب على الفور مع نداء جروميكو وفانس الذى صدر في جنيف بضرورة عقد مؤتمر جنيف في خريف ١٩٧٧ ويقول انه على استعداد للتفاوض مع الزعماء

العرب .. ترى على ماذا يتفاوض اذا كان رفضه لموضوع المفاوضة يسبق استعداده للمفاوضة ؟ ..

هى منطقة انعدام الوزن .. وهى نتيجة طبيعية لرجل ظل يحلم بكرسى الحكم طوال ٢٩ عاما كان حزب العمل خلالها مؤسسة احتكارية لهذا الكرسى منذ انشاء اسرائيل . ويكاد يكون بيجين في حالة عدم تصديق ، وهو لن يصدق « الأملة » التى حققها الا بعد ان يرتطم بأرض الواقع الاسرائيلى .. ثم يتعرف اين هو من القوى الكبرى في العالم .. ومن اوربا الغربية على وجه التحديد .. ثم يلملم معلومات لا بد منها عن قوة العالم العربى .. وهو بعد ذلك سوف يدخل حتما منطقة « الوزن » الصحيح للامور . .. فيختصر تصريحاته العنترية ، ويعرف ان ساحة الشرق الاوسط ليست صحراء دون كيشوت التى يقاتل فيها ويحقق بطولات وهمية ..

واقع اسرائيل الذى سيعرفه بيجين جيدا انها دولة تعيش على الصدقة . وان حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ لم تهزمها عسكريا فقط بل انزلت بها فادحة اقتصادية .. فالتضخم تفشى والاسعار زادت الى الضعف ، والثقة في كيانها كله تبددت ، وقد زهقت الدول التى تساعدها من مساعدتها ، وقال اعضاء كونجرس فيهم دم صهيونى : الى متى ندفع ثمن نزوات اسرائيل ؟ وولى عنها المهاجرون وادبروا ، مع ان المهاجرين هم « الاكسجين » البشرى الضرورى لحياتها .. وكتب احد الصهاينة يقول : لقد قلبت الصهيونية التاريخ . لقد ظللنا نحن اليهود الفى سنة دون ان نستطيع امتلاك ارض او اداء خدمة عسكرية ، ولم نستطيع عمل شىء سوى اعمال البنوك والتجارة .. وكنا اغنياء . والآن لدينا دولة ، وجيش من اقوى جيوش العالم ، وزراعة متقدمة بشكل خارق للعادة نجد انفسنا غارقين في الديون ؛ حتى ان الطفل في اسرائيل يبكى بمجرد ان يولد لانه يعلم انه مدين بثلاثة الاف دولار .. هذا الواقع الاقتصادى قد يجعل الحرب مغامرة تنتهى الى الافلاس والهزيمة معا ..

اقوى من النووية

ولو القى بيجين نظرة على العرب لوجد الحال غير الحال ..

ان مناحم بيجين واجه العرب وهو زعيم عصابة .. فقد كان يقود افاقى « الاورجون » للقتال في فلسطين اثناء الانتداب البريطانى ، وكان يقهقه ضاحكا وهو ينسف فندق الملك داود في القدس .. وفيه مقر القيادة العامة للقوات البريطانية اثناء الانتداب ، ثم فاقت فظائعه فظائع هولاكو وجنكيز خان وهو يقتل الشيوخ والاطفال ويبقربطون الحوامل في دير ياسين ، ويجعلها مأساة الرعب التى ترغم الفلسطينيين العزل من السلاح على ترك بيوتهم وارضهم وقراهم ليحتلها الغزاه القادمون من الشتات .. ويئشئوا بها دولة اسرائيل . وقد واجه مناحم بيجين وعصابات الصهيونية الاخرى جيوش العرب متفرقة بغير خطة . ارسلها بعض حكام منهم من كان يخون العرب .. ومنهم من كان يضع في ايدى قواته اسلحة فاسدة ..

وهكذا قامت اسرائيل . ولكن الآن تغير الموقف .. ان حرب اكتوبر اكدت ان الجيوش العربية حديثة .. تستعمل أصعب وافتك اسلحة العصر وتحقق بها النصر .. لانها تتلقى تعليماتها وخطتها من قيادة موحدة ، فليس بين العرب الان من يستطيع ان يبعد عن ميدان المعركة اذا نشبت ، ولعل شيمون بيرنز وهو يلتقى ببيجين رئيس الوزراء قد قال له جملته المأثورة التى قالها في التليفزيون الامريكى منذ عام عندما سئل عن الموقف في لبنان ، وانشغال العرب بخلافاتهم .. وهل يشكل هذا مناخا صالحا لاسرائيل لشن حرب جديدة ؟

وقد اجاب بيرنز قائلا : « ان العرب في السلام .. او في مواجهة بعضهم البعض ٢١ دولة ، اما في الحرب مع اسرائيل فهم دولة واحدة » ..

والمتغير الثانى على الساحة العربية ان العرب استردوا الثقة بأنفسهم .. وهى ثقة كانت هزيمة عام ١٩٤٨ أول ماهزها .. وتتابعت بعدها الهزائم في عام ١٩٥٦ .. و ١٩٦٧ ، حتى ظنت اسرائيل انها قاعدة

الاستعمار الامامية ، ومندوب الحضارة الغربية الى عالم متخلف ، وانها صاحبة الذراع الطويلة القادرة على تأديب العرب ، ورجل الشرطة اليقظ الذى يحمى آبار البترول لصالح أسياده .. كل هذه المفاهيم اسقطتها حرب ١٩٧٣ التى ردت للعرب ثقتهم بأنفسهم ، واصبح على مناحم بيجين ان يعرف الحجم الحقيقى لاسرائيل ، والدور الحقيقى لاسرائيل ..

وهناك متغير إن غفل عنه بيجين فالعالم كله لايغفله ، ان بيجين كان يتعامل مع عرب عام ١٩٤٨ ونصفهم يخضع لسيطرة الاستعمار ، والبترول في ارضهم لا يشى بحجمه في الغد ولا بخطره في المستقبل ، الآن بعد حوالى ٣٠ سنة يتعامل مع دول عربية حرة تماما وقد أصبح البترول ـ كما وصفه اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ـ اقوى من الاسحلة النووية .. وقد جرب العرب استخدامه في عام ١٩٧٣ ، فرضخ العالم لمشيئة العرب ، ووجدت اسرائيل نفسها في عزلة .. الا من امريكا .. ولم تسمح اوربا الغربية لامريكا بأن تجعل من مطاراتها محطة استراحة للجسر الجوى الذى دفعت عليه بالاسلحة الى اسرائيل ، ثم خطبت ود العرب بعد ذلك ففتحت لهم مصانع اسلحتها .. اوربا الغربية اعنى ، وجعلت السوق المشتركة تصدر بيانات الادانة لاسرائيل في كل لقاء لها .. البترول هو السبب ، والبترول تتصاعد اهميته .. ان تقرير كارتر عن الطاقة قال للامريكيين « احذروا المستقبل فلا غنى لنا عن البترول وهو ينضب من ارضنا » ودعاهم الى شد الاحزمة على كل مجالات استخدام الطاقة ، وحذرهم من السياسة السوفيتية التى تخطط الان لصداقة دول البترول ، او لتطويق منابعه او للثورات الدموية فيها ان استطاعت ، لانها ابتداء من عام ١٩٨٠ سوف تعانى من ازمة البترول حين تنضب اباره في ارضها ..

كارتر يقول ان المواجهة عام ١٩٨٠ سوف تكون ساخنة ، ونحن نعرف انها من الان ساخنة .. وان الوفاق يسعى الى ايجاد شكل أو آخر من اشكال الوئام « البترولى » .. وليس هناك منطقة يمكن ان تحدث فيها

المواجهة الا المنطقة العربية وليست هناك قوة مستمدة من الطاقة اكثر من القوة العربية . وهذه القوة البترولية التى تفوق النووية سلاح للعرب وعلى بيجين ان يضعه في حساباته . بل لعله يقرأ التاريخ القريب ويعرف ان اول صدام حقيقى بين اسرائيل وامريكا بدأ حول حقل بترول في مياه الخليج ، لشركة امريكية حق امتياز الحفر فيه . واسرائيل تنازعها ..

والعالم كله يضع البترول في حساباته والعالم كله سوف يقول هذا باعلى صوته لبيجين لان العالم يذكر المصانع الساكتة الهامدة . والحياة الباردة في شتاء قارس . والحضارة وهى مهددة تماما .. عندما استعمل العرب سلاح البترول ..

التركيب السياسى

والمتغير الهام جدا ان التركيب السياسى للدول عام ١٩٧٧ يختلف عن التركيب الذى الفه بيجين عام ١٩٤٨ انه يذكر السباق بين امريكا وروسيا على الاعتراف باسرائيل يوم اعلنت ميلادها ـ ١٥ مايو ١٩٤٨ ولكن الحقيقة انهما يتسابقان الان على من يكون له اليد الطولى في الحل . فاذا تقدمت امريكا خطوة للحل غضب السوفييت وادركتهم الغيرة . واذا سعى الامريكيون لعقد مؤتمر جنيف بمجهود مستقل زمجر الاتحاد السوفييتى ووضع العراقيل .. انه لا يريد ان ينفرد الامريكيون بهذا الحدث التاريخى . وهذا التفرد لا ينصب على واقعة عقد المؤتمر .. انه يتجاوزه الى حقيقة اقرار السلام فيه .. لان السلام هو الهدف . وهذه الشعوب العربية من المحيط الى الخليج لن تنسى من يسدى لها السلام لانها في حاجة اليه لتعيد بناءها وترقى انسانها .. واللقاء السريع بين جروميكو وفانس حول عقد مؤتمر جنيف اثناء لقائهما في جنيف يدل دلالة قاطعة على ان الدولتين الكبرتين المسئوليتين عن عقد المؤتمر امام الامم المتحدة قد اتفقتا على ضرورة بدء المسيرة ..

واذا كان هذا سيمثل عنصرا او درجة من الإذعان لاسرائيل . فهناك

الضغط الاوربى عليها وسببه من وجهة النظر الاوربية البحته هو اعادة الحسابات .. التى وجدت اوربا بعدها ان مصلحتها مع العرب اضعاف اضعاف مصلحتها مع اسرائيل ..

وفي التركيب السياسى لدول العالم سوف يضع بيجين امام عينيه حقيقة ان العالم كله يرفض اسرائيل الدموية المستعمرة، كتلة عدم الانحياز ترفضها . المجموعة الافريقية ترفضها . الكتلة الشرقية ترفضها . وقد وقفت في الامم المتحدة وحيدة الا من مساندة امريكا وبعض اذناب لها .. وفي عام ١٩٧٧ احست اسرائيل ان امريكا لم تعد تصوت لصالح اسرائيل دون دراسة .. ولهذا صدمتها غير مرة ..

فاسرائيل معزولة عن العالم .. مرفوضة من العالم ..

واسرائيل لم تعد في الاحضان الامريكية الدافئة تماما كما الماضى .. ان امريكا بدأت تقييم سياستها في الشرق الأوسط وقدمت دلائل على انها لم تعد تستسلم لوجهة النظر الاسرائيلية، بل اصبح الحال انها تريد لاسرائيل ان تستمع جيدا إلى وجهة النظر الامريكية، ثم أصبحت امريكا مطالبة امام العالم بأن تفصح عن وجهة النظر هذه وتقول لاسرائيل ماذا يجب عليها ان تصنع من أجل السلام ما دامت اسرائيل لا تتحرك من تلقاء نفسها، .. وبيجين يصل إلى مقعد الحكم في الوقت الذى صرح فيه كارتر بأن من حق الشعب الفلسطينى ان يكون له وطن .. مع ان بيجين هو الذى قاد مطاردة الشعب الفلسطينى خارج وطنه .. وبيجين يشكل حكومته في الوقت الذى يقول فيه كارتر ان من حق الفلسطنيين ان يمثلوا في مؤتمع جنيف .. مع ان بيجين هو الذى تزعم حركة اضطهاد من بقى من الفلسطينيين داخل اسرائيل وانكر عليهم ان يمثلوا في أى كيان اسرائيلى .. وبيجين يصدر تصريحاته الرافضة لكل شىء .. مع ان امريكا تعلن ان على اسرائيل ان تنفذ قرارات الامم المتحدة ..

من يلعب بالنار .. تحرقه

وهناك متغير اخر في التركيب السياسي للشعب الفلسطيني ..

فقد التقى به بيجين في عام ١٩٤٨ .. وهو اعزل من السلاح .. وقياداته متفسخه او غير مدركة لابعاد المخطط الصهيوني .. ورآه بعد ذلك في الخيام على الحدود او رآه مغلوبا على امره في داخل اسرائيل ، وصدق بيجين مع مائير ان الشعب الفلسطيني لم يعد له وجود . والواقع الان غير ذلك .. الواقع ان الشعب الفلسطيني موجود في داخل اسرائيل وخارجها .. في داخل اسرائيل موجود بمظاهراته ورفضه الصاخب لكل نظام وظلم اسرائيل ، موجود باعماله الفدائية التى روعت الاسرائيلين وفزعتهم وجعلتهم كالجرذان داخل دولتهم ، وهو موجود في الداخل ويتلقى تعليماته من الخارج .. من منظمة التحرير الفلسطينية التى تعتبر التجسيد الحى المسلح للكيان الفلسطيني ، والتى مضت من مرحلة لفت نظر العالم إلى القضية إلى مرحلة المناقشات الموضوعيه .. فاصبحت وجهة نظرها مسموعة في العالم كله .. المنظمة الان هى حكومة الشعب الفلسطيني مقنعة في ثياب فداء ، ولا شك ان الاستهانه بهذا الموقف الجديد سذاجة سياسية لن يقدم عليها الصقر القديم الذى يعرف معنى وجود المقاومة في داخل اسرائيل ، ومعنى وقوف العرب كلهم مع هذه المقاومة .. بل معنى احترام العالم لشرعية هذه المقاومة وتسليمه بان تمثل المنظمة شعب فلسطين في مفاوضات جنيف ..

ان التركيب السياسي للعالم تغير .. ان اسرائيل كانت تعتدى على العرب في الماضى فلا يستطيع العرب ان يحصلوا على اغلبية لادانتها .. الان .. في الجمعية العامة يحصل العرب على ١٣١ صوتا من ١٤٢ في كل تصويت على قرار هام مثل ضرورة مؤتمر جنيف او ضرورة تمثيل الفلسطينيين فيه او تشكيل لجنه لدراسة كيفية استرداد الشعب الفلسطيني لحقوقه ..

ان بيجين يعرف أو سوف يعرف حين يحتك بالعالم كحاكم مالم يعرفه وهو يحتك بالعالم كزعيم للمعارضة مهمته قلب المائدة على الحكومة وبث الالغام في طريقها والتطرف في كل المواقف حتى يزلزل المقاعد من تحتها .. الآن نجح في هذا كله .. لم ينجح لان الشعب الاسرائيلى يريد شمشون جديدا ، بل نجح لان الشعب الاسرائيلى اراد ان يتخلص من فساد حزب العمل واحتكاره للحكم ، ومن صناع هزيمته ومخربى اقتصاده. نجح بيجين لأن حزب العمل انشق على نفسه ، خرجت عليه كتلة التغيير التى فازت بـ ١٥ مقعدا فاذا تصور بيجين انه جاء ليدخل حربا خامسة فانه يرتكب حماقة عمره التى قد تكلف اسرائيل وجودها ان صحف العالم شرقا وغربا ـ متشائمة من وصول بيجين إلى كرسى الحكم . انها تتنبأ بالخطر الداهم على الشرق الاوسط وبالتالى على سلام العالم كله من بلوغ هذا الارهابى الدموى المقعد الذى تتخذ منه قرارات الحرب والسلام .. ان الغرب والشرق لهما حساباتهما وعندهما مخاوفهما اما العرب فقد تمتعوا باعصاب من فولاذ وهم يواجهون الموقف الجديد .. انهم يتصرفون من منطلق الثقه بالنفس ومن مركز القوة وموقعها فوق ابار البترول انهم بعد ان انتصروا في اكتوبر عرفوا معادلة النصر وهم بوحدة الصف سوف يخوضون اى حرب صفا واحدا .. مثلما يخوضون معركة السلام الان صفا واحدا .. ان بيجين يخيف الغرب والشرق ولكنه لا يهز شعرة عند العرب ، ان الشرق والغرب يخافان على البترول ان ينقطع .. ولكننا نملك هذا البترول .. انهم يخشون مواجهة عالمية في المنطقة .. ولكننا بعد ان نستنفد كل وسائل الحسنى في تحقيق السلام العادل لن نتردد في خوض الحرب لانها قدرنا .. ولانها اصبحت مواجهة الوحيد في مواجهة من وصفهم السيد المسيح بانهم « غلاظ الرقبه » ..

ان بيجين يلعب بنار تحرق اسرائيل اولا اذا اصر على ان يفكر بعقلية عام ١٩٤٨ أو اذا تناول الاحداث برقبه غليظة .

٦ ـ مائدة الفخ والشرك

يمر ٥ يونيه من كل عام فتتحلب في ريقنا المرارة من هزيمة نكست علامنا ورؤسنا ولم يكن السبب فيها قوة اسرائيل بقدر ما كان الفساد الضارب في اوصال مصر حين ضاع شعور الانتماء امام الطغيان . وصار المصريون غرباء في بلادهم لان أكثر الحاكمين انكشارية تعمل للمنافع وتنفيذ سياسة تريد للمصريين ان يركعوا على أقدامهم ..

وصحيح ان انتصار حرب اكتوبر رد لنا الكرامة .. وصحيح أن شعبنا لما استرد حريته استرد قدراته على القتال .. واسترد انتماءه لمصر .. الا ان ذكرى ٥ يونيه من كل عام ذكرى تتحلب لها في ريقنا مرارة ..

واعتقد اننا نمر بايام عصبية وعضيبة ..

فقد جاء السفاح مناحم بيجين الى الحكم وبدأ العالم يحسب حسابات الحرب في المنطقة . لان حاكم اسرائيل الدموى تلميذ الصهيوني جابوتنسكى الذى اطلق منذ خمسين عاما ان اسرائيل لا يمكن ان تبنى

الا بالعنف . وتصريحات بيجين التى يصر فيها على ان اعادة الضفة الغربية الى الفلسطنيين يقيمون عليها دولتهم ضرب من ضروب المحال لأن يهودا والسامرة « ارض محررة وليست ارضا مغتصبة » وهى تصريحات تعيد العالم الى قوالب الصهيونية الاستعمارية التى رسمت خريطة اسرائيل من الفرات الى النيل . يحدث هذا في وقت قطعت فيه القضية شوطا بعيدا في تصور الحل الذى يؤدى الى السلام العادل .. ووقر في ضمير العالم كله ان هذا الحل لا بد ان يشتمل على اجلاء اسرائيل عن الأراضى المحتلة في يونية عام ١٩٦٧ ، واعطاء الشعب الفلسطينى حقه في دولته ..

واذا كانت الصحافة الامريكية قد أتجهت الى ما يشبه الاجماع على ان بيجين هو اكبر فرصة للسلام في المنطقة ، فاننى لا اتفاءل هذا التفاؤل ..

تقول الصحافة الامريكية ان بيجين الذى يتشدد وهو في المعارضة يتشدد ليسقط الحكومة ، اما وهو في الحكومة فانه يعرف انه ان تشدد فسوف يسقط نفسه .. لان .. تشدده سيضعه في موقف المواجهة ليس مع العرب ، ولكن مع امريكا نفسها التى اصبحت بعد حرب ١٩٧٣ تراعى مصالحها في الشرق الاوسط ، وتعرف ان هذه المصالح تتحقق اكثر ما تتحقق بعلاقات طيبة مع العرب اولا ، لان دور اسرائيل كنقطة حراسة امامية للمصالح الامريكية انتهى في حرب أكتوبر ..

وتقول الصحافة الامريكية ان بيجين قد يهاجم امريكا وهو في مقعد المعارضة حتى يحرج الحكومة الاسرائيلية ولكنه لن يستطيع ان يفعل ذلك وهو في الحكم لأنه سيواجه مشاكل داخلية اقتصادية وسياسية .. وسوف يعرف ان حلها في يد امريكا ..

ثم تقول الصحف الامريكية ان ما قاله بيجين في حملته الانتخابية من حرص على زيادة رقعة اسرائيل وبناء المستعمرات واستقبال المهاجرين الجدد .. كل هذا يشبه ما قاله كارترعن اسرائيل وهو يتجول

في امريكا في حملته الانتخابية .. انه سرعان ما عدل عما قال ، واصبح كلام الانتخابات كاحلام الليل تتبدد مع طلعة النهار . لأن حسابات من يواجه الجماهير وينافق مشاعرها ، غير حسابات من يصبح مسئولا يمضى بسفينة بلاده عبر انواء كثيرة ومضايق كثيرة وبرازخ كثيرة ..

والصحافة الامريكية تعتقد ان بيجين لا يستطيع ان ينقض ما التزمت به الحكومات الاسرائيلية السابقة .. وهذه الحكومات التزمت بقرارى الامم المتحدة ٢٤٢ ، ٣٣٨ وهما قراران يؤكدان على ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها . فاذا صرح بيجين الآن بأنه لن يتخلى عن شبر من الضفة الغربية وغزه فانه يدير ظهره لالتزامات اسرائيل الدولية وينسف البداية الى السلام الذى يترقبه العالم بشغف ..

واذا كان هذا هو الفكر الصحفى الامريكى .. فان البيت الابيض الامريكى يتصرف بثبات ويصدر تصريحات متفائلة واثقة فيقول كارتر ان فوز كتلة ليكود لن يشكل عودة الى الوراء بالنسبة للجهود التى تبذل من أجل اقرار السلام في الشرق الاوسط .. وقد ترى السياسة الامريكية تغيرا عميقا تجاه اسرائيل اذا اصرت على تحديها لقرارات الامم المتحدة ..

وقال كارتر ايضا ان علاقات امريكا باسرائيل تقوم على اساسين اولهما احترام الحقوق الانسانية . وثانيهما الالتزام بايجاد سلام دائم في الشرق الاوسط وان اى تغيير في الحكومة الامريكية أو الحكومة الاسرائيلية ينبغى ألا يمس هذين الاساسين ..

وأضاف كارتر ان القضايا الاساسية الثلاث في مشكلة الشرق الاوسط هى طبيعة السلام الشامل والعلاقة بين الامن والحدود وقضية الدولة الفلسطينية وقال انه يحاول ان يجد اطارا أكثر مرونة للبحث في هذه القضايا ودعوة ليكود حزب بيجين الى الالتزام بما قبلته اسرائيل من قرارات الامم المتحدة ..

فاذا اصر بيجين على موقفه فانه سيجد نفسه في مواجهة لامفر منها مع كارتر ..

والعادة ان القادة الاسرائيليين حين يواجهون الرئيس يتسللون اليه

من الخلف ليقتلوه .. كما فعلوا مع كنيدى أو يواجهونه في الكونجرس قلعتهم التقليدية ليجهضوا فكره امام تكتل انصارهم فيه .. أو هم في النهاية يتسلطون على المخابرات الامريكية ويحاولون تحريكها لصالحهم ..

•••

ولكن الساحة الامريكية غير متقبلة الان لهذا « الارهاب الإسرائيلى » ..

فا لكونجرس لم يعد المنحاز التقليدى لاسرائيل بعد ان كسب العرب فيه عددا من الاصدقاء له وزن . ويزور تل ابيب السناتور ستونز ليقول لبيجين باسم اصدقاء اسرائيل في الكونجرس أنهم غير ملتزمين بتأييد سياسته . والسناتور ستونز هو رئيس اللجنة الفرعية لشئون الشرق الاوسط في الكونجرس الامريكى وهو يحمل لبيجين وجهة نظر أسفر عنها اجتماع صاخب لحماة اسرائيل في الكونجرس حضره أو رأسه هيوبرت هفرى نفسه ..

وصرح شارلز بيرسى - وهو ايضا من أكبر صقور الصهيونية في الكونجرس الامريكى - بقوله « هناك شك عظيم في رئيس الوزراء الاسرائيلى الجديد وسوف يتحول القلق من الدعم من جانب مجلس الشيوخ الى ممارسة الضغط على اسرائيل .. » .. وليس ببعيد ذلك التقرير الذى قدمه السناتور جون سباركمان رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ .. فقد قدمه يوم ٢٤ فبراير عام ١٩٧٧ ويقول فيه « ان الشرق الاوسط هو المشكلة اولى وهو محور اهتمامنا القومى كمنطقة ازمة وفي الدورة الاخيرة للكونجرس قلت ان امامنا اهتمامات جوهرية في الشرق الاوسط هى استمرار امن اسرائيل والبترول وصداقة العرب . قلت عن هذه الاهتمامات في الماضى واردد مرة اخرى انه لا يمكن فصلها او تجزئتها ولا بد لها من اجراء واحد يتضمن أعطاء اسرائيل ضمانات والانسحاب من الاراضى التى احتلتها وتقرير المصير لشعب فلسطين

وينبغى على رئيس الولايات المتحدة ان يصرح في وقت مبكر باهتمامه بمنطقة الشرق الاوسط ويقترح مبادئ اساسية لتسوية عادلة .. وهذه المبادىء الاساسية التى أصبح لها وجود في مفاهيم المراقبيين المعتدلين لمنطقة الشرق الاوسط يمكن تلخيصها .. كا لتالى -

- على الدول العربية بما فيها المنظمة الفلسطينية ان تعترف بشرعية وجود اسرائيل كدولة ذات سيادة لها الحق في ان تعيش في سلام ضمن حدود معترف بها ..
- على اسرائيل ان تجلو خلال فترة محدودة الى حدود ١٩٦٧ مع تعديلات يتفق عليها ..
- يجب ان تقرر للشعب الفلسطينى حق تقرير مصيره اما في اتحاد كونفدرالى مع الاردن واما في دولة مستقلة على الضفة الغربية وغزة وذلك حسب اختيارهم الحر .
- يجب على الدول العربية ان تنهى كل اعمال التخريب والدعاية المضادة لاسرائيل وان توافق على اقامة علاقات سياسية واقتصادية مع اسرائيل وفقا لجدول زمنى يتفق عليه ..
- هذه التسوية النهائية يجب ان تدعمها الضمانات الدولية كأن تكون هناك مناطق منزوعة السلاح أو محدودة السلاح أو تتدخل الامم المتحدة لضمان تنفيذ التسوية وقد يكون مطلوبا ان تقدم امريكا ضمانات لامن اسرائيل ..

اطلت في شرح وجهة نظرا لكونجرس الامريكى من خلال تقرير اللجنة المختصة واردت ان أقول ان وجهة النظر هذه سوف تصطدم تماما مع وجهة نظر بيجين ولهذا ارسل اليه الكونجرس من يحذره ..

وفي الخارجية الامريكية وفي المخابرات الامريكية من ينفذون وجهة نظر كارتر .. رجل امريكا الذى اعلن منذ اول دقيقة انه سيكون المخطط للسياسة الامريكية على ان يترك للأجهزة التى تعمل معه تنفيذ ما يقرره أو يخططه ..

والصحافة الامريكية لهذا تصر على ان مجيء بيجين سوف يوفر الوقت لان الاتفاق مع رابين الضعيف كان لا بد بعده من اقناع بيجين القوى .. الآن مخاطبة بيجين مباشرة سوف تختصر مرحلة .. أو تختزل جهدا ..

ولكن للعملة وجها اخر ..

والوجه الآخر هو وجه بيجين القبيح . وفي الصورة يداه الملوثتان بالدم . والسؤال هو :

- من الذى جاء ببيجين الى الحكم ؟

ومن المعلقين من يجيب على السؤال بقوله :

- اتى به كارتر .. حتى يوقع اتفاقية السلام مع رجل قوى . فتصريحات كارتر هى التى دمرت حزب العمل وأعطت لليكود أول فرصة منذ ٢٩ عاما للوصول الى مقاعد الحكم ..

ولكن هذا القول فيه اسراف فالواقع ان الذى جاء ببيجين الى الحكم هو الشعب الاسرائيلى فهو شعب افرز زعيما دمويا وقد ادانهم السيد المسيح وهو يخاطبهم بقوله : يقع عليكم وزر كل دم زكى سفك على الارض من دم هابيل البار . وقال اشعياء النبى انتى بسطت يدى النهار كله نحو شعب معاند ومقاوم .. وفي نبؤة اشعياء قال اعطاهم الله روح سبات وعيون لا يبصرون بها وآذانا لا يسمعون بها الى اليوم .. وقال داود النبى في مزاميره لتكون مائدتهم فخا وشركا ومجازاة لهم لتظلم عيونهم فلا يبصرون واحن ظهورهم كل حين .

هذا هو الشعب الذى يقدم بيجين إلى ساحة السياسة الدولية . يقدمه على مائدة الفخ والشرك والشك ..

وفي استفتاء أخير رفض هذا الشعب اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية رفض ذلك باغلبية ٧٢ ٪ وكان هذا قبل انتخاب مناحم بيجين ..

وزحف الشعب الاسرائيلى الى المستعمرات في الضفة الغربية زحفا فيه اصرار .. حتى لو تصدت الحكومة الاسرائيلية لهذا الزحف ولعل واقعة جماعة جوش اميونيم التى اقامت مستعمرة قريبة من قرية قادوم

ورفضت الجلاء عنها رغم تدخل الجيش الاسرائيلى . وتشددت الاحزاب الدينية في موقفها من مناصرة المستعمرة التى اثارت مظاهرات الفلسطينيين في الضفة الغربية .. حتى كادت حكومة رابين تسقط في ذلك الحين .. هذه الواقعة تؤكد ان شعب اسرائيل هو مقترف جريمة اختيار سفاح الحرب ليكون رئيسا للحكومة . ومعنى هذا ان شعب اسرائيل لم يستوعب درس اكتوبر عام ١٩٧٣ ونسى دموعه التى ذرفها على قتلاه .. ونسى العقاب الذى نزل عليه في عيد الغفران ..

ينسون اكتوبر ويذكرون يونيه ..

ينسون هزيمتهم .. وينسون ان هزيمة أخرى قد تخفى كيان اسرائيل كله . ويذكرون انتصارهم رغم انهم يعرفون انهم كانوا يحاربوننا بمساعدة امريكا لهم وبتنكر الاتحاد السوفيتى لنا ..

ان معنى اختيار شعب اسرائيل لبيجين انه شعب يفكر في اتجاه الحرب ولو اعتنينا بفضح هذا المفهوم عند العالم لكشفنا زيفا رسخته الصهيونية في الاذهان من ان شعب اسرائيل هو الشعب الطيب المسالم وسط بحر متلاطم من الحقد العربى .. والضغينة وسفك الدماء ..

وحديث الحرب في اسرائيل غير بعيد .. رغم ان من صحف اسرائيل مايهاجم بيجين ويقول إنه يفسد كل الامور بتصريحاته الحمقاء . وقد قال رابين في يونيه الماضى ستقوم الحرب الخامسة على نفس المسرح الذى قامت عليه الحروب السابقة ولكن مع استخدام اسلحة اكثر فعالية اما مبادىء الاستراتيجية الاسرائيلية فتقوم على :

ـ الاستعداد الدائم لمواجهة اى خطر طارىء بفضل جهاز مخابرات فعال ..

ـ القدرة على التحرك السريع للأسلحة المختلفة للقوات قبل إن يتمكن العدو من شن هجوم فعلى ..

ـ وجود خطوط واضحة لخطة الامدادات تكون قادرة على توصيلها

الى الجبهتين حيث تدور المعارك ..

ـ ضرورة الاحتفاظ بالسيطرة الجوية على المعركة ..

وأضاف رابين الى ذلك قوله : « ان حرب العبور كانت درسا وهى تمثل بالنسبة للجندى الاسرائيلى صورة المفاجأة المريرة فقد وجدوا انفسهم أمام خصم عنيد يحارب بقدرة وشجاعة وايمان وهو على علم ودراية في اتقان وسرعة وكيف يحول مسرح العمليات الى شعلة من النار المتقدة » ..

هذا ما قاله رابين في يونيه عام ١٩٧٦ ..

ولعل بيجين يقول « بالعمل » ماهو أبعد .. ان اختياره لموشى ديان للخارجية معناه ان سيحولها الى وزارة حرب .. لأن المهزوم المعقد تؤرقه ولولته في اليوم الثالث للمعركة يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٧٣ حين بكى أمام الصحافة العالمية . واختيار اريل شارون لأجهزة الأمن والمخابرات يأخذ هذين الجهازين الى روح المغامرة التلفزيونية الاستعراضية التى تتسم بها تصرفات شارون حتى ولو كانت محصلتها في النهاية صفرا كبيرا ..

ان بيجين يمضى في تشكيل وزارته أو بمعنى أصح يتعثر في تشكيل وزارته .. وبعدها يذهب الى الولايات المتحدة الأمريكية ليقابل كارتر وقبل هذا تسبقه لجنة من حزب ليكود تفرش الطريق أمامه .. وتقول ان التصريحات الأمريكية ظلمته .. وكأنه ـ أى بيجين ـ لم يقل شيئا يعكر صفو العالم ..

في النهاية أقول ان شعب اسرائيل الذى اختار بيجين يعرف مايفعل ويدرك أن هذا الذى اقدم عليه هو اعلان حرب مقنع على العرب ..

والعرب يعرفون تماما مواقع اقدامهم .. ويطلبون السلاح ويستعدون للحرب فلتكن حربا .. خامسة .. أو سادسة .. أو عاشرة . ان وطننا من المحيط الى الخليج . له هذا الماضى العريق .. لا تفنيه حرب .

٧ ـ النية والندية .. مع السوفييت

نبأ المبادرة السوفيتية الى تحسين العلاقات السوفيتية المصرية نبأ يثير الدهشة ويدعو الى التأمل .. وإذا كانت هذه المبادرة تشى بنية صادقة في تحسين العلاقات حقيقة فأهلا .. أننا ظللنا على عهد الوفاء للصداقة لسنين . ولم نجحدها ولم نقل فيها كلمة الا راغمين ..

نحن نفترض في الاتحاد السوفيتى حسن النية واعيننا تترصد سؤ النية بنفس المقدار ، نفترض في الدول البراءة لانها الاصل في ظل المصالح المتبادلة .

ان على الاتحاد السوفيتى أن يعيد تقييم سياسته في الشرق الأوسط ، لأن الدبلوماسية مرونة ، وعلى الدولة ـ خاصة إذا كانت عظمى ـ ان تنتخب السياسة التى تراها ولكن عليها أن تعدلها اذا رأت أنها في التطبيق لم تحقق الحصاد المرجو منها .. والاتحاد السوفيتى يمشى الى مصر على الطريق الخطأ ويزيد الشقة والفجوة بينه وبين مصر لأنه

لا يقرأ التغييرات التى حدثت منذ أكتوبر عام ١٩٧٣ دوليا ومحليا .. وان امريكا كانت أكثر يقظة منه حين استوعبت الحقائق الجديدة في الشرق الأوسط ، ولهذا اعادت تقييم سياستها فيه لكى تعيد وضع سياستها له ..

والواقع أنه ما من مرة تحدث الرئيس أنور السادات الا وبارك كل مسيرة الى تحسين العلاقات ، ذاكراً مكانة الاتحاد السوفيتى كدولة عظمى لوقفتها الى جانبنا في حل قضايانا ولكن الاتحاد السوفيتى ارتكب غلطته القاتلة منذ عهد مراكز القوى حين استمع الى باعة البطاطا الذين قالوا له أن السادات يمكن أن يسقط بين يوم وليلة ، على هذا التصور - صنعه المأجورون - خطط السوفييت سياستهم في الشرق الأوسط ..

ولكى تصفو المياه وتنقشع السحب ، لكى يعود حسن النية وتمتد الجسور من جديد فلا تتهددها الغام الشر اضع أمام الاتحاد السوفيتى هذه الهوامش .. فيضعها في الاعتبار اذا اراد عودة خالصة . وقد تختلف هذه الهوامش عن كل ماكتبه باعة البطاطا ولكن على الاتحاد السوفيتى ان يستمع مرة ، والى الاعماق الى وجهة نظر مصرية .. صميمة ..

<u>أول هذه الهوامش</u> :

أن مصر السادات ليست مصر مراكز القوى . فمصر السادات حرة ابية استردت إرادتها ولن تقبل وصاية احد .. غربيا ان كان أو شرقيا .. مصر السادات هى مصر العلم والإيمان التى لا تخطط لانقلاب شيوعى يضعها في فلك الاتحاد السوفييتى وعلى هذا يجب أن تعامل ، ومن هذا المنطلق ينبغى أن تكون النظرة اليها ، فهى لن تقبل الوصاية القديمة لأنها على مستوى الندية تتعامل مع كل الدنيا .. وعلى هذا المستوى يجب أن يبدأ الاتحاد السوفييتى تعامله الجديد ..

<u>وثاني هذه الهوامش</u> :

ان مصر المنتصرة ليست مصر النكسة .. فمصر المنتصرة رفعت هامتها وردت كرامة الأقوياء - القوة السادسة - بل اقتحمت بهم عالم الاغنياء -

ارصبة العرب هى الأعلى ولها على اسواق الإقتصاد والبورصات هيمنة ـ والعالم العربى يملك الطاقة .. والطاقة مفتاح الحاضر، وصانعة المستقبل .. مصر المنتصرة لن تقبل من الاتحاد السوفييتى المعاملة التى كانت تلقاها مصر النكسة .. لان النكسة عزلت مصر وعرتها أمام الاعداء والاصدقاء معا .. وكانت في حاجة الى اعادة بناء قواتها في وقت فرضت على نفسها حصارا حديدياً فلم يعد لها غير الاتحاد السوفييتى تشترى منه السلاح ..

مصر المنتصرة استردت ثقتها بنفسها، واصبحت تتعامل مع عالم الاقوياء وهى مرفوعة الرأس، لأنها نفضت عنها عهد « ويل للمغلوب » وانطلقت الى تحرير ما تبقى من أرض في مبادارات سلام متعاقبة تتقدم بها وهى متحررة من عقدة الهزيمة بعد أن قالت للعالم انها قادرة على صناعة الانتصار ..

ثالث هذه الهوامش :

أن مصر الانفتاح ليست مصر الستار الحديدى .. فمصر الانفتاح بدأت عصره بشراء السلاح من مصادر متعددة .. من انجلترا وفرنسا، ومن ايطاليا والصين، حتى من امريكا .. من كان يصدق، وقد ظفرت بموافقة الكونجرس ـ قلعة الصهيونية منذ ثلاثين عاما ـ على صفقة طائرات طراز ١٣٠ .. وبتعدد مصادر السلاح ارتفع « الضغط السوفييتى » على مصر .. غير اننا لم نبادر الى الانفتاح « السلاحى » الا بعد أن اوصد الاتحاد السوفييتى الابواب في وجوهنا قبل المعركة واثناءها وبعدها وقد طرقنا الأبواب غير مرة فردنا السوفييت حاسرين .. ووقعوا في غلطة تدل على أنهم لا يقراون التاريخ فأنهم يعرفون اننا ما اتجهنا الى عقيدة التسليح الشرقى الا بعد أن رفضت امريكا أن تبيع لنا السلاح .. في عام ١٩٥٥ ..

فإذا كان في نية الاتحاد السوفييتى في ضوء العلاقات الجديدة أن

يعطينا سلاحا فاننا لن تقبل شروط الاذعان وبنود الاسد في عقود الشراء ، امامنا الأسواق المفتوحة والأسلحة المتقدمة ، والتعاطف مع مصر كبير من كل دول البيع والتصدير •• غير اننا نرحب بالسلاح السوفييتى استكمالا لما هو قائم منه ، واستعواضا لما فقدنا •• فأننا نعرف أن اسرائيل اصبحت ترسانة بعد هزيمتها ، ونحن لا ننسى فضل من يقدم لنا بندقية •• مادامت البندقية حديثة ، ومعها قطع الغيار •• وليس في عقد البيع شروط الاذعان وبنود الاسد ••

ان مصر الانفتاح السياسى ليست مصر في عهد الوصاية •• ان المنطلق في سياسة السادات هو الواقعية وليس الأحلام •• والاعتدال وليس التطرف •• لأننا بالاعتدال حققنا اضعاف ما يمكن ان يحققه التطرف •• أننا انفتحنا على دول السوق ولها وزنها السياسى •• وانفتحنا ودعمنا الجسور مع افريقيا وعالم الانحياز •• ثم انفتحنا على امريكا •• واذا كانت امريكا هى مربط الفرس عند السوفييت ، وعلاقتنا الجديدة معها هى سبب الغضب السوفييتى فاننا نذكر الاتحاد السوفييتى أنه اذا اعتبر هذه العلاقة عارا فقد ارتكب هذا العار من قبل ونحن كعرب نتمسك ببيت الشاعر الذى يقول « لاتنه عن خلق وتأتى مثله •• عار عليك اذا فعلت عظيم » •• فالاتحاد السوفييتى مد الجسور الى امريكا قبلنا ، وخبراء امريكا موجودون في سيبريا يقدمون احدث ما عندهم من تكنولوجيا للسوفييت وقمح امريكا على كل الموائد السوفيتية فلماذا اذا فعلنا نفس الشىء اعتبروه حلالا لهم وحراما على مصر ؟•

اننا نعرف ماذا نفعل ، وإذا كان الاتحاد السوفييتى يخاف من عودة امريكا الى المنطقة فليثق أن المنطقة ليس فيها فراغ نتركه يمتلىء بالامريكان •• اننا رفضنا نظرية الفراغ منذ عهد ايزنهاور ، وطلبنا أن نناى الحروب البادرة التى أصبحت بالوفاق قبلات وباقات ورود بين الكتلتين •• أننا نستطيع ان نصادق الجميع دون خوف ، لأننا نريد

السلام ، ويجب أن نمد ايدينا لكل من يستطيع أن يقدم للسلام يدأ ·· وامريكا تحركت كثيرا في الأعوام الأخيرة ·· وبدأنا نسمع منها ـ في مناخ الصداقة المصرية الامريكية ـ أشياء مبشرة مثل ـ ضرورة حل قضية الفلسطينيين بإنشاء وطن لهم ·· و « انسحاب اسرائيل » وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة وحظر بيع الأسلحة من الأنواع الشديدة التدمير لاسرائيل وانزال اسرائيل الى قوائم الدول من الدرجة الثانية فيما يتعلق بحصولها على احدث الأسلحة الامريكية ·· أى انها لا تتساوى مع دول حلف الاطلنطى في هذا المقام ·· هذا هو الإمتحان الحقيقى للصداقة ·

والسؤال هو ماذا تقدم امريكا لحل القضية وماذا يقدم الاتحاد السوفييتى لحل القضية ؟ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ··

ان القطار الى جينيف يمضى بجهد امريكى مكثف ·· وسوف ينطلق الى غايته اذا خلصت نية الاتحاد السوفييتى في القيام بدوره كدولة عظمى تدعو الى المؤتمر وتقدم ضمانات الأمان لحل القضية حلا شاملا ··

أقول للاتحاد السوفيتى لا تخف على مصر من امريكا .. فمصر بالغة عاقلة رشيدة وقد طردت الخبراء السوفييت وهم يتخللون جيشها وينتشرون على ارضها ·· وبهذه القوة تستطيع ان تتعامل مع الجميع ·· اذا اشتمت غدرا ، أو كشفت تآمراً ··

ورابع هذه الهوامش :

ان الاتحاد السوفييتى قد جرب سياسات جديدة في الشرق الأوسط منذ توترت العلاقات بينه وبين مصر ·· وهى سياسات باء أكثرها بالفشل ، ولعله يضع هذا في الاعتبار وهو يبدأ رحلة تحسين العلاقات ، فيقبل على التعامل مع مصر على أنها الشقيقة الكبرى للعرب ، ويعود لها في ثياب الصديق الذى كنا نعرفه من قبل ··

قد جرب الاتحاد السوفييتى ان تتلاقى جبهة رفض من بعض دول

العرب ضد مصر وكان بعض هذه الدول يزايد على مصر فلا تجديه المزايدة فتيلا .. ولعل هذه المزايدات من بقايا الماضى حين كانوا يتصورون مصر عطشى للزعامة أو تخطط للامبراطورية ، مصر الآن لا تريد زعامة الا من منطلق تراث الماضى وقيمة الحاضر ، ولا تفرض وصاية ولا تتدخل في شئون احد وإذا مدت يدأ .. بالوحدة أو بالمودة فللعرب جميعا من أجل مصير واحد ..

وفي مقام الفلسطينيين وعلاقة السوفييت بهم أقول ان وقفة السوفييت مع الثوريين الحقيقيين اجدى على القضية من وقفة السوفييت مع الرافضين .. ان إحداث الأشهر الأولى من عام ١٩٧٧ وما اسفرت عن لقاء الفلسطينيين على كل المستويات تؤكد أن الرفض ينتحر أمام صوت العقل ، وصوت العقل هو الصوت المسموع عند العالم ، بل هو الصوت المسموع عند انصار العدل والسلام داخل اسرائيل ، ومساندة السوفييت لصوت العقل ورقة رابحة في القضية ككل ..

والحقيقة التى يجب ان يعرفها الاتحاد السوفييتى ان العرب اخوة بينهم آصرة الرحم والدم ، والعرق والصلب ، والألم والأمل ، والماضى والمستقبل ، والداخل بينهم داخل بين بصلة وقشرتها .. أو هو جسد غريب مرزوع سوف يرفضه الجسم العربى ويلفظه .. لأن الذى سوف يبقى في النهاية هو سؤال العربى للعربى ..

- ايهما ابقى لك السوفييتى أم شقيقك العربى ؟

وخامس هذه الهوامش :

أن مصر مسئولة عن افريقيا لثلاث سنوات قادمة .. والقضية الافريقية هى القضية الساخنة الآن .. ومصر ونصف العرب افارقة ، ومصر ونصف العرب في منظمة الوحدة الافريقية ، ومصر وكل العرب حضروا مؤتمر القمة الافريقى العربى الذى انعقد في القاهرة في مارس ١٩٧٧ وحقق نتائج مذهلة .. واصبحت مصر به مسئولة عن افريقيا وعن توثيق

علاقاتها الإقتصادية والثقافية والعسكرية مع العرب ..

وفي اطار المنظمة ارتفع شعار افريقيا للافريقيين ، ولهذا اسهمت مصر مع العرب في كل الحركات التحررية الافريقية . وبنفس الشعار قطعت الدول الافريقية علاقاتها مع اسرائيل لأنها تحتل ارضا افريقية .. وتحتل ارضا عربية وأى خطر يهدد افريقيا سوف يتكتل الافارقة لصده .. والتجربة في زائير ماثلة ، حيث قامت القوات المغربية بدور باسل في صد الغزو الانجولى الكوبى لزائير .. وحيث تسهم مصر في تشغيل القوات الجوية الزائيرية التى تدك مواقع المعتدين دكا ..

وهذه أمانة في أعناقنا لافريقيا .. وينبغى على السوفييت ان يروا هذه الحقيقة بوضوح كامل ..

وسادس هذه الهوامش :

ان مصر لا يهزها الضغط الإقتصادى لان الانفتاح الإقتصادى والثقة في القيادة المصرية حطما هذا الضغط ، وخلخلا حلقات الحصار .. ان الاتحاد السوفييتى رفض بعناد جدولة الديون ، وفي الوقت الذى ابدت فيه دول السوق الوربية استعدادا طيبا لبذل العون والقروض لمصر .. وفي الوقت الذى تقدم فيه امريكا بليون دولار سنويا لتقيل مصر من عثرتها الإقتصادية ، وفي الوقت الذى تدفع فيه دول ومؤسسات المجموعة وحقق نتائج مذهلة .. واصبحت مصر به مسئولة عن افريقيا وعن توثيق الوقت والأخوة العرب يبذلون لمصر يحاول الاتحاد السوفييتى ان يضيف الى موقفه الرافض للجدولة عبئا نفسيا على مصر ..

قلت ان هذا الموقف اضاف عبئا نفسيا على مصر .. فاذا كان المقصود بما حدث اسقاط النظام فقد بقى النظام .. وتسابقت دول العالم الى مد ايديها بالدعم له .. واذا كان الاتحاد السوفييتى يعنى العودة الحقيقية للصداقة فلابد ان يكون موقفه المعلن هو بعينه موقفه السرى .. ان الاتحاد السوفييتى يعرف ان الديموقراطية عادت لمصر .. وان لليسار قناة

التعبير الشرعية في حزبه .. وان هذه القناة تصب في مجلس الشعب حيث يستطيع نائبا اليسار ان يقولا كل ما عندهما . ولهذا فليس هناك ما يدعو الى النشاط الشيوعى السرى ، لان النشاط الشيوعى السرى ضد الديموقراطية ، وضد أمن الشعب ، والقانون لن يرحم في كل مرة تتحرك التنظيمات السرية الى العمل والتخريب .. لأن سيادة القانون سوف تضع المخربين المتآمرين في السجون ..

وسابع هذه الهوامش :

ان لقاء اسماعيل فهمى وجروميكو في أى عاصمة شرقية ليس هو القضية .. القضية في النية .. لان اسماعيل فهمى وجروميكو التقيا في عام ١٩٧٦ في بوخارست .. ولحس الاتحاد السوفييتى كل ما طرحه على مائدة اللقاء ..

النية أولاً .. والنية أخيراً .. وإذا صفت النية فأهلا ..

---

٨ ـ اسرائيل والعقل

بعد هذا كله ،

ـ هل يمكن ان تلتزم اسرائيل العقل فعلا وهى تذهب الى جنيف ؟ ..

والاجابة عن هذا السؤال رجم بالغيب او مشى في ظلام دامس ..

فمن المتشائمين في صحف الغرب من يقول ان مناحم بيجين يستعد للحرب .. ودليلهم على هذا هو ما يأتى :

أولا : انه اختار موشى ديان الحقود المقهور ليكون وزيرا للخارجية ، وهذا وحده اعلان ضمنى للحرب .. فموشى ديان المغرور يعتقد ان العرب قوم متخلفون ، وابادتهم من اجل اقامة اسرائيل ضرورة .. هذا هو الذى يستقر في اعماقه رغم ما يقال عنه من انه عندما تحدث الى كيسنجر ـ وديان خارج السلطة ـ وقدم حلولا لا يمكن ان ترضى بعض العرب ، وفيها نقاط كثيرة ترضى كل العرب .. ورغم ما يقال من ان

بيجين اختار ديان العضو العجوز في حزب العمل ليدير السياسة الخارجية حتى يوحى بأن فكر حزب العمل سوف يستمر في حكومة بيجين .. رغم هذا وذلك فان اختيار موشى ديان دليل سوء النية عند مناحم بيجين ..

ثانيا ، ان الاغلبية التى يتمتع بها بيجين في الكنيست ـ بانضمام الاحزاب الدينية المتطرفة اليه قد اختارت اسحق شامير رئيسا للكنيست .. والكنيست هو الجهاز التشريعى في اسرائيل .. وله يد قوية وقادرة في اتخاذ القرار .. واسحق شامير ارهابى قديم .. كان يرأس عصابة شتيرن خلال عمليات عام ١٩٤٨ . وكانت السلطات البريطانية تعلن عن مكافأة لمن يقدمه حيا .. او يسلم رأسه ميتا . يشاركه في هذا المجد ـ مجد مجرمى الحرب ـ بيجين نفسه .. الاغلبية اختارت ارهابيا في المجلس التشريعى ليساند مثيله الارهابى في المجلس التنفيذى .. ولا يمكن للارهابيين الا ان يعزفا لحنا واحدا هو لحن الدم .. في سيمفونية الحرب ..

ثالثا : ان تصريحات مناحم بيجين عن الضفة الغربية هى تصريحات رافضة لكل ما حققته الدبلوماسية العالمية من تفاهم حول ماذا على اسرائيل ان تفعل .. وواجبها في تنفيذ قرارات الامم المتحدة حتى لا تتسبب بأنانيتها ونظرتها الذاتية للامور في نشوب حرب عالمية يتأثر بها العالم كله .. واكبر دليل على ان بيجين يريد ان يهدم المعبد عليه وعلى اعدائه ـ كما فعل شمشون ـ هو زيارته لمستعمرة قادوم التى احتجت حكومة رابين على اقامتها في الضفة الغربية منذ عامين . وان لم تتخذ الاجراءات الكافية لازالتها . زار بيجين هذه المستعمرة بعد فوزه ليبشر جماعة جوش اميونيم .. من ذوى .. القلنسوات العالية بأن هذه ارضهم .. ارضهم في قلب الضفة الغربية ..

هذه طعنة لكل تقدم تحقق في القضية ..

فهل يمكن ان يذهب بيجين الى جنيف بهذا المفهوم ؟

كثيرون يقولون انّ بيجين لا يعنى ما يصدره من تصريحات تماما .. وانه فقط يريد ان يهز اعصاب كارتر حتى يكف عن تصريحاته المناصرة للعرب ، او حتى يتردد في اتخاذ اى اجراء يضغط به على اسرائيل .. لان اسرائيل في النهاية قد تهدم المعبد .. عليها .. وعلى اعدائها .. وعلى اصدقائها بنفس المقدار ..

وكثيرون يقولون ان من يراجع الماضى لن يجد فارقا يذكر بينه وبين الحاضر .. فرابين ـ من سمى برجل امريكا في اسرائيل ـ صدر في وقت من الاوقات لاءاته الثلاثة التى لا تختلف البتة عن لاءات بيجين ، هذه اللاءات هى : لا يمكن ان تنسحب اسرائيل وراء خطوط ٥ يونيه ، لا يمكن قيام دولة فلسطينية بينها وبين الاردن ، لا يمكن مفاوضة المنظمات الارهابية ...

رابين وهو يصدر هذه اللاءات اعلن في معهد باى بيرل في تل ابيب انه يوافق على انسحاب جزئى من الجولان ، وانسحاب من الضفة الغربية على اساس الحدود الآمنة والانسحاب الكامل من سيناء الا من موقع شرم الشيخ ..

هكذا كان رابين ، ويقولون ان بيجين حين يجلس على مقعد رئيس الوزراء ويمارس السياسة ويسبح في بحار يتصورها سهلة .. فاذا به يشرف على الغرق ساعتها سوف يعتدل كما اعتدل رابين ، فاذا اعتدل يمكن المضى معه الى خطوة اخرى تحقق لقاءه مع العرب في جنيف .. وقد تحقق الوصول الى نتائج ايجابية ..

هذا ما يقوله المتفائلون ..

والمتشائمون يقولون انه يحسب حساب الحرب قبل جنيف ..

الحرب وارادة بيجين

وهنا يثور السؤال الاتى :

ـ هل يمكن ان يقرر بيجين الحرب بارادة منفردة ؟
والاجابة عن هذا السؤال تتطلب وقفتين ..
الوقفة الاولى عند منابع القوة الاسرائيلية ..
والوقفة الثانية عند مخططى السياسة الصهيونية ..
والامر الذى لا جدال عليه هو ان الولايات المتحدة الامريكية هى منابع القوة الاسرائيلية .. فهى التى ربتها ورعتها وقوتها وكانت وراء انتصارتها في كل حروبها ، ولكن حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ وضعت الولايات المتحدة الامريكية امام حقائق جديدة تتمثل في الآتى :
ـ ان اسرائيل ليست ذراعها الطويلة . ولا قاعدتها الامامية التى لا تقهر ..
ـ ان مصالحها البترولية والمالية مع العرب اضعاف اضعاف هذه المصالح مع اسرائيل ..
ـ ان الممرات المائية ـ خاصة بعد فتح القناة ـ تقع تحت سيطرة عربية . وهذه الممرات شرايين هامة للاقتصاد الامريكى ..
ـ ان امريكا اصبحت في عزلة عن العالم وهى تناصر اسرائيل . وانها تركت مساحات كثيرة .. وساحات كثيرة يتسرب اليها السوفييت نتيجة للغفلة الامريكية التى ربطت امريكا باسرائيل الخاسرة ..
من هنا بدأت امريكا تغير سياستها في الشرق الاوسط .. في عهد نيكسون خطت الى التغيير . وفي عهد فورد مضت فيه بشجاعة وان لم تمهله الشهور .. وفي عهد كارتر تقفز الامور قفزا منذ صرح في ماتشوستس بأن من حق الفلسطينيين الذين تشردوا على مدى ثلاثين عاما ان يكون لهم وطن ، وان من حقهم ان يناقشوا قضيتهم وان على اسرائيل ان تنسحب من الاراضى التى احتلتها في ٥ يونيه عام ١٩٦٧ .. مع تعديلات طفيفة ..

هذه هى امريكا ..

وكارتر لا يقول هذا وحده .. بل يقوله عدد من الشيوخ المرموقين الذين كانت لهم مواقفهم الصلبة في صف اسرائيل .. والذين اعتبر الكونجرس بهم قلعة اسرائيل في امريكا . وهى قلعة تستطيع تحطيم قرار الرئيس الامريكى اذا لم يكن لصالح اسرائيل مائة في المائة ..

الان حدث تغيير في الموقف .. لست اقول ان الكونجرس سوف ينتصر للعرب بل اقول انه لن ينتصر لاسرائيل في كل الموقف . والدليل على ذلك العبارات التى حملها السناتور ستونز من الكونجرس الى بيجين ، وهى عبارات تعتبر تلخيصا لحوار طويل وصاخب جرى بين انصار اسرائيل في الكونجرس .. العبارات تقول « ان انصار اسرائيل في الكونجرس ليسوا على استعداد لحماية عناد بيجين . او اتجاهه للحرب » ..

فهل اصبح موقف امريكا من اسرائيل موقفا مبدئيا ؟ وهل اصبحت الامور واضحة تماما خاصة بعد ان ردد مونديل وبريزنيسكى وفانس خط كارتر السياسى في ضرورة الانسحاب واقامة دولة فلسطين وتمثيل الفلسطينين في جنيف مقابل التزام الحدود الآمنه ، واعتراف العرب بحق اسرائيل في الوجود في سلام ؟

اقول ، حتى الآن يبدو ان امريكا عند القول الذى طرحه كارتر .. ومعنى هذا ان اسرائيل اذا فكرت للحرب فانها قد لا تجد منابع القوة الاسرائيلية في امريكا بمثل الصفو القديم ، ولا بمثل العطاء القديم ..

اما الوقفة عند مخططى السياسة الصهيونية فتقتضى نظرة شمولية تبدأ بالمنظمة الصهيونية العالمية ، ثم تقف وقفة عند المنظمات الصهيونية الامريكية .. ثم تمر سريعة على المنظمات الصهيونية في اوربا ..

والمعروف ان اسرائيل ثمرة الصهيونية ، تستمد وجودها من ايات في التوراة لا تقيم وزنا للمواثيق الدولية ولا للامم المتحدة ، ولا لحقوق الانسان . والفكر الصهيونى الدينى كانت له جاذبيته وسحره وهو الذى

نظم حركة هجرة اليهود من كل انحاء العالم . وهو الذى ينظم الآن حركة تمويل اسرائيل وهو يعتبر الوصى على اسرائيل او الاب الروحى لها . وهو ممثل في المنظمة الصهيونية العالمية التى يرأسها الآن يوسف الموجى الذى يتهمونه بأنه يتحيز لاسرائيل دون مراعاة لمصالح اليهود في انحاء العالم . المنظمة الصهيونية العالمية تعتقد ان ساسة اسرائيل اصبحوا على درجة من الغرور والفساد تضع المنظمة في حرج امام العالم ..

ونفس المشاعر هى ما يمتلىء به صدر المنظمات الصهيونية الامريكية . فهذه المنظمات كادت تصبح بين خيارين ، اما ان ترعى مصالح امريكا واما ان تدوس مصالح امريكا . ولا يهمها الا اسرائيل . وفي الحالة الاولى تكاد تصفى رسالتها او وجودها وفي الحالة الثانية ستصبح في مواقف المواجهة ضد امريكا ..

وقد حدثت هزة للمنظمات الصهيونية في امريكا بعد حادثة البناى بريث .. ففى مبنى هذه المنظمة اعتقل عبد الخليص اكثر من مائة وثلاثين يهوديا .. وقد افرجت عنهم وساطة اشرف غربال سفير مصر في واشنطن .. فاقامت له البناى بريث حفل تكريم وتلقى من المنظمات الصهيونية برقيات الشكر على ما أنقذ من ارواح . وبدا أن يهود امريكا لانوا عن ذى قبل .. وهم لا شك لهم يد في صناعة القرار الاسرائيلى . ويهود اوربا يبذلون من مالهم لاسرائيل واذا كان يهود امريكا يدفعون الجزء الاكبر فان يهود اوربا لا يقلون في سطوتهم السياسية في بعض المواقع عن يهود امريكا .. وبهذا فانهم بدورهم اصبحوا يقولون لبيجين فيتو . وقد كتبت جريدة « تريبتون جويف » الفرنسية تقول ان العلاقات بين اسرائيل ويهود الشتات ستكون من الآن فصاعدا من نسيج جديد . وسوف يتعين على الطوائف الدينية من يهود الشتات ان يذكروا الاحزاب الدينية التى عادة ما تكون وطنية انه ليس هناك من وجهة النظر الدينية ما يبرر في رأينا في الوقت الراهن ضم يهودا والسامره ..

يهود الشتات الذين يعتبرون بمثابة سفراء لاسرائيل يتعين عليهم اذا كانوا يريدون تمثيل الشعب اليهودى تمثيلا كاملا وابلاغ رسالته العريقه في العدالة والسلام ان يتوسطوا لاول مرة بلا شك لدى دولة اسرائيل نفسها ..

فيهود الشتات بكل اشكالهم .. وفي كل مواقعهم لا يحبون سياسة بيجين ، وقد يهذبون بيجين وهو يتحرك دوليا ..

---

٩ ـ قطار الى جنيف

الراجح ان القطار الى جنيف قد وجد القضبان التى سيمضى فوقها . ولكن السؤال الذى يطرحه المراقبون السياسيون هو « ما الذى يمكن ان يحققه القطار في محطة النهايه ؟ » ..

وهناك سؤال كان يلاحق القطار الذى يستعد للانطلاق ..وهو سؤال يفتش في مناخ الشرق الاوسط . ويراه ملبدا بغيوم الحرب النفسية التى تشنها اسرائيل بضراوة من يخوض معركة « حربية » حقيقية .. فهل يتيح هذا المناخ الانطلاق للقطار .. وهل ماتبثه اسرائيل من عراقيل وما تضعه من الغام على القضبان مما يمكن للقطار من بدء رحلته التى يترقبها العالم ..

ومن المغالطة للنفس ان تقول ان الامور استقرت لمؤتمر جنيف . وان البيان الامريكى ـ السوفييتى سيجعل البحر طحينة . او ان ورقة العمل الامريكية الاسرائيلية حلت المشكلة .

ابدا ..

فالبيان الامريكى - السوفييتى يبقى في نظرى تحصيل حاصل كان لابد ان يحصل من زمن .. الدولتان الكبريان ملزمتان بقرارات الامم المتحدة بالدعوة لجنيف .. وعندما صدرت قرارات الامم المتحدة في عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ كانت امريكا منحازة بكليتها لاسرائيل وكان الاتحاد السوفييتى في خندق العرب .. وكل الذى حدث بعد حرب اكتوبر ان تنبهت امريكا الى الزلزال الذى هدد مصالحها في الشرق الاوسط فأعادت تقييم سياستها ، ومضت خطى .. ومنها ما هو جاد في عهد كارتر - تصريح كلينتون في مارس ١٩٧٧ الخاص بحقوق الشعب الفلسطينى المشرد منذ ٢٩ عاما - اما الاتحاد السوفييتى فقد اشبع العرب بالبيانات الحماسية التى لم يترجمها الى موقف عملى ولان الموقف العملى الذى يستطيع ان يقدمه برهانا للعرب على تطابق افعاله على اقواله هو ان يقدم السلاح - بثمنه - لمصر قوة القتال وقوة السلام الرئيسية ، اذ المعروف ان لا سلام الا من مركز قوة قتالية قادرة وواثقة . بل ان الاتحاد السوفييتى اثار بين العرب بلبلة ، وحروبا صغيرة اكسبت اسرائيل اوراقا لصالحها واعطتها مساحات زمنية لالتقاط الانفاس وكسب الوقت وجعلتها تسترخى بأمل العودة الى حالة اللاسلم واللاحرب التى تجرعنا مرارتها في اعوام ما بين النكسة والنصر ..

الاضافة الوحيدة الى الموقف التى قدمها البيان السوفييتى الامريكى هى ما جاء على لسان كارتر وهو يواجه الشيوخ الساخطين على اقحامه للسوفييت في ازمة الشرق الاوسط بعد انعزالها عنها بقوله :

- ان التفاهم الذى تم مع السوفييت وتم التعبير عنه في البيان المشترك حول الشرق الاوسط قد وضع حدا لفترة كان السوفييت يسلكون فيها سياسة مخربة في الشرق الاوسط ..

على ان العرب قابلوا البيان السوفييتى - الامريكى بالترحاب ، فرغم

انه يمثل خطوة الى الوراء في الموقف السوفييتى من المنظمة الفلسطينية الا انه يضمن تواجد الدولتين معا في جنيف . وهذا التواجد شرط شكلى لجنيف قد لا يتحقق الدخول في الموضوع بدونه .. وهو ينشط دور الاتحاد السوفييتى بعد ان تجمد هذا الدور تماما وهو - هذه المرة - تنشيط له ضمانات الفعالية الايجابية لانه مرتبط بمصالح سوفيتية امريكية . تتجاوز في حجمها واهميتها المصالح السوفيتية العربية ..

على ان اسرائيل تصدت لهذا البيان السوفييتى الامريكى بحرب نفسية على كارتر ولكنها حرب تستهدف التأثير على الاعصاب العربية أولا . وكان أول ما قدمته الصهيونية من رد فعل هو تصرف نائب مانهاتن الصهيونى ادوار كوش حين وصل كارتر الى نيويورك ليلقى بيانه في الامم المتحدة فقد استقبله كوش المرشح لمنصب عمدة مدينة نيويورك في انتخابات المقبلة - وبدلا من ان يصافحه باليد كما تقضى التقاليد .. والآداب قدم اليه خطابا .. معروف انه مذكرة احتجاج على البيان الامريكى السوفييتى . وقد اعطى كارتر الخطاب لاحد مساعديه . ولطم كوش عندما تجاهله ولم يستصحبه معه الى مقر الامم المتحدة .. ودبرت الصهيونية مظاهرات الاحتجاج من الكبار - ودبرت ايضا مظاهرة اطفال - فرد كارتر على هذا بأن زار مناطق فقراء الزنوج والبورتوريكيين في برونكس حيث استقبلوه بحفاوة بالغة .. وفيما شدد الشيوخ الامريكيون على كارتر نتيجة لتحرك « اللوبى الصهيونى في الكونجرس . صرح اندرويونج مندوبه في الامم المتحدة بأن امريكا ضد التطرف العسكرى . وان حماستها لحل ازمة الشرق الاوسط نابعة من حقيقة ان الاحداث فيه لا تؤثر على بقاء اسرائيل فحسب بل تؤثر على بقاء اقتصاديات العالم الغربى . واضاف اندرو قائلا : ليست مشكله اسرائيل مشكلة دفاع عسكرى . فهى تستطيع الفوز بسهولة في حرب جديدة ولكن مالا تستطيعه هو كسب المعركة الثقافية والاجتماعية

والاقتصادية . ولا تستطيع في النهاية السيطرة على مليون ونصف مليون عربى داخل اسرائيل .. ولا على سعر النفط واقتصاديات العالم بينما يستطيع العرب ذلك .. وختم يونج حديثه بقوله : « اننا ندفع مليارين من الدولارات بانتظام .. كل عام .. لاسرائيل . ومع هذا فاننا لم تقترب خطوة من السلام » ..

وقد طاف ديان بعدد من المدن الامريكية التى تسكن فيها نسبة عالية من اليهود وعقد الاجتماعاً هناك . كأنما ليذكر كارتر بأن اسرائيل لها سند في امريكا .. كأنما ليقول للعرب : اقبلوا ما نفرضه عليكم لاننا نستطيع ان نشل خطى كارتر ومخططاته في اى لحظة .. » ..

وهذا نوع من الحرب النفسية على العرب . واظهار كارتر بمظهر المتردد في نظر العرب قد يجعلهم يديرون له ظهورهم الصهيونية تريد هذا .. والعرب يفطنون له .. حتى ولو صدرت عن بعض المتطرفين تصريحات هجومية ضاربة ضده . فان هؤلاء المتطرفين ليسوا « التيار العربى العام » .. ولا يمكن ان يعطلوا التيار العربى العام ..

اكاذيب « ديانيه »

وورقة العمل الامريكية الاسرائيلية .. استغلتها اسرائيل لحرب نفسية اخرى فقد افشت نصوصها قبل ان تعرضها امريكا على العرب . لان هذه الورقه لا يمكن ان تكون اساسا لجنيف قبل ان يوافق عليها العرب .. انها تصبح ورقة تاريخية بين امريكا واسرائيل وقد تصبح معاهدة صداقة جديدة بين امريكا واسرائيل ولكن العرب لا يلتزمون بها إلا اذا قالوا رأيهم فيها . وعدلوا وبدلوا على مقتضى مبادئهم الثابتة التى اعلنوها وهى تحرير الارض وتمثيل الفلسطينيين في جنيف واقامة وطن فلسطينى .. وقد عقب احد قدماء البرلمانيين الامريكيين على افشاء الورقة قائلا : لم يحدث اطلاقا ان وضعت التفاصيل الدقيقة لمحادثات بين زعيم اسرائيلى مع الرئيس الامريكى في متناول الصحافة على هذا النحو » ..

وهى ثانيا قرنت الإفشاء بأكذوبة وردت على لسان ديان .. حين قال ان كارتر قال له في لقاء منتصف الليل في فندق البلازا المواجه لمبنى علبة الكبريت في نيويورك ان الولايات المتحدة سوف تعزل اسرائيل ان لم يتم الوصول الى اتفاق على ورقة العمل » ونشرت كل الصحف الصهيونية هذا القول .. في اطار الحرب النفسية ضد كارتر الذى تريد اسرائيل ان تحفر في الاذهان عنه انه حليف العرب . بل واضافت على لسان ديان ان كارتر كان شرسا ..

وقد صرح فانس بأنه لا يوافق على هذا الوصف . وذكر بأن امريكا ملتزمه بأمن اسرائيل وبأنه واثق بأن امريكا واسرائيل تستطيعان التغلب على ايه خلافات قد تكون بينهما ..

وفي مواجهة لكارتر مع الشيوخ الامريكيين عن هذا القول الذى ردده ديان قال كارتر : انني انتحر ولا اعزل اسرائيل » ..

ولعل هذا التصريح دليل على ان الصهيونية قادرة بعد على التأثير في الموقف .. الامريكى ; ان الخط الواضح الذى ينتهجه كارتر يتعرج امام العرب . وهذا يؤثر على ثقتهم به .. وهى الثقة التى تفتح صدرهم وصبرهم حتى ينجز شيئا بوساطته بينهم وبين اسرائيل . وقد سئل امريكى كبير عن هذا الخط المتعرج في السياسة الامريكية فقال : « اذا كنت تتسلق جبلا فانك لا تستطيع ان تسير في خط مستقيم » ..

فعملية ديان .. ادعاء التهديد بالانعزال . وادعاء الشراسة الصقها بكارتر حرب نفسية مادام كارتر ووزير خارجيته نفيا ذلك .. ولا شك ان ديان يريد ان يقول لكارتر : انت لم تفعل هذا ونحن وضعناك في قفص اتهام .. فأياك ان تفعله حقيقة » ..

وثالثا : افترت اسرائيل على ورقة العمل اشياء لم تتضمنها .. ومواقف لم تكن واردة في الحوار عليها . فقد ادعى موشى ديان انه حذف فقرة تدعو الى اشتراك مسئولين غير بارزين من منظمة التحرير الفلسطينية في

جنيف لان اسرائيل تعارض بعنف التعامل مع المنظمة وانه حذف كل اشارة الى ان قضية الكيان الفلسطينى يجب ان تكون مدرجة في جدول الاعمال وانه حذف اى اشارة الى جلسة افتتاحية كاملة في جنيف يشترك فيها وفد عربى يضم فلسطينيين ستبقى في حالة انعقاد طوال المؤتمر .. وانه اخيرا وضع كلمة مناقشة بدلا من مفاوضة فيما يتعلق بالمحادثات حول الارض العربية المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزه ..

هذه الاكاذيب الاربع نفتها امريكا .. بوضوح نفتها بعد ان وجدت ديان مشتطا في تصرفاته « اللاأخلاقية » .. وحين رأى ديان العين الحمراء من امريكا اعترف بأنه اخطأ وهذا الموقف في إجماله جرعة سامة .. او طلقة في الحرب النفسية على العرب ..

نريد المظاهرات

هذا فيما ينطق بموقف اسرائيل من البيان الامريكى ـ السوفيتى . وكيف استغلته في حربها النفسية . وموقفها من الورقة الامريكية الاسرائيلية . وكيف احاطتها بما يمكن ان يستفز العرب ولكن عرب ما بعد اكتوبر عرب ينتظرون الى الامور نظرة موضوعية عقلانية . ولا يعولون على ما تقوله اسرائيل .. بل يبنون المواقف على سياستهم الموضوعية . ويواجهون الامور بالقرار لا بالانفعال والقرار يسبقه حديث وتشاور وتفاهم . اما الانفعال فهو اندفاعة عاطفية قد تهز صورة رائعة للعرب عند العالم . ان اسرائيل تريد ان تلقى الكرة في ملعب العرب . انها بقبولها الذهاب الى جنيف ارادت ان تقول للعالم انا اريد السلام . ولكن العرب لا يقبلون الحلول الوسط انها تريد ان تأخذ الرغيف .. ولا تلقى منه للعرب الا الفتات . وتصور للعالم ان الفتات هو الحل الوسط المعقول الذى يرفضه العرب ..

فاذا لم يطالب العرب .. من موقف اجماعى ـ باسترداد الارض المحتلة فان اسرائيل تقبل على جريمتها التى ادانتها الامم المتحدة . موهمة

العرب بأنها قادرة على تنفيذ الجريمة كل يوم دون ان تكترث لهم .. ان هذه الجريمة هى بناء المستعمرات الجديدة .. ان اريل شارون وزير الزراعة افتتح مستعمرة جديدة .. وبدأت وفود صحفية تصل الى المستوطنات الجديدة لتستمع الى اهلها وهم يتغنون بالعودة الى ارض التوراه . ان التحقيقات الصحفية تنشر الآن في الصحف الاوربية عن مستعمرة ايلون موريه في الضفة الغربية وهى ارض كان يستريح فيها ابراهيم ابو اليهود ... ان مستعمره اونرا تقع فوق ارض ثبت منذ ١٧٠٠ سنه قبل الميلاد انها كانت حيث استقرت العشيرة الثانية عشرة التى جاء ذكرها في التوراه وعلى بعد خطوات منها قاد يوشع الاسرائيليين عبر نهر الاردن ونقل يوسف الى بلد قريب حيث اصبح عبدا .. ان اسرائيل في ظل بيجين ... تحرك كل ما اوقفته حكومة رابين من زيادة المستوطنات ولكنها لكى تسكت معارضة رابين ـ تقول ان نقطة البدء في المستوطنات كانت من زحف جماعة جوش اميونيم ـ اى المؤمنين ـ الى قادوم في نوفمبر عام ١٩٧٥ .. حين كانت اسرائيل مرجلا يغلى بالغضب لان الامم المتحدة ادانت الصهيونية كعنصرية . ولم يكن من السهل التصدى لهذه الجماعة وهى تزحف الى ارض عربية وتقيم فوقها مستعمرة في ليلة عيد المكابيين وفي مناخ غضبتهم العارمة ..

ان بيجين يصعد الآن بناء المستعمرات غير مكترث لرأى امريكا ، او حتى رأى يهود بريطانيا الذين طالبوا بتجميد الموقف الخاص بأنشاء مستعمرات جديدة في الضفة الغربية او حتى بقرارات الامم المتحدة المتلاحقة .. ان هذا استعراض عضلات مقصود به ارهاب العرب ..

ان العرب لا يرهبهم شيء .. ولكن هناك ضرورة دائمة لتحرك فلسطينى في داخل الارض المحتلة .. ان المظاهرات التى قامت في خريف وشتاء عام ١٩٧٥ اقضت مضجع اسرائيل . ولفتت نظر العالم كله . ان الموقف العربى في حاجة الى المظاهرات تحتج على اقامة المستعمرات بل

تتصدى لها . ان العمل الفلسطينى في داخل الارض المحتلة يجب ان يتصدى لهذا مثلما تصدى بالنجاح الكامل لمحاولة تجميع بعض الفلسطينيين المارقين ـ وكان التجمع بقصد اظهار ان المنظمة لا تعمل وحدها في الساحة الفلسطينية . وبقصد تقسيم الفلسطينيين الى معسكرين . واعطاء ورقة لاسرائيل التى تطالب بأن يمثل الفلسطينيين من يعيشون في الضفة الغربية وغزه وحدهم .

مثل هذا النجاح في التصدى لمحاولة تمزيق التمثيل الفلسطينى .. يجب ان تسعى اليه المنظمة في التصدى للاستيطان الصهيونى ـ من عجب ان اكثر سكان المستعمرات الجديدة من المهاجرين من الاتحاد السوفييتى ـ ان هذا هو الرد الحقيقى على الحرب النفسية التى تشنها اسرائيل .. او على استعراض العضلات الذى تقدمه للعالم لكى يقول انها قوية وقادرة .. وبالتالى يضغط على العرب حتى لا يعترضوا طريق القوى القادر ..

فلنحذر اذا قلنا

واسرائيل تراهن رهانها الكبير القديم على الصف العربى .. انها تتوقع ان يتمزق الصف العربى او ينفجر من الداخل . وهى تسعى الى هذا بكل ما اوتيت من دهاء وسوء نية فهى تصدر مثلا ان ديان التقى بمسئولين عرب .. وتصدر ان هناك دولا مستعدة للتوقيع على اتفاقيات ثنائية في جنيف اذا تعنتت دول آخرى او زايدت .. تريدها وقيعة بين العرب والعرب الذين جربوا مرارة الانقسام .. هم نفس العرب الذين رفعوا رؤوسهم بنصر الصف الواحد وقوة الكلمة الواحدة وموقف مصر معلن يقطع الطريق على حرب اسرائيل النفسية والتخريبية فمصر اعلنت انها لا تقبل التجزئة في التسوية .. ولا الصلح المنفرد وهى اى مصر ـ مصممة على الانسحاب الاسرائيلى الكامل من كل الاراضى العربية بما فيها القدس .. وقد قال عبد الحليم خدام وزير الخارجية السورى : « يوجد حاليا تعاون شامل بين سوريا ومصر في كافة المسائل على الصعيد

السياسى والعسكرى . فلا خوف بشأن العلاقات بين دول خط المواجهه ..

وقال خدام ان المشاورات جارية بين سوريا والاردن ..

والواقع ان التفاهم العربى يكاد يكون كاملا وشاملا ليس فقط بين دول المواجهة بل بين دول العمق او دول التمويل ..

وقد قام السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية بجولة في عدد من البلدان العربية. وهذا الصف العربى الموحد هو السلاح الوحيد في مواجهة الحرب النفسية الاسرائيلية .. فالاسرائيليون يستغلون اى شقاق عربى حتى يهونوا من شأن العرب عند انصارهم القدامى وانصارهم الجدد . وينجح استغلالهم للمواقف بقدر عمق الشقاق وحجمه وتتجمد قضاياهم وتأخذ اسرائيل فرصة التقاط الانفاس والاسترخاء كما قلت قبلا كلما انشغل العرب فيما بينهم عن ازمتهم مع اسرائيل ..

لا نريد لهذه المرحلة اى شقاق .. اى شبهه شقاق ..

التخويف لا يخيفنا

وفي الحرب النفسية اقول ان صاحب الدموع الشهيرة في ثالث ايام المعركة موشى ديان انقلب من وزير خارجية الى ممثل في فيلم بوليسى فهو يتحرك كثيرا ، يختفى في بروكسل ويجرى البحث عنه ويطير على شركة العال من تل ابيب الى زيورخ . وبينما يتوقعه اليهود على العال في نيويورك يستقل من زيورخ طائرة سويسرية الى نيويورك ويجلس بين الركاب العاديين . وهو يختفى من لندن فيعود الى تل ابيب ثم يطير الى اوربا من جديد . وهو يخلع العصابة السوداء من فوق عينيه ويرتدى نظارة سوداء وكأنه ذاهب لحفله تنكرية وهو يظهر في عاصمة ويختفى ليظهر في عاصمة اخرى بعد يوم واحد . وفي اليوم التالى يصدر بيانا من تل ابيب وهو يعمل هذا في اطار الحرب النفسية - يريد ان يسترد

مكانته القديمة عندما كان البطل الاسطورى عند اليهود ويطلق تصريحات في لعبة السياسة التى يعتقد الكثيرون انه سوف يحقق فيها خيبة اكتوبر ١٩٧٣ · ولا اظن ان العرب يستهويهم هذا النوع من التحرك المسرحى انهم يمضون على دبلوماسية هادئة استقطبت كل الكتل لموقفهم وضمنت التأييد لفلسطين المنظمة وفلسطين الكيان ·

ان ديان يبدو مهرجا في نظر العالم وهو يحاول انكار صفة المنظمة كممثل للشعب الفلسطينى ·· يبدو على نفس المستوى الذى بدت به جولدا مائير منذ سنتين عندما تساءلت : « تقولون شعب فلسطين اين هو شعب فلسطين ؟ » · ان المنظمة كممثل شرعى حصلت على اعتراف العديد من دول العالم ولها عند هذه الدول مكاتب وقد اعترفت بها الامم المتحدة حين وافقت على ان يكون تمثيل فلسطين بواسطتها وهى تمثل شعب فلسطين في محافل دولية فيها مائة دولة على الاقل وهى الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ومنظمة عدم الانحياز ورابطة العالم الاسلامى ·· اننا في حاجه الى ان نوقظ هذه المعانى في اذهان العالم ليعرف ان اسرائيل تغالط في حق وتجادل في قضية منتهية. اننا خططنا لعزلتها ونجحنا ورغم كل تحركات ديان بصورته ·· البوليسية فان العالم ادانها · ان فالدهايم ·· سكرتير عام الامم المتحده قال ان نجاح جنيف يتوقف على الانسحاب من الاراضى المحتلة والاعتراف بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين ثم حق كل دولة في المنطقة في الاستقرار داخل حدود آمنة · ان هذا الرجل هو صوت العالم ويجب ان نردد على اسماع العالم منطق هذا الرجل لانه يمكن ان يحبط ادعاءات اسرائيل بأنها قبلت الاعتدال والعرب يتعنتون . وانها ركبت قطار جنيف ولكن العرب لا يتنازلون عن مواقفهم ··

ان التحركات البوليسية لا يمكن ان تنال من التحركات الدبلوماسية العربية · ان العالم مع العرب ·· ويجب ان يكون العرب مع أنفسهم صفا

واحدا لا تزعزهم الحرب النفسية ويجب ان يكون العرب لبعضهم البعض كالبنيان المرصوص .. « هذا اوان الشد فاشتدى زيم » ولينطلق القطار الى جنيف يغطى بدخانه سحابات الحرب النفسية .. ولا يهم الا ينطلق مادام الصف العربى جدار فولاذ . اننا اسقطنا في اكتوبر ١٩٧٣ جدار الخوف . والحرب النفسية تخويف لا يخيفنا ..

---

١٠ ـ مائة ساعة من أجل السلام

رحلة السادات هذه المرة تحصيها بالساعات ٠ انها كلها مائة ساعة فقط ٠ وهى رحلة في اطار الديبلوماسية المكثفة التى تضيق بها مصر الحصار العالمى على اسرائيل ٠ اصبح كل يوم يمر يضيف انباء جديدة ومثيرة الى الموقف الدولى ٠ وأصبح التحرك السريع ضرورة ٠ لو تذكرت كم من الرؤساء استقبلت القاهرة في أسبوعى ما بعد مناقشات الامم المتحدة لقضية الشرق الاوسط . وصدور البيان الامريكى السوفيتى ومن بعده البيان الامريكى الاسرائيلى ٠٠ ووقفت عند الحدث العظيم . حدث لقاء ممثلى الشعب المصرى وممثلى الشعب السودانى في القاهرة ٠٠ ناقوسا يدق للتاريخ ٠٠ أن وحدة وادى النيل تعود في الوقت الحاسم . وتعطى لمصر عمقا للمعارك والبناء وتعطى السودان وقفة للتعمير ودورا جديدا على الساحتين العربية والافريقية ٠٠ لقلت ان عقارب الزمن هذه الايام تعنى شيئا هاما ٠

والشيء الهام هو ان ازمة الشرق الاوسط بلغت الحافة ..

وهى حافة تفتح الطريق الى جنيف .. ذلك ما أرادته مصر وهى في قمة الانتصار حين وقف السادات في مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر ليقدم مبادرة سلام ، كما أنها حافة قد تفتح الطريق الى الحرب . فالحرب استمرار للدبلوماسية بطريقة اخرى .

ومن أجل اشهاد العالم على تعنت اسرائيل . ومن اجل ترسيخ الحق العربى في اذهان العالم كانت جولة السادات الخاطفة هذه ..

وقبل ان يصل الرئيس السادات الى رومانيا كانت الامم المتحدة تعقد جلسة تاريخية بالغة الاهمية وهى الجلسة التى جرى فيها الاقتراع على المشروع المصرى بادانة اسرائيل لانها مستمرة في اقامة المستوطنات في « الاراضى الفلسطينية » . وقد حظى المشروع المصرى ب ١٣٢ صوتا من ١٤٩ هم مجموع الاعضاء في الامم المتحدة . وكانت الدولة الوحيدة التى قالت لا .. هى اسرائيل . أمريكا امتنعت عن التصويت ومعها باقى الاقلية الضئيلة .

وهذا القرار التاريخى بادانة اسرائيل أصبح احدى الاوراق الرئيسية في الحديث سواء في جنيف او في أى مكان آخر . لانه صادر عن اعلى هيئة تحكيم عالمية قراراتها تشبه أحكام النقض التى لا يجوز الطعن فيها بحال من الاحوال . وهى خطوة كبرى على طريق السلام . خطوة الى جنيف .. واذا تبجحت إسرائيل وتساءلت على طريقتها : « هل يعقل أن ألفى مستوطنة اقيمت ؟ .. فان الرد هو ان العالم كله ادان اقامة المستوطنات وأصدر حكما سياسيا وقانونيا ببطلان الانشاء وبالتالى بطلان الوجود والاستمرار .

قوة قرار الجمعية العامة نابعة من أنها الجمعية التى تصدر القرارات في الشئون السياسية والقانونية . فاذا قلنا ان قرارات مجلس الامن تتسم بالخطورة والسخونة فهذه القرارات اكثرها لا ينفذ لان مجلس الامن

لا يملك قوة تنفيذية . والقرارات منه ليست لها صفة الشمولية مثل قرارات الجمعية العامة التى تعتبر حكما من الرأى العام العالمى كله .

وهى أول مرة منذ انشاء الامم المتحدة يحظى قرار بتأييد ١٣٢ صوتا . واخر اعلى الارقام حصلت عليه مصر أيضا منذ عامين بتمثيل الشعب الفلسطينى في الامم المتحدة .. وكان عدد الاصوات التى حصل عليها هذا القرار ١٢٢ صوتا . .

هذه المكاسب المتصاعدة المتتالية للقضية هى دليل على نجاح الديبلوماسية المصرية والعربية . وهى أوراق في يد السادات . وهو يقبل الى قصر « بليشير » وسط غابة سيناياً . فيودعه شاوشيسكو بعد استراحة قصيرة ويتركه يمضى ليلته .

في اليوم التالى كانت المحادثات خاصة وقال الرئيس شاوشيسكو على مائدة الغداء « ان مواقف رومانيا معروفة وهى مواقف مع مصر . مشتركة ومتشابهة . هى الرغبة في الوصول الى سلام عادل ودائم مبنى على الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة وحق الشعب الفلسطينى في اقامة دولته . واستقرار السيادة الوطنية لجميع الدول في المنطقة » .

وقال : « ان مؤتمر جنيف سيكون خطوة مهمة في سبيل السلام » .

وقال الرئيس السادات في كلمته :

« لقد ناقشنا قضية النزاع في الشرق الاوسط وكل ما يحيط بها من متغيرات والمرحلة الحاسمة التى يمر بها هذا الصراع الان . وانى ليسعدنى ان اعبر عن شكرى وشكر الشعب المصرى كله بل والامة العربية كلها لهذا الموقف المبدئى الذى تقفه رومانيا بقيادتك من اجل السلام في المنطقة . ان الموقف المبدئى القائم على انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧ وقيام الدولة الفلسطينية هو موقفنا نحن أصحاب القضية كما عبرت عنه تماما .. لانك اخذت موقف السلام القائم على العدل . واننا حقيقة يجب ان نقدم عرفاننا لمفهومكم الواعى . أنه

بدون حل المشكلة الفلسطينية . لا يمكن قيام سلام في الشرق الاوسط .

وقال السادات :

« ان لهذا المكان سحرا خاصا عندنا نحن في مصر . وعندى انا شخصيا أن هذا المكان هو سيناء التى أتمنى ان يكون اجتماعنا القادم هناك على أرضها . كما كان اجتماعنا على أرض سينايا الرومانية » .

وصفق الجانبان الرومانى والمصرى على اللقطة البارعة .

لم تكن قضية الشرق الأوسط وحدها على مائدة المفاوضات .

كان هناك مؤتمر بلجراد .. وهذا المؤتمر يناقش قضية الأمن الأوربى . وهو منبثق عن مؤتمر هلسنكى . وفي المؤتمر حرب باردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ولكنه يعنى الاروبيين أولا . ولهذا يحرصون على تجنبه مزالق الحرب الباردة . وقد صرح شاوشيسكو في حديثه : « ان أمن الشرق الأوسط يهم أوربا كما أن أمن أوربا يهم الشرق الأوسط .

وهذه حقيقة هامة جدا لمن ينظرون نظرة غير جادة .. أو نظرة مستهينة بيما يجرى في الشرق الأوسط ان أى حرب تندلع في الشرق الأوسط سوف تزلزل أوربا .. ان كارتر قال وهو في لوس انجيلوس : « ان حرب الشرق الأوسط سوف تؤثر في أمريكا .. وعلى دول أخرى في المنطقة : يعنى اسرائيل » .

وتناولت المباحثات قضية نزع السلاح .

ومفاوضات نزع السلاح استمرت ٢٥ عاما ولم تحقق نتيجة .

وقال الرئيس السادات بعد جلسة المباحثات :

« ان ما يشغلنا اساسا هو القضية والتحضير لجنيف . واذا لم نحضر لجنيف تحضيرا سليما . فرأيى الا نذهب اليها .. فان البعض يأخذ التحضير على أنه اجراءات : لا .. انا آخذه على أنه الموضوع والموضوع هو الذى سيقول لنا ماهى الاجراءات . واينا أذهب الى جنيف لاقضى ٢٥ سنة في الكلام مثلما يحدث في قضية نزع السلاح » ..

● في المساء قال لنا اسماعيل فهمى :

● موقفنا واضح · نذهب الى جنيف بعد التحضير الموضوعى . ونعطى للمباحثات فرصة فان لم نصل الى نتيجة ننسحب . ونبحث عن طريق أخرى لاسترداد الارض ·

● وتناولت المباحثات ما حدث بين الرئيس شاوشيسكو وبيجين رئيس وزراء اسرائيل وقد قال لنا الرئيس السادات أن الرئيس شاوشيسكو لخص لنا نتيجة ٨ ساعات من اللقاءات الخاصة بين شاوشيسكو وبيجن · ولقاءات الوفدين الرومانى والاسرائيلى ·

● ومعلوماتى عن رحلة بيجين الى رومانيا ·· انها كانت نتيجة للاحساس بالاختناق من الحصار الذى فرضته مصر على اسرائيل عالميا · حتى أمريكا بدأت تقول كلاما جديدا لاسرائيل . ولم يعد ما بينهما « شهر العسل » القديم ·· كتلة الشرق تقاطع اسرائيل كتلة الغرب ترفض . وبريطانيا تبلغ الذروة في .. هذا لانها تعتبر بيجين ـ كما نعتبره ـ أرهابيا قديما · وكتلة عدم الانحياز توصد في وجه إسرائيل الابواب · فكر بيجين في رومانيا وكأنها نافذة ··

وجاء بيجين الى رومانيا . وقيل وقتها ان بيجين اراد وساطة شاوشيسكو عند الاتحاد السوفيتى ··

وقيل وقتها ان بيجين اراد ان يفاوض شاوشيسكو على يهود رومانيا ··

وقد قال الرئيس شاوشيسكو للرئيس السادات انه سوف يطير الى موسكو ·· لحضور احتفالات العيد الثلاثين للثورة الشيوعية ·· قال له هذا في جلسة المباحثات الثنائية الثانية ·· التى لم تستغرق اكثر من أربعين دقيقة ··

وطار الرئيس الى ايران ··

وفي طهران صديق آخر هو الشاهنشاه محمد رضا بهلوى ··

● في الدبلوماسية عليك أن تحدد الهدف باناة واصرار . وتمضى اليه بوضوح رؤية وتتحرك من اجله بسرعة وحسم . وهذا ما فعلته مصر بجولة السادات بين رومانيا وايران والمملكة العربية السعودية .

ونوعية الدول التى زارها الرئيس السادات تحدد مكانة مصر الدولية . وقبل ان اصل الى ايران اصنف لك هذه الدول .

● فرومانيا اشتراكية تحت مظلة وارسو ..

● وايران حرة تنتمى الى العالم الاسلامى والى صداقة مع أمريكا عميقة وممتدة .

● والسعودية عربية قفز دورها من المساندة الى المواجهة . الى البترول والرجال والسلاح في أى حرب قادمة ..

وان تكون مصر على علاقات هى اقصى المودة .. ومنتهى التفاهم مع كل هذه الدول .. على اختلاف مشاربها لهو انتصار اكيد لدبلوماسيتها التى تحركت بسرعة وحسم يتناسبان مع سرعة الاحداث الدولية من حولها وموقع الذى يختار بارادة حرة الى اين يمضى وهو يقف عند مفترق الطرق ..

● وايران بعد رومانيا ..

هنا لا تحس الغربة .. فالحرف العربى الذى تستخدمة اللغة الفارسية يعطيك شعور انك في بيتك ، صحيح ان الرطانة من حولك تكاد تعطى الحروف العربية مذاقا فرنسيا ، ولكن يبقى انك تسمع كلمات متناثرة عربية صميمة .. كأنها جسر مودة بينك وبين محدثك ! وشوارع طهران ومرور طهران .. يذكرانك بالقاهرة اذا ضربت ازمة مرورها في أثنين .. مرور القاهرة اعنى ..

والمرور بين القاهرة وطهران لا ينقطع ..

في الربيع الماضى كان ممدوح سالم رئيس الوزراء هناك ..

وفي أوائل أكتوبر ١٩٧٧ زارها حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ..

وهذه هى المرة الرابعة التى يذهب فيها السادات الى طهران ..

ومحادثات السادات والشاهنشاه رضا بهلوى تمت في جو من الود والتفاهم المتبادل . فمنذ زالت الجفوة . القديمة بين مصر وايران . والعلاقات بينهما .. سياسة واقتصادية .. تمضى الى خطوط صاعدة . كان على مائدة المفاوضات موضوع الساعة - قضية الشرق الاوسط - وما طرأ عليها منذ بدأت دورة الامم المتحدة رقم ٣٢ . بسخونتها .. ومنذ صدر البيان السوفييتى الامريكى .. او حتى البيان الامريكى الاسرائيلى وردود الفعل على الاول والثانى .. وكل هذه المناقشات والبيانات تريد أن تأخذ أطراف النزاع الى جنيف ..

واستراتيجية مصر واضحة .. وقد أصبحت محفوظة . كجدول الضرب ..

مصر تريد :

- ان ينعقد مؤتمر جنيف .
- وان ينعقد بسرعة .
- وان يناقش بموضوعية .. ويمضى الى الهدف منه . ولا يضيع وقته في الاجراءات .

ومصر فسرت هذا .. فقد قال الرئيس السادات .. ان مصر لن تذهب الى جنيف ما لم يكن هناك اتفاق كامل على مضمون الحل لان الاتفاق على اسس الحل ومضامينه سوف يزيل من المؤتمر كل العقبات المتعلقة بالاجراءات . والحل العادل لأزمة الشرق الاوسط يستند الى الانسحاب الكامل لحدود ماقبل حرب ٦٧ . واسترداد حقوق الفلسطينيين ..

ويمضى الرئيس السادات قائلا : « اذا تم الاتفاق على هذين المبدئين فان كل العقبات المتعلقة بالاجراءات تصبح بدون قيمة كبيرة لاننا

لا نريد ان نكرر تجربة مؤتمر نزع السلاح الذى استمر ٢٥ عاما » ٠

● على مائدة المباحثات هذا الموقف المبدئى لمصر .. ومصر في تحركها لهذا الهدف تضغط على اسرائيل بطريقين ..

طريق أمريكا .. والتعامل مع امريكا يجرى في قناتين ٠ قناة تتصل بها مباشرة .. واخر لقاء تم بين الرئيس كارتر واسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى لم يمض عليه شهر . وقد اعقبته الرسائل تطرح مصر وجهة نظرها متفقة مع الاستراتيجية العربية . مذكرة بالدور الذى يجب ان تقوم به أمريكا في الشرق الاوسط ..

● طريق أصدقاء أمريكا .. والشاهنشاه صديق لامريكا ٠ وهو صديق قوى . موقفه من أسعار البترول فيه صلابة . فهو القائل بأن دول الاوبك لم ترفع أسعار البترول طمعا أو جشعا . انما رفع اسعار البترول رد فعل طبيعى لما فعلته الدول الصناعية وهى ترفع أسعار ثلاثين سلعة صناعية ٠ بلومنتال .. وزير المالية الامريكى زار ايران قبل ان يذهب اليها السادات ضمن جولته = جولة بلومنتال ـ بين دول القوة في المنطقة مصر والسعودية وايران و « اسرائيل » وقد كان احد أهداف بلومنتال اقناع هذه الدول بان رفع سعر البترول في لقاء الاوبك في ديسمبر ١٩٧٧ .. في فنزويلا سوف يهز اقتصاد أوربا . واقتصاد أمريكا واقتصاد ...

وهو ما يشكل خطرا على دول النفط ذاتها . جاء بلومنتال ليشرح هذا ففى المنطقة ولكن المنطقة لم تعد تعطى ولا تأخذ انها تعلمت ان تتكلم بلغة المصلحة ٠

في حديث أسعار البترول اشياء كثيرة . منها ان دولا تطلب رفع سعر البترول الى ما يقل قليلا عن النصف . ومنها دول تطلب الربع . ودول تقف عند نسبة ٨٠ ٪ ٠

هذا ليس موضوعيا المباشر . ولكنه يرتبط بصميم موضوعنا ٠ فشاهنشاه ايران والبترول في يده يستطيع ان يقول كلمة لامريكا ٠ وهو

يطير الى أمريكا والمفروض ـ اذا لم يكن كارتر قد الغى جولته ـ ان يتوقف كارتر في ايران قبل الموعد المحدد لمؤتمر جنيف ٠

هذا هو اذن بيت القصيد في زيارة السادات لايران ..

وهناك بيت قصيد آخر .. إيران على علاقة باسرائيل ، علاقة ما ، تضاءلت حتى لم تعد شيئاً أمام علاقة إيران ومصر .. وإيران والعرب ، ولكن الجسر الباقي يعطى لايران أن تقول كلمة . وعلى هذا الجسر أنبوبة بترول تمتد من عبدان إلى إيلات . المعلقون الغربيون يقولون أن إيران تستطيع أن تضغط على إسرائيل بالبترول . والبعض يقول أن أمريكا يمكن أن تنسق مع إيران هذا الضغط على إسرائيل .. ما دامت أمريكا تصادف زوبعة كلما قال كارتر كلمة يفسرها اليهود على أنها لصالح العرب ..

سألت الشاهنشاه رضا بهلوى :

ـ ما الدور الذى تستطيع ايران القيام به لحل مشكلة الشرق الأوسط ؟

فقال :

ـ التركيز على أهمية السلام وضرورة التوصل إلى حل لمشكلة الشرق الأوسط بعد هذه السنوات الطويلة من العيش على حافة الحرب والسعى للتوصل إلى حل عادل وشامل .. ونستطيع أن نتكلم في هذا الإتجاه . ونستطيع أن نكون قوة مؤثرة .. ولنا دور بالنسبة للحل النهائى ..

إن الرئيس السادات إستعرض مع شاوشيسكو رومانيا إرتباط الأمن الأوربى ، بأمن الشرق الأوسط .. وفي سياسة إيران حلقات أمن متداخلة تمسك بعضها البعض .. فأمن منطقة الخليج يرتبط بأمن قناة السويس .. وأمن السويس يرتبط بأمن أوربا .. فإيران « طرف » في القضية .. فضلا عن تعاطفها مع الموقف العربى من خلال المؤتمر الإسلامي .. وهذا ينقل دورها من مجرد التوسط بكلمة طيبة إلى دور من

يدرك أن برميل البارود إذا أنفجر فسوف يصيبه أيضاً . أن الشاهنشاه وضع خطة إصلاح . والإصلاح لا يمضى إلا في مناخ الإستقرار . والحرب تنسف أى أستقرار .

محادثات الرئيس السادات والشاهنشاه ناجحة .. بدرجة ممتاز.

ومحادثات أخرى جرت بين الرئيس السادات والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قد إمتدت من حماقة الرفض رصاصة جندلت وزيره سيف بن غباش .. وتألم الرجل كبير القلب لهذا . ولكنه ما أرتد عن مواقفه العربية الواضحة . كان في زيارة رسمية لإيران . والتقى بالرئيس السادات الذى شرح له الموقف بكل أبعاده . وعندما خرج الشيخ زايد من اللقاء طلبنا إليه أن يتحدث فقال : « الرئيس السادات هو الذى يتولى بحث القضية العربية .. وهو الشخص الوحيد في الأمة العربية الذى يتحمل هذا العبء . ونحن نعتمد عليه . وعلى كل مواقفه سواء في العالم العربى أم العالم الخارجى » .

وقال السادات : قلت للشيخ زايد نريد أن نذهب إلى جنيف . لاننا أصحاب حق وإسرائيل تخاف ذلك . وقلت للشيخ زايد أن مؤتمر جنيف بدون تحضير يشكل خطورة . لا بد من التحضير له .. وبكل دقة .. ولا بد أن يقوم كل طرف من الأطراف بدوره خصوصاً الولايات المتحدة التى أطالبها بذلك في هذه المرحلة بالذات ..

● قول كهذا كان يقوله الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية في جحفل من رجال الأعمال الأمريكيين في سان فرانسيسكو . كان يقوله في وقت مقارن لتصريحات السادات في رومانيا وإيران . فالعرب عرب المساندة وعرب المواجهة يتحدثون لغة واحدة .. من منطلق تفاهم كامل بينهم.قال الأمير سعود . ان على أمريكا أن تلتزم بدور أكثر من دور الوسيط في الشرق الأوسط . فلامريكا علاقات وطيدة مع الطرفين والسؤال هو هل تعتبر أمريكا نفسها ملتزمة بإقرار حل دائم

في الشرق الأوسط ؟ أن الإستقرار العالمى غير ممكن دون الوصول إلى حل سياسى في الشرق الأوسط . والعرب لا يريدون الحرب ولهذا أبدوا صبراً كبيراً . وتصلب إسرائيل في هذه الفترة التاريخية يؤدى إلى حوادث لا يمكن السيطرة عليها .. ولا يريدها أحد »

وطار السادات من طهران إلى السعودية حيث أستقبله جلالة الملك خالد ، وسمو الأمير فهد ولى العهد ورئيس الوزراء .. قد قلت أن السعودية أنتقلت من المساندة إلى المواجهة . وهى أكبر نبع بترول في العالم ومن هذا تستمد قوة هائلة . من المعلقين الإقتصاديين من يضعها على قدم المساواة مع الدول الكبرى في الثراء . وسوف تحتل المقعد السادس في صندوق النقد الدولى .. بهذه الصفة ..

بلومنتال ذهب إليها ..

وسعود الفيصل كان هناك . وقد عاد إلى السعودية يوم وصول الرئيس السادات .

هكذا الموقف ساخن والأخبار طازجة ..

وفي وقت مقارون كان ثمة لقاء بين الرئيس حافظ الأسد وجلالة الملك حسين . وقيل أن الملك حسين سوف يطير إلى السعودية . وقد إستقبلته القاهرة هذا الأسبوع وتحدث إلى الرئيس السادات في موضوع الساعة .. وقضية المصير ..

وطرح الرئيس السادات إقتراحه بضرورة تحرك مجموعة عمل تضع ورقة مؤتمر جنيف . وقال البعض أنهم يرفضون مجموعة العمل لانها تستبعد الفلسطينيين ..

ولم يكن هذا وارداً .. فان تحميل الكلام فوق ما يطيق . في هذه الأونة يضر بالمصلحة العربية العليا ..

أقول :

- مجموعة العمل فكر مطروح من قبل .. طرحه الرئيس السادات

حين قام سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكى بزيارة للمنطقة ..

● مهمة مجموعة العمل تنسجم مع جدية ما تطالب به مصر وهو أن نذهب إلى جنيف لمناقشة الموضوعات ولا نتوه في الاجراءات . فما أقدر إسرائيل على المناورة في الشكليات تضييعاً للوقت . ولها من القدرة على المغالطة ولها من الصحافة العالمية التى تنشر مغالطاتها في ثوب حقائق . وتروج أدعاءاتها في صور مواقف سلمية .. ما يمكن أن يكسب لها تعاطفاً . مع اننا نجحنا في عزلها تماماً ..

تفادى الشكليات ضرورة لا نجاح جنيف .. ومجموعة العمل تذهب إلى الهدف مباشرة . وتعرف مربط الفرس ..

أقول لك مثلا :

ـ قد تطلب إسرائيل من البداية .. وقبل كل شيىء « الحدود الآمنة » فنقول نحن أن الحدود الآمنة لم ترد في قرارى الأمم المتحدة . لأن قرارى الأمم المتحدة ينصبان على الإنسحاب عن الأراضى المحتلة في حرب ١٩٦٧ . فتعلن إسرائيل أننا نتعنت .. وإننا لن نذهب إلى جنيف بنية السلام .. وأننا نضمر الحرب ..

وأقول مثلا :

ـ أن التعبير الذى يمكن أن نقبله هو تعبير تأمين .. وتأمين الحدود غير الحدود الآمنة . تأمين الحدود قد يرد في إتفاقية سلام بعد الإنسحاب المنصوص عليه .. وهكذا نرى أن هناك من المواقف ما يمكن أن ينسف مؤتمر جنيف . وهكذا يجب أن نذهب إلى جنيف . وأمامنا موضوعات ومسلمات . فمن يحدد الموضوعات .. ومن يقنع الأطراف بالمسلمات ..

مجموعة العمل فكرة طرحتها مصر تتطلب تواجداً قبل جنيف لفتح طريق سهل إلى جنيف . لضمان حد أدنى من النجاح لجنيف . لإبعاد جنيف عن الدخول في متاهات الشكليات والألفاظ المطاطة والمرنة . والتأويلات الخبيثة أو المائعة ..

ومصر وسوريا تتفقتان على الخطى الموحدة ..

مصر لا تطرح فكراً إلا بعد الاتفاق عليه مع سوريا ثم مع سائر الدول العربية في المواجهة ، والمساندة ، عبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا قال :

ـ أن الموقف السورى المصرى موحد في الإستراتيجية والتكنيك ، أن القاهرة ودمشق تدركان إدراكاً عميق أهمية إستمرار التلاحم المصيرى ليس فقط بين القطرين المصرى والسورى بل بين جميع الأقطار العربية ..

والرئيس السادات قال :

ـ لا خلاف بين مصر وسوريا ، ولن نبرم أى إتفاق منفرد مع إسرائيل ، أننا لن نحضر جنيف بدون تحضير حقيقى ، بمعنى أن تؤلف لجنة عمل تتولى إعداد رؤوس المقترحات التى سيجرى بحثها ، ويكون متفقاً عليها بين الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية ..

● وقد تكثفت الدبلوماسية العربية .. والتهب نشاطها بالحماسة منذ تحرك الرئيس السادات إلى روما نيا وإيران والسعودية .

والمطروح هو عقد مؤتمر قمة عربى شامل ..

هذا فكر تردد كثيراً ، وطرحته السعودية ، وكان في ملف المفاوضات المصرية الأردنية الأخيرة ..

والواقع أن مؤتمر وزراء الخارجية في تونس لا يصلح لطرح موضوعات يراد فيها الوصول إلى إتفاق ، لان الذى يحدث عادة أن تجد واحداً أو آخر يزايد ، والمزايدة أصبحت طبعاً عربياً بعد أن آذن بالافول عهد الخطابة العربية ، فإذا زايد .. وتشنج لا يصل المؤتمر إلى شىء ..

والواقع أيضاً لين القمة العربية حين تلتقى فان كل جليد يذوب ، وكل جسور مهتزة تتقوى ، تبدو ساعتئذ الاصالة العربية وتكون القرارات أكثر حزماً وحسماً .. تحت مظلة الاجتماع بعيداً عن مظلة المزايدة ..

● حسناً .. ماذا أذن ؟ .. ماذا بعد جولة السادات ؟ ماذا قبل جنيف ؟ ..

العجلة تدور بسرعة رهيبة . أوراق النتيجة تتناثر تحت أقدامنا كما أوراق الخريف الطائرة من فوق الشجر .. ديسمبر يقترب . والعالم يترقب نحن نريد جنيف لاننا نرفض تجميد الموقف، لاننا دمرنا في الماضى

بنصرنا الكبير نظرية الإسترخاء والثلاجة واللاسلم واللاحرب .. لا شىء يدعو العالم لاحترامنا قدر تضامننا الذى يشى بإعتمادنا على قوتنا الذاتية . المعزور عزراً ويزمان وزير دفاع إسرائيل يعيش في أحلام عام ١٩٦٧ ويقول « في حالة نشوب حرب جديدة بين العرب واسرائيل فاننا سوف نوجه ضربة إلى مصر وسوريا لن يستطيعا بعدها التفكير في الحرب لمدة عشرة أعوام » كان نظيره ديان يقول هذا عام ٦٧ وحساباته أن العرب مفككون .. كان من حقه أن يقول هذا ..

أما الآن فالصورة أخرى .. الصورة فيها كل سمات صور ١٩٧٣ ..

والمزايدون سوف تتحرق أيديهم بنار يلعبون بها في ساحات الكلام .. أو ساحات السلام .. لأنهم عندما يندلع لهيب المعركة يفرون تطبيقاً لقاعدة « الذين يتكلمون لا يقاتلون ! » .

المزايدون .. ليسوا عرباً ..

صدقونى !

---

١١ ـ الزلزال

أكثر اثارة من وصول الانسان الى القمر . اكثر أهمية من زيارة خروشوف لأمريكا عام ١٩٦٩ .. أعمق غورا من مفاجأة نيكسون بزيارة الصين الشعبية عام ١٩٧٢ ..

هذه هى رحلة الرئيس السادات الى القدس في أروع وأشجع مبادرة سلام عرفها التاريخ ..

وقد كنت محظوظا لأننى ظفرت بمقعد في طائرة الصحافة التى ذهبت الى القدس .. مساء السبت ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ . وسوف تبقى ساعاتى في القدس .. التى لم تبلغ الخمسين ساعة أعز ذكرياتى . لأنها سطور رحلة أضعها في مقدمة رحلات عمرى ..

قبل التاريخ ..

يوم الخميس ١٧ نوفمبر كنا في دمشق . يومان قبل التاريخ . ولكنا .. ماكنا نظن ان الأمر سوف يتم بهذه السرعة . فقد اعلن الرئيس

أنور السادات في مؤتمر صحفى .. في قصر الضيافة بدمشق أنه لم يتفق مع الرئيس « حافظ الأسد » بشأن الزيارة التى سيقوم بها الرئيس « السادات » للقدس . وكان رائعا وهو يقول « كثيرا ما اختلفنا في التكتيك ، ولكننا متفقان تماما على الاستراتيجية . ان مقررات الرباط هى رائدى .. ومن حق حافظ الأسد أن يقول لى لا » .

وحلق الرئيس « السادات » بطائرته في سماء دمشق .. وكان « حافظ الأسد » يقف في المطار وهو محتقن الوجه ، وحوله ثلة من أعضاء حزب البعث ، والمحظوظين العلويين . وقال « عبد الحليم خدام » « لحافظ الأسد » وهما يمضيان الى مبنى كبار الضيوف :

ـ نطلق عليه زهير محسن !

ـ يعنى .. نطلق « زهير محسن » على « السادات » ..

وتعرفون طبعا « زهير محسن » انه رئيس جناح البعثيين في المنظمة الفلسطينية ، والبديل الذى تعده سوريا ليحل محل « ياسر عرفات » ان تجاسر الأخير على رأى لا يتفق مع رأى السوريين !

وقالت لنا عبارة « الخدام » ان الأزمة بدأت !

وفي مؤتمر صحفى عقده « حافظ الأسد » قال : بل نحن أختلفنا في الاستراتيجية لأننى أعرف كيف أفرق بين التكتيك والاستراتيجية في مثل هذه الظروف .

ولكن .. هل هذا هو رأى الشعب السورى ؟ .

إهتممت كثيرا بالاستماع الى السوريين الذين أعرفهم .. والذين لا أعرفهم ، فقد كان أمامى أثنى عشر ساعة قبل ان أستقل الطائرة المصرية العائدة الى القاهرة لاستعد لرحلة القدس التى بات يقينا ان الذى يفصل بيننا وبينها أيام تحصى على أصابع يد واحدة ..

ووجدت الاجماع عند السوريين .. كان سؤالى :

ـ مارأيكم في رحلة السلام التى سيقوم بها الرئيس السادات الى القدس ؟

وكنت أسمع الدعاء تمتمة خافتة مشفوعة بنظرة مذعورة تتحاشى اذنا بعثية تسمع أو جهازا يسجل : كنت أسمع الدعاء :

ـ السادات .. الله يوفقه

وخلال هذا الاستفتاء الصادق سمعت فرقعة قنبلة يدوية ألقيت على السفارة المصرية في دمشق .. فقلت :

ـ هذا هو « زهير محسن » هذا هو البعث السورى ..

قلت هذا وأنا على يقين منه .. لأننى كنت أسمع على طول كل طريق . وفي كل لقاء . عبارة الدعاء باللهجة السورية « السادات .. الله معه .. الله يوفقه » .

وبعد ٤٨ ساعه من أحداث سوريا كنت أصعد سلم الطائرة المصرية بغير تذكرة سفر ! أعتدت في كل رحلاتى أن أحمل تذكرة الذهاب والعودة .. هذه المرة لا .. فليس بين القاهرة والقدس خط طيران . بينهما فقط هذا الجسر المؤقت الذى نمتطيه في أروع رحلات التاريخ ..

وأنتقل لكى مذكراتى :

من أقدس أرض .. من مدينة الأنبياء أكتب اليكم . ما كنت لا أصدق أننى واقف هنا في مطار اللد وحولى ثلاثة آلاف من الصحفيين . آذان العالم جاءت تلتقط النبأ الجليل . وعيون العالم تسجل . وأقمار صناعية تستقبل على سطحها السحرى وتعكس أخطر أحداث القرن على شاشات التلفزيون في القارات الخمس ..

وقبل أن أصل الى مطار اللد كنت أطل على قناة السويس التى تمرق فوقها طائرتنا . فتبلغ العين بور سعيد بعد دقائق من الاسماعيلية . ويلتحم البحر مع المدينة فتمضى الطائرة في مسار كان مغلقا على مدى ثلاثين عاما . البوصلة الى الشمال الشرقى . الشمس تسقط في البحر وقلبى يدق . وخاطرى يستعيد عشرات من منشتات حياتنا . حرب عام ١٩٤٨

يا مجاهد في سبيل الله .. خلى السيف يقول . حرب ١٩٥٦ والله زمان ياسلاحى . حرب ١٩٦٧ احلف بسماها وبترابها . وحرب الثأر وأنا على الربابه باغنى تحيا مصر . ورحلات سلام كثيرة في أمريكا .. الى لندن .. عبر باريس .. قلب بون ... حتى في الفاتيكان دولة الجيب كل الأبواب طرقناها من أجل السلام .. وقطعت تأملاتى أضواء لاحت في ظلام ما بعد المغيب .

هذه « تل أبيب » . مات حسى . لادهشة ولا فرح ولا حزن . عينى جامدة على المدينة التى تبدو كاللوحة المضيئة . يتضح عند الطرف منها ممر أرضى تحف به المصابيح .. لامسته الطائرة .. والوجوه من حولى واجمة . هل نصدق ؟ كأن الخبر بعد موضع تشكيك . نحن نصل الى مطار بن جوريون . عند اللد . قرب تل أبيب وعلى مسيرة ٦٠ كيلو مترا من مدينة المدائن التى قال عنها « السيد المسيح » في نوبة غضب « ياقاتلة الأنبياء . ياراجمة المرسلين » ..

وما ان فتح باب الطائرة حتى غرقنا في الأضواء . وكانت عدسات التلفزيون تئز من حولنا .. تصورنا .. تصورنا نحن .. نحن أول وفد صحفى يذهب الى هناك منذ ثلاثين عاما . ووضعوا الميكروفونات في أفواهنا .. وسددوا الينا عشرات الأسئلة . بالعربية بالانجليزية وبالفرنسية .. وأخذنا « جاد» مرافقنا الاسرائيلى الى منصة الصحافة المكتظة . وأفسح لنا مكانا والاعين تحيط بنا . كنا « فرجة » والابتسامات تحاصرنا . وعبارات « شالوم » و « أهلا وسهلا » تنهال علينا ..

وفجأة عزف النشيد المصرى .. وقال لى اسرائيلى أصله اسكندرانى :

ــ هذه تجربة للنشيد .. بروفة ..

واستطرد صحفى من عرب اسرائيل قائلا :

ـ جاء هذا النشيد مع الاعلام المصرية من الأمم المتحدة ·

وبدأ وصول حكام اسرائيل . ورجال الدين المسيحيين والدروز وحاخامات اليهود وناس كنا لانراهم الا في الصور ·· « رابين » · « ديان » · وأقبلت « جولدا مائير » ·· ثقيلة الخطى بالسنين وصدرها الى الأمام يدفعه ظهرها المحدوب . وتحس ان لهذه السيدة مقاما . ويقبل البروفسير « افرايم كاتريز » رئيس اسرائيل ومعه « مناحم بيجين » · رئيس الوزراء . ويمشيان على السجاد الأحمر الذى يمتد من منصة الصحافة الى سلم الطائرة ··

ويفتح باب الطائرة التى حطت على الأرض كرخ أسطورى ·· فيعلو التصفيق . ويدخل مدير البروتوكول ليفتح طريقا للرئيس « السادات » الذى لايكاد يهل حتى يتصاعد التصفيق جنونا ··

ومن كان يظن ؟ من كان يتصور ؟ في موقف كهذا لابد أن تقرص نفسك لتتأكد من أنك لاتحلم ·

في عدد خاص عن الزيارة التاريخية أصدرته صحيفة « الجيروزاليم بوست » جدولت الرحلة كالاتى :

● الأربعاء ٩ نوفمبر : أعلن الرئيس أنور السادات في مجلس الشعب المصرى « سوف يندهش الاسرائيليون لدى سماعهم ما سوف أقوله الآن : اننى على الاستعداد لأن أذهب اليهم في عقر دارهم ·· انا على استعداد لأن أذهب إلى الكنيست لأناقش السلام معهم .. ولأوفر كل قطرة من دماء أولادى في القوات المسلحة » ·

● الخميس ١٠ نوفمبر : في لقاء بين « مناحم بيجين » رئيس الوزراء و « صمويل لويس » سفير الولايات المتحدة الأمريكية اقترح « بيجين » ان يتابع ما أعلنه « السادات » ·

● الجمعة ١١ نوفمبر : وجه « مناحم بيجين » رسالة الى الشعب المصرى أكد فيها موافقته على ما أعلنه الرئيس « السادات » من رغبة في

زيارة اسرائيل .. وحث على ما يلى « ينبغى الا تندلع حروب جديدة . ينبغى الا يراق المزيد من الدم ينبغى أن تعيش المنطقة بغير تهديدات » .

● السبت ١٢ نوفمبر : أعلن الرئيس « السادات » لوفد الكونجرس الأمريكى أنه يعد لزيارة القدس . ولكنه بعد لم يتلق دعوة رسمية .

● الأحد ١٣ نوفمبر : طرح مناحم بيجين » على مجلس الوزراء نيته في توجيه دعوة رسمية « للرئيس السادات » واقترح أن يوجه الكنيست دعوة الى الرئيس « السادات » ليلقى في قاعته خطابا ..

● الإثنين ١٤ نوفمبر : جرت تدابير الزيارة بين « صمويل لويس » سفير أمريكا في اسرائيل « وهيرمان أيلتس » سفير أمريكا في مصر ..

● الثلاثاء ١٥ نوفمبر : أبلغ « مناحم بيجين » الكنيست الأسرائيلى أنه سلم الدعوة الى « لويس » .

● الأربعاء ١٦ نوفمبر : طار « السادات » الى دمشق . ليتشاور مع الرئيس السورى « حافظ الأسد » .

● الخميس ١٧ نوفمبر : أعنت القاهرة والقدس ان رحلة الرئيس « السادات » سوف تبدأ مساء السبت ١٩ نوفمبر .. بعد نهاية راحة السبت .

السبت ١٩ نوفمبر ..

كتبت مجلة التايم الأمريكية تقول :

ـ لم يكن الأمر ليبدو أقل احتمالا أو توقعا . فقد بدا كما لو أن رسولا من عند الله نزل الى أرض الميعاد على بساط سحرى . ففى الثامنة الا دقيقتين من مساء السبت وهو موعد اختير بعناية حتى لا يكون هناك انتهاك ليوم العطلة اليهودى . ووسط أضواء المصابيح الكاشفة . أخذت طائرة بوينج ٧٠٧ بيضاء مصرية تسير ببطء الى أن توقفت تماما على أرض مطار « بن جوريون » وانطلقت أبواق موسيقى الجيش

الاسرائيلى في تحية ترحيب . وبينما أخذ آلاف الاسرائيليين يلوحون بالأعلام المصرية التى اشتروها حديثا . خرج من الطائرة « أنور السادات » الذى وصل الى اسرائيل في المهمة المقدسة وهى التحدث عن السلام الى شعب اسرائيل مباشرة .. ولدى نزول « السادات » على سلم الطائرة ـ السلم تابع لشركة العال ـ حياة بحرارة الرئيس « افرايم كاتزيز » و « مناحم بيجين » رئيس الوزراء . وقال « السادات » ـ شكرا ـ وهو يصافحهما .. ورد « بيجين » « العفو .. شكرا لك لقدومك لزيارتنا » ..

لم يسبق أن شهد الشرق الأوسط لحظة كهذه .. فهذه أول زيارة يقوم بها رئيس عربى للدولة اليهودية . ولم يكد الاسرائيليون يصدقون ما يرونه . فقد كانت مصر خصما عنيدا لاسرائيل خلال أربع حروب بين العرب واسرائيل .. راح ضحيتها آلاف من الجانبين . ولكن هاهو « السادات » يقف صامتا ثابتا بينما عزفت فرقة الموسيقى العسكرية كلا من السلام الوطنى المصرى والسلام الاسرائيلى المعروف باسم « الهاتيكفاه » .. وفي خلفية المشهد كانت المدفعية الاسرائيلية تطلق ٢١ طلقة تحية « للسادات » .. وكان « السادات » هادئا وواثقا بنفسه بينما هو يصافح حشدا هائلا مذهلا من كبار الشخصيات الاسرائيلية . وبدأ السادات مهتما اهتماما خاصا بلقاء « جولدا مائير » « وقال لها » سيدتى .. لقد انتظرت فترة طويلة لأراك .. وأرتسمت على وجهه ابتسامة عريضة حين قدم اليه السيد « موشى ديان » وزير الخارجية .. وكان مهتما اهتماما خاصا بلقاء « اريل شارون » .. وزير الزراعة الذى تولى قيادة القوات الاسرائيلية في سيناء اثناء حرب ١٩٧٣ . وقال « السادات » لشارون : « كنت أنوى أن أمسك بك هناك عبر القناة » ثم صافحه ...

وبعد هذا ركب « السادات » سيارة لا ينفذ منها الرصاص اقلته الى

مدينة القدس وقد نزل في فندق « الملك داود » الذى كانت منطقة « ارجون » السرية بزعامة « بيجين » قد فجرت فيه قنبلة عام ١٩٤٦ في نطاق حملتها لطرد البريطانيين من فلسطين ..

• • •

كان العالم كله يرى هذا المشهد ..

فهذا اللقاء في وقت يفتح فيه الطريق الى جنيف .. ولكن عشرات من صخور الاصطدام تتبعثر فوقه : والقوتان الكبيرتان تصدران بيانا مشتركا . ولكن البيان يكاد لايبين لان اسرائيل تثبت في طريقه لغما . والبيان الأمريكى الاسرائيلى تذروه ريح الرفض العربية لان البيان يرضى اسرائيل على حساب العرب .. والسؤال الحائر هو : هل يمثل الفلسطينيون في جنيف ؟ ومن يمثلهم ؟.. فتعمد اسرائيل إلى دورها التقليدى في التسويف ولاتقترب وجهات النظر . والايام تمضى والموعد الذى حددته القوتان العظيمتان المسئولتان عن جنيف يوشك . وليس من بادرة توحى بأن الموائد سوف تصطف والمؤتمر سوف ينعقد ..

والفكر العربى التقليدى يرد على الحجة الاسرائيلية بحجة مثلها . فتدخل الحجج غرفة العمليات الامريكية . وتتسلل الى غرفة العمليات السوفيتية . وبينما يكاد اليهود يستردون قوة الضغط على « كارتر » مما يوحى بخراب جنيف يبادر « السادات » الى عبارته التى قالها في بلدة سينايا الجبلية في رومانيا « انا لاتهمنى الاجراءات الى جنيف . انا يهمنى الموضوع .. الموضوع عندى هو دولة فلسطين وتحرير الارض المحتلة »

والاحداث تمضى سراعا . لاأحد يستطيع أن يتكهن بشىء . قد قال الرئيس « السادات » في مجلس الشعب . على مسمع من « ياسر عرفات » : اننى مستعد أن أذهب الى أقصى مكان في الأرض لكى أطرح

القضية . اننى مستعد أن أذهب الى الكنيست. ولكن أحدا لم يأخذ هذا القول مأخذ الجد الصحيح . حتى أن « مورد خاى جور » رئيس الأركان الأسرائيلى قال « ان ما يقوله السادات خدعة » وقد لامه « عزرا وايزمان » وزير الدفاع الاسرائيلى لأنه تورط في هذا القول ..

« السادات » في مطار بن جوريون . افرك عينيك واصغ السمع تماما . ان الذى يفعله « السادات » مفاجأة . ثورة في الفكر السياسى . تحطيم لكل العبارات التقليدية التى وضعت القضية في ثلاجة . بعد النكسة أعطينا الاتحاد السوفييتى حق الكلام بأسمنا . عيناه وصيا علينا . فذهب الى اجتماعات الأربعة الكبار الضامنين للوجود الاسرائيلى ليناقش تنفيذا القرار ٢٤٢ . وأمضى الاتحاد السوفييتى ثلاثة أعوام ولم يحقق خطوة واحدة . كما لم تحقق خطوة واحدة كل جهود الأمم المتحدة . الخطوة الوحيدة كانت من فكر السادات . فكر الحرب . في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ كانت . ولأنه يفكر في الحرب من أجل السلام عاد الى نغمة السلام . عاد اليها وأعنف معارك الدبابات في التاريخ تدور رحاها فوق سيناء . والدنيا كلها تصفق لمن عبر المستحيل . وحطم بارليف عندئذ وبهامة في السحاب وقف في مجلس الشعب المصرى ـ يوم ١٦ اكتوبر ـ وأعلن مبادرة السلام .

قبل هذا .. وبعد هذا ماتردد مرة في ان يعلن مبادرات السلام . وحين جاءت الايام الحاسمة وعام ١٩٧٧ يلملم أطرافه ويمضى . والتسويف والخلاف حول الاجراءات ينذران بأن العام سوف يمضى دون جنيف قال « السادات » كلمة في مجلس الشعب .. سأذهب الى الكنيست ..

وأجمعت صحافة العالم على أن « السادات » سبق فكر معاصريه . سبق زمانه . والذين يعرفون « السادات » ثائرا يصفون قراره الأخير بأنه واحد من قرارات خطيرة ثورية اتخذها . من القضاء على مراكز القوى .

الى طرد خبراء الاتحاد السوفييتى الى الذهاب الى القدس ..

صحفى أمريكى قال لى .. و « السادات » يقف على سلم الطائرة في مطار بن جوريون . والأضواء تغمره :

ـ المجىء الى القدس أخطر من الذهاب الى المعركة .

قلت :

ـ لماذا ؟

فقال :

ـ لأنه حين ذهب الى المعركة كان كل العرب من حوله . أما وهو يجىء الى هنا فانهم أنقسموا بين معارض ومتحفظ ..

قلت :

ـ الثائر لايبالى الفكر التقليدى .. الثوار يصنعون التاريخ .. الجبناء يتفرجون أو يقذفون الطوب .. والتاريخ ينساهم ..

● ● ●

يقول « آفى جيل » مندوب مجلة الجويش أوبزيرفر البريطانية :

« كان الفرح طاغيا . وقد نقل الصحفيون جميعا كل حركة للسادات . ولم يتوقف راديو اسرائيل في تغطية للزيارة عن اذاعة أغانى السلام . قد عامل السادات كما لو كان في زيارة رسمية . وربما يكون امراً لم يسبق له مثيل أن يقوم رئيس دولة بزيارة رسمية لدولة ماتزال بلاده من الناحية القانونية في حرب معها » .

وكتب يعقوب خزمه رئيس تحرير جريدة القدس في وصف اللحظات الأولى يقول :

« كم عين دمعت · دمعت فرحا وهى تشاهد الزعيمين الكبيرين « الرئيس السادات » والسيد « مناحم بيجين » وهما يتصافحان ؟ الوف . مئات الالوف . ملايين .. عشرات الملايين .. كم ام اسرائيلية . وام مصرية وأم سورية وأردنية وفلسطينية ابتهلت الى العلى القدير أن يجعل تصافح الزعيمين الكبيرين فاتحة خير · بدء عهد جديد يحل فيه أطراف النزاع نزاعهم . حتى يحل السلام ..سلام عادل شامل . في هذه الربوع التى أرتوت أرضها بدماء أبنائها . بدماء اسرائيلية وعربية حتى ملت

حتى ملت هذه الدماء · وكم من فم يبتهل الى الله ان يسير الزعيمان الكبيران على هدى قوله تعالى :

[« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها . وتوكل على الله » ...

والدنيا كلها ترى ، وتتابع خطى السادات على أرض اسرائيل ، وتتساءل :

ـ أى حسابات اجراها هذا الشجاع قبل ان يمضى الى عرين الاعداء ؟

ولاشك أن « السادات » حقق أول الحسابات في المطار . بمجرد وصوله · بمجرد خطواته على الأرض التى كانت دائما وراء الاسلاك الشائكة · ان اسرائيل تقول دائما عن طريق اجهزة اعلامها القوية ان العرب لايريدون السلام . انها صورتهم على مدى ثلاثين عاما قتله . مصاصى دماء . لايضمرون الا الشر . بينما تسربلت اسرائيل ثوب السلام . وزرعت لنفسها اجنحة الملائكة تحمل أغصان الزيتون ..

« السادات » برحلته الى اسرائيل قال للعالم كله . بما لايدع مجالا للشك ان العرب طلاب سلام يقوم على الحق والعدل . « السادات » بذهابه الى أعدائه في أراضيهم . في خندقهم أسقط امضى أسلحة اسرائيل في الحرب النفسية .. هذه نتيجة محققة . هذه نقطة كسب .. حتى قبل أن تبدأ المباراه ..

رتل السيارات انطلق الى القدس . اجراءات الأمن مشددة . ولكن الشعب الأسرائيلى كان يعبر عن فرحته . فعلى طول الطريق من المطار الى القدس كانت تجمعات الرجال والنساء والاطفال . تلوح بالأعلام المصرية والاسرائيلية . تهتف لبطل السلام القادم من أجل حقن دماء الأجيال . سكان المستعمرات .. سكان القرى القديمة . ابناء جيل الصابرا . الجيل الناقم على الحروب لأنه يدفع ثمنها من دمائه كل من أكتووا بحرب ١٩٧٣ خرجوا يحيون بطل السلام ..

وزير الخارجية بالنيابة .. الدكتور بطرس غالى قال لى :

ـ خطبة الرئيس السادات حققت أكبر كسب في تاريخ القضية لصالح العرب . ان اسرائيل لن تستطيع مغالطة العالم بعد هذه الليلة .. ليلة السبت ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ .

وتتعالى الموسيقى من فرقة راقصة أمام فندق « الملك داود » . كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة .. ومع ذلك فقد كان الصغار يرقصون في الحلبة مع الكبار ..

وقبل أن أصعد الى الغرفة ٣٦٧ في فندق « الملك داوود » االخذنى « جاد » الأسرائيلى من يدى لانتقى من مطبوعات اعدتها وزارة الاعلام الاسرائيلية . وقلبت في كتاب للأطفال ورحت أقرأ :

في الحلم ياأماه
رأيت ملاكا أبيض
يحطم البنادق ..
يحرقها كلها فتصير رمادا
في الحلم ياأماه
رأيت الملاك
ينثر الرمــاد
فيتحول الى حمائم بيضاء

في قبـة السماء
في الحلم يأماه
رأيته يمسك محمود وموشى
فيرغمهما على التصالح ثم العناق
في الحلم يأماه
سمعته ينشـد
هيا يا أبناء سام
ننشد أحلى أناشيد السلام
فغدا سيأتى رسول السلام

والمؤلف هو الصبى « غصوب سرحان » .. سنه ١٤ سنه من كفاريافا العربيه . والكتاب نشرته شركة النشر الأمريكية الأسرائيلية . وهو يوزع فيما توزعه اسرائيل من كتب للسائحين .

• • •

لا .. لم انم .. شريط أحداث ثلاثين عاما في خاطرى . قد زرت القدس العربية لآخر مرة في ١٥ مايو ١٩٦٤ لأغطى المؤتمر الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية كانت أيام المخاض للمنظمة عظيمة رغم انها معقدة . ورائعة رغم أن التكتلات بدأت منذ الفجر منذرة بالانقسام . قمت من فراشى وأطللت على القدس من شرفتى . أبراج الكنائس تعانق مآذن المساجد في صمت ودعه . وتجولت عينى في شوارع أعرفها .. ثم سارت في دروب المدينة القديمة . وأصدقاء افتقدهم يقيمون في طوابق فوق الحوانيت التى تبيع زيت القناديل وشموع الكنائس .. كيف حالهم ؟ ماذا فعل بهم الزمان والاحتلال وقطيعة الأهل ؟ ..

في الفجر ذهبنا الى المسجد الأقصى . كان يوم عيد الأضحى الذى

يوافق ذكرى رضوخ سيدنا ابراهيم « لأمر الله وإستعداده للتضحية بولده ..
ابراهيم » .. أبو الأديان .. أبو اليهود والمسيحيين والمسلمين . كان أهل الضفة الغربية هناك جاءوا يصلون العيد مع الرئيس « السادات » في ثالث الحرمين .. هذا بناه « عبد الملك بن مروان » .. ورأى على تعاقب العصور عزا ما بعده عز . وفي عام ١٩٦٩ نشب فيه حريق . شبان من اسرائيل . أحرقوا المنبر وامتدت النار فصهرت الكاشان والفسيفساء حول المنبر حائطا وسقفا . يومها تنادى العالم الاسلامى .. واستقبلت الرباط في سبتمبر عام ١٩٦٩ وفود العالم الاسلامى .. وكان « السادات » نائبا لرئيس الجمهورية 9 المقرئون في المسجد على منصة عالية فوق رؤس المصلين . يتلون التكبيرات على الطريقة الفلسطينية . والشيخ « مصطفى

اسماعيل » قد جاء بصوته الرخيم . في الأعين سحابات دموع . وفي القلوب خشوع . يدخل السادات فتلتهف الاكف بالتصفيق . ويهتف الفلسطينيون الذين تجمعوا في أطراف الشوارع التى يسدها الجنود الاسرائيليون بالاجساد والبنادق . ضرورة أمن . فالرافضون هددوه بالقتل . ولكن هاهم أهل فلسطين الذين يعيشون في الاحتلال . في القهر يصفقون له .

ترى من يعبر عن هذه القضية ؟ الرافض المقيم في فندق أنيق بعيد لاتطوله بندقية أم هذا الذى يعيش أمام الفوهة القاتلة . يعلو الهتاف لبطل السلام . السلام انشودة كل الناس الامن يتاجرون بالحروب . الشيوعيون ظلوا على الصمت أياما حتى لمح الاتحاد السوفييتى الى أنه لايرحب بالخطوة الشجاعة . فهاجموا الخطوة الشجاعة . جاء الصوت من السيد الأحمر . فلبوا صوت سيدهم . من العرب من يعتقدون أن خطوة « السادات » ماسة بهم وبكبريائهم . أو بعزة أموالهم وأرصدتهم . ينسون أن من يملك الرجال أغنى لأن الدم أغلى من البترول على حد قول الرجل العاقل الشيخ « زايد بن سلطان » . الخطوة مفاجأة .. ولكنها

عند « السادات » حسابات دقيقة . الا يتعلمون من حرب اكتوبر انه رائع في حساباته ؟ ينسون ان من يقاتل من حقه أن يبادر . ومن يحمل المدفع ويضرب يستطيع أن يحمل غصن الزيتون ويبشر . وان من ثأر لكرامته يستطيع أن يمد اليد القوية للسلام · لأن السلام هو المناخ الذى تتقدم فيه الشعوب خاصة اذا كانت قد بذلت أقصى البذل عبر ثلاثين عاما . خاصة اذا كانت تحملت المن والعايرة وهى تتلقى الفتات . خاصة اذا كان الكل من حولها يثرى من الحرب وهى وحدها تدفع للحربْ . وتخسر مالا ورجالا حتى في النصر ..

« السادات » في المسجد الأقصى .. بين « السادات » وهذا المسجد وشيجه .. قد تأمل ما فيه من آثار دمار ووعد بأن تصلح مصر هذا · وتحدث الى « عثمان أحمد عثمان » ليتولى الاصلاح ..

كانت صلاة العيد في المسجد الأقصى دفقة مشاعر ذات طابع خاص . والابتهالات تصعد من الصدور وأبواب السماء مفتوحة . وفي الأعين ندى الدموع يتحول الى قطرات تسقط على اللحى الورعة · والمذيع « نور الدين الدرينى » شاعر .. وهذه فرصته ..

يقول في شعره :

عيد به السـادات جـاء مبشرا	للسلم يرفع رايـة بصـلاته
في المســجد الأقصى يقيم دعاءه	كى يشـهد الله على نيـاته

ثم يقــول :

للسلم ان جنحوا هموا فاجنح لها	وتوكلن عليـه في خطـواته
إنا مع السـادات نهتف عاليـا	للسـلم للاخـلاص في حلبـاته

• • •

والى كنيسة القيامة ..

اليوم أحد . والبخور فوق جمر الفحم في مباخر الكنائس .. والرائحة الزكية تعبق سماء المدينة التى مشى المسيح على أرضها . والمسيرة الى كنيسة القيامة تحف بها القلوب . الفلسطينيات ينظرن من النوافذ يدعين له بالنصر والسلام . والراهبات من دير الناصرى رشئنه بالماء المقدس من صلاة الأحد . ونوافذ اخرى ترشه بالملح .. مبارك الاتى باسم السلام .. اجراس الكنائس تدق . وفي كل شارع مسدود بأجساد الجنود يقف الفلسطينيون من كل الأعمار يهتفون لبطل السلام ..

وفي كنيسة القيامة أقداس المسيحية .. الجلجثة وموقع الصليب . القبر وقناديله والقيامة موزعة بين الكنائس . للأقباط الأرثوذكس كنيسة . طولها متران ونصف وعرضها متران . قداس الأحد صلاة من أحل خطوة القادم من أرض السلام التى باركها السيد المسيح .. الشمامسة المصريون يرتلون تراتيلهم وفي أيديهم الشموع . ويقبل « السادات » ويجلس على مقعد أمام حجاب الهيكل . ويلقى نيافة الانبا « باسيليوس » مطران القدس كلمته « يسعدنى كل السعادة بالنيابة عن الشعب المصرى في هذه المنطقة المسلمين قبل المسيحيين . وبالنيابة عن الشعب القبطى في المدينة المقدسة أن ارحب بكم في أقدس مكان لدى المسيحيين . ولعل من يمن الطالع ان تجىء زيارتكم بالسلام في هذا اليوم الذى يحتفل فيه العالم الاسلامى بعيد الأضحى . فتصلون مع الشعب الفلسطينى في المسجد الأقصى أولى القبلتين . وثالث الحرمين الشريفين . وهو من أقدس الأماكن الأسلامية على ظهر البسيطة . فاهلا بكم في مدينة السلام يارجل السلام . لقد ازلت حاجز الخوف وهدمت حائط العداوة . وهدمت سياج البغضاء . ومهدت طريق السلام . ونحن الذين ندرك مدى ماتتحمله من اجل السلام نشعر بقيمة الزيارة التاريخية . لقد سار قبلك السيد المسيح له المجد .. جاء وديعا متواضعا مسالما . لم يحمل سيفا

ولامدفعا . نستقبلك اليوم لا كرئيس لجمهوريتنا بل كفاتح عظيم ليس بالقنبلة ولا السيف بل بالحق والسلام وهما قوة عظيمة . ولا يمكن أن يتطلع واحد الى قوة السلام والحق الا ويقول :

يافاتح القدس خل السيف ناحية
ليس الصليب حديدا كان بل خشبا
اذا رأيت الى أين أنتهت يده
أو كيف سلطانه قد جاوز القطبا
أيقنت أن وراء الضعف مقدرة
وان للحق لا للقوة الغلبا

وتحدث الانبا « باسيليوس » عن قضية دير السلطان . وكيف انها اغتصبت في الوقت الذى كان المسيحيون فيه يؤدون صلاة العيد .. وكيف ان المحكمة العليا في اسرائيل أصدرت حكما بردها .. ولكن الحكم لم ينفذ ..

• • •

والموكب يمشى تحف به القلوب . كل أب . كل ام يريدان لولدهما الحياه .. خرجا يصفقان لبطل السلام . كل فلسطينى تشرد أو تعذب ويريد السلام في أرضه . ويريد حقه ويسترد مصيره يخرج يصفق . لو سمع المتشنجون هذا كله لترددوا في مواصلة طريق التجنى على مصر . تجار الحروب يرتجفون من السلام . أصحاب المصالح في بقاء مصر في حالة حرب . وفي بقاء العرب في حالة توتر . في استنزاف الخزائن باسم القضية . في المزايدة بها في المتاجرة في طرحها للبورصة عبر الميكروفونات لايرضون بالسلام .. فالسلام يقض مجاضعهم والسلام ينهى دورهم .. بماذا يزايدون بعد اليوم ..

زار « السادات » مع مضيفه « يادفاشيم » وهو النصب التذكارى الذى أقامته اسرائيل لذكرى ستة ملايين يهودى كانوا ضحايا أفران هتلر . كما وضع باقة من الزهور على النصب التذكارى لقبر الجندى المجهول الذى يقع أمام مبنى الكنيست . وحضر « السادات » غذاء عمل شاركه فيه « بيجين » و « ديان » وبدا لكل المراسلين وهم بالآلاف .. ان العلاقات بين « السادات » ومضيفيه كانت تسير بصورة طيبة فعقب أول حديث خاص بينهما صرح « بيجين » بقوله :

ـ لقد ساد الود بيننا .

• • •

وكانت اللحظة التاريخية حين لامست عقارب الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد ٢٠ نوفمبر فقد اعتلى « السادات » منصة الكنيست ليلقى بالعربية خطابا استغرق ٥٧ دقيقة حققت للسادات أكبر انتصار يحققه رئيس دولة . وكان العالم كله يسمعه . رؤساء الدول . قادة الجيوش . الشعوب في مختلف الأوطان . فعلى شاشات التلفزيون في كل القارات كانت صورته وهو يتلو خطابه ويقول بالاصرار « جئت بقدمين ثابتتين وارادة واعية ابلغكم رسالة السلام » .. ويختتم خطابه بقوله : « اللهم أنى قد بلغت فأشهد » . ثم ينفى كل دعاوى البطلان التى تغذيها الأحقاد ضده فيقول : « لم أحضر لصلح منفرد أو لسلام جزئى » . ويعرض « السادات » مشروع سلام من خمس نقاط هى :

ـ انهاء الاحتلال .

ـ اقامة الدولة الفلسطينية .

ـ حق الجميع في حدوده الآمنه .

ـ علاقات ينظمها ميثاق الأمم المتحده .

ـ انهاء حالة الحرب ..

لا لم يفرط في شبر .. لا لم يتهاون في معنى · مقررات الرباط في خطابه اتضحت كاجلى ماتكون · قد سمعها الشعب الاسرائيلى في المقام الاول لان هذا الشعب مؤثر في الانتخابات .. قال لى صحفى اسرائيلى : « اعتقد ان هذا الشعب فتح قلبة لما يقوله « السادات » ولا يستطيع الزعماء ان يمشوا بعيدا عن الشعب » ·

وقال « السادات » انه بزيارته لاسرائيل . قد حطم جميع التقاليد المعروفة عن العلاقات بين الدول المتحاربة وكان صوتة يعلو في موقف الاصرار . وكان حانيا وهو يتحدث عن السلام وكان متأنيا وهو يلخص القضية السلام رهن بالانسحاب . والقدس عربية . والدولة الفلسطينية . وكان حكيما وهو يقول للاسرائيليين « علموا ابناءكم ان مافات هو نهاية المعاناة . وان ماسيأتى هو حياة جديدة » وقال « ليس من العدل ان تطلبوا لانفسكم ماتنكرونة على الاخرين . وحتى الويات المتحدة اول واهم حليف لكم قد اختارت ان تواجة الحقيقة » ..

شاء الرافضون ام رفضوا .. هذا هو محامى العرب الذى يقول كلمة تصل الى القلوب حتى لو كانت قلوب اعدائه . ينبغى ان يطبع كتابه ويدرس ليس للتلاميذ بل لبعض الساسة . وقد كانت التعليقات على خطابه بحجم روعة الخطاب ذاته ..

وتحدث « بيجين » .. كان قد اعد خطابه ولكنة فوجىء بخطاب « السادات » والكنيست يصفق له . فاذا به يكتب نقاطا في ورقة امامه . ويقوم ليخطب ارتجالا . وكانه يفند خطاب « لسادات » ولكنه وهو يفعل لم يقدم للسلام بقدر مبادرة السلام « السادات » .. لف ودار .. وتحدث في مزايا الحوار . وقال ان كل شىء قابل للتفاوض .. واعلن ان بلادة مفتوحه امام جميع مواطنى مصر دون اية شروط وقال انه يأمل هو الاخر في زيارة القاهرة .. ودعا كلا من سوريا ولبنان والاردن الى ان يأتوا .. ويتحدثوا في القدس .. ثم قال : « اننى لاتطلع الى اليوم الذى

يتمكن فيه الجانبان من تبادل السفراء » ..

وقال ايضا : « ستكون بيننا خلافات .. وسوف نناقشها معا كدول متحضرة » .. في « موقعة » الكنيست كسب « السادات » الجولة ..

وكان « بيريز » زعيم المعارضة اكثر اعتدالا من « مناحم بيجين » وهمس في اذنى صحفى أمريكى قائلا :

ـ يستطيع بيريز بهذا الاعتدال ان يكسب أصوات الناخبين في اى انتخابات قادمة . ولقاء « الكنيست » يعتبر من أهم اللقاءات السياسية في التاريخ المعاصر . فهو مواجهة بين « عدوين » في حالة حرب .. يقدم عليها بطل تحرر من عقدة المهزوم أراد ان يزيل من نفس عدوه عقدة الكراهية المسيطرة عليه . وعقدة الخوف التى تسيطر على حياته .. وقد استطاع في جلسة ان يحطم هذا الجدار .. ويعبر فوقة . هذا هو عبورة الثانى . تقول اسرائيل دائما انها تريد المفاوضات المباشرة . وتستبعد ان يقبل عربى واحد . هذا لان العرب دعاة حرب . حسنا . ذهب « السادات » واحبط الفرية القديمة والحجة التقليدية . اسرائيل تقول « العرب لا يتصوروننا . العرب ينضحون كراهية تصنع بحرا حولنا » حسنا ذهب « السادات » ومد جسرا فوق بحر الكراهية . لو تجاوبوا . لو أستجابوا لتقوى الجسر وتغير مذاق البحر ..

وليس في العالم العربى من يجازف هذه المجازفة ..

قد قلت ان « السادات » اقبل على ما يمكن ان يدمر مستقبله . وخطا الى ما يمكن ان ينهى حياته . ومضى الى ما يمكن ان يبدد كل امجاده . ولا يقدم على هذا الا ثائر بالميلاد . ثائر بالطبع . في منعطفات التاريخ هؤلاء قلة . الذين يسعون الى المغامرة . ويتحدثون عن لغة جديدة . كالمخترعين حين يتهمون بالزندقة . او الجنون اذا قالوا ان « الارض كروية » او انها ذات جاذبية . او ان وراء الافق البعيد مجرات ونجوما . كانوا يحاربونهم . وتمضى الايام او الاعوام ليصبح هؤلاء هم

الخالدون ..

بهذه اللغة الجديدة . لغة الثورة عند السياسى مع ان السياسى في طبعه أن يضع الاعصاب في ثلاجة . بهذه المفردات الجديدة في الفكر السياسى ذهب « السادات » الى خندق الاعداء . وخطب في قاعة الشعب الاسرائيلى . وحذر وانذر .. ومد يدا رائعة للسلام ..

ان لقاء « السادات » و « وبيجين » اهم لقاء من نوعه منذ ابرام الصلح بين النبى « محمد » صلى الله علية وسلم وبين يهود المدينة منذ ١٣٥٥ سنة . أما اليهود المتدينون فقد رأوا بشيرا بلقاء « السادات » وبيجين في آيات التوراة التى تليت في صلوات السبت يوم الزيارة . وهذه الا يات تصف المصالحة بين « يعقوب » واخيه « اسحق » ومن اهم اجزاء هذه الفقرة من التوراة « ما رفع « يعقوب » عينية ونظر فرأى « اسحق » قادما .. وجرى « اسحق » للقائه . واحتضنه وقبله ثم بكيا » ..

● ● ●

الذى يقال على المنابر ليس هو كل ما يقال ..

ففى الطابق السادس من فندق « الملك داوود » « كان الرئيس » « السادات » في جناحه . وكان « مناحم بيجين » يختلف اليه ومعه « موشى ديان » وفي صالونات الفندق العريق كانت التكهنات حول ما يدور وراء الجدران كثيرة . مسئول أمريكى قال :

ـ لايمكن ان يعود السادات وهو فارغ اليدين .

ثم قال :

ـ ان السادات بخطوتة هذه يعطى لكارتر اكبر ورقة واكبر دفعة . اذا قال اليهود الامريكيون لكارتر بعد اليوم « كيف تقف محايدا . تساند السادات والعرب فانه سيقول لهم لان السادات قدم الدليل على نية السلام وما تفعله اسرائيل لا يقدم هذا الدليل » .

والمباحثات بين « بيجين » والسادات مستمرة ٠ الموضوعات المطروحة شبه معروفة جنيف وكيف السبيل اليها ؟ وكيف يمكن الاعداد لها ٠ ولم يكن الحديث يشمل الموضوع بتفاصيله ٠ هى عموميات ·· رءوس موضوعات والتفاصيل موضوعها جنيف بحضور بقية الاطراف مصر لم تذهب للتفاوض بل ذهبت لتذيب الجليد وتفتح الطريق عبر سور الخوف ٠ ان مؤتمر جنيف كان يمكن ان يتاجل بالاشهر ٠ ولكن زيارة « السادات » للقدس ثبتت الحصان في العربة . وبدأت الرحلة ٠ كان في نية اسرائيل ان تراوغ الى عام ١٩٧٨ وفي هذا العام تجرى أمريكا انتخابات تكميلية . وفي هذه الانتخابات تستطيع اسرائيل ان تلوى ذراع امريكا ٠ وحتى لو لوى « كارتر » ذراعها فانها تعد العدة لاصطدام يعطل المؤتمر فاذا جاء عام ١٩٧٩ فان « كارتر » سوف يبدأ الاستعداد لانتخابات عام ١٩٨٠ في حلقة مفرغة يمكن ان تدور القضية ٠ ما لا نهاية يجيء تسويف ويعقبة تسويف اخر ٠ خطوة « السادات » قطعت الطريق على هذا كله ٠

• • •

صباح الاثنين ٢١ نوفمبر ·· كانت مقابلة « السادات » مع وفد الضفة الغربية وغزة مقابلة اشقاء وعناق . وفد الضفة الغربية من اسماء تعرفها قبل الاحتلال ·· انا شخصيا اعرف « حكمت المصرى » ·· زرته في نابلس عام ١٩٦٣ ودخلت بيته و « أنور الخطيب » عمدة القدس السابق كان سفيرا للاردن في القاهرة ·· وهو صديق حميم ·· و « الياس فريج » ·· عمدة بيت لحم التقيت به بسرعة وانا ازور كنيسة المهد واتجول في حقل الرعاة ٠ هؤلاء الرجال صمدوا في الضفة الغربية ·· يقول لى « حكمت المصرى » :

ـ لولا صمودنا ·· لولا بقاؤ نا في مواقعنا رغم القهر والاحتلال لصفيت القضية ·· لما أصبحت للشعب هنا قضية ٠

وقال عن مشاعره عندما سمع عن زيارة « السادات » :

- قلنا هذه هى شجاعة المواجهة ۰ لو اتيح للشعب الفلسطينى ان يعبر عن رأيه لرأيت مئات الالوف ترحب به ·· اننا وافقنا على اجراءات الامن لان حياة السادات تهمنا حتى يكمل مسيرة السلام بالشروط التى اعلنها . والتى اعتقد أنه عبر بها عن كل فلسطينى في كل مكان ··

وقال « الياس فريج » عمدة بيت لحم :

- اننى ورشاد الشوا عمدة غزة السابق تلقينا تهديدا بالقتل من بعض المتطرفين أن نحن التقينا بالسادات ·· اننى منذ الوهلة الاولى رحبت بخطوة السادات وقلت هذا في محطة التليفزيون الامريكية . وفي راديو اسرائيل ۰ ان من حقنا ان نقول رأينا لاننا الذين نعانى الاحتلال هنا ۰ ونعيش المأساة الحقيقية ۰

وقال « أنور الخطيب » عمدة القدس السابق :

- خطوة السادات نفت كل ما كان يقال عن وحشية العرب ۰ ها هو الشعب الاسرائيلى قد رأى زعيما حضاريا يدخل القلب حتى وهو يتحدث ضد اطماعهم ۰ وقد سألونى امس عن رأيى في خطابى « السادات » و « بيجين » فقلت ان خطاب « السادات » جيد ·· وخطاب بيجين ردىء ··

وسألت « نور الخطيب » :

- ولكن الحملة شديدة على مصر ·· فما رأيك ؟

قال :

- رأيى ان مصر تقدم التضحيات ولا تتخلف عن واجب قومى ۰ رأيى ان مصر لم تحصد الفلسطنيين بالرشاشات ولم تحجر عليهم في المعسكرات ۰ اما وصف الخيانة الذى يصفون به السادات فدلنى على رئيس عربى واحد لم يلصقوها به

وقال « نعيم عبد الهادى » وهو وزير سابق :

ـ لقد كشف خطاب « السادات » كل شيء . ونحن نوافق على كل ما جاء فيه . اما الذين يرفضونه فهؤلاء هم الشيوعيون والمرتزقة . وهؤلاء ترفضهم كتلة الشعب الفلسطينى لان الشعب الفلسطينى يريد السلام بعد الاهوال . وخطاب السادات لم يفرط في حق للشعب الفلسطينى .. ولم يفرط في شبر من الارض العربية ..

وقد وجه « السادات » دعوة لرجال الضفة الغربية وغزة ليزوروا وطنهم الثانى : م

• • •

وذهب « السادات » بعد ذلك .. الى « مبنى الكنيست » ليلتقى بالاحزاب المختلفة .. فهدف « السادات » من الرحلة هو ان يصل الصوت العربى الى رجل الشارع الاسرائيلى عبر قنواته التشريعية .. ومن فوق منصتة البرلمانية ..

كتبت صحيفة يديعوت احرونوت الاسرائيلية أدق وصف لهذه الجلسة التاريخية : « وصل الرئيس محييا ومبتسما . وقف الحاضرون جميعا يصفقون له تصفيقا متواصلا . وقد بدأ العضو « حاييم كورفو » ـ من الليكود ـ القاء كلمة قائلا : « لقد قمت بخطوة تحول شجاعة .. فلا احد غير العرب واسرائيل يستطيع ان يوقف الحرب التى قاتلنا فيها عدة مرات . وقال العضو « يورم اريدرو » : لقد اتخذت خطوة جرئية وتحدثت عن السلام . وهو يجب ان يقوم على الحق والامن . والحق يقوم على دعوة الشعب اليهودى لارضه وقال العضو « بنيامين هالاوى » سيدى الرئيس سر في شوارع القدس وانظر حولك كم يحبونك . لقد صدقت في قولك ان ٧٠ ٪ من أسباب الحرب هى ظروف نفسية .. ان مبادرتك السياسية تلقى كل ترحيب منا . اما العضو « جاولا كوهين » فقد قالت : « ما اذهلنا حقا هو ان تتم زيارتك وقت تولى « بيجين » للحكم . الا تعتقد ياسيدى ان اقامة دولة فلسطينية تكون بمثابة قاعدة

روسية مما يعرض ليس فقط أمن اسرائيل وحدها للخطر .. بل أمن مصر ايضا ؟ ..

وقبل ان يجتمع الرئيس السادات باعضاء الائتلاف الحكومى التقى العميد « عساف ياجورى » الذى كان اسيرا اسرائيليا كبيرا في حرب عيد الغفران ، وقال له يا جورى » : اننى احييك لمقدمك لاسرائيل وقد علت وجه السادات ابتسامة فقال « ليا جورى » لقد رأيتك على شاشة التليفزيون المصرى وفي صحفنا . فرد عليه « ياجورى » قائلا : اننى آمل ان اكون لواء سلام .. وليس لواء مدرعات .. وقال حزفيال فلومين نائب وزير الخزانة : اننى اقترح ان ننظم فيما بيننا اتصالات حول العلاقات الاقتصادية . وزيارات السياح المتبادلة . وكذلك اقامة استثمار لصالح كلا البلدين .. تبادل تجارى .. واخيرا الاستغلال المشترك للطاقة .

وقد سأله العضو « موسى شايبر » قائلا : لماذا لم تأت إلينا منذ ثلاثين عاماً ، كم كنا سنوفر من تضحيات ؟ .

وقال العضو « يهودا بن مائير » اننا نطلب تدخل الله الذى نؤمن به في عملية السلام . لقد اختارك الرب كقائد شجاع مقدام . واننا لانبغض شيئا كبغضنا لسفك الدماء والحرب . وقال العضو « شلما لورانس » لقد اعطاك الله الحكمة والشجاعة لعمل السلام . فاذا استطعت تحقيقه فسوف تصبح أكبر القادة في عصرنا هذا ، وسيظلون يذكرونك كمنقذ للعالم من التدمير والخراب » ..

وتحدث الرئيس « السادات » بالانجليزية فقال انه درس كل كلمة قيلت وأضاف قائلا :

ـ « ان هدفى الاساسى من حضورى الى هنا كان الجلوس معكم . والتحدث بحرية حول كل الموضوعات المتعلقة بيننا . لقد سمعت كل ما قلتوه ولكنى لا اتفق في الرأى مع العديد من الكلمات .. ولكنها الديمقراطية . لقد كنت اود ان اقضى معكم ٢٤ ساعة متواصلة ولكن

الوقت محدود · واخشى الا يتسنى لنا تحقيق هدفنا وهو انهاء حالة الحرب · وازالة الحاجز الاكبر الذى يفصل بيننا وهو الاساس لكل هذه المحادثات ·· وهو وضع الثقة فيما بيننا · ففى الماضى لم نكن نوافق على وجودكم · وقد جئت اليكم لاقول اننا موافقون فلا معنى لان نناقش حول التاريخ . وعلينا ان نركز حول الموضوعات الاساسية ومنها أمن اسرائيل . ونحن نوافق على كل خطوة ووسيلة تحقق لكم هذا الأمن · وحرب اكتوبر يجب ان تكون الحرب الاخيرة بيننا » ··

وأستطرد السادات قائلا :

ـ « عليكم اتخاذ قرارات صعبة جدا تتركز حول الامن ويترتب عليها عدم اللجوء للحرب . حقا انها قرارات صعبة · ولكن عليكم اتخاذها ليس فقط من اجل هذا الجيل . وانما من اجل الاجيال القادمة ·· علينا ان نهدى لكل شاب وفتاة امكانية قيام اسرة تعيش في سلام ·· اننى اقول لكم انه لم يحدث في التاريخ مثلما حدث الان · من أن دولتين في حالة حرب وأرض تحتلونها ·· واتى اليكم لنتحدث وأسمع آراءكم ·· انكم تواجهون قرارات صعبة · وكذلك نحن · هيا نقرر معا ان ذلك هو الاسلوب الصحيح لحل مشاكل منطقتنا ·· اننى واثق من ان بركة الله ستحل على كل واحد وكل واحدة منا » ·

وتستطرد الصحيفة قائلة :

وقد تأثر الاعضاء وصفقوا بحماس . وقدم العضو « شموئيل فلاتو شارون » ميدالية ذهب تحمل شعار مدينة تل ابيب وقال له : لقد تحدثت عن القدس فقط ·· ومن الواجب ان نذكر المدينة العربية الاولى · وكذلك قدم العضوان « امنون روسنشتين » و « مردخاى الجرفلى » من داش عروسة كبيرة « للسادات » وقال « هذه للمولودة » قالها الجريفلى بالعربية الركيكة . كنت اود ان أقدمها لحفيدتك شخصيا » فرد عليه السادات قائلا : أهلا وسهلا ··

وقابل الرئيس اشخاصا آخرين .. وقال له العضو « مائر فلتر » اننا نؤيد خطواتك ومجيئك للكنيست وبعدها الذهاب لجنيف لتوقيع معاهدة انهاء الحرب . ويجب على اسرائيل الانسحاب من المناطق والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وقد خاب أمل الكثيرين من خطبة « مناحم بيجين » ولشديد الاسف فقد رفض اقتراح السلام الذى أحضرته معك » ..

ورد السادات قائلا : « لقد التقيت باعضاء ليكود والان التقى بكم كمعارضة .. وقد اوضح كل واحد منا وجهة نظره في حرية واضحة اننى أقدر بصفة خاصة موقفكم حيث طلبتم تأييد خطابى في الكنيست . وقد جئت لازيل الحاجز النفسى الذى يشكل ٧٠ ٪ من المشكلة . واننى اعتقد أن في استطاعتنا ازالة هذا الحاجز » .

وخرج بعد هذا الحوار ممثلو « داش » ـ ودخل الى القاعة ممثلو كتلة « بشالى » وقال « الياف ليوفا » اننا اعضاء حزب صهيون نؤيد اعادة المناطق والاعتراف بحقوق الفلسطينيين . ولقد دفعت ثمن آرائى هذه فقد كنت سكرتيرا عاما للحزب الحاكم وتركت عملى بسبب وجهات نظرى . لقد حاولنا ان نلتقى بالزعماء العرب في باريس . وعلى أن اقول انك رجل شجاع . وليس بين الفلسطينيين من هم في شجاعتك .. وربما يتغير موقف اسرائيل من الان » ..

أما ممثلو « المعراخ » فقد كانوا في انتظار « السادات » .. وقد حيا « شيمون بيريز » رئيس المعراخ « السادات » وقال له :

ـ هذا يوم عظيم لنا ..

وعلى يمين « السادات » جلست « جولدا مائير » وكان « السادات » يتبادل معها الابتسامات . وقد قامت « جولدا مائير » قائلة :

منذ مجيئك الى هنا والجميع كبارا وصغارا دون استثناء يحبونك . لقد سألتك منذ سنوات متى يحل السلام . وقد قلت انت اننى اعرف هذا

اليوم . والان بدا واضحا انه زعيم عظيم لدولة عظيمة هذا الذى يقوم بتلك الزيارة . انك رجل تمتلك الشجاعة والقرار . فقد جئت من أجلنا ومن أجلكم . ومن اجل أولادنا وشيوخنا . وحتى تكون حرب ٧٣ هى الاخيرة . اننا نريد السلام . لقد سمعنا كلمتك ونعرف انك تريد السلام . وعندما كنت في الحكم كنت أتمنى أن التقى بزعيم عربى لاتحدث اليه وجها لوجه .. فالطريق للسلام صعب .. ولكنه ليس أصعب من الحرب . اننى لم أعد أريد سفك الدماء .. صدقنى عاد الجيش الاسرائيلى بعد حرب ١٩٦٧ . مكتئبا لانه أضطر لاطلاق الرصاص .. فلم يكن جنودنا يريدون الحرب . اننا نريد حدودا يستطيع بها كل اسرائيلى الدفاع عن نفسه . اننا نتأثر لحزن الاخرين . ولم نقل ابدا ليظل الفلسطينيون في مخيماتهم وفي حزنهم .. ولكن المساواة الاقليمية يجب الا تكون على حسابنا . اننا نعرف أن هناك فلسطينيين . ونعتقد ان الحل الامثل بالنسبة لهم ليس اقامة دولة صغيرة بيننا وبين الاردن . وفي معاهدة السلام التى ستوقع مع الاردن يجب ان نحل هذه المشكلة .

وأضافت « جولدا مائير » قائلة :

ـ هيا نأمل .. انه حتى سيدة عجوز مثلى تستحق اليوم الذى نصل فيه للسلام .

وقال « ايجال آلون » للسادات :

ـ يجب على العالم العربى ان يسلم بوجود اسرائيل . واننا لمعجبون بأسلوبك .

وقال « اسحق رابين » :

ـ لقد ازلت الحاجز الذى يفصل بين بلدينا . لقد كنت رئيس الاركان في حرب ١٩٦٧ واننى لادعو الا نرجع للحرب مرة اخرى . فالكل ينتظر الحل عن طريق المفاوضات . واننى اعتقد انك أتممت خطوة عظيمة اوجدت بها احتمالا طيبا للسلام ..

والتفت « السادات » « لجولدا مائير » وقال :

ـ اننى أشكرك لمجيئك لتكريمى . ان عملية السلام التى بدأت بعد حرب أكتوبر كانت على يديك منذ أن وقعنا إتفاق الفصل الأول للقوات . ومن المحتمل أن نتفق على مسألة الحدود ، كما يحتمل أن نتفق على المسألة الفلسطينية ، ولكن عن طريق زيارتى لكم بدأنا نحل المشكلة بالطريقة الصحيحة ، وبعد كل ذلك حين نذهب لجنيف ونجلس معا فلن يكون هناك حاجز بين دولتينا . وأريد أن أقول لكم انه علينا أن نتفق على مسألتين : إنهاء الحرب ، وعملية السلام . لقد تأثر قلبى برؤية أولادكم وهم يستقبلوننى ، ودعونا نأمل أن نصفى كل ما بيننا من أحقاد ، وان نعيش من الآن على أساس الأمن وليس الحرب ..

وصفق الحاضرون « للسادات » إعجاباً وتأثراً ..

• • •

وإلتقى « السادات » و « بيجين » بعد ذلك بالعالم كله .

كان العالم يسأل بالسنة آلوف الصحفيين .. وكان العالم يسمع أجابات « السادات » و « بيجين » على شاشات التليفزيون لان القمر الصناعى كرس كل نشاطه لالتقاط كل أحداث اليومين التاريخيين ..

وقد شاهدت عشرات المؤتمرات ، في عشرات الازمات ، ولكنى لم أشهد البتة مؤتمرا بهذا الحجم ولا بهذه السخونة . وفي المؤتمر أسئلة عاقلة وأسئلة مجنونة .. أكثر الاسئلة جنونا كانت لصحفى من الحزب الدينى قال عن سعة الارض العربية فلماذا لا تستوعب الفلسطينين ؟ والسؤال مطروح من زمن ، والجواب معروف لخصه « السادات » في كلمتين « ارضنا مقدسة » وصفق الصحفيون ..

هى المرة الوحيدة التى صفقوا فيها

« وبيجين » ذكى . عجوز ذكى . اجاباته تلتف في الضباب .. وظله خفيف . ولا تفوته أبدا . لا تفوته أبدا تحية « السادات » الذى خطا

خطوة السلام .. أقول ان الدعاية التى كسبتها القضية من هذا اللقاء بملايين الجنيهات . فبوضوح شديد .. ومن موقع المسالم الكبير القلب شرح « السادات » في الكنيسيت وفي المؤتمر الصحفى قضايا العرب . وبأصرار كامل ولكن برغبة صادقة في السلام حدد معالم الطريق .. وأشهد الدنيا ..

وزار الرئيس بعد المؤتمر بيت « افرليم كاتزير » رئيس اسرائيل « فالسادات » يعتمد في دبلوماسيته على الاقتراب الشخصى . راجع كل جولاته .. تجده قد خرج من كل جولة بصديق . أو أصدقاء .. للمضى على طريق السلام يجب ان يعرف الناس بعضهم البعض ..

وحصيلة ال ٤٥ ساعة التى قضاها « السادات » في القدس حصيلة رائعة ..

● فقد عرف العالم اننا دعاة سلام . وسقطت اكبر الاتهامات التى احاطت بالعرب بواسطة اجهزة الاعلام الصهيونية . ولم يعد العربى ذاك القبيح .. أصبح انسانا حضاريا يعزف لحن السلام ..

● ارتفع « السادات » فوق الغضب لما جرى من بعض العرب . وعبر عن قضايا العروبة وفقا لمقررات الرباط تعبيرا يدخل التاريخ . وكسب للقضية كل من سمعوا مرافعة بطل اكتوبر ومحامى العرب ..

● في ٤٥ ساعة حقق دعاية للقضية ما كانت لتخظى بها خلال ٤٥ شهرا .. وسوف تبقى صورته على شاشات التليفزيون طويلا . وسوف تبقى أصداء عباراته في الاسماع كثيرا . ان خطوة « السادات » ابرك من كل الاعلام منذ بدأ .

● قوى « السادات » بموقفه مواقف من ينتصرون له . شد هامة أصدقائه في انحاء العالم . وكون رأيا عالميا يمكن ان يحكم على كل الحكام ويدفعهم دفعا الى مناصرة العرب ..

• فتح الطريق الى جنيف . ازاح صخور الارتطام . اخرج الموقف من التجمد بحرارة الخطاب .. وحرارة الاستقبال . وحرارة انفاس العالم وهى تلهث في ملاحقته في رحلة الحمامة وغصن الزيتون ..

• حرر الشعب الاسرائيلى من خوفه التقليدى من المصريين . هو خوف قديم .. قديم وقد تجدد في عام ٧٣ . ولا بد ان يتحرر هذا الشعب من الخوف حتى يسلم بشروط « السادات » للسلام . وكسب « السادات » أنصارا من المعتدلين في اسرائيل . اضافهم الى ذوى العدل والاعتدال القدامى . فزادت مساحة من يقولون لا للمستوطنات الجديدة . ولا لعرقلة جنيف ..

• أودع في قلب كل أب .. وكل أم املا فقد انطلقت من احاديثه ريح السلام . ليس في اسرائيل ولا في مصر . وحدهما بل في كل مكان على امتداد الارض .. هل يمكن ان تنشب حرب لا تمتد نارها وتحرق الدنيا ..

• وبالسادات . نرفع رءوسنا . وبخطواته نمضى الى عزة جديدة .. ان هذا هو دورنا .. بعضه قدر علينا .

• • •

وبينما كانت اذاعة الرافضين المرفوضين او الاقزام المجانين . او الموتورين المسعورين تصف الرحلة بانها خيانة تاريخية . كانت طائرة « السادات » تهبط في مطار القاهرة . وخمسة ملايين من شعب مصر تتكدس في الشوارع تهتف لبطل السلام العائد بأكليل الغار . وتقدم له بيعة جديدة تفوقت في حجمها وحرارتها على كل بيعة خطا بها في مصر زعيم .. وقلما يحظى بنظيرها زعيم في العالم كله .. ان شعب مصر بكل طبقاته وراء السادات .. وراء السلام . فوراء السادات كرامة وكبرياء ووراء السلام عزة ورخاء ..

١٢ ـ يا هؤلاء .. هذه حسابات جديدة

● اهتز البروفيسور جان دورميسون سعادة بمبادرة السادات الرائعة ..
بزيارته للقدس وتحطيم الحاجز النفسى بين العرب واسرائيل ..
والبروفيسور جان دورميسون عضو الاكاديمية الفرنسية .. يحمل لقب
« الخالد » فكتب في صحيفة الفيجارو يقول :

ـ من المثير للانتباه بشكل كبير ان التاريخ يعهد ـ فيما يبدو منذ
فترة بعيدة ـ الى رجال يبدون أقل استعدادا من غيرهم بمهمة قيادة
بلدانهم نحو الحرية والسلام . ان الجنرال ديجول هو الذى وضع حدا
لحرب الجزائر ولم يضعها الاشتراكيون الفرنسيون ، والملك خوان كارلوس
خليفة فرانكو هو الذى قضى على الديكتاتورية في أسبانيا ولم يقض
عليها الجمهوريون ، والرئيس كارامانليس طرد الكولونيلات من اليونان
ولم يطردهم اليسار المتطرف ـ ان الذين ينتظر منهم ـ لانهم وعدوا بان
يوفروا الخبز والسلام والحرية يشيعون البؤس والكذب والعبودية ..

بينما الاخرون هم الذين يحاولون في كافة انحاء العالم العمل على توليد وازدهار السلام والحرية في ظل رفاهية تعم الجميع » ..

ويمضى البروفيسور الخالد في مقاله قائلا : « ولذلك فمما لا شك فيه ان جميع الذين يضايقهم السلام .. وكل من تمنعهم الحرية من النوم . سوف يشنون هجوما عاتيا ضد اللقاء التاريخى الحاسم بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط ، وربما للعالم كله ، وسيطعن رسل الحقد والكراهية في رجال السلام .. ولكنهم لن ينجحوا الا في شىء واحد هو انهم سيكشفون عن وجههم الحقيقى وعن تطلعاتهم الفعلية . وسواء نجح الرئيس السادات ام فشل ، فان الرئيس المصرى قد قدم لذويه وللاخرين ولخصومه وانصاره على حد سواء نموذج الرجل الشجاع الذى يذهب في شجاعته الى حد الجرأة المذهلة ، نموذج الرجل الذى حاول - وربما لاول مرة في التاريخ - ان يجسد وهو في قمة السلطة ذاتها تلك المهمة البالغة الصعوبة والامال العميقة للافراد والجماهير التى تتطلع الى السلام والكرامة . وسواء نجح الرئيس السادات ام فشل فانه لابد أن يحصل عن جدارة على جائزة نوبل للسلام عن العام القادم . فهو يستحقها اكثر من الجميع .. فلتبارك ياألهى الرجال الذين أثبتوا الشجاعة .. ولتبارك رجال السلام » ..

وانا أهدى بعض عبارات البروفيسور العظيم الى المؤتمر السوفييتى المنعقد في طرابلس أو بغداد .. اهدى عبارات :

« مما لا شك فيه ان جميع الذين يضايقهم السلام ، وكل من تمنعهم الحرية من النوم سوف يشنون هجوما عاتيا ضد اللقاء التاريخى الحاسم .. بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط .. وسيطعن رسل الحقد والكراهية في رجال السلام .. ولكنهم لن ينجحوا الا في شىء واحد هو انهم سيكشفون عن وجههم الحقيقى وعن تطلعاتهم الفعلية ..

وانا قلت ان مؤتمر طرابلس .. او بغداد .. فالسباق بين العاصمتين شديد على زعامة على مصر مؤتمر سوفييتى ، ودليلى على هذا هو :

١ ـ ان رئيس الجزائر ذهب الى موسكو عندما سمع بمبادرة السادات وانزلق منها الى عواصم الرفض . وأرسل بعد ذلك وفوده الى الدول العربية لتأليبها على مصر ..

٢ ـ ان فاروق قدومى زار موسكو للتشاور ، وتبعه عبد الحليم خدام .. الا ليت موسكو تمحو ما بين الاثنين من دم في لبنان !

٣ ـ القذافي قائد ثكنة السوفييت العسكرية في ليبيا تحرك الى الهجوم على مصر شفاء لغليل قديم ، باعثا امنية نيرونية في رؤية مصر تحترق ، وفي هذا السبيل أرسل جلاده الى بعض الدول العربية وفي يده ـ كما حدث في الماضى ـ شيكات بملايين الدولارات !

فمن اذن في خندق الرفض ؟ .. اتباع السوفييت .. بتنظيم سوفييتى .. وقد شاهدنا تنظيما من هذا النوع أشرف عليه كوسيجين وهو يتجول بين هذه الدول منذ عامين ولكن كوسيجين لم يتجول هذه المرة .. فقد سعى اليه رسل الحقد والكراهية ليتلقوا منه وهو نائم في قصر قيصرى أو في « داتشا » بورجوازية في قلب دولته الشيوعية » .

ونحن نعرف ان الموقف بين السوفييت ومصر لا يحتاج الى تفسير . ان السوفييت يناصبون مصر العداء منذ عهد عبد الناصر ، او ليسوا هم الذين أو هموه ان حشود اسرائيل تحدق بسوريا فهاج وماج وهدد في مؤتمره الصحفى المشهور واغلق خليج العقبة فشنت اسرائيل حرب ٦٧ .. وقد سبق الهجوم الاسرائيلى طرقات زائر الفجر السوفييتى على دار عبد الناصر لمنعه من القيام بالضربة الاولى . أوليسوا الذين منعوا عنه السلاح حتى أورثوه الغضب فقبل مبادرة روجرز بأيعاز منهم وعلى موائد الكرملين ، ثم أوغروا صدور العرب ضده .. حتى يسقط فتقفز الى الحكم مراكز القوى التى تدين لهم .. وتنقلب مصر شيوعية ؟ ثم تدخل القدر فغير المخطط السوفييتى . اذ اختطف الموت عبد الناصر وجاء السادات ليقضى على مراكز القوى ، ويطرد الخبراء السوفييت ، ويشن حرب الثأر

والكرامة في أكتوبر ·· ويكشف اوراق السوفييت للعالم فيعتبرون ما فعله بهم اكبر صفعة تلقتها · « النظرية الشيوعية » التى اختلفت بمرور ٦٠ عاما على مولدها كسلطة حاكمة في روسيا ·

لاشفاء لحقد السوفييت ·· فماذا يفعلون ·· يحاولون حصار مصر بهذه الجبهة التى تتجمع كلما أشار الدب الروسى لها ، وقد كانت زيارة الرئيس السادات للقدس فرصة ليتحرك السوفييت ·· ولكى يتحرك كل الحاقدين على مصر ··

ان « الذين يضايقهم السلام » هم السوفييت ، انه سيقفل امامهم اسواق الشرق الاوسط فلا يبيعون سلاحا بعد اليوم ، واذا كانوا يعانون من الانهيار الزراعى ، واذا كان اقتصادهم يتعثر في ذيل اقتصاديات الغرب حتى انهم يمدون الايدى طالبين العون التكنولوجى والمادى من دول الغرب ليتطوروا ·· فلابد أن يصيبهم الجنون اذا تصوروا سوق السلاح مغلقة الابواب ·· والرزق من تجارة الموت قد أنقطع الى الابد ··

فهل بين المجتمعين في القمة العربية السوفيتية من يذكر هذه الحقائق .. وهل بين المجتمعين من يقف ويقول :

ـ نقطة نظام ··

فيسألونه :

ـ ما هى ؟

فيجيب :

ـ تعالوا نقرأ ما كتبه مجلس الشعب المصرى ـ المنتخب انتخابا حرا شهد عتاة المعارضين للسادات انه كان أنظف انتخاب أجرى في مصر منذ عشرات السنين ـ ثم يستطرد « قالت اللجنة المكلفة بمناقشة خطاب الرئيس السادات الذى ألقاه امام مجلس الشعب بعد زيارته للقدس ·· قالت اللجنة في آخر فقرات تقرير لها » تلاحظ اللجنة ان ما يبدو على السطح مما قد يسميه البعض تصدعا للتضامن العربى هو اثر مباشر لعدم

امكانية بعض القيادات والتنظيمات السياسية الخروج من القوالب الجامدة والارتفاع الى مستوى التغييرات الجديدة والتحدث بلغة العصر ٠ وقد مرت العلاقات المصرية بمثلها خلال محادثات يارنج التى لم يكتب لها النجاح ٠ وحينما قبلت مصر مبادرة روجرز تجددت على نطاق اوسع خلال محادثات فض الاشتباك الاول حتى ان سوريا قد تخلفت عن الانتفاع به ثم عادت وحقق لها استرداد مدينة القنيطرة التى كانت قد فقدتها ، وقد صاحبه صخب شديد خلال محادثات فض الاشتباك الثانى رغم انها استمرت شهورا في وضح النهار ورغم أنه كان من الممكن ان يتحقق اجراء مماثل على الجبهة السورية بنفس القدر ، وتلاحظ اللجنة انه بعد هذا الصخب الذى استمر اكثر من عام وانساقت اليه منظمة التحرير الفلسطينية فقد عادت هذه الاصوات وسلمت بدور مصر التاريخى ، واعلنت ايمانها بانه لا سلام بغير مصر ·· ولا حرب بدونها ،

أقول :

- هل من شجاع يتذكر مواقف السوفييت ؟ وهل من شجاع يتلو رأى مجلس الشعب المصرى في أول جلسة تعقد بين قمة الرفض السوفييتية ؟ ٠

بل اتساءل :

- هل من شجاع يذكر هؤلاء بان حسابات جديدة قد أطلت برأسها في المنطقة ٠ والتعامى عنها لا يلغيها ٠ ونكرانها لا يجدى منكريها ؟!

هذه الحسابات الجديدة في المنطقة تتمثل في :

١ - ان الشعب المصرى عن بكرة ابيه يؤيد السادات في خطوته المقدسة على الارض المقدسة تأييدا كاملا ٠ ومن مؤشرات التأييد هذا الاستقبال الجنونى الذى أستقبل به وهو عائد من رحلته ، والدعاء من اعماق القلوب ان يتم الله النصر له فيما انتوى من سلام ٠ السادات حديث كل بيت ، ومبادرته امتصت أى غضب في الداخل من سلعة

تختفى او ازمة في التاكسى او خلل في التليفون .. هذه سفاسف امام قضية مصير الشعب . وهذا الشعب المصرى العظيم الذى اعطى وما بخل ، وبذل وما ضن ، وقدم الشهداء وما تردد ، وجاع وما شكا ، واخذ الفتات من المتنفعين بحرب اكتوبر وما قدمته للبترول من أطنان الدولارات فامتن رغم المن .. واعترف بالجميل رغم المعايرة .. هذا الشعب الذى ظلموه كثيرا ، وأباح أى جلف .. أى صعلوك لنفسه ان يصمه بالفقر والارتزاق والفول المدمس ، هذا الشعب الذى هتف للسلام اراد أن يقول « انما للصبر حدود » انه يعرف أن السلام هو طريقه الوحيد للرخاء بعد ان اخذ القروض من بعض البلاد العربية بأضعاف الفوائد التى تتقاضاها البنوك الاجنبية ، وبعد ان رفضت اموال اخرى عربية ان تجىء اليه الا وهى تحمل جوازا امريكيا او قبعة اوربية ..

الشعب المصرى هو كتلة الحرب .. هو جيش الحرب الرئيسى .. والشعب المصرى من موقع المنتصر الذى ثار لكرامته في عام ١٩٧٣ يريد السلام .. يريده هو واثق بنفسه . يريده وهو مرفوع الهامة مشرع الرأس الى السماء .. فاذا أراد شعب مصر السلام فعلى القادة العرب ان يسمعوا صوت شعب مصر . وليسمعوا ما قاله السادات معبرا عن شعب مصر ..

وليكفوا عن اتهامات الخيانة لان ملفات الخيانة لمن يرددون هذا الاتهام زاخرة .. ملفات خيانة من يريدون الحرب حتى آخر جندى مصرى ، واخر ثمرة قطن مصرية ، واخر زهرة في ارض مصرية .. ولكن هذا ليس وقت فتح الملفات .

ان مصر التى تمضى الى السلام مع اسرائيل تتصور السلام بل تحتمه مسيرة عربية كاملة ، ولا يعقل ان نفتح الملفات لنشوه اخوة المسيرة .. او رفاق المسيرة اذا حلت لهم كلمة « رفاق » ..

وهناك من الاذاعات المسعورة من حاول أن يصور خلافا بين السادات وشعبه .. وانا اذكر هذه الاذاعات ومستشاريها الشيوعيين .. ومذيعيها

ومنهم من هم مجرمون طبقا لبنود قانون الجنايات المصرى · اذكرهم بأن شعب مصر وقف بكل طوائفه .. بكل اعماره .. بكل آماله خلف السادات وهو يتخذ القرارات التاريخية المصيرية الشجاعة التى تضفى عليه صفة الثائر الدائم لا السياسى المحترف ، وتعطيه دائما فضل من يقدم بالايمان ما يراه صوابا ولا يتردد لانه يخشى على مقعده ..

- وقف الشعب المصرى يهتف للسادات وهو يخلصه من مراكز القوى ..

- ووقف شعب مصر يهتف للسادات وهو يخلصه من الاحتلال السوفييتى المقنع على شكل خبراء !

- ووقف شعب مصر يهتف للسادات وهو يعلن قرار الحرب ويخوض بقيادته معركة من أروع معارك التاريخ تدرس الآن بفنونها وجسارتها في كل المعاهد العسكرية في العالم ·

- ووقف شعب مصر يهتف للسادات وهو يعطى الحرية ، ويثبت دعائم الديمقراطية ، ويفتح ابواب المعتقلات ، ويرد للانسان انسانيته وللمواطن كرامته ..

وكان السادات يقدم على المبادرة مستوحاة من ضمير الشعب ، مستلهمة من آماله ، ولهذا كان التجاوب بين الشعب والقائد رائعا .. ونفس الشىء حدث في مبادرة السلام ، التى ارتفع بها السادات الى قمة عند شعب مصر ..

هذا حساب ذاكروه.. هذا ضوء ساطع فافتحوا أعينكم عليه. هذه حقيقة باهرة · فتعلموها · واذا اسقطتم شعب مصر من حساباتكم أسقطكم شعب مصر من حساباته · واذا كنتم تملكون لسانا طويلا ، او مالا كثيراً ، أو قوة كبرى قادرة تؤيد إجتماعكم فأذكروا أن لشعب مصر في المنطقة موقفه وموقعه ، وماضيه وحاضره ، وعقوله وسواعده ، وعزته وكرامته .

أقتصدوا اذن فيما تزرعون من حقد .. وأعيدوا حساباتكم .. وتعلموا من الماضي .. ولا تسدوا طريق العودة على انفسكم ، فقد ضاق شعب مصر ذرعا باتهامات الخيانة من أفواه الخونة الحقيقيين ، ونفد صبره لانه يضحى وغيره يستفيد ، ويدفع الدم وغيره يحول الدم الى أرصدة ، ويناضل من اجل العرب ، وبعض العرب يناضل من اجل الاتحاد السوفييتى ..

٢ ـ وانتم .. ياشلة تجتمع في طرابلس او عصبة تتآمر في بغداد تجرون وراء سراب ، والسراب هو الاتحاد السوفييتى ، والا فقولوا لنا ماذا قدم هذا الاتحاد الى العرب غير البيانات والكلام ؟ . وقولو لنا ماذا استطاع ان يحصل عليه لنا من أسرائيل او ماذا حقق لنا عند الامريكيين والاوربيين ؟ انه سوف لما كان أمرنا بين يديه .. حين أخذ الوصاية علينا وذهب لاجتماعات الاربعة الكبار . وفي كل الحروب خدعنا . وما أخذنا طلقة الا بالثمن .. وافشى اسرارنا التى أطلع عليها لما كما كان خبراؤه مستشارينا .. اذا كان يساندكم في شفاء الغليل من مصر فأذكروا ان مصر هى التى دافعت عن العرب في كل المعارك منذ ألف سنة .. وليس الاتحاد السوفييتى . مصر الباقية وهو الزائل لان القناع سوف يسقط عن وجهه حتما . ارايتم الى شعب الصومال وكيف خرج في مظاهرة من مئات الالوف تهتف للرئيس محمد سياد برى ـ لانه طرد الخبراء السوفييت .. والغى المعاهدة السوفييتية .. أرايتم الى شعوب في صميم الكتلة الشرقية تتمنى يوم تتحرر من نيره وجبروته . انسيتم مذابح المجر وحمامات الدم في تشكوسلوفاكيا . لو اقترب السوفييت اكثر فسوف ترونه في عواصمكم فلا تمشوا وراء السراب ..

عودوا الى شعوبكم .. وأسمعوا اصواتها ، ان حكم البعث لا يتيح ان حزب البعث أقلية حاكمة .. والشعوب تحته تعيش في حالة اذعان الانصات الى أصوات الشعوب ، وانه يسمع أقلية اللقاءات القطرية

وقهر . إنني رأيت ـ اذ أنا في دمشق في زيارة الرئيس السادات لها ـ رأيت عشرة يجلسون حول جهاز التليفزيون في مكان عام والاسد يهاجم السادات بعد ان غادر السادات مطار دمشق . والاشمئزاز على وجوههم ولكنهم لا ينطقون لان كل واحد منهم يتصور جاره « مخابرات عليه » .. وانتحيت بسورى و آخر .. مواطن بسيط هنا ومواطن شريف هناك لأ سمع رأى هذا أو ذاك في مبادرة السلام .. فسمعت ـ دعوات من القلب للرئيس السادات .. وقال لى جرسون في وزارة من الوزارات ـ إذا قامت الحرب فابنى الذى يموت .

أما أولاد القادة . إما القادة فهم بمنأى عن قصف المدافع .. وقنابل الطائرات ! إذا قامت الحرب فأنا الذى أدفع الثمن .. !

ولا أتصور مواطنا في العراق او الاردن ، في الكويت او السودان .. في المغرب او تونس الا وله هذا الموقف من الحرب ، فهذا هو موقف الانسان .. كل انسان ..

عودوا الى شعوبكم .. أسمعوا أصواتها ، ولا تستمعوا الى صوت الفحيح القادم من الكرملين .. ان الكرملين لن يرسل جنديا سوفييتيا واحدا ليقاتل لنا .

٣ ـ وهناك مؤشر من اسرائيل .. فنحن صورنا الشعب الاسرائيلى على طول المدى شعبا دمويا .. تماما كما صورونا ، هل تتوقع من عدوه يتحدث عن عدوه ان يقول فيه قصيدة غزل ؟ .. فلماذا ذهبنا اليهم وجدناهم ككل شعوب الارض .. يرقصون للسلام . يهتفون ، وقد تكون الفجوة . بينهم وبين قادتهم واسعة . فهم يريدون السلام .. وقد يضع القادة العراقيل في طريقه تمسكا بنظريات بالية ، او يعطون للسلام بالقطارة . ولكنهم في النهاية لن يسعهم الا الرضوخ لرأى الشارع الاسرائيلى وصوت الناخب الاسرائيلى ، ان احد المعلقين الفرنسيين رأى اليهود وهم يرقصون بلا بلا أنقطاع امام فندق الملك داود فقال « ان

السادات يكاد يسرق الاسرائيليين من قادتهم .. ان استفتاء اجرى منذ عامين حول مطالب العرب في الضفة الغربية وغزة .. في سيناء والجولان ، فسلم بها ١٧ ٪ فقط من الذين اجرى عليهم الاستفتاء ، وقبل زيارة الرئيس السادات بأيام اجرى استفتاء آخر فقفزت نسبة الموافقين على مطالب العرب ٤٥ ٪ ـ مع بعض التحفظات ـ الخاصة بالحدود الامنة .. وبعد زيارة الرئيس السادات يجرون الان استفتاء ليعرفوا الى اين قفز الخط البيانى ..

ان المؤشر من اسرائيل جاء ايضا من مهرجان السلام ـ الذى عقد في مسرح كيوتى شفاليم ، وفي هذا المسرح التقى قادة الفكر واهل الفن من اسرائيل ومن يهود العالم .. التقى حوالى ٢٠٠٠ منهم ، واجمعوا على ان امكانية السلام المتاحة الان قد لا تتكرر ، وان الحكومة تصم اذنيها عن أصوات السلام ، وهذا ضد ما يريده شعب اسرائيل الممثل في قادة الفكر واهل الفن ـ وهؤلاء عادة ضمير حى .. غير تجارى للشعوب ، وانتهى المهرجان بمظاهرة تهتف للسلام ..

فشعب اسرائيل يريد السلام ، وزيارة السادات للقدس اعطت شعب اسرائيل شحنة جديدة لارادة السلام يواجه بها حكامه . والمعارض الذكى شيمون بيريز نجم حزب العمل ورئيس وزراء الظل كان اقل تشددا من مناجم بيجين في خطابه .. وهذا ما جعل المعلقين في اسرائيل يقولون « انه اكثر تعبيرا عن شعب اسرائيل من بيجين رئيس الحكومة » .

وحين ينتشر الاعتدال في صفوف الشعب الذى قاتلناه وقاتلنا منذ ثلاثين عاما فهذه ظروف مواتية لنا ايضا . فاذا تفرقنا وزرعنا الشك في نفسه حول نوايا السلام فقد يتبدد من اعماقه يقين السلام الذى زرعه الرئيس السادات في رحلته .. وقد تموت اغصان الزيتون قبل ان تزهر ..

واذا كان من حكام اسرائيل من يخاف السلام .. ولا يستطيع مواجهة السلام لان السلام قد يفجر في اسرائيل صراعاتها العنصرية - بين يهودى شرقى أو يهودى غربى - او قد يقطع عنها مددا من المنظمات الصهيونية هو عصب اقتصادها الذى لم ينقطع منذ قامت الى اليوم .. فان جهة التمويل قد تضن على اسرائيل بعد مبادرة السادات . قد تقول لاسرائيل انك تستنزفيننا بدعوى ان العرب يستعدون للحرب فما قولك والعرب أكدوا نية السلام بأقصى ما يمكن ان يكون التأييد .. وهو رحلة السلام .. ؟

أسمع ما قاله ناحوم جولد مان مؤخرا ..

وناحوم جولد مان كان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية إلى شهور مضت. وهذه المنظمة هي الثدى أو الضرع الحلوب الذى يمول اسرائيل سواء في أمريكا ويهودها ، او من أوربا وصهاينتها . قال ناحوم جولد مان :

- على مدى ٣٠ عاما لم تقدم اسرائيل مشروع سلام واحدا الى العرب مكتفية برفض كل مشروعات التسوية التى أعدها أصدقاؤها أو خصومها على السواء . والتأييد الاعمى الذى يقدمه اليهود الامريكيون الى اسرائيل هو الذى يغرى اسرائيل بهذه المواقف .

وقد حث ناحوم جولد مان الرئيس الامريكى كارترعلى أبداء المزيد من الشجاعة لمنع اليهود من الانزلاق الى كوارث جديدة قائلا أن الولايات المتحدة ليست في حاجة من أجل ذلك الى أرسال الاسطول السادس لاحتلال اسرائيل بل يكفيها ان توقف أو تقيد امداداتها من الاسلحة .. وعلى اية حال فليس ثمة نص في الدستور الامريكى يرغم الرئيس كارتر على تلبية كل مطالب حكومة يبدو واضحا انها تختلف معه ..

وهذا الاعتدال الجديد في موقف الصهيونية العالمية صاحبته موجة من التأييد لمبادرة السادات السلمية وأصبح امتداح المبادرة سباقا بين كبار اليهود في أمريكا · وهذا يقطع الطريق عليهم اذا فكرت أمريكا في عمل شيء جديد تتقدم به إلى السلام · انهم ثاروا على كارتر منذ صدر البيان الامريكى السوفييتى ثورة عارمة ·· حتى ان الرجل أنكمش بعض الشيء ·· ولكن مبادرة السادات سوف تعطيه فرصة الانطلاق إلى اتخاذ خطورة جادة ·· دون خوف من معارضة اليهود الامريكيين ··

ان السناتور روبيكوف يقود حملة بين اليهود والامريكيين لشد ظهر كارتر في مواجهتهم · انه يقول : « علينا الا نجعل فرصتنا لتحقيق السلام تغرب عن أعيننا ، ان الخلافات بين اسرائيل وامريكا نشبت من قبل ·· نشبت عندما وقع خلاف بين اسرائيل وترومان حول اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٩ ، ونشبت بين اسرائيل وايزنهاور حول الانسحاب من سيناء بعد حرب١٩٥٦ .وبعد أن دعمت أمريكا اسرائيل في حرب ١٩٦٧ عادت وطلبت منها اعادة الأراضى المحتلة . ورغم ان أمريكا قدمت المساعدة مرة ثانية لاسرائيل في اكتوبر عام ١٩٧٣ الا انها اختلفت مع فورد وهو يعيد سياسته في الشرق الأوسط .

ثم يقول روبيكوف :

ـ ان السؤال هو اذا ما كنا سننتهز فرصة السلام أم لا . اننى مقتنع انه يجب علينا انتهازها · ان السلام في الشرق الأوسط في غاية الاهمية بالنسبة لامريكا ، واسرائيل ولجميع دول المنطقة . لقد شهدنا اربع حروب كبيرة ، ومناخا من عدم الامن منذ خلقت اسرائيل . فهل نريد ان تكون العشرون سنة القادمة مثل الثلاثين سنة الماضية ؟ دعونا نؤيد رئيسا أمريكا يعمل تماما ما يجب عليه عمله . يؤدى التزامه بأسرائيل بينما يعمل لتحقيق تسوية سلمية · اننى اقف وراءه كما آمل ان يقف وراءه جميع الامريكيين دون النظر إلى مذاهبهم الدينية او انتمائهم » ·

وروبيكوف .. السناتور اليهودى قال هذا الكلام قبل الاعلان عن زيارة السادات للقدس ، ولمجرد انطباع اخذه في زيارته للشرق الاوسط ، مع وفد الكونجرس في عام ١٩٧٦ .. وقد أستمع الى السادات في جلسة امتدت اكثر من ساعتين ، فما الذى يمكن ان يقوله روبيكوف بعد مبادرة السادات النادرة المثال على مدى التاريخ ؟ .

أقول ان الفرصة المتاحة لنا عند الشعب الامريكى . عند الحكومة الامريكية عند الصهاينة المعتدلين .. عند يهود العالم يجب الا تهدر .. يجب الا تجهض وحملة الحقد المتفشية في بعض الاذاعات الموتورة خسارة حتى لمن يشنونها ..

ان العالم كله مع السادات .. ومبادرته . إن تكثيف الدبلوماسية المصرية في معركة السلام بلغ أقصاه بالمبادرة التى احتلت مكانا في التاريخ شاء الحاقدون ، ام غالطوا ، ولهذا يجب ان يفعل العرب شيئا من اجل قطف الثمار التى يمكن أن تترتب على المبادرة ، ومن اجل كسب احترام العالم للعرب بصفهم الواحد .. وعودة من تورط الى صوابه ، وأقدام من تحفظ على اعلان تأييده لكل ما يتقدم بنا الى السلام ..

هذه كلها حسابات جديدة .. صفحة منها عند شعب مصر ، وصفحة منها عند الشعوب العربية في بلاد « الرافضين » وصفحة عند الشعب الاسرائيلى ، وصفحة عند الصهيونية العالمية ويهود امريكا .. والحكومة الامريكية . ان المبادرة فتحت الطرق .. فلا تسدوا الطرق ، ودفعت العجلة فلا توقفوا العجلة .. اننا نسمع صوتا عاقلا من هنا أو هناك فنبتهج له .. لان الصوت العاقل شمعة تضىء في الظلام . ان مضر بدران رئيس وزراء الاردن قال للزعماء السوريين « ان الاردن ينظر الى الزيارة التى قام بها السادات الى القدس على أنها تحرك حكيم ، وانه ينبغى كبح جماح رد الفعل العربى » .

وبعد هذا التصريح استشاط البعث السورى غضبا وطالب الاردن بتحديد موقفها خلال ٧٢ ساعة ، والا ستعيد النظر في كل العلاقات الاردنية السورية ..

ونحن لا نريدها فرقة بين اى دولة عربية واخرى .. نحن نريد أوبة الى صوت العقل .. نحن نريد عودة الى الشعوب للاستماع الى أصواتها .. نحن نريد صفا عربيا على مستوى الحدث الكبير .. واذا أردتم تم للحدث وصفا فأسمعوا ..

● هلموث سميث .. مستشار المانيا الغربية قال : « ان هذا تطور مثير للدهشة . ولا يسع المرء إلا ان يعجب بشجاعة الرئيس السادات حينما يدرك الفرد ان رحلته يوجه اليها النقد بشدة من بعض البلاد العربية » .

● وصحيفة بوبولو الايطالية قالت : « ان ما يجرى في هذه الايام يدخل في نطاق نوع من العظمة يتجاوز الواقع السياسى ويستمد جذوره من امل محموم في السلام » .

● ومن الفاتيكان خرجت ابتهالات البابا بولس السادس الى الله لكى يكتب النجاح لمهمة السادات .. او لمهمة السلام . وناشد البابا ٦٥٠ مليون كاثوليكى في انحاء العالم ان يقيموا الصلاة لهذه الغاية المقدسة ..

● وصحيفة « رساختيز » « الايرانية قالت : » ان التاريخ سجل اسماء هؤلاء الاشخاص الذين يخاطرون بحياتهم من اجل اتخاذ الخطوات المناسبة لشعوبهم .. والرئيس السادات بزيارته لاسرائيل يعد واحدا من بين هذه الشخصيات في التاريخ .

● وقد كتب ريجنالد مودلنج عضو البرلمان البريطانى مقالا في « الصنداى اكسبريس » البريطانية قال فيه : « ان السادات هو الرجل الذى يحمل كل آمالنا في السلام » .. واقترح مودلينج لحل ازمة الشرق الاوسط حلولا هى بعينها ما طرحه السادات في الكنيست » ..

١٢ ـ من القاهرة الى جنيف

● أن هى الا أيام وينعقد مؤتمر القاهرة للاعداد لمؤتمر جنيف ... وينفتح الطريق من القاهرة الى جنيف بعد أن بدأ الرئيس السادات أول مشوار السلام من القدس .. وينظر العالم بلهفة وأشتياق الى ما يدور في الساحة الملتهبة بالاحداث ويوجه النداء تلو النداء لاسرائيل ان تدخل من الباب المفتوح للسلام ، وان تخطو على الطريق الموشى بأغصان الزيتون ، وان تلبى خفقة قلب كل أم .. كل أب فيها ، وان تحقق للإنسان في كل مكان . أمل السلام . فقد أبدت مصر حرصها على تحقيق هذا الأمل بمبادرة السادات في القدس .. ويقى أن تعلن اسرائيل رد الفعل الحقيقى في مؤتمر القاهرة .

والقراءة في أقوال الاسرائيليين المسئولين .. من الحاكمين أو المعارضين تعطيك مؤشرا للتأثير العميق الذى تركته مبادرة السادات في أرض الاعداء التقليديين ـ على مدى جيل ـ فموشى ديان ـ وزير خارجية اسرائيل ـ قال وهو في بون ..

ـ يجب علينا الآن أن نقرر ماذا نود أن نقترحه ومتى نحن على استعداد للتنازل عن شيء ، ومتى لا نستطيع التنازل عن شيء ، ان السادات قد طالب في القدس بالجلاء عن جميع الأراضى المحتلة بما فيها القدس ، وهذا هو هدفه الذى يود أن يحققه . ان السلام بالنسبة له يعنى الجلاء عن المناطق المحتلة .. وليس إقامة السلام في الفضاء ..

وشيمون بيريز قطب حزب العمل وزعيم المعارضة قال :

ـ لقد وضع السادات أمامنا تحديا جديداً ، ولن نتمكن من الاكتفاء بحفارة الاستقبال لقد سحب منا ذلك الزعم القائل بأن رفض الدول العربية الاعتراف بأسرائيل يمثل أساس الصراع ..

وقال حاييم تصادوق ، وهو مالى كبير :

ـ أن السادات لم يأت من أجل التخفيف على اسرائيل ، بل من أجل وضعها في اختيار ، والموضوع ابتدأ من الان فصاعدا ليس موضوعا يتعلق بالاجراءات والتمثيل وورقة العمل بل يتعلق بما تستطيع اسرائيل أن تقدمه بالضبط بالنسبة لكل ما يتعلق بالتنازل عن الأراضى وسيطرتها على السكان العرب ، وما هو بالضبط موقع العرب الفلسطينيين في عملية السلام .. والزيارة من وجهة نظرى تتم على أساس عدم الرضا عن الخط البطىء في معالجة الأزمة الذى أدارته الولايات المتحدة الامريكية .

وقال يعقوب جازان زعيم المابام :

ـ أنا اختلف في مواقف كثيرة مع مناحم بيجين الا أننى اقول أنه لن يكون هناك سلام في المنطقة اذا لم تكن اسرائيل على استعداد للتوصل الى حلول وسط وبعيدة المدى في جميع المناطق ..

وقالت شولا ميت ألون عضو الكنيسيت :

ـ في عز الحماس القائم ينبغى علينا أن نتذكر ان أية تسوية لن تتم بدون حل مشكلة الفلسطينيين وحقهم في تقرير المصير ، ومنحهم تعبيرا ذاتيا يمثل تطلعاتهم القومية .

ومن هذه الأقوال تستطيع أن تستشف ما يمكن أن يجرى في مؤتمر القاهرة · فهذا مؤتمر لا ينعقد من أجل « الشكليات » بل من أجل الموضوع · وهو بهذا يقفز قفزا الى لب الصراع ، ولا يتوقف عند الهوامش التى يمكن ان تطغى على جوهر القضية ·· والتى يمكن أن تستغرق السنين !

وفي هذا المؤتمر يلتقى من بين الذين وجهت اليه مصر الدعوة ثلاثة أطراف ··

● وفد مصر ·· يرأسه الدكتور عصمت عبد المجيد ·· دكتور القانون الدولى الذى استوعب القضية في كل مراحلها ·· ومارسها صراعا على منبر الأمم المتحدة · واستصدر لها أخطر قراراتها المتعلقة بالعنصرية أو تمثيل المنظمة لشعب فلسطين ·· وفيه الدكتور اسامة الباز الذى كان كمبيوتر الخارجية المصرية ثم انتقل مستشارا لرئيس الجمهورية ·· وحفنة من شباب الخارجية المتمرسين ··

ودور مصر دور تاريخى وهى بهذا الثقل تدخل الى القاعة ·· أنها التى تحارب ولهذا من حقها أن تفاوض · وتقول جبنهة الحقد أن أحدا لم يفوضها للتحدث بأسمها ، ولكن هل فوضها أحد وهى تحارب بأسم كل العرب · ذوداً عن مصالح كل العرب · في البذل ، في عطاء الدم ، في ساحة القتال يتركونها لدورها ·· فاذا ما ارادت استكماله في ساحة السلام ·· لانها التى تدفع ثمن الحرب ·· قالوا فيها سبابا لم يعرف التاريخ مثله في الانحدار والسقوط ··

ان مصر بدأت مسيرة السلام بمبادرة السادات الى القدس ، ولن تثنيها عنه قوة ، أو مؤامرة ·· أو عمالة عملاء ·

● ووفد اسرائيل ·· والوفد يجيء مزوداً بتعليمات حكومته · ولكنه أيضا يعرف أمانى شعبه ، وأمانى شعبه تفوق « تنازلات » حكومته قطعا · وهى المرة الأولى التى يدخل فيها وفد اسرائيلى الى القاهرة ··

لكنها ليست المرة الأولى التى يدخل فيها وفد اسرائيلى الى ارض عربية ..
كل ما في الأمر أن القاهرة تعلن . وان العواصم الأخرى تتستر وتخفى .
وعندما كانت القوات السورية تبيد القوات الفلسطينية في ضبية وتل الزعتر كانت اللقاءات بين الاسرائيليين والسوريين مستمرة لوضع اتفاقية الخط الأحمر .. وهو الخط الذى وافقت سوريا على الا تتجاوزه وهى وهى تستعمر لبنان وتبيد الفلسطينيين ..

والامثلة كثيرة على اللقاءات الاسرائيلية العربية التى تمت في كتمان وسرية لأول مرة يجىء وفد أسرائيلى الى عاصمة عربية .. في وضح النهار .. تحت ضؤ الشمس .. وأمام عدسات التليفزيون حتى تصبح الصورة أمام العالم كله ..

والوفد من خبراء الخارجية الاسرائيلية .. وفي حقائبه تذكرة جنيف .. لان المبادرة المصرية وضعت اسرائيل في فخ السلام .

● الوفد الأمريكى .. والمعروف أن امريكا منذ اعادت تقييم سياستها في الشرق الأوسط أخذت على عاتقها حل القضية . بل قد سعت هذا المسعى أيام نيكسون وقبل فورد صاحب تعبير اعادة التقييم . وقد أدخل كارتر الفاظا جديدة على مفردات السياسة الامريكية حين تحدث عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . وآخر جهود امريكا أوراق عمل امريكية سوفييتية وامريكية اسرائيلية .. ولكن هذه الأوراق لم تكن حلا سريعا حاسما . السادات بزيادة القدس بدأ صفحة جديدة للحل .. الايقاع فيها أسرع . الخط فيها أوضح . العالم فيها شاهد .. وشعبه يحرس المبادرة بدم أربعين مليونا هم جيش القتال العربى ..

سيرك طرابلس

وقد ينضم الى هذا المثلث ضلع رابع .. أو ضلع خامس . لا أحد يدرى . لان الاحداث تتحرك سراعا . ومن هذه الاحداث ما يمكن أن يوصف « باللامعقول السريالى » ومن هذه الاحداث ما يعتبر « فضيحة

اعلان النوايا بشكل حاسم » على ما جرى في مؤتمر الحقد السوفييتى الذى أستمر على مسرح العرائس في طرابلس طوال أربعة أيام. كال فيها المجتمعون من الاتهامات لبعضهم البعض ما يفوق ماكالوه لاسرائيل عدوهم التقليدى . أو لمصر « كايداهم » ! ويبدو أن المؤتمر بدأ اجتماعاته بقاعدة تجربة الحقد بين أفراده قبل تجربته على مصر .. وبتحليل سريع أقول :

● حقد العراق وسوريا المتبادل يبدأ من « البعث .. ولن ينتهى الا في اللحد » !

● حقد المنظمة الفلسطينية على بعضها البعض قوامه الصراع بين الذين يفكرون في الممكن على ضؤ الممارسة السياسية الواقعية .. ومن يفكرون في الكرملين

● حقد المنظمة على سوريا .. حقد الدم . فسوريا قتلت من شعب فلسطين أقل قليلا مما قتلت اسرائيل . هل يجف الدم في سماء طرابلس الملبدة بالغيوم ؟

● وحقد ليبيا على سوريا حقد مختزن .. أوليست سوريا هى التى وقفت بجانب مصر حين حدث الصراع بين العقل المصرى والجنون القذافى ؟.. وليبيا دمغت سوريا بالخيانة في كل مرة نفذت فيها سوريا ما بدأته مصر من فك الاشتباك..

● ورغم ما هو طاف على السطح من مودة الجزائر وليبيا فان الحقد بين الزعيمين مؤكد . فالزعيم الجزائرى فهم من موسكو بعد هزيمة عبد الناصر في عام ١٩٦٧ ان عبد الناصر انتهى وان بومدين يجب ان يأخذ مكانه الطبيعى في زعامة العرب . وعبد الناصر ـ فيما زعم البعض ـ قال للقذافى اننى ارى فيك شبابى .. أى أنه قال له انت الزعيم بعد غيابى . والزعيمان يلعبان لعبة الاحلاف المرحلية .. وبومدين نجح في دفع القذافى الى مواجهة السادات .. ومحاولة تفويض نظامه .. بالاتفاق

مع السوفييت . وفشل القذافى ويبدو أن بومدين نهض للمواجهة بنفسه هذه المرة .. فهو أول من طار الى موسكو ليناقش زيارة السادات للقدس ، وأول من بدأ يجمع الاحقاد في سيرك طرابلس ..

الحلف مرحلى بين بومدين والقذافى . فبومدين رفض أن يضمنه في صلح مع السادات . فكيف يمكن ان يضمنه في معاهدة دفاع مشترك ؟

واليمن الجنوبية .. أستطيع أن أهز كتفى أستخفافا وأقول :

ـ مسكينة .. ليس لها في « الثور » ولا في الطحين .. ولكنها فقط تنفذ تعليمات الكرملين !

ولكن .. إذا كان الحقد سائدا بين مؤتمر الحاقدين فكيف التقوا ؟

التقوا تحت حقد أكبر يجمعهم ضد مصر .. التقوا ولكل منهم مصلحة في الاندفاع الى معاداة مصر .. التقوا لان سيدهم واحد . ومدربهم على التآمر هو هو ..

● العراق والجزائر يحقدان على مصر لان كل دولة منهما تتصور نفسها صاحبة الثقل في المنظمة . ولا بد أن تكون لها الزعامة . ينفرد العراق بأطماع الامبراطورية البعثية والهلال الخصيب .. يشاركه في هذا ـ ولو بفهم آخر ـ بعث سوريا الذى خطا خطوات عملية فكاد يحتوى الاردن بالاتفاقيات . واحتل لبنان بقوة السلاح وفرض الوصاية على الفلسطينيين الذين تعيش كتلهم الكبيرة في قبضته وأمام فوهات مدافعه في سوريا .. أو في لبنان .

● والقذافى في حقده على مصر لا يحتاج الى دليل منذ سير المسيرة الشعبية حتى سرق القنصلية المصرية .. وبعث سوريا يريد أن يعطى سوريا حجما غير حجمها . أنه يتصورها قلب العروبة النابض وقداصابته من التسمية عقدة التضخم . وكل « متضخم » في العالم العربى يصطدم حتما بالدولة الضخمة فيه تاريخا وحجما .. بل بشرا وفهما .. وهى مصر ..

● أما حقد بعض فصائل المقاومة الفلسطينية فهذا هو العجب !.. أحمد الله أننى لم اجد هذا الحقد عند الفلسطينيين الاصلاء ، أصحاب المعاناة الحقيقية في الأرض المحتلة ، الذين هتفوا للسادات وهتفوا للسلام .. حقد بعض فصائل المقاومة الفلسطينية مثل جزاء سنمار مثل اتق شر من احسنت اليه ، مثل ساذج من يربى ثعبانا في بيته . وهنا أقصد القيادات الخائنة التى تحرص على مناخ الحرب حتى تثرى وتعيش الليالى الحمراء وتشترى العقارات في كل ارجاء الوطن العربى .. أفصلها عن الشعب الفلسطينى المقاتل . الباذل . الباسل . الذى تحمل العنت والقهر .. الذى يحلم بالعودة فعلا ، ولا يطلقها شعارا ..

واقف عند تصريح لجورج حبش يقول فيه ان السلام ليس ضروريا .. وان القضية يمكن ان تحل بعد عشرين عاما .. فهل يرضى هذا القول الفلسطينى المقهور المشرد أم يرضى الفلسطينى المرتزق ، المتنقل من الشقق الخاصة الى الفنادق العامة .. الى قصور القياصرة في روسيا ..؟..

من .. من في الدنيا كلها يقبل منطق جورج حبش ؟!

أما حقد بعض فصائل المقاومة الفلسطينية على مصر فهذا هو العجب .. ولكن هل عرفت السبب ؟.. ان يوم قيام دولة فلسطين هو اليوم الذى يقترب بأعناق كثيرة من أعواد المشانق . لأنه اليوم الذى سيحاسب فيه كل خائن أو لص أو قاطع طريق السلام على ما ارتكبت يداه !

فاذا كان الحقد عند كل أعضاء السيرك الطرابلسى السوفييتى جامعا لهم ضد مصر .. فهناك سبب آخر هو :

الحقد الأحمر

الولاء للسوفييت . وهم لا يوالون السوفييت جزافا . ان السوفييت يضمنون لهم بقاء أنظمتهم الديكتاتورية . قل لى أين صوت الشعب في

هذه الدول : الجزائر سوريا العراق ليبيا ، اليمن الديمقراطية ؟ أن مناخ الارهاب سائد لأنها كلها دول مخابرات.ان الاختفاء وراء الشمس في المزة أو قصر النهاية في معتقلات ليبيا أو سجن بارباروس الجزائرى .. هو أسلوب التعامل مع كل من يقول لا .. ان مصر فتحت ابواب الحرية وأطلقت سراح المعتقلين ، ان مصر عادت لديقمراطيتها وسمحت بالحزبية واجرت انتخابات حرة .. وفيها من يقول لا .. حتى لرئيس الدولة يقول لا .. سألونى في اذاعة اسرائيل كيف تفسر استقالة اسماعيل فهي قبل ان يزور السادات القدس بـ ٤٨ ساعة ؟. فقلت : خلاف في الرأى .. مباح وصحى ، وحق طبيعي لكل مواطن لأننا في دولة ديمقراطية ..

هات لى واحدا في هذه الدول الخمس يستطيع أن يقول لا .. ان حكم الارهاب فيها يحس أن ديمقراطية مصر هى الخطر الأكبر . ان مصر صدرت ثورة ٢٣ يوليه الى كل هذه الدول .. اليها جميعا .. وساندتها ، في حركاتها التحريرية جميعا ، وهذا خلف عند هذه الدول عقدة حقد ، ولم يخلف مشاعر عرفان ، صدرت لها الثورة لأنها مشعة ، والخوف الأكبر عند حكام الارهاب ان تصدر مصر الديمقراطية .

وحكام الارهاب يتذرعون للارهاب بحالة الحرب ضد اسرائيل ، حتى لو لم يخوضوها بمقاتل ، حتى لو كان كل نضالهم امام الميكروفونات .. وبالمقالات ..

ديمقراطية مصر قضت على احلام السوفييت في « تشييع » العرب ، جيوب السوفييت في المنطقة - هى نظم الحكم الارهابية .. هل عرفت كيف جاء التحالف بين السيد .. وصوت السيد ؟

ومن عجب ان هؤلاء يصدقون ان السوفييت يقفون في الصف العربى .. ويتعامون عن حقائق كثيرة منها ان السوفييت كانوا ثانى دولة اعترفت بأسرائيل ، وهم الان ثانى دولة بعد امريكا تضمن بقاء

اسرائيل . زودوها بالمهاجرين عصب الحياة وصف القتال ضد العرب . ثم خانوا العرب في حرب ٦٧ .. وجمدوهم في حرب ٧٣ بعد ان منعوا السلاح عن مصر . ثم اوقفوا نمو الجيش المصرى بعد الانتصار لتستعد اسرائيل ولتفرض بفارق القوة سطوة جديدة . يتعامون عن حقيقة ان من يتآمر على مصر يتآمر على كل العرب .. لمجرد ان السوفييت يذكون عندهم احلام زعامة ـ او يحمون نظم ارهاب . او يساندون حقدهم على مصر ..

السيرك اذن نصبه السوفييت . ولكنهم لم يستطيعوا ترويض من دخلوه جيدا . فقد أجهض المؤتمر بانسحاب العراق . واسفر عن قرار بتجميد العلاقات مع مصر .. الدول الخمس ليبيا وسوريا والعراق والجزائر واليمن الجنوبية تجمد علاقاتها مع مصر . ومصر لاتنتظر التجميد ثم اذابة الجليد .. مصر لاتنتظر القرار بل تتخذه .. مصر مصر القوية قادرة على ان تقول :

ـ اننى اقطع العلاقات مع الدول الخمس »

ولعل ما سقتة عن سيرك طرابلس يكفى مذكرة تفسيرية لحدث قطع العلاقات مع دول المؤامرة الخماسية ولكن هناك حقيقة يجب ان نضع تحتها خطا : ان شعوب هؤلاء الحكام هى الشعوب العظيمة التى نعرف . هى الشعوب التى تراهن على حبها لمصر شعبا وجيشا . هى الشعوب التى تتوق للسلام وتكره الدم . وهى ايضا الشعوب التى لاتستطيع ان تعلن عن هذا لانها تعيش في سجون كبيرة .. لانها تعيش تحت الارهاب .. ولهذا فان شعب مصر يرفض الحكام ولا يتخلى عن الشعوب ويدين الحاقدين المتزعمين ولا يخرج من قلبه ومن مسامه حلفاء النضال الطويل . ابناء العرق والدم . اشقاء الماضى والحاضر وشركاء المصير .. سوف تشرق الشمس على بلادهم .. وسوف تغمر الشمس ارض العرب ..

والرافض في رفضه

وكل ما قاله الرفض زوبعة في فنجان ·

ولكن لسيرك طرابلس فضل انه كشف القناع عن وجوه طلتها المساحيق فبدت دميمة مع اننا اخفينا بالصبر دمامتها ·· ولسيرك طرابلس انه فرز هذه القلة عن كتلة العرب الكبرى ممثلة في السعودية والكويت ودول الخليج والسودان ·· في المغرب وتونس ·· في موريتانيا والاردن ·· كل هؤلاء يترقبون مؤتمر القاهرة · ويتمنون له النجاح وقد يقبل منهم عليه من يقبل وقد يبقى كل منهم في موضعه حتى ينتهى المؤتمر ويعلن عن نتائجة ويفتح الطريق الى جنيف ··

· ·

ولكن لسيرك طرابلس فضلا اخر ·· انه جسم للعالم قدر شجاعة السادات وقدر تأييد شعب مصر للسادات ·· ولا اتخيل زعيما في القرن العشرين حصل على تأييد يماثل تأييد شعب مصر للسادات · انه رفع رأس كل مصرى · انه تصدى لادعياء الوصاية وكذبة اللقاءات ·· ومحترفى تحقير المصريين ·· وقال لهم : مكانكم ·· هذا شعبى العظيم لا أقبل عليه الوصاية ، ولا أقبل له مهانة ··

وبروح من هذا المنطق ، وبروح اراه بعثا ويقظة هائلة في الشارع المصرى ، وبروح من مسيرات تنتظم كل ابناء مصر تهتف لرجل السلام ·· لرجل مصر ·· ورجل العروبة ·· يدخل اعضاء وفد مصر الى مؤتمر القاهرة ·· ويخرجون منه بتذاكر الى مؤتمر جنيف ·· والرافض في رفضة ·· المستنقع في أرضه ·· والعار على طريقة ودربه ·

١٤ ـ العالم يترقب الفجر

● بدأ اجتماع القاهرة التمهيدى لمؤتمر جنيف هذا هو اسمه « الرسمى » وهو من أول وهلة وآخر وهلة ، يدل على انه محدد المهمة ، واضح الاختصاصات ان يعد لجنيف ، ويجعل الاجتماع فيها مجديا وموصلا للسلام وهو في هذا الاطار يجمع وفود مصر واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية والامم المتحدة وبابه مفتوح لمن يشاور عقله وينضم فالقاهرة التى اعتزت بانها كسرت جمود القضية وحطمت الحاجز النفسى في الازمة بمبادرة السادات .. سوف تعتز ايضا بانها في اجتماع ميناهاوس حيث ينظر الى المتفاوضين اربعون قرنا ـ كما قال نابليون ـ قد جسدت القضية في اتفاقية سلام .. شامل وكامل ..

هذا هو المأمول ، وهذا هو المعقول ، مهما تنادى الرافضون بالجنون وقالوا أن القاهرة ارادتها تسوية منفردة ، أو انسحبت من ميدان المعركة .. ان القاهرة هى مركز القيادة العليا لكل المعارك ، وهى مقر اللقاء الكبير

لمعركة السلام .. القاهرة ذات الالف مئذنة ، ام الدنيا بيت الملايين الطيبين حملت غصن الزيتون .. بينما أطلقت طرابلس صواريخ الاطفال وسباب السوقة حين تصورت انها وجدت جنازة تشبع فيها لطما .

بدأ اجتماع القاهرة التمهيدى لجنيف .. وهذه أضواء على من جاءوا ،

● وفد الامم المتحدة ، يرأسه أنزيوسيلاسفو .. ضمير العالم الذى شغلته القضية ثلاثين عاما ، وانزيو ينسق الوجود العسكرى للامم المتحدة في سيناء والجولان منذ حرب ٧٣ ، وهو فنلندى الاصل ، من هنا هدوء أعصابه وهو مستقيم الرأى .. يمثل تماما ميزان العدل في كل المواقف المتضاربة بين الاسرائيليين والعرب ..

وقد قيل ان فالدهايم قد يجىء .. ولكن فالدهايم وجه دعوة لمؤتمر يعقد في نيويورك بعد مؤتمر القاهرة . وقيل انه فعل هذا بايعاز امريكى حتى يقلل من « اثر مؤتمر القاهرة » .. ويكون الوصول الى جنيف عبر نيويورك فيرضى هذا العرب الرافضين لمبادرة السادات .. ولم يحضر فالدهايم وقد قيل انه لم يحضر لان المستوى الذى بدأ به المؤتمر ليس وزراء الخارجية . ويقال أن اجتماع القاهرة قد لايبقى في اطار التمثيل الحالى ، قد يتصاعد الى مستوى وزراء الخارجية وساعتها يطير فالدهايم اليها .

ولاحس ولاخبر عن مؤتمر نيويورك . يبدو ان دبلوماسية هذا الشتاء « مصرية » فيها سمة الشمس المحرقة التى تذيب الجليد ، ولهذا سوف تظل قوة الدفع من مبادرة السادات هى المؤدية الى جنيف عبر القاهرة .

ضمانات أمريكية للسوفييت !

● الوفد الامريكى .. والواقع ان أمريكا التى اعترفت اعترافا كاملا بانها فوجئت بمبادرة السادات . ثم أرتبكت بعض الشىء عندما التزم السادات ايقاعا سريعا وهو يدعو لمؤتمر القاهرة منفذا حلقات رؤية

سياسية هى بعينها ثورة على الدبلوماسية التقليدية التى تشبه في بعض الاحيان حركة السلحفاة، ارتبكت حتى أن من كتابها من حثوها على ان تلهث وراء السادات ولا تترك فجوة .. لانه فتح في الازمة المستحكمة اكبر نافذة يمكن ان تدخل منها ريح السلام الرخاء . كارتر من جانبه اقترح تأجيل مؤتمر القاهرة عشرة أيام عن موعده .. تلتقط فيها الانفاس .. ودون عقد .. ولا كلاكيع وافقت القاهرة على التأجيل ..

وطار فيليب حبيب وكيل الخارجية الامريكية الى موسكو يحاول اقناعها بحضور اجتماع القاهرة ، ولكن موسكو التى كانت تدير سيرك طرابلس ، وتنفث الحقد في صدور ابناء الرفض سادة المعارك الميكروفونية . وأكد فيليب حبيب لموسكو ان ما تقوله عن اجتماع القاهرة من انه لتسوية منفردة غير صحيح ، وأكد لها ان التسوية الشاملة لن تتم الا في جنيف ، وأكد لها ان البيان الامريكى السوفييتى ما زال حيا يرزق ، ولكن موسكو أصمت أذنيها لانها تتخيل انها وجدت فرصة للتنكيل بمصر .

وطار سايروس فانس وزير الخارجية الامريكى في جولته الى الشرق الاوسط يحاول فيها ان يضم لاجتماع السلام أصواتا جديدة . وكان تحرك عربى من جانب السعودية والكويت والاردن والمغرب قد بدأ في فترة التأجيل التى طلبها كارتر في محاولة لجمع الشمل واللقاء في القاهرة .. وجولة فانس والتحرك العربى قد يسفران عن نتائج ايجابية . وليس اليقين ان تسفر هذه المساعى عن تواجد الاطراف الغائبة تحت سماء القاهرة ، فقد يكون هذا صعبا - من الناحية النفسية - على سوريا ، ولكن المتصور ان هذه المساعى تأخذ هذه الاطراف الى جنيف .. بعد ان يكون اجتماع القاهرة قد حقق الغاية منه ... وهذه الغاية هى وضع تصور للحل الشامل يجعل الذهاب الى جنيف آخر رحلة من اجل السلام القائم على العدل ..

والوفد الامريكى يتكون من الفريد أثرتون وكيل الخارجية الامريكية .. وقد وعد فيليب حبيب الكرملين بقصر التمثيل على مستوى السفراء ان قبل الكرملين الانضمام لمؤتمر القاهرة ، ولكن الكرملين اصر على رفضه .. فتحدد اثرتون رئيسا للوفد ، ومعه سوندرز .. مدير قسم المخابرات والابحاث بالخارجية وصاحب الازمة الشهيرة « بورقة سوندرز » التى قدمها الكسنجر أيام كان يعمل معه .. وهذه الورقة تطالب بفتح الباب الامريكى للتفاوض مع الفلسطينيين « لانهم لب القضية والصراع » ووليام كونت المسئول بمجلس الامن القومى وجورج شيرمان رئيس قسم الشئون العامة للشرق الادنى .. وهو المتحدث الصحفى باسم الوفد ..

الحمائم يراقبون !

● والوفد الاسرائيلى ، ويتكون من الدكتور الياهو بن اليسار مدير عام رئاسة مجلس الوزراء · ويعتبر اكبر موظف مدنى في اسرائيل · ومائير روزين وهو بدرجة سفير وروزين هذا الذى وضع مشروع التسوية السلمية كما تتصوره اسرائيل · وهو المشروع الذى طار به موشى ديان وزير الخارجية الى كارتر في سبتمبر ١٩٧٧ · وقد انضم اليهما ابراهام تامير رئيس قسم التخطيط في هيئة أركان الحرب الاسرائيلية ، وهو من شارك في محادثات فض الاشتباك الثانى ، وقد عين ليتوازى مع اللواء طه المجدوب العضو في الوفد المصرى ..

والجدير بالذكر ان ابراهام تامير رأس لجنة مقترحات مترتبة على زيارة السادات للقدس · كانت مهمة هذه اللجنة تلقى اراء اعضاء الكنيسيت والاحزاب والمواطنين في شأن السلام وكيف تخطو اسرائيل ردا على مبادرة السادات ، وقد قامت الى جانب هذه اللجنة لجنة اخرى من ٢٥ عضوا من الكنيسيت · عقدت اجتماعاتها على شكل مؤتمر حزبى غير رسمى ، اعضاؤها حمائم · مهمتهما مراقبة ما تفعله الحكومة الاسرائيلية

ردا على مبادرة السادات العظيمة وهذه اللجنة المؤتلفة قالت انها لن تتردد في التصرف لكسر نظام الائتلاف الحكومى ... اذا ما شعرت أن الحكومة تضيع فرصة السلام . كما انها ـ اى اللجنة المؤتلفة تؤيد الحاجة الى تقديم تنازلات في الضفة الغربية .

ويصرح اعضاء من هذه اللجنة ـ التى تلتف حولها قلوب الاسرائيليين ـ بأنه يتمتع بتأييد قوى داخل مجلس الوزراء ، ليس فقط بين مجموعة يجال يادين ـ الحركة الديمقراطية للتغيير ، بل ايضا بين حزب ليكود اليمينى والحزب الدينى ، وبالتالى فان الخمسة عشر يستطيعون اذا ما طرحوا شيئا ان يضموا له أغلبية في التصويت ..

اما ايجال يادين نائب رئيس الوزراء فانه يعرف ان اسرائيل تمر بفرصة تاريخية قد لا تتكرر في جيل أو جيلين ، ولهذا صرح بأنه يؤيد التنازلات .. وان حزبه سوف يواجه بيجين اذا ما أتخذت القضية منعطفا حرجا ..

● الوفد المصرى .. ويرأسه الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد .. وفيه الدكتور اسامه الباز واللواء طه المجدوب وحفنة من الدبلوماسيين النابهين ..

والذى يتردد الآن في الصحف الاسرائيلية ان هذا التمثيل قد ينظر في المسائل العامة ، فاذا ما تطرق الامر الى مسائل الارض فقد يتطور الاجتماع الى مستوى وزراء الخارجية ..

● وقد صرح الدكتور بطرس غالى وزير الخارجية بالنيابة ان اجتماع القاهرة اجتماع مرن يناقش موضوعاته ، ويطور نفسه ، ولا يقف امام أى شكل من الشكليات ، لانه مقدمة وتمهيد للمؤتمر « الموضوعى » في جنيف ..

الاهداف والموضوع

والسؤال هو ، ما موضوعات المؤتمر .. ؟

أقول ، ان أهداف المؤتمر تحدد موضوعاته وهذه الاهداف حددها احمد عصمت عبد المجيد كما يلى :

● الاعداد لمؤتمر جنيف الذى يبحث الحل الشامل للصراع العربى الاسرائيلى .

بحث جميع الاقتراحات والاراء ..

● التوصل من المناقشة الى تسوية شاملة للازمة ، وليس لاتفاق جزئى .

● باب المؤتمر مفتوح لمن يدخل منه من الاعضاء الغائبين عنه ..

وهنا نناقش مواقف الاعضاء الغائبين .. وهم من وجهت اليهم القاهرة دعوة الحضور فرفضوها بالبيان أو بالصمت ، بالادب أو في غيبة الادب ..

● الاتحاد السوفييتى ، وهو لا يرفض فقط بل يشعلها نارا ، واطرف ما قرأته عن موقف الاتحاد السوفييتى ما كتبه « وليام بكلى الصغير » في صحيفة « الهيرالدتربيون » اذ يقول « لم اشارك حتى الآن في الاحداث الاخيرة بالشرق الاوسط على عكس ما فعله ولتر كرونكيت وأريك سيفاريد وبربارا والتر و « جيمى كارتر » ومع هذا فانا عضو في منظمة تدعى « لجنة بيرل هاربر لمراقبة الاسطول الروسى » لذلك لا بد ان اشترك فيما يجرى بحكم هذا المنصب . ويستطرد « بكلى » قائلا » يجب أن يكون من المتوقع ان يزيد السوفييت النيران السريعة الاشتعال الموجودة حاليا في سوريا ـ اذ لا يهم اللهيب الدائم في ليبيا ـ ويجب على المرء ان يتوقع ان يرى تشجيعا سوفييتيا لرد فعل المتطرفين على اى تنازلات من اى نوع يقدمها السادات . وسوف يبدو الروس في

مطالبهم بأستعادة القدس العربية اشبه باكثر المسلمين تعصبا منذ عهد النبى محمد .. ويعتبر لزاما على القوى الغربية أن تكشف اللثام عن الدوافع الواضحة للسوفييت .. وهى السيطرة على الخليج الدافق الدافىء بالبترول ، و « وبكلى » بهذا قفز الى جذور السياسة الروسية منذ عهد القياصرة .

الاتحاد السوفييتى غاب لانه لا يريد للمنطقة سلاما . وهو موقف كشفه رجل الشارع العربى من المحيط الى الخليج . وغاب رغم الضمانات الامريكية تحت مظلة الوفاق . غاب رغم التأكيد له ان دوره في التسوية محفوظ . غاب لانه اصبح يبنى وجوده في المنطقة على تفرق العرب ..

ثم يصبح موقف الوفود العربية الغائبة متراوحا بين العمالة العلنية والاستعمار الغاشم والتردد الاريب والتيه الدرامى ...

هؤلاء هم الغائبون :

● بالعمالة العلنية اعنى سوريا . وقد اكد البعث ديكتاتوريته وتبعيته للسوفييت منذ طار خدامه الى موسكو ليسمع صوت سيده والافدح .. والانكى ان الاسد طار بين الدول العربية ليس فقط ليستمع الى وساطتها بين القاهرة ودمشق بل ليطالب بمكان للسوفييت في التسوية . والاسد هو الذى اعلن انه لن يذهب الى اى مؤتمر يغيب عنه السوفييت .

وسوريا تورطت في طرابلس ، وربطها البعث والكرملين ، وسوريا الشعب بركان يغلى بالغضب على جلاديه ..

وقد تنضم سوريا الى المسيرة .. من يقرأ ملفها يقول انها فعلت هذا مرتين من قبل ، ومرة منهما كانت التمثيلية فيها بالنار والحديد ، لانها بعد اتفاقية سيناء الاولى ظلت تطلق مدافعها في الهواء ٨٣ يوما وتقول انها تقاتل اسرائيل وحدها بعد أن خرجت مصر من المعركة ..

وقد تقاضت سوريا ثمن اطلاق المدافع من الدول التى تحقد على مصر . وردت سوريا لنفسها اعتبارها لانها لم تقاتل بالنصر الا يومين ..

ثم دحرت وتهدد الغزو دمشق لولا وثبة القوات المسلحة المصرية المركزة على سيناء .. مما خلف الثغرة ..

التاريخ معروف .. ولان التاريخ معروف ، والبعث لا يعرف ماء الوجه .. فان سوريا قد تنضم الى المسيرة ..

ونحن ـ طبعا ـ نتمنى ان يحدث هذا ٠

● وبالاستعمار الغاشم اعنى لبنان .. الذى يحتله ٤٠ ألف جندى سورى ، ظلهم على قلوب اللبنانيين ثقيل ، ومدافعهم اثقل .. ودباباتهم تشل لبنان .. مسكين لبنان ..

● وبالتردد الاريب اعنى الملك حسين الحائر بين سوريا واتفاقياتها معه ـ تلك التى أرادتها سوريا شروعا في هلال خصيب وحلم قديم ـ وبين مصر والسلام والاستقرار الذى يكفله له كل هذا ٠ والملك حسين اثنى على المبادرة ٠ وقال أن ما قاله السادات في الكنيسيت هو الاجماع العربى ، ولكنه اعلن انه لن يذهب الى اجتماع القاهرة الا اذا تواجدت الاطراف الاخرى ..

● وبالتيه الدرامى اعنى بعض القيادات الفلسطينية .. انهم تائهون بين جنوب لبنان حيث وطأة القهر السورى ، ومعسكرات دمشق حيث وطأة الانتقام السورى .. يقع عليهم من البعث مثلما يقع على لبنان واكثر ، فلبنان مهما طال الاحتلال سوف ينتهى يوما .. ولكن ماذا يفعل الفلسطينيون بغير وطن ٠ تلوح في الافق بوادر الوطن واهل التيه غافلون ٠ يزايدون على بعضهم البعض ، ويزايد بهم المجانين والممعودون والعشيون المبعدون البعيدون الوف الكيلومترات عن ارض المعركة .. يحتاج بعض القيادات الفلسطينية الى غسيل مخ وغسيل باطن من التبعية السوفييتية ، والتلوث البعثى ، ووحل المصالح الشخصية ٠

يحتاجون الى من يقول لهم ، يا اهل التيه ان مبادرة السادات هى من اجلكم ٠ ليس لمصر مع اسرائيل قضية حقيقية ٠ يحتاجون الى من

يقول لهم ، اعرفوا الصديق من العدو فان ضلال الرؤية يبقيكم في المنفى ووضوحها يريكم الطريق الى أرضكم السليبة ...

ومع ذلك أقول .. الابواب في اجتماع القاهرة مفتوحة .. من يتفضل فهلا .. وأهلين .. وألف اهلا ..

ومن لا يريد فقد أمرتهمو أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الاضحى الغد .

مشروعات قديمة أو طازجة

ولكن ماذا في الملفات الضخمة على المائدة المستديرة في قاعة الرباعيات من فندق ميناهاوس ؟ في الملفات حسبما علمت ،

● تصور مصرى للحل الشامل على اساس مما اعلنه السادات في الكنيسيت .. لا خروج فيه على مبادىء الرباط ، لا تفريط في الحق والارض والقدس ..

● وتصور اسرائيلى للحل الشامل ..

وبين التصورين يقف التصور الامريكى الذى بدت سماته من احاديث لبرزنسكى مستشار الامن القومى لكارتر في اوائل اكتوبر ١٩٧٧ .. ولكنى وانا اسوق التصور الامريكى اقول انه وضع قبل مبادرة السادات الهائلة المزلزلة ، وفيه سمات من تقرير بروكنجز الذى كان برزنسكى احد واضعيه .. يقول هذا التصور الامريكى ،

ـ يتضمن الحل الامريكى تنازلا في المواقف الحالية ومواقف تفاوضية وفقا للنظرية التالية ،

ـ لا ينبغى ترجمة الفكرة الروحية والدينية الخاصة بارض اسرائيل التى اقرتها حكومة مناحم بيجين الى اللغة المبسطة للوطنية الاوربية كما هى الآن .

ـ ان تنضم الضفة الغربية سياسيا مرة اخرى الى الاردن . ولكن كمنطقة تتمتع بالاستقلال الذاتى ولن يتم قيامها كفلسطين عربية

مستقلة تماما .. تشمل معها قطاع غزة كما اعلن الوطنيون الفلسطينيون مرارا ـ ان يتمتع السكان العرب في هذه المنطقة المستقلة ذاتيا بحرية العمل في اسرائيل ، او التنقل لها ، كما يكون للاسرائيليين حرية الحركة في الضفة الغربية مع اتاحة حدود مفتوحة وتعاون حقيقى على الجانبين ..

ـ على العرب أن يقبلوا من جانبهم نزع السلاح من الضفة الغربية ، واقرار ادخال تعديلات طفيفة نسبيا ، ولكن ضرورية على الحدود بين الجزء الخاص بهم من الاردن ـ الذى يتمتع بالاستقلال الذاتى وبين اسرائيل ـ يتم السماح للاسرائيليين بالاحتفاظ لفترة غير محدودة ، لكن مؤقتة بوجود عسكرى غير هجومى في المنطقة الغربية لحماية اسرائيل خلال فترة التعديل للانتقال لظروف جديدة .

والواضح من هذا المشروع « القديم » انه يرضى اسرائيل .. التى كانت في قمة التطرف ، وهذا المشروع طبعا لا قيمة له الآن .. لان العالم يطالب اسرائيل بتنازلات اكثر . ان جان بول سارتر صديق اسرائيل يقول لها :

ـ لقد جعل السادات كل شيء ممكنا يوم السبت ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ . ومع أن الاختيار سيكون صعبا بالنسبة لكم الا انه سيكون اختيار الحرية ، فلا تتركوا المعنى الكبير لتحرك السادات لتهتموا بالتفاهات والمناورات الدبلوماسية

وقد قال كارتر منذ أيام معدودة :

ـ انا اول امريكى استخدم رسميا كلمة وطن فيما يتعلق بالفلسطينيين ، ولم يكن ذلك جزافا ، اننى لم اقل دولة مستقلة ولكن الوقت قد حان لنتحدث بوضوح امام الشعب الامريكى عن المسائل الحقيقية التى ينبغى على العرب والاسرائيليين ان يواجهوها لقد تحدثنا

عن السلام الحقيقى ، وعن الحدود ، والامن ، والمسألة الفلسطينية .. ومن ثم لم استعمل الكلمة جزافا .

وهذه التكهنات

وقد نشرت صحيفة الدستور الاردنية تفاصيل مشروع قالت ان مصادر امريكية ذكرت انه مشروع سلام اسرائيلى سوف يتم طرحه في القاهرة .. والمشروع هو :

١ ـ استعداد اسرائيل للتخلى عن اجزاء من الضفة الغربية شريطة عدم تسلمها لمنظمة التحرير .

٢ ـ منح الفلسطينيين في الضفة الغربية كيانا سياسيا وحكما ذاتيا كبديل للدولة الفلسطينية .

٣ ـ ضرورة التواجد العسكرى الاسرائيلى في الضفة الغربية .

٤ ـ السماح لعدد محدود من اللاجئين الفلسطينيين بالعودة الى الضفة الغربية .

٥ ـ استعداد اسرائيل لاعادة جزء من مرتفعات الجولان الى سوريا مع تجريد هذه المنطقة من السلاح .

٦ ـ استعداد اسرائيل للتنازل عن سيناء على أن تكون منزوعة السلاح .. و .. و .. ونشرت « الجويش اوبرزفر » ملامح مشروع اسرائيل فيه هذه النقاط الرئيسية :

ـ الانسحاب الاسرائيلى من سيناء .

ـ قيام كيان فلسطينى منزوع السلاح يتمتع باستقلال ذاتى ، واذا ظهرت بين الفلسطينيين قيادة مسئولة يجرى بحث امكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة و.. و..

وتكثر التكهنات . وتدلى مجلة تايم الامريكية بدلوها فتقدم صيغة للتسوية العادلة .. وهى تقول :

● من المؤكد تقريبا ان المشروع التفصيلى الذى سيجىء شرحه فيما بعد لن يحظى بموافقة اى جانب من الجوانب بصورته الحالية او في الوقت الحاضر ولكنه يقدم اجابات واقعية واهدافا ممكنة التحقيق .. والصيغة التى تقدمها التأيم هى :

● سيناء . تستعيدها مصر ـ مساحتها ٤٤٠ ر ٢٣ ميلا مربعا ، وتسحب اسرائيل قواتها الى حدود ١٩٦٧ وتزيل مستعمراتها الى ١٦ المقامة فيها ، وهذه المنطقة في نظر اسرائيل منطقة عازلة استراتيجية ، ولضمان امن اسرائيل تلتزم القوات المسلحة المصرية بعدم تخطى القطاع الذى تحتله الآن شرقى القناة وعشرين كيلو مترا .. على ان تشرف على ذلك قوات الامم المتحدة . وبالرغم من انه سوف يتعين سحب الفنيين الامريكيين الذين يقومون بالمراقبة حاليا في سيناء الا انه بوسع الولايات المتحدة ان تساعد في حفظ النظام عن طريق الاستمرار في تزويد كل من القاهرة والقدس بصور الاستطلاع الجوى للمنطقة .. و..

● مرتفعات الجولان .. ليس لاسرائيل اى سند قانونى في المطالبة بهذه المنطقة المحتلة ، وستقوم بسحب قواتها وازالة ٢٦ مستوطنة لها بها . وعودة السيادة السورية الى الجولان . ويحتج الاسرائيليون بأن القوات السورية في مرتفعات الجولان كانت تقوم قبل حرب ٦٧ بقذف الكيبوتزات المدنية في اسرائيل .. وهكذا في مقابل الانسحاب الاسرائيلى ينبغى اعلان الجولان منطقة منزوعة السلاح خاضعة لتفتيش دوريات دولية تعززها فرق التفتيش المصرية والاسرائيلية .

والضفة الغربية : تسحب اسرائيل قواتها منها ، وتتخلى عن ٥١ مستوطنة اقيمت منذ حرب الايام الستة ، وبينما كانت حدود ما قبل ٦٧ تفصل بين القرى والمزارع فانه ينبغى الآن اجراء بعض التعديلات الاقليمية الطفيفة ويجب السماح لاسرائيل بصفة مؤقتة على الاقل بالاحتفاظ بمواقع امن متقدمة على طول نهر الاردن . وسوف تصبح

الضفة الغربية نفسها كيانا فلسطينيا ولتخفيف مخاوف اسرائيل المشروعة بشأن قيام دولة عربية جديدة تبعد حدودها الغربية عن تل ابيب بمسافة ٥ ر ٨ كيلو متر ، يجب الا يتوفر للكيان الفلسطينى جميع مقومات الدولة ذات السيادة خلال فترة مؤقتة على الاقل يمكن ان تستمر ٢٥ سنة .. على ان الكيان سيكون له علمه الخاص وبرلمانه وجهازه التشريعى والتنفيذى ، وله اصدار الجوازات لجميع الفلسطينيين الذين يعيشون في أى مكان في العالم ، وهذا عمل له اهمية رمزية هائلة بالنسبة لشعب عدده ٤ ر ٣ مليون نسمة ويعيش بلا وطن ..

وتفصل صيغة « التايم » كيف يبقى هذا الكيان تحت اشراف الامم المتحدة حتى يستقل تماما :

● غزة : فيها ٤٠٦ الاف فلسطينى ، وهذه يجب ضمها سياسيا الى الضفة الغربية ـ الكيان الجديد ـ مع التزام اسرائيل بعدم عرقلة مرور السلع والمواطنين بين المنطقتين « مثل الطرق بين المانيا الغربية وبرلين الغربية »

● القدس : وجهة النظر العربية ان القدس مدينة عربية من حيث سكانها ولهذا يجب استعادتهم لها ، وسوف تتخلى اسرائيل عن القدس الشرقية ومن بينها المدينة القديمة وعن مستعمراتها الجديدة بالمدينة ، وستتحول المدينة القديمة بما تحويه من أضرحة مقدسة الى مجتمع يخضع لاشراف دولى ، ويدير شئونه بنفسه .. اى يتحول الى فاتيكان .

وتعتبر القدس العربية عاصمة لاسرائيل . والزيارة بلا عائق للاضرحة المقدسة التى ستديرها الاديان التى تتبعها ـ مكفولة للجميع في أى صيغة من الصيغ ..

وفي صيغة « التايم » حديث عن اللاجئين الفلسطينيين يحدد عدد العائدين منهم بنصف مليون فقط ..

وحديث عن الضمانات العربية الدولية للوجود الاسرائيلى مقابل تنازلا تها عن الارض وسوف تقدم الصحافة تكهنات كثيرة عن محتويات الملفات في قاعة الرباعيات .. ولكن الحقيقة لا يعلمها احد . ان مبادرة السادات خطت بالموقف كثيرا وحملت تقديم التنازلات الاسرائيلية ضرورة امام العالم كله .. وامام شعب اسرائيل ، بل وامام الحكومة الاسرائيلية التى يقال انها مهددة ان لم تحقق نجاحا .. ويقال عن حزب حيروت ـ الذى يرأسه بيجين ـ انه لا يضمن غالبيته في مجلس الوزراء اذا تعنت بيجين في مواقفه ...

وبعد . فان مظاهرات السلام في القاهرة صوت صارخ للعالم كله يلزمه بأن يقف الى جانب السلام ، وهو نداء لشعب اسرائيل الذى رحب بالسادات ترحيبا لم يكن يتصوره احد . نداء له ان يفتح عينه على الموقف ليتدخل ف الوقت المناسب اذا فكر بيجين في افلات فرصة السلام الذهبية ..

ان المشروعات المتصورة او المطروحة لا تتفق مع ما طالب به السادات ولكن تبقى قواعد ان اجتماع القاهرة يمهد لجنيف ، وان الابواب مفتوحة ليقبل من يريد السير في قافلة السلام .. وان شعب مصر يحرس باهداب العيون وخفقات القلوب قاعة الرباعيات التى تريد ان تصوغ الامل حقيقة ، وتصدر الفجر لعالم يرتجف من حرب لا يعلم مداها الا الله ...

١٥ ـ أبناء الأديان حول مائدة السلام

قال لى صحفى امريكى خفيف الظل :

ـ في القدس تحدث مناحم بيجين عن الحضارة اليهودية .. والجذور اليهودية ، فاذا بكم تستدرجون وفد مفاوضاته الى سفح الهرم .. يفتح الواحد منهم نافذة فيرى عملاق التاريخ امامه ، وبتجول فاذا هو بين الاهرامات الثلاثة .. وابى الهول .. كأنكم تردون على بيجين بمظاهرة حضارية .. أقوى بكثير مما قاله كلاما عن الحضارة اليهودية ..

قلت :

ـ هذه الاستنتاجات تشبه البهارات توضع في تحقيق صحفى عن موقع المفاوضات وموائد المفاوضين .. تاريخنا ليس في حاجة الى دعاية .. صلب اليهود من مصر ولهذا فهم يعرفون تاريخنا .. أليس كذلك ؟ اسمع .. فندق مينا هاوس أو بروى اختير لانه بعيد عن زحام المدينة وضوضائها .. والأمن فيه وحوله جهد رائع .. والخدمة الصحفية يسر

متدفق، ومع ذلك .. دعنا نتجاوز الشكل الى الموضوع .. أليس هذا هو الهدف الأول من مؤتمر القاهرة .. ألا نغرق في الشكليات والاجراءات ونصل الى الموضوع مباشرة ..

في الموضوع .. قال موشى ديان عن مؤتمر القاهرة:

- على اسرائيل ان تدرس مستقبلها، ان مؤتمر القاهرة ليس حفلة عيد ميلاد نذهب اليها لتقديم الهدايا، أننا نذهب لنعرض ردا على هدية السادات بزيارته للقدس ..

وفي مؤتمر صحفى عقده سايروس فانس وزير الخارجية الامريكية مع مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل اثناء زيارة زيارته الأولى لاسرائيل ضمن جولته في الشرق الأوسط سئل:

- هل تعتقد ان من الممكن ان يسفر مؤتمر القاهرة عن مجموعة من المبادىء للوصول الى تسوية شاملة ..؟ ..

فاجاب بيجين بقوله:

- اعتقد ان هذا هو حقا هدف مؤتمر القاهرة، الان فإن وفدى مصر واسرائيل سيعالجان المبادىء الاساسية الخاصة بمعاهدات السلام التى يجرى التفاوض بشأنها والوصول اليها وتوقيعها في النهاية، وكما تعلم فبموجب القانون الدولى هناك فصول واقسام ومواد فرعية كثيرة جدا بالنسبة لاية دولة توقع على مثل هذه الوثيقة الهامة جدا ذات المكانة الدولية .. وهذا الامر سيبحث في القاهرة واود ان اشير الى انها ستكون مثالا لمعاهدات السلام التى ستعقد مع جميع اجيران العرب ..

في الجزئية الاخيرة .. وحتى لا يظن احد ان ماقاله بيجين فيه تلميح بمعاهدة صلح منفرد تكون نموذجا لمعاهدات اخرى مع باقى الاطراف .. في الجزيئة الأخيرة ... قال الدكتور بطرس غالى وزير الخارجية المصرية بالنيابة:

ـ الوثائق التى اعدها الجانب المصرى تنصب على الحل الشامل .. اننا نعمل على اساس النقاط الخمس التى اوضحها الرئيس أنور السادات في الكنيسيت لانها اساسية للسلام ، وهى تتضمن اعادة جميع الاراضى ، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، وحق كل دول المنطقة في الوجود الآمن ..

وكتب اسحق رابين مقالا في الجويش كرونيكل قال فيه عن مؤتمر القاهرة :

ـ ان السادات يعتبر مؤتمر جنيف مؤتمر اسميا تذهب اليه الاطراف فقط عندما يكون جدول الاعمال على نحو طيب وحينما تكون النتيجة عبارة عن مسألة مفروغ منها . إن مبادرة السادات اضفت سرعة على العملية الدبلوماسية واستدعت ضرورة ايجاد اجابات مبكرة في غضون بضعة أشهر كحد اقصى ، وهذه بالنسبة لاسرائيل لحظة الحقيقة .. لحظة الخيار التاريخى ..

وقال سايروس فانس :

ـ سنبذل قصارى جهدنا لتحقيق تقدم في مؤتمر القاهرة وسأبذل مافي وسعى لضمان انه خطوة للامام في عملية السلام . وللتأكد من ان قنوات الاتصال بقيت مفتوحة أمام جميع الاطراف .

وقبل ان يصل الفريد اثرتون وكيل الخارجية الامريكية ورئيس الوفد الامريكى في مؤتمر القاهرة صرح بقوله :

ـ ان الاحداث التى شهدها الشرق الاوسط في نوفمبر ١٩٧٧ خلقت فرصة فريدة لنجاح المفاوضات المؤدية للسلام . ويجب علينا الا نسمح لهذه الفرصة بان تفلت ..

وبدأ المؤتمر التاريخى في القاهرة . ضربة معلم ثانية من ضربات السادات قبل ان يفيق العالم من « زلزلة » الضربة الاولى وهى زيارته للقدس . وبراعة في « الايقاع » الدبلوماسى السريع الذى اصبح العالم

يتابعه بذهول الاعجاب ، وصلوات المنى ، ان يحل السلام في الشرق الأوسط .. هذا حلم وقد بدأ الحلم يلمس ارض الواقع عندما لامست طائرة السادات أرض مطار بن جوريون في تل أبيب .

العالم كله يصفق للسادات ..

معهد لويس هاريس الامريكى اجرى استفتاء بين الامريكيين فقال ٥٢٪ منهم ان مصر تريد السلام حقيقة وحصلت اسرائيل على بقية الأصوات ، هذا يحدث لاول مرة في التاريخ ، فالصورة التى حفرتها الصهيونية في الاذهان ان العرب قتلة وسفاحون .. لا مجال للشك في احصاءات معهد لويس هاريس لسبب بسيط أنه معهد يهودى هنا شاهد بأن تيار الرأى العام الامريكى مع الموقف المصرى ..

والاجماع بين خبراء الشرق الاوسط في أمريكا - وهم دبلوماسيون ومعلقون سياسيون وتليفزيونيون .. الإجماع بينهم على أنه يجب على اسرائيل ان تقدم تنازلات تفاوضية لتعادل شجاعة الرئيس السادات الذى خلق مؤتمر القاهرة .. وهى تنازلات - على حد تعبيرهم - ويجب ان تتيح للسادات ان يبرر للعرب المتصلبين في الرأى الحكمة الكامنة في نهجه لا حلال السلام .

وفي المناخ الدولى المتعاطف مع مؤتمر القاهرة تجد نظرة احتقار للسلة التى جمعت أهل الرفض من مسرح العرائس السوفيتى في الشرق الاوسط .. وساذج من يتصور ان هذا الرفض مرفوض من الاقلام القاهرية تعبيرا عن شعب مصر او جريا على حق الدفاع الشرعى عن النفس ، ففى الصحافة العالمية من يكيلون للرفض ضربات ساحقة .. اقرأ معى ماكتبه جان جاك سلوب في جريدة تريبيون ده جنيف تحت عنوان « الاقزام الاغبياء » يقول :

- ان مايضايق السادات هو تجاهل الاغبياء الرافضين الاعتراف بان زيارته للقدس لم تشتمل على أية تنازلات عن المطالب المشتركة للدول

العربية ولمنظمة التحرير الفلسطينية وانشاء دولة فلسطينية .. وعلى الرغم من ان السادات يعد قاسيا في نظرهم الا أنه سيظل « اميرهم » الطيب ، وسيظل على تحمل هؤلاء الاغبياء أى سيواصل اجراء المفاوضات في صالحهم وهذا يعنى أنه سيستمر ماضيا في الطريق الذى بدأه بزيارة القدس ، ولن يدخل لعبة السلام المنفرد طالما بقى له بصيص من الامل من اجل اعادة تشكيل الوحدة العربية . وامام هذا الظافر المتسامح في وقت واحد ظل هؤلاء الاقزام يشعرون بالحيرة فقد اسفرت الانذارات التى وجهوها الى القاهرة عكس ماكانوا ينتظرون ، وحصل الرئيس المصرى على تأييد شعبه الجبار . وظن القذافي مثلا أنه يستطيع ان يؤلب شعب مصر على السادات .. ولا بد أنه قد وصل الآن الى طريق مسدود ..

وفي رأيى ان الرفض كله وصل الى طريق مسدود ..

ان سوريا ابتلعت في طرابلس « موسى » - صناعة سوفيتية - وهى الان غير قادرة على بلعه .. وغير قادرة على اخراجه - غير قادرة على بلعه لأن بلعه معناه انها تستطيع ان تطرح بديلا يوافق عليه عقلاء العرب ، ومعنى اخراجه ان تعلن بصراحة انها عادت لرشدها .. واستمعت الى دقات قلوب شعب سوريا ، ورجعت الى مظلة العروبة الحقيقية .. لا العروبة الحمراء ..

سوريا .. بعد اربعة اسابيع من الرفض .. وبعد ثلاثة أسابيع من طرابلس لم تصدر إلا اطنان الشتائم ، واطنان الشتائم تمثل عادة عجزا في ميزان المدفوعات السياسى .

على أننى اعتقد ان شجاعة مواجهة النفس قد تواتيها يوما ما .. وقد بدت بادرة من هذه في القاهرة - حين قال فانس أنه سيبلغ الرئيس كارتر ان حافظ الاسد يريد ان يبقى على اتصال مع أمريكا خلال تطورات أزمة الشرق الاوسط .. وأنها - اى سوريا - لا تزال تبحث عن حل سلمى للقضية ..

واذا عادت سوريا عادت مستعمراتها معها . عادت لبنان والمنظمة . ويتحقق بعودتها الشرط الذى علق عليه الملك حسين الحضور الى المؤتمر وهو تواجد الأطراف الأخرى ..

ولم يتحول الاتحاد السوفيتى عن موقف العداء لمصر، والحقد على رئيسها وشعبها، وقد كان الاتحاد السوفيتى في معارك كثيرة يحرك الاذناب ويبقى بعيدا وبراءة الاطفال في عينيه، الا أنه هذه المرة طرح برقع الحياء وقد اذاع راديو موسكو أنها، أى موسكو تؤيد انشاء جبهة عربية سوفيتية ضد مصر من اجل افشال مبادرة السلام وأنها ـ أى موسكو أيضا ـ متفائلة من اقامة هذه الجبهة بعد اتصالات الاتحاد السوفيتى مع كل من سوريا والعراق ..

ومثل هذه « الاعترافات » تكشف للعالم العاشق للسلام حقيقة الدور السوفيتى في العالم، فالسوفييت وراء الحروب في القرن الافريقى، وفي العام الماضى كانوا وراء الحرب في زائير، وهم خميرة العكننة المسماه بالبلوريزاريو في الصحراء الغربية الموريتانية.. وهم وحدهم الذين يصدرون الحرب .. فكيف يمكن ان يستوردوا مبادرة السلام تجىء من ضفاف النيل .

ولاشك ان الموقف السوفيتى الحالى هو آخر ماوصلت اليه السياسة السوفيتية من حماقة وانزلاق الى الحضيض .. وعندما كان الرئيس أنور السادات في طريقه للاجتماع بالرئيس الامريكى جيرالد فورد ـ مايو ١٩٧٥ ـ في سالزبورج ـ كتبت أقول ان هذا الاجتماع يتم لان امريكا ادركت ان سياستها في الشرق الاوسط لم تعد ملائمة .. وانها تعيد النظر في هذه السياسة .. وقلت ان الاتحاد السوفيتى ينبغى عليه ايضا ان يعيد النظر في سياسته في الشرق الاوسط، فيعطى لكل قوة حجمها الصحيح، ويعرف ان مصر كبيرة حتى وان عيرت بأنها فقيرة ويدرك أنها مفتاح الشرق الاوسط وجيش الحرب وساحة السلام .. وان كل شىء بها

ولا شيء بغيرها .. وقلت ان مصر لا تضمر حقدا على أحد ، ولا تنسى فضلا لصاحب الفضل ولكنها مظلومة مع الاتحاد السوفيتي بسبب تقارير عملائه من باعة البطاطا ..

والواقع ان باعة البطاطا من المارقين المصريين انتشروا في بغداد وطرابلس والجزائر . وظن الاتحاد السوفيتي ان قوتهم « الميكروفونية » تهز مصر ولكن ماقول الاتحاد السوفيتي وهو يرى شرذمة الرفض في زوايا النسيان .. ثم وهو يرى تجمع الرفض تجمع سباب وخذلان ؟ ماذا لو اعاد السوفييت تقييم سياستهم بعيدا عن هؤلاء العملاء ؟ ماذا وهم الذين يدعون أنهم يعبرون عن الشعوب لو سمعوا رأى الشعوب ؟ هل استمعوا الى جماهير مصر وهى تهتف للسادات وللسلام ؟ ألم تقل لهم تقارير العملاء ان شعب مصر يتربص بالسادات ليسقطه عند أول مبادرة .. كذبت التقارير .. باتت افكا . اصبحت بهتانا .. هيا .. أنني كمصري يريد لمصر صداقة العالم كله أقول هيا يا سوفييت اعيدوا تقييم سياستكم من جديد ..

فاتكم مؤتمر القاهرة .. تعالوا الى جنيف ..

مؤتمر القاهرة حدث ديسمبر مثلما كان لقاء القدس حدث نوفمبر ..

قاعة الرباعيات ذات المشربيات العربية والطنافس الشرقية تقطع بأن المناخ عربى بحت ..

كان عصمت عبد المجيد سفير مصر في الامم المتحدة ورئيس الوفد المصرى في المفاوضات رائعا وحاسما في كلمته ، « ان الجميع لا ينسون ان شعوب هذه المنطقة تعرضت للالام طيلة ثلاثين عاما ازهقت فيها الأرواح وسالت الدماء لذا فقد آن الوقت لتنتهز هذه الفرصة ولنسعى باحساس من المسئولية نحو تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط . ان الصراع

وجوهره وهو القضية الفلسطينية قد وصل الى منعطف هام عند ما حث الرئيس السادات اسرائيل ان تشترك في الجهود الرامية الى التحقيق السريع للسلام العادل والشامل .. ان مصر دخلت عصرا جديدا تحرر من نير الافكار الضيقة .. وغير ذلك من العقد النفسية والشكليات ، لقد تجنبت مصر الشكليات لتفتح الطريق أمام جهد صادق يستهدف تحقيق السلام العادل ويحترم القانون الدولى .. » ..

ثم قال الدكتور عصمت :

- وهكذا اثبتنا اننا ملتزمون بقرار السلام الحق ، دعونا لا ننسى ان السلام لا يتجزأ وان عدم وجود سلام ، وان استمرار حالة اللاسلم واللاحرب يشمل خطرا كبيرا للسلم والامن . إن العالم كله والمجتمع الدولى يأملون حقا ان تكون رغبة مصر الصادقة في سلام عادل وشامل تشاركها فيها اسرائيل اننا نتوقع اجراءات ملموسة دون امهال .

وأعطى الدكتور عصمت للوفود ان تتكلم .. تكلم الياهو بن اليسار رئيس الوفد الاسرائيلى قال فيما قال :

- ان اصحاب النوايا الطيبة في كل مكان يأملون ويصلون من أجل انجاح مباحثاتنا . إن لمداولاتنا نتائج تمتد الى ما بعد حدود بلادنا ومنطقتنا ، وعلينا ان ننظر في قضايا انتظرت طويلا موائد تجتمع حولها ، ولقد جعلنا هذا نجىء الى القاهرة نتحدث ونشترك في حوار تسوده الثقة ، فاذا لم ننتقل من هنا متجهين الى السلام فلن يستطيع ان يضع هذا احد بدلا منا . البلاد التى يهمها الامر هى التى تستطيع ان تحل المشكلة ، واذا كان هناك درس تستطيع ان تحصل عليه المشكلة واذا كان هناك درس نستطيع ان نتعلمه فهو ان السلام لا يمكن ان يتحقق بالوكالة وعلى يد الآخرين ومن أجل هذا يؤسفنا عدم وجود كل من كان يجب أن يكونوا معنا اليوم .. ممثلو سوريا ولبنان والاردن ووفد من العرب الفلسطينيين ..

واقول ان عبارة « وفد من العرب الفلسطينيين » احدثت رجة في قاعة الرباعيات فهذه أول مرة يقول فيها اسرائيلى مسئول هذا التعبير ..

وانفتحت في الجلسة العلنية في أول اجتماعات القاهرة طاقة على الأمل ونافذة على السلام حتى لو بدا الطريق طويلا .. بطول ما بين القاهرة والقدس من فراسخ واميال ..

وقال الفريد اثرتون رئيس الوفد الامريكى في مؤتمر القاهرة بعد أول جلسة :

ـ ان أهمية اجتماع القاهرة هى أن مصر واسرائيل تتحدثان مباشرة لأول مرة في محاولة للوصول الى اتفاقية . ليس فقط بالنسبة للمسائل التى تخصهما بل الى اتفاقية عربية اسرائيلية شاملة . وستبقى امريكا في المقعد الخلفى خلال المفاوضات .. ولمصر واسرائيل ان تقررا سرعة خطى المفاوضات ، وسنبقى جاهزين لا بداء المشورة والاقتراحات وتقديم اية مساعدة اخرى يشعر الطرفان أنهما بحاجة اليها ..

والمعلق السياسى جميس ريستون كان مشفقا على الفريد اثرتون وهو يطير الى القاهرة وقد وجه اليه اسئلة محرجة على صفحات الهيرالد تريبيون عشية انعقاد المؤتمر .. هذه الأسئلة هى :

ـ هل سيكون دور امريكا دور المراقب الصامت أم الوسيط مقترح الحلول ؟

ـ ماذا سيقول اثرتون حينما يوجه اليه تساؤل حول ما اذا كان الرئيس كارتر سيضم الفلسطينيين في حملته من اجل حقوق الانسان ؟

ـ وهل اذا ضمهم كارتر لقائمته يعنى هذا منحهم حق تقرير المصير ؟

ـ في تصريحات كارتر كلمات مثل وطن فلسطينى وكيان فلسطينى .. وليس دولة ؟ فما الفرق عند اثرتون بين الوطن والكيان والدولة ؟

ـ ماهى الضمانات التى ستمنحها امريكا لاسرائيل اذا تحتم على

بيجين ان يتنازل عن كل بوصة من الاراضى التى استولى عليها في حرب ٦٧ كما طالب السادات ؟

ويخلص جميس من اسئلته الى ان مؤتمر القاهرة .. ومؤتمر جنيف من بعده قد لا يكفى فيه الفكر الامريكى وحده ، لان من الامور مايتطلب تفاهم امريكا مع حليفاتها في أوربا واليابان .. لان صناعات الحلفاء تعتمد على بترول الشرق الاوسط ..

ومصر منذ ثلاثة اعوام تنادى بمقاعد للدول الاوربية الكبرى في مؤتمر جنيف ..

مؤتمر القاهرة ليس رسميا ، هو بنص الدعوة مؤتمر غير رسمى ولهذا لا يلتزم بشكل ولا يعقد الامور . قبل الجلسة الافتتاحية التقى عصمت عبد المجيد مع الياهو بن اليسار والفريد اثرتون لمدة ست ساعات .. واللقاءات الجانبية استمرت حتى في أيام الاجازات ... وهى أيام الجمعة والسبت والاحد .. أيام « حسن ومرقص وكوهين » ..

فهل وجد ابناء الاديان الثلاثة طريقا للسلام .. وهم الذين يلتقون على طريق الله .. بالانبياء وكتب السماء ، والصلوات وتراتيل الدعاء ؟

كانت اجتماعات اللجان من شقين .. لجان قانونية وهى تدرس مواقف القانون الدولى من القضية تطرح هذه اللجنة نصوص القرار ٢٤٢ .. مثلا ، وتفصصها قانونيا وتصل الى مفاهيم مشتركة .. أو تصطدم وجهات النظر فيتمسك كل طرف بموقفه ، حتى يعود الاسرائيلى الى التليفون المباشر بين مينا هاوس أوبرى والخارجية الاسرائيلية في القدس .. أو يرفع عصمت عبد المجيد سماعة التليفون في الغرفة رقم ٨٠٢ فيسمع الدكتور بطرس غالى على الطرف الاخر من الخط ..

واللجان السياسية ، وهى تبحث المسائل السياسية . فالقضية لها هذان الشقان القانونى والسياسى .. والمواقف السياسية لها معطيات كثيرة ،

فالمواقف السياسية مثلا هى التى طورت قضية فلسطين من قضية لاجئين الى قضية سياسية . هنا يصبح الموقف السياسى في خدمة الموقف القانونى ..

وهذا مثل واحد .. والامثلة عديدة ..

والهدف من اجتماعات اللجنتين .. والاجتماعات الجانبية بين رؤساء الوفود هو تحديد نقاط لجنيف . نقاط متفق عليها وفرز معالم يتفق عليها إلى مرحلة التصعيد حين يصبح وزراء الخارجية هم أطراف اللقاء .. ومن مجموع هذا كله يتضح جدول أعمال جنيف ..

أما الذى ظل مسيطرا . والذى ظلت له قدسية القرآن والتوراة والانجيل فهو الحل الشامل للقضية ، على ان يكون جنيف نهاية المطاف حيث يجرى توقيع اتفاقية السلام ..

هذا هو ماجرى .. بصرف النظر عن مواقف الرفض .. ومصر في هذا لا تفرض وصاية على احد .. ان الرئيس السادات اعلن انه سيقدم كل حصاد المبادرة لقمة عربية تكون هى الحكم .. ومصر دائما تعرف طريقها .. وحاكمها يسمع شارعها .. ويترجم مافي صدور شعبه الى قرارات ومبادرات يقول عنها العالم انها شاهد حتى على ان على ضفاف النيل شعبا عظيما .. شعبا حضاريا ..

تسألنى ،

ـ مامعنى وجود سيلاسفيو مندوبا عن الأمم المتحدة ؟

أقول ،

ـ أن القضية ظلت في اطار الامم المتحدة ٣٠ عاما ، ومن الأمم المتحدة صدرت كل قراراتها ، حتى القراران موضوع التداول القانونى ـ ٢٤٢ و ٣٣٨ ـ .. صدرا عن الامم المتحدة .. فهى الاطار الضمير .. وهى الاطار المنوط به التنفيذ بعد ذلك . هب أن اتفاقا ما نص على تجريد منطقة من سلاحها ، هب ان مادة في معاهدة سلام حتمت تواجد قوات دولية ..

من الذى ينفذ ؟ الأمم المتحدة .. اذن فوجودها سند شرعى . يثبت فوق قاعة الرباعيات ظلال مبنى علبة كبريت في نيويورك ..

ولكن هل مضى كل شيء بنعومة ؟ هل مؤتمر القاهرة رحلة شاعرية الى السلام هل هو لقاء عشاق بالعناق ؟..

أقول كلا ، أنه لقاء فيه تضارب في وجهات النظر . وكل صاحب نظرة يدافع عنها ، ويستميت في الدفاع عنها ، ويتمسك بأنه الحق ودونه الباطل ...

هذه هى طبيعة الامور .. ولو تخيلت غير ذلك فاذن انت لا تعرف الياهو بن اليسار ابن تل أبيب ..

وفي اليوم الأول للمؤتمر دوت قنبلة ..

ولم تنهار جدران مينا هاوس اوبرى من انفجار ولكن سكان الفندق العربى المطعم بالروح الهندية كانوا واجمين .. ثم لما انطلقوا الى التخمين والحدس قالوا كلاما يملأ .. دار الكتاب ان سجل في كتب .. القنبلة هى سفر بيجين الى واشنطن صباح المؤتمر ليلتقى بكارتر .

وثارت الاسئلة :

- هل هذا اجهاض لمؤتمر القاهرة ؟

- هل هذه ترضية من بيجين لدول الرفض ؟

- هل وراء الطيران المفاجىء اتفاق قديم بين مصر واسرائيل وامريكا ؟

- هل يمكن ان تكون الرحلة حقنة مقوية لاجتماع قاعة الرباعيات ؟

- هل يلحق السادات بيجين ، وتنتهى الحكاية في القاعة البيضاوية ، ويصبح لقاء القاهرة مقلبا تاريخيا ، وهل .. وهل ؟

وقال كارتر في واشنطن :

- لا اعتقد ان بيجين سيقطع كل تلك الطريق مالم يكن لديه شيئا

يقوله .

ثم قال :

ـ عندى تقارير تقول ان رئيس الوزراء الاسرائيلى يحمل معه بعض اقتراحاته الخاصة بالسلام لبحثها معهم .. وسؤالى هو اذا كانت الولايات المتحدة ستضمن السلام فهل سيكون لدينا كلمة بخصوص مايعنيه السلام الحقيقى ؟ وقد كان أملنا وهدفنا ان تجتمع الدول المعنية مباشرة في الشرق الاوسط .. الواحدة بالاخرى ، وتصل الى اتفاقيات تتضمن ثلاثة أمور أساسية هى تعريف السلام الحقيقى والعلاقة بين البشر بالمنطقة وأعتقد ان الرئيس السادات قطع خطوة كبيرة في تحقيق ماهو السلام الحقيقى .. والثانى انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة مع ضمان الحدود الآمنة لاسرائيل ، والثالث هو مسألة الفلسطينيين ..

كأن كارتر كان يعلن لبيجين وهو فوق المحيط الاطلسى وجهة النظر الامريكية .. وقد قيل ان بيجين طار الى امريكا لعدة أمور منها :

ـ ألا يترك كل الاضواء للسادات الذى أصبح بطل السلام وغلاف المجلات وصور الصفحات الأولى والخبر الاول في كل اذاعة وتليفزيون . هذا كله معناه ان العالم بدأ يستمع للسادات وحده .. اراد بيجين ان يخطف حزمة ضوء ويأخذ لاسرائيل ركنا من المسرح العالمى الذى يحتله السادات باقتدار منذ الساعة الثامنة من ليلة السبت ١٩ نوفمبر ..

ومنها انه يريد رفع مستوى التعاون بين اسرائيل وامريكا فيما يختص بسياسة السلام واستراتيجية التفاوض .

ومنها أنه يريد ان يمنع امريكا من تقديم اقتراحات .. لان الاقتراحات الامريكية اقرب الى الموقف العربى .

وحرق السادات حركة بيجين حين صرح بأنه على اتصال شبه يومى بكارتر .. وانه بعث الى كارتر بتصور للحد الادنى الذى يقبله العرب ...

واعلن كارتر ان مايسمعه من بيجين لن يقول فيه رأيا .. لان الرأى للسادات صاحب القضية . ورغم ان كارتر بهذا الاعلان الذى تشتم فيه التواضع .. الا ان رحلة بيجين الى واشنطن أعادت الى أمريكا دورها في قطار السلام . ان أمريكا ضرورية من أجل الضمانات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين اسرائيل والاطراف العربية . وهى في هذه الايام بالذات مؤهلة تأهيلا كاملا للقيام بدور فعال في تضييق الفجوة الفاصلة بين وجهتى النظر الاسرائيلية والعربية .. لان كارتر أصبح يتمتع بثقة بيجين والسادات .. بنفس المقدار .

والمعروف ان كارتر حمل معه خرائط طلبتها مصر ..

تم اللقاء بين بيجين وكارتر ..

وكانت القاهرة على علم بما يدور في اللقاء .. أولا بأول ..

وفي برنامج التليفزيون المشهور « واجه الأمة » صرح بيجين بأنه عرض على الرئيس كارتر اقتراحات خاصة لتحقيق تسوية شاملة لقضية الشرق الأوسط . وقال : ان المقترحات تركزت بالذات على حل المسألة الفلسطينية . واقتراحاته تشمل اعطاء الفلسطينيين العرب في الضفة الغربية حكما ذاتيا وتقرير المصير . وان من حقهم عن طريق انتخابات ديمقراطية ان يختاروا من يمثلهم . وعندما سئل اذا كان هذا يعنى ان للفلسطينيين الحق في انتخاب ياسر عرفات أو ممثلين اخرين من منظمة التحرير الفلسطينية ..؟ قال بيجين : قد يجوز ذلك . ولكنه لا يعتقد ان الشعب الفلسطينى سيختار مثل هؤلاء الذين لا يتجاوبون مع السلام .. وهم يدعون الى الدمار .

وقال بيجين أنه لا يستطيع ان يتحدث بايضاح عن مقترحاته .. وقال : أنه ملتزم بأن يبلغ الرئيس السادات أولا بما تم التوصل اليه مع الرئيس كارتر في هذا الشأن وسوف يشهد يوم الاحد اللقاء الثانى بين

السادات وبيجين .. والاسماعيلية هى مكان اللقاء هذه المرة .

الصديق اريك رولو رئيس قسم الشرق الاوسط في صحيفة « الموند » الفرنسية قال لى ، هذه بداية طيبة اذا عرفتم حقيقة شخصية بيجين . ان بيجين بولندى الاصل وليست له عواطف الشرقيين ، ولهذا فعطاؤه محدود ، وهو مشرب الفكر والعقيدة بأن اسرائيل هى أرض الميعاد ، وان كل ماتحت يدها الان ملكا لها ، وهو إذ يعطى منه يقطع من جسمه .. من لحمه ..

وقال اريك ،

ـ ولهذا يجب ان يستمر الضغط عليه من شعبه مرة .. ومن امريكا مرة أخرى ، ورحلة السادات هي التى حركت الضغط في الاتجاهين ..

وليس ماقاله بيجين هو ماتوافق عليه مصر .. حتى بيجين نفسه سلم بأن هذه الصورة ليست الاخيرة .. سلم بذلك ضمنا وهو يقول لجوزيف كرافت في الهيرالد تريبيون ؛

ـ ليس من المفترض ان تبدأ المفاوضات بتقديم تنازلات . انت تبدأ بخلافات الرأى ثم تعمل على تضييق شقة هذه الخلافات . ونعلم ـ السادات وانا ـ ماهى الخلافات بيننا ونحن على استعداد للتفاوض من أجل عقد اتفاق ، والمساومة تواجه مرحلة حرجة .. لذلك لا يمكننى قول المزيد لك ..

والسلام الحقيقى يصبح معقولا بانقضاء كل يوم على استمرار المفاوضات . فقد شق السادات طريقا في الصخر ، واذاب ركام السنين الحاقدة .. وابناء اديان السماء يسمعون نداءات السلام من كتبهم « شالوم » تحية واسلوب حياة مأمولة .. « وإن .. جنحوا للسلم فاجنح لها » و « على الأرض السلام .. وبالناس المسرة » ..

١٦ ـ .. وماذا بعد لقاء الاسماعيلية ؟

من السذاجة ان نتصور اننا سنغمض عينا ونفتحها لنجد السلام . قد يمكن ان نغمض عينا ونفتحها لنجد الحرب . وهذا ما حدث في عام ١٩٦٧ .. وهو بعينه ما حدث في حرب الثأر في اكتوبر ١٩٧٣ .. ولكن الواضح المؤكد .. واليقين المطلق ان السلام اصعب من الحرب . والوصول الى آخر الطريق في السلام يستغرق وقتا اطول من الوصول الى النصر في الحرب .. الا ترى الى اسرائيل حسمت الموقف في عام ١٩٦٧ في ستة أيام .. ثم الا ترى الى صناديد مصر قد حسموا الموقف في عام ١٩٧٣ في ست ساعات أطلقت مائير في أعقابها صرخة الليل الاسود لامريكا « أنقذوا اسرائيل » .

لماذا .. السلام صعب ؟ .

أقول أن مبادرة السادات العظيمة أحدثت في اسرائيل زلزالا لم يفق بعض الساسة منه الى الان . كما ان الزلزال سرى الى انحاء كثيرة في

العالم سجلته « سيسموجرافات » الرأى العام العالمى بردود فعل تتراوح بين الذهول واللاتصديق .. لان المبادرة كانت بين اللامعقول واستحالة التحقيق ..

فماذا حدث في اسرائيل بعد ان انتهت الزيارة ؟

اسرائيل - لكى تفهم ما جرى فيها - تحتاج الى دراسة لتركيبها الاجتماعى ، وتركيبها السياسى ..

عن التركيب الاجتماعى اقول ان هذه الدولة نبت كتاب مقدس هو التوراة . أرض الميعاد أسمها عندهم والقادمون اليها تركوا كل شىء في الجيتو او في التيه او حتى في بلاد العذاب - من هتلر الى الاتحاد السوفييتى - وجاءوا اليها لانها جنتهم الموعودة . يرسخ هذا الشكل عقيدة يقاتلون من أجلها ومن يستشهد ويحرم من جنة الارض فله ملكوت السموات .. وقد ذاقوا الويل من الحروب المتتابعة ، ولكنهم بالاصرار يعيشون ، وقد ذاقوا الهول من الازمات وارتفاع الاسعار ولكنهم يتلقون عونا من الصهيونية العالمية ومن أمريكا يجعلهم قادرين على الصمود ، وقادرين على القتال « قد زلزلهم السادات مرتين . مرة بضربة عيد الغفران التى جعلتهم يصيحون الى متى نحارب » ومرة بزيارته للقدس التى جعلتهم يهتفون « اهلا بالسلام » ..

هم يهود من غرب ويهود من شرق ويهود من عرب ، والاجماع بينهم على هذا الذى قلت .. لانه حتى لو كانت بينهم بغضاء التفرقة الا انهم يعرفون انهم في النهاية يركبون سفينة واحدة .. ان غرقت غرقوا جميعا ، وفي حديث لى مع رئيس تحرير معاريف - وهو من وفد رؤساء التحرير المرافقين لبيجين في رحلة الاسماعيلية - قال ما معناه أن الرئيس السادات قلب الصورة في اسرائيل . قبل ان يذهب الى القدس كان ٨٠ ٪ من الشعب من الصقور و ٢٠ ٪ من الحمائم . الان أصبح ٨٠ ٪ من الحمائم الذين ينشدون السلام .. و ٢٠ ٪ من الصقور ..

وهذا قول عام اكدته كل احصاءات ومجسات الرأى العام في

اسرائيل . تكملها احصاءات مماثلة اجريت في أمريكا على اساس ان أمريكا هى الضرع وهى الأم .

واكدتها ـ ماديا ـ مظاهرة من مائة ألف اسرائيلى اجتاحت شوارع اسرائيل .. تطالب بالسلام وكانها رد فعل ، او كورس من بعيد يردد ماردده جماهير مصر في ساحة عابدين . ويقابل هذا مظاهرات قلة محدودة من جماعة جوش أميونيم ، المتعصبة التى بدأت ازمة مستعمرة قادوم منذ عامين بدأتها بمظاهرات تطالب بأجلاء عن الضفة الغربية . وبألا انسحاب من غزة .. لان هذه الارض في صلب التوراة هى ارض الميعاد . وانضم الى هذه الجماعة جماعة الشيوعيين ـ وهذا خلافا لما كتبه شيوعى تيقظ ضميره اخيرا فمشى في موكب مصر .. ولكن بقايا مسمومة في طرف قلمه تدفعه للمغالطة . فقد قال ان الشيوعيين في اسرائيل مع السلام .. قال لى رئيس تحرير معاريف :

ـ انهم ينتظرون عادة ان يجيئهم حشو الفم من موسكو .. فيرددون ما تقوله موسكو ! وموسكو ضد المبادرة ..

متاعب الديمقراطية

● اما التركيب السياسى لاسرائيل فيقول شيئا آخر ..

اسرائيل دولة ديمقراطية على النظام الغربى ولعبة الاحزاب فيها خطيرة قد تهدد احيانا مصالح اسرائيل السياسية . ثم قد تهدر فرصة عمر تمر بها الان . اقول هذا وقد قرأت ما تشنجت به جولدا مائير .. ثم بعض ما صرح به شيمون بيريز .. مما يتنافى مع روح الاعتدال التى بدأ بها في خطاب الكنيست ليلة ٢٠ نوفمبر . فالواقع ان حزب العمل عاد الى المعارضة .. وراح يندد بأن تنازلات بيجين التى يحملها معه الى الاسماعيلية فيها فرصة للفلسطينيين ليقيموا دولة . واذا قامت هذه الدولة فهذا في نظرهم جريمة كبرى . وقد كان بين اعضاء حزب العمل بعض

حمائم ... فاذا بهذا البعض يتحول في لعبة السياسة الى صقور .. واعتقد ان حزب العمل مدفوع الى هذا الموقف من واقع عقد نفسية .. احيانا شخصية ..

ـ فخلال ٢٩ عاما تولى فيها هذا الحزب الحكم لم يستطع ان يقترب باسرائيل من السلام كما فعل بيجين ، فاذا حقق بيجين السلام فانه يستطيع ان يعيش به بطلا قوميا يضاهى بن جوريون ، وربما يرقى الى مصاف هرتزل ، لان هرتزل وضع اسرائيل فكرا .. وبيجين باقرار السلام من حولها يعطيها شهادة الاستمرار والطمان والامان ..

ـ السلام اذا جاء لاسرائيل فانه سوف يحل مشاكلها الاقتصادية .. وحين تحل المشاكل الاقتصادية يقل الفساد .. او يختفى ، وعلى صخرة الازمة الاقتصادية ، وعلى مقصلة الفساد انتهت حكومة حزب العمل .. او انتحرت .. والسلام بهذا المفهوم يضيع أمل حزب العمل في اى انتخابات قادمة ..

ـ وفي صدور حزب العمل مرارة الهزيمة .. فهم الذين تلقوها في عام ١٩٧٣ ، وهم يزعمون انهم الحراس القدامى لاسرائيل فكيف تسوى الامور والحراس القدامى في الظل .. وفي صدورهم عقدة الهزيمة ؟ وينسى حزب العمل .. المعارض الان أنه الذى بدأ عملية السلام بموافقته على اتفاق فض الاشتباك الثانى .. ولكنه تذكر ان يقول الان ايضا « اننا لا نردد اكثر مما يردده بيجين لما كان زعيما للمعارضة » والقول فيه مغالطة لان بيجين كان يتحدث ويرغى ويزيد قبل التحول التاريخى .. قبل زيارة السادات للقدس ..

واذا كانت الاحزاب المعارضة تشكل ضغطا على بيجين وهو يخطط التنازلات فان شخصية بيجين هى شخصية « المعارض المزمن » . وتغيير عقليته بين يوم وليلة ضرب من ضروب الخيال ، من المعلقين السياسيين من يرى ان ما تقدم به ـ رغم انه لا يلقى قبولا مصريا ـ هو اكثر مما كانوا يتوقعون .. وتغيير عقليته يحتاج الى وقت أطول !

فاذا كان الكنيسيت يشدد الضغط على بيجين ، فهنا يبدأ دور الشارع الاسرائيلى الذى يجب ان يحمى بيجين من المناورات الحزبية ، والذى يجب ان يتجرد في فكره ، ويعرف الى الاعماق ان فرصة السلام نافذة من ذهب .. وان عليهم ان يتشمسوا ، ويجففوا الثياب المبلولة اذا سطعت عليهم الشمس الدافئة ..

وفي الفترة التى تجتمع فيها لجان المفاوضات المصرية الاسرائيلية بعد تصعيدها الى مستوى وزراء الخارجية والدفاع فاننى اعتقد ان الشارع الاسرائيلى لن يهدأ ـ انه يعرف بوضوح من خطاب السادات له ان السلام يجئ اذا اخذ الشعب الفلسطينى حقه في وطن ، واذا تم الجلاء عن الاراضى المحتلة ، واذا عادت القدس عربية .. ان من الصحفيين الذين التقيت بهم من يسلم بهذا ، ومن المفكرين اليهود في انحاء العالم من يطالب بهذا .. ولكن الاهم من هؤلاء هو التيار الجامح من اجل السلام ، تيار الشارع الاسرائيلى .. لان الجماهير هى وقود الحرب .. لا الصحفى ولا الكاتب من بعيد ..

وقد تأكد الشارع الاسرائيلى من ان الشارع المصرى يريد السلام ، ويبايع السادات في كل خطواته وفي كل مطالبه . واعتقد ان مظاهرات القاهرة ومظاهرات تل أبيب أول معاهدة تسجل بين شعبين من وراء ظهور الساسة . ويصبح في خطر .. ويصبح مقامرا بمصيره ذاك السياسى الذى لا يصدق على معاهدة وقعها شعبان .. وسوف توقعها بعدهما شعوب سوريا والاردن ولبنان وشعب القضية المقدسة .. شعب فلسطين ..

ثم أقول : هزتنى عبارة قالها الجنرال تامير ، المستشار العسكرى لرئيس الوزراء الاسرائيلى ، وعضو لجنة المباحثات الاسرائيلية في القاهرة ، وكان عضو الوفد الاسرائيلى في الاسماعيلية . تامير صلى في المعبد اليهودى في شارع عدلى .. ورأى صدق احاسيس الشعب المصرى المحب للسلام ، وسمع هتافا يرحب بالضيوف الذين رحبوا من قبل بالسادات ـ ترحيبا

اسطوريا ـ لما كان عندهم .. وعاد تامير الى فندق مينا هاوس وهو في شبه ذهول . وقال لاعضاء الوفد المصرى :

ـ اشك كثيرا في اننى استطيع ان أطلق رصاصة على هذا الشعب .. لو كلفت بذلك من قيادتى !

أرأيت ؟

ومن الذى يقول هذا ؟ قائد عسكرى يقاتل مصر منذ ثلاثين عاماً ..

حاجز الخوف سقط · جسر الامان لاح في الافق · من ينام عندما يطلع الفجر يضيع عليه رزق البكور · من يغالط في البديهيات التى تزدحم بها المنطقة بعد مبادرة السادات سوف يكون مجرم سلام تماما كمجرم الحرب ..

أقول هذا لاننى بعد الاسماعيلية.. لست ضيق الصدر بما حدث . لم اتوقع ان اذهب الى الاسماعيلية لارى توقيع الاتفاقية . ذهبت لاعرف ان الفجوة بعد كبيرة . ولكنى عدت وانا متأكد من ان السادات قرر المضى على الطريق . والاستمرار في دفع عجلة السلام ـ وتنظيم المباحثات صعودا . ومحاولة ايجاد الصيغة التى تلبى امل السلام ..

الرفض المرفوض

واذا كان هذا كله على الجانب الاسرائيلى فعندنا على الجانب العربى موقف الرافضين .. وهذه خواطرى عن الرفض وما سيقوله .. والرفض وما يضمره للمستقبل ..

● سقط الرفض في لقاء طرابلس .. القذافي « لم يغن عنه ماله وما كسب » ·

بومدين يشرع في التجوال في البلاد العربية محاولا عمل ملحق للساقطين . الاسد ـ ويا حزنى على الاسد ! ـ اتركه لوقفة خاصة . وساقط القيد بين الزعماء الحمر .. الحاكم بأمر السوفييت في اليمن الجنوبية

لاحس له ولا خبر . والعراق فيها افواه وعقارب تنفث سموما اذاعية مع الهواء .. ومنظمة التحرير .. لها ايضا وقفة خاصة .

● في وقفة الاسد انقل ما كتبته « مجلة نيوز اندرولد ريبورت الامريكية » .

قالت :

ـ قطيعة الاسد مع مصر ورفض اسلوب السادات في التفاوض قد يؤدى الى عزل سوريا وجعلها في موقف خطير من الوجهة العسكرية . فالقوات المسلحة السورية مشتتة بالفعل حيث يوجد ٣٠ ألفا منهم في لبنان ـ ونسى الكاتب ان مثل هؤلاء رابض في وضع الاستعداد قبالة العراق ـ كما أن القوات الاسرائيلية تتمتع بتفوق كبير ازاء القوات السورية . ولا يستطيع الاسد ان يعتمد على تلقى دعم من الملك حسين ملك الاردن وحليف سوريا في العامين الاخيرين . والذى يحسب الان حساباته لتحديد موقفه . كما ان الاسد لا يستطيع ان يكون واثقا من منظمة التحرير الفلسطينية فلقد ادى تدخل سوريا في الحرب الاهلية اللبنانية الى حرمان المنظمة وحلفائها اليساريين من تحقيق النصر . الامر الذى لا تغتفره المنظمة للاسد بسهولة . والدول العربية المتشددة وهى العراق وليبيا والجزائر حلفاء غير مؤكدين . كما أن الخلاف الشديد بين الاسد والعراق يحد كثيرا من امكانية هذا التحالف .

ويحكم العراق وسوريا جناحان متناحران من حزب البعث العربى الاشتراكى وقد دأبت العراق على محاولة إسقاط نظام الاسد الذى يحكم العرب يعنى انها ـ اى سوريا ـ تخاطر بفقدان المعونات الضخمة التى تلقاها من العربية السعودية . وحتى الاتحاد السوفييتى فانه لا يستطيع ان يقدم للاسد اكثر من التأييد المعنوى والدعم العسكرى لان موسكو تفتقر الى النفوذ السياسى في العالم العربى ..

وتستطرد الصحيفة قائلة عن الاسد :

ومما يزيد من تعقيد مشكلات الاسد ظهور عاصفة من الاحتجاج داخل سوريا . فهو يتعرض للنقد لتورطه في لبنان ولا هتمامه بالسياسة الخارجية في الوقت الذى يتداعى فيه الاقتصاد السورى . كذلك يتعرض الاسد للنقد لا عطاء المناصب الكبرى لافراد الطائفة العلوية التى ينتمى هو شخصيا اليها والتى لايزيد عدد أفرادها على ٦ ٪ من الشعب السورى ولا يتوقع الكثيرون ان يقامر الاسد كثيرا في الازمة السياسية العربية . وتدل جميع الدلائل على انه سوف يعمل على تهدئة العاصفة على امل استغلال نجاح مصر او فشلها بما يحقق مصلحته ..

- وفي الوقفة الفلسطينية اقول ان اجماع العالم هو ان المنظمة ضيعت على نفسها فرصة عظيمة بالامتناع عن حضور مؤتمر القاهرة .. حيث كان يمكن ان تتفاوض مع الاسرائيليين امام العالم .. فينتقل هذا الشكل الى جنيف بالتالى .. بدلا من استغراقها في المفاوضات السرية التى تفشيها بعد ذلك .. وكلها مفاوضات لم تحقق لها شيئا .. ولعل موجة عقل تحاول الان ان تقتحم الجنون الذى يعيشه بعض القادة . ولعلهم يسمعون اراء مواطنيهم الذين تحملوا عذاب الاحتلال عشرة اعوام ونصف عام ويكفون عن اتهام هؤلاء القادمين لمصر من الضفة الغربية وغزه . يكفون عن اتهامهم بالعمالة . ويعتبرون اصواتهم معبرة بالصدق كله عن ٧٦٠ الفا في الضفة الغربية و ٤٣٠ الفا في غزة .. و ٨٠٠ الفا في الاردن .. ان مشكلة الفلسطينيين هى تمزقهم فيما بينهم ولم يكونوا في حاجة الى الوحدة الرشيدة مثلما هم فى حاحة اليها اليوم . واقول الوحدة الرشيدة لأميز بينها وبين الوحدة العميلة حين يتجمع عملاء القذافي مع عملاء العراق على عملاء سوريا ويقولون انهم اصبحوا يدا واحدة ..

هذه يد دامية . ولسان منها هدد السادات برصاصة ليحول مجرى الاحداث .. يا سنمار ماذا تقول ؟ عند مصر ٤٠ مليون رصاصة ترد بها ..

ومن المتطرفين جورج حبش . والى كل فلسطينى لم يقرأ رأيه في

الموقف انقل هذه العبارات ادلى بها الحبش ـ صديق منجستو وفيلسوف العقيدة للعقيد ـ ادلى بها لمجلة التايم .. سُئل جورج حبش :
ـ ما موقف الشعب الفلسطينى الان ؟
اجاب قائلا :
ـ انه موقف بالغ الصعوبة . وليس لدينا انباء تخبر بها شعبنا ، ولا اعتقد انه ستكون لدينا انباء جديدة في العام القادم . ولكن بعد عشرين عاما من الان سوف تبدأ اسرائيل معركة لن تكون قادرة على مواجهتها ، وعندئذ ستبدأ الانباء الجديدة لشعبنا .
انتهى الكلام ..
ويا أجنة في بطون الامهات الفلسطينيات .. ويا أطفال فلسطين الرضع من أثداء هزيلة ، ويا كل ضائع بعيدا عن ارضه .. الى اللقاء مع جورج حبش بعد عشرين عاما ..

كارتر .. كلام حاسم

ماذا أذن سيجرى من الان فصاعدا !
يلتقى على الخرائط الجانبان المصرى والاسرائيلى .. العسكريان .
المصرى يعرف ما يريد . يعرف حدود ١٩٦٧ ، والاسرائيلى يحاول أن يقوم بدور شيلوك تاجر البندقية . ولكن .. اللقاء يتم حتما .. من أجل ان تقترب الشقة ، وتلتئم الفجوة .
ويلتقى على الاضابير والدراسات .. الجانبان المصرى والاسرائيلى السياسيان !
المصرى له للسلام مفهوم .. والاسرائيلى له للسلام مفهوم .. ولكن النية عند الطرفين متوفرة ، والنية تفتح الطريق ، وتوصل الى الهدف ..
فماذا تفعل الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك ؟
أقول : سوف يصل كارتر الى الشرق الاوسط . وسوف يلتقى مع قادة السعودية وهنا اذكر تصريحا للامير فهد ولى العهد قال فيه ان السعودية لم تكف عن تمهيد طريق الوفاق مع مصر البلد الشقيق ، ولن تكف عن

منحه كل ما ترى انه يخدم مصلحة الامة العربية . ويتيح تحقيق السلام العادل . وينبغى ان يستعيد العالم العربى وحدته . ويستأنف الحوار العميق والجاد الذى تتطلبه المرحلة الحرجة التى يمر بها ٠ ان السلام مطلب كل شعب يكره الحرب . فلماذا اذن في هذه المنطقة من العالم يؤدى السلام الى انقسامات تعتبرها اشد ضررا من الحرب ؟ ..

هذا ما قاله الامير فهد ..

وهذا القول يطيب جرحا في قلوب المصريين سببه صمت السعودية الذى طال ٠ بعد بيان أول كانت فيه ادانة شديدة التهذيب لزيارة السادات للقدس ٠ وقد كنت أعرف ـ من أصدقاء سعوديين ـ ان السعودية تؤيد خطوات السلام . ولكنها لا تعلن هذا لأنها اختارت دائما ان تكون رسول الصلح والوئام .. فاذا اعلنت موقفا ينحاز لطرف فانها لا تستطيع ان تسعى بالصلح عند الطرف الثانى ..

في السعودية يتوقف كارتر .. سهل ان تتصور ما يمكن ان يقال ..

وفي ايران يتوقف كارتر ٠ الشاه رضا بهلوى مع مبادرة السلام ..

وقد بدأ كارتر سياسته بالتعاطف مع الفلسطينيين . فهو أول رئيس أمريكى صارح شعبه بالحقيقة في قضية لم يكن الامريكيون يسمعون فيها الا وجهة النظر الاسرائيلية . ومضى كارتر قدما بعد تصريح كلينتون ـ بلدة في مساتشوسيس ـ ليطالب للفلسطينيين بكيان أو وطن ..

ثم تعرض لحملة صهيونية ضارية بعد البيان السوفييتى الامريكى واظهر له اللوبى الصهيونى في الكونجرس العين الحمراء . فصدر البيان الامريكى كورقة عمل لجنيف . ولكن السادات وضع البيانين على رف تاريخى مرود بتراب النسيان حين أقدم على مبادرة القدس التى فوجىء بها كارتر نفسه .. فأضطر أن يلاحق الاحداث التى أصبحت سرعتها سابقة لكل تصور .. مفاجئة لكل توقع .. جولته الى الشرق الأوسط تأجلت في انتظار ما تسفر عنه مبادرة السادات القدسية ..

ها هو كارتر يعود الى المواجهة مع اسرائيل وعنده تفاصيل الصورة : ما دار بينه وبين بيجين في واشنطن ، رأى السادات فيما أبلغه أياه كارتر عن لقاء واشنطن ، ثم ما دار بين السادات وبيجين في الاسماعيلية ..

والقضية الان تكاد تتركز على تفسير نص قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ : هذا هو الشق القانونى ، كما تتركز على المعطيات السياسية للقضية الفلسطينية التى صدرت بها قرارات دامغة من الامم المتحدة ، بل صدرت بها تصريحات كارتر .. كما قلت ..

والفلسطينى انسان !

فماذا سيفعل كارتر مع اسرائيل ؟

أنا أقول ان على كارتر ان يحزم أمره ويتدخل بقوة . فحسن ان تترك القضية لتفاوض الجانبين ، ولكن اذا كانت لكارتر قناعة فلماذا يطويها في صدره . لماذا لا يضيف بها قوة الى عجلة السلام ، ولماذا لا يعطى بها دفعة للقطار الذى نريده ان يمضى الى جنيف ؟ ..

أنا أقول ان على كارتر ان يكون صادقا مع نفسه . انه الرجل الذى اعلن انه سوف يستميت في الدفاع عن حقوق الانسان . والفلسطينى انسان . وقضيته قد تأجل فيها الحكم ٣٠ عاما .. والصدق مع النفس يتطلب من كارتر ان ينتصر للانسان الفلسطينى ..

ان كارتر غضب من المنظمة لانها لم تذهب لمباحثات القاهرة . نحن أيضاً غضبنا . ولكن ينبغى ان يتبدد الغضب لان الامتناع عن مؤتمر القاهرة مؤامرة بعض المنتفعين من القضية ، المثرين على حساب البائسين في الخيام او تحت نير الاحتلال . اما شعب فلسطين فانه لم يمتنع عن القاهرة ..

لقد زارت وفود هذا الشعب القاهرة على دفعات .. ان تيارهم

الجارف . كتلتهم الكبرى تريد السلام والعودة للوطن . وهذه الكتلة الكبرى هى التى اتمنى على كارتر ان يضعها في حسابه ، ويتكلم لها ، ويشدد على اسرائيل لانها من صلب قضية الانسان .

كارتر مطالب بأن يقول كلاما حاسما .. فالارض في بلده تسمح له بذلك،أكثر يهود أمريكا منذ زيارة السادات للقدس أصبحوا في خندق السلام . لن يتآمروا ضده اذا قال لاسرائيل كلاما حاسما ..

هذا أوان الحسم .. المفاوضات دائرة لتحسم ، الدنيا كلها تدخلت لتحسم . كالاهان هذا العظيم . ديستان هذا الشجاع .. شميث .. وكل من في السوق الاوربية ....

بل أقول ان كارتر ليس مطالبا بالكلام الحاسم يقوله للاسرائيليين فقط . انه مطالب بالكلام الحاسم يقوله للسوفييت .. أصدقاء الوفاق ! ان يقول لهم أنتم بنيتم موقفكم على ان السادات يسعى لصلح منفرد ويهدر القضية الفلسطينية . وها هو لقاء الاسماعيلية أكد أنه لا فكر في الصلح المنفرد ولا فرط في ذرة من الارض الفلسطينية .. فلماذا تناصبونه العداء وهو الذى لم يخرج لحظة عن الاجماع العربى .. ولماذا تهاجمونه ليل نهار . وتنظمون صفوف الرفض المسعور المنحور الموتور لعرقلة خطاه؟

أقول هذا كله لاننى واحد من أربعين مليونا يريدون السلام؟ ويبايعون ذاك الملهم الذى فتح الطريق للغد الاخضر .. وما أهتز يقيني أبدا في أن السلام فجر لاح .. والشمس تصعد في الافق .. فمن يخبئ الشمس !

١٧ ـ شمس أسوان تذيب غلطة كارتر

واحداث الاسبوع في اسرائيل هى :

● اختفى ديان فظنوا انه اختلف مع بيجين ، والخلاف حقيقة لا مظنة وديان يعتقد ان بيجين صقر اسرائيل الاول يضيع فرصة غالية قد تعود .. والاختفاء حقيقة ايضا لان ديان تخلف عن اجتماع مجلس الوزراء .. وقد قيل انه خطف رجله الى طهران ليقابل الشاهنشاه رضا بهلوى ـ قبل ان يصل كارتر الى ايران ـ لكى يشرح له وجهة النظر الاسرائيلية ، من منطلق ان اسرائيل تعرف ان الشاهنشاه يتبنى تماما وجهة النظر العربية ..

● لم يستطيع برد يناير الذى ينفذ الى العظام أن يزيل شيئا من سخونة الموقف في الشرق الاوسط . ذلك الموقف الذى يعيش في مناخ ملتهب بالاحداث منذ خمسين يوما .. أى منذ ذهب السادات الى القدس في تلك الرحلة التى تؤرخ بها الأمور .. والوقائع ..

وقد اصبحت وجهة النظر الاسرائيلية تتركز في ان السماح باقامة دولة فلسطينية هو بعينه السماح باقامة دولة شيوعية تكون ترسانة سوفيتية في المنطقة تزعج اسرائيل بل وكل الجيران .. ولعل ديان قال للشاهنشاه انها ستزعجه أيضا ..

● وغضب بيجين من الخارجية المصرية ، وقال إن المسئولين فيها يفكرون بعقلية روتينية ويظنون ان لديهم القدرة على ممارسة الضغط الدولى على اسرائيل حتى تقبل موقف مصر .. وقال بيجين فاقدا اتزانه التلفزيونى « وهذا لن نقبله .. ولا شك انهم على خطأ »

وهذا الهجوم البيجينى نظرة الى المستقبل ، ان بيجين يعرف ان مصر تحقق فن الدبلوماسية المكثفة ، وفن حصار اسرائيل حتى بأقرب الدول المتعاطفة معها .. ذاقت اسرائيل من هذا الحصار في مناسبتين ، قبل حرب اكتوبر حين جمع السادات اصوات العالم ضدها ، فلما شن حربه لم تكن موضع اشفاق احد .. الا امريكا .. ثم انه بعد الحرب وفي مبادراته للسلام استطاع ان يحيد امريكا الى حد كبير ، وان يأخذ قادتها المتعاقبين ـ نيكسون وفورد وكارتر ـ الى نظرة موضوعية للقضية الفلسطينية .. هي الآن موضع الخلاف وبؤرته .. يعرف بيجين ان مصر بعد لقاء عيد الميلاد في الاسماعيلية سوف تتحرك من جديد الى هذه الدبلوماسية .. ويعرف ان اوربا تريد ان تلعب دورا وقد وجد الدليل .. او دليلين وهو في طريق عودته من واشنطن ، فقد توقف في لندن ليلتقى بكالاهان .. فاذا بكالاهان يقول له ان مشروعه للسلام ، الذى سيذهب به الى السادات .. لن يرضى الاخير ، وقد سمع نفس الكلام من مندوب ديستان .. الذى طار اليه في لندن .. اما الدولة الثالثة الكبرى في السوق ، فهى المانيا الغربية .. وهذه جاءت الى مصر في شخص مستشارها هلموت شميت والذى صدر من تصريحات التأييد قبل وصوله ماجعله

اشد حماسا للسلام ، وللضغط على اسرائيل من كالاهان وديستان ..

ويعرف ان اوربا جاهزة لتأييد العرب .. وجاهزة لتقديم اى ضمانات تطلب اليها في الشرق الاوسط .. وقد استغاث بيجين بكارتر بين اوربا .. لان الموقف العربى ورقة رابحة في يد العرب .. ولعل كارتر حاول ان ينحى اوربا عن ممارسة هذا الدور الآن .. على اساس ان المطلب الاول لأمريكا وللعالم كان ان يجلس العدوان الى مائدة واحدة .. فيذوب الجليد ، ويجرى النهر ..

● والحكومة الاسرائيلية تلقت وجهة النظر المصرية في المقترحات ، ووجهة النظر المصرية معروفة كالمحفوظات في الكتب .. لا سلام بغير حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، لا سلام بغير الانسحاب الكامل من كل الاراضى المحتلة والأمن ضرورة حياة لكل دول المنطقة حتى تعيش تحت خيمة السلام العادل ..

والمفروض أن وفد اللجنة السياسية الاسرائيلية برئاسة ديان سوف يلتقى بوفد اللجنة السياسية المصرية برئاسة محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية المصرى فهل عند اسرائيل جديد تقوله ؟

الواقع ان اسرائيل تمور بالانفعالات .. دعك من مظاهرة المتعصبين من جماعة ذوى الطواقى « جوش امونيم » ودعك من المعارضين للمعارضة فهؤلاء لم يرتفعوا الى منطق الساعة ، ولا افاقوا من زلزال الزيارة التى قام بها السادات للقدس .. وابحث عن عقل وقلب الشعب الاسرائيلى الذى - في يقينى وطبقا لما سمعت من صحفيين ، ولما رأيت في شوارعها اثناء زيارة السادات - هذا الشعب لا أظنه يدع بيجين يفسد الامور ، ويقتل حمامة السلام .. قرأت للمعلق الياس مردخاى بنتوف في مجلة جوتم الإسرائيلية قوله ، « لماذا لا يطلق مناحم بيجين سراح المعتقلين الفلسطينيين ؟ لماذا لا يوقف الاستيطان لماذا لا يفعل بيجين ذلك ؟ هاهو السادات لا يخشى المعارضة القوية التى يثيرها الاسد والقذافى وبومدين

وعرفات وجورج حبش - وهو ايضا لا يعرف اسم رئيس اليمن الجنوبية ولهذا لم يذكره - هل يخشى بيجين جوش امونيم ؟ اذا اردنا السلام فمجال المناورة ضيق جدا .. وانه للمرة الاولى منذ قيام اسرائيل يوجد اتفاق التشابه بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والدولة العربية الرئيسية والعالم اجمع على ان حل النزاع يكون بالعودة الى حدود ١٩٦٧ - مع بعض التعديلات المعنية - وباقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة .. مستقلة او مرتبطة بالاردن

انتهى كلام مردخاى .. وقد اطلق بيجين سراح بعض المعتقلين فعلا .

الشارع والسلام

● فالشارع الاسرائيلى لن يترك فرصة السلام ، والرأى الذى سوف بتصاعد اذا اصر بيجين على موقفه ان السلام يتطلب تغيرا في العقليات او تغييرا في القادة . اذالم يغير بيجين عقله فالخطر يهدده . حيث ان الحكومة الائتلافية من أصحاب نعم للسلام حديث مطروح .. وقد يكون استفتاء الشعب الاسرائيلى على نقطة الخلاف مع مصر حديثا اخر مطروحا بنفس المقدار فالقضية مصيرية ، هناك من يقول ان الضفة الغربية وغزة هى يهودا والسامره لا يريد التفريط فيهما .. ومن يسلم بان السلام اهم من الحدود المنقولة من خرائط عمرها ثلاثة الاف عام يقول السلام احسن .. والمباراة في الاستفتاء تنحصر في هذه النقطة لا لدولة فلسطين .. او نعم لدولة فلسطين ..

ولكنى اعتقد ان بيجين يملك الوقت حتى تنتهى اللجنة السياسية من اعمالها لانه ساعتها سيعرف الشعب الاسرائيلى اخفاقها او انجازاها ..

واذا قلت ان في اسرائيل من يعارضون للمعارضة فأنا أعنى حزب العمل ، الذى تبدلت مواقفه كثيرا بين الاعتدال في مواجهة السادات الى

التشدد بعد بدء عملية السلام في اجتماعات القاهرة ومن رأى شيمون بيريز مثلا ان بيجين في لقاء الاسماعيلية فشل لانه عرض تنازلات كبيرة في سيناء متصورا ان السادات سيعطيه تنازلات بالمثل في الضفة الغربية وغزه .. الا ان السادات لم يحد عن مطلب الدولة المستقلة .

بيجين نفسه قال في هذا المعنى ان السادات وضع في جيبه للمستقبل كل ماقدمه بيجين عن سيناء ..

● وقد قامت مظاهرات من سكان مستعمرة ياميت عند رفح .... سكان هذه المستعمره علموا ان اسرائيل التى بدأت حديث الاسماعيلية بالمطالبة بالابقاء على المستعمرات الاسرائيلية في سيناء تحت مظلة اسرائيلية وقوات دفاع اسرائيلية ، ولما قالت مصر ان هذا الكلام مرفوض من جذوره لانه يخالف كل القوانين الدولية سلمت اسرائيل ببقاء المستعمرات .. تحت العلم المصرى .. تدفع الضريبة لمصر .. ويحرسها جيش مصر ..

سكان ياميت غضبوا وتظاهروا امام مكتب بيجين ..

انا اقول لكل اسرائيلى اذا كان سكان مستعمرة واحدة غضبوا فما فما بالك بسكان الضفة الغربية وغزة وهم في الاحصاء مليون ومائة الف .. وما بالك بمن طردوا من ارضهم من سنين ..

لا شك ان الشارع الاسرائيلى يضمر شيئا اذا تاكد له في المرحلة التالية ان قيادته لم تسمع صوته ولم ترصد نبضه ولم تكن على مستوى حماسته للسلام .. ان الشعب الاسرائيلى يرى التجاوب الكامل والمطلق بين الشعب المصرى ورئيسه ـ ويعرف ان الفرصه ان ولت قد لا تعود .. ابدا لا تعود ..

رصيد بيجين

ولكن مارصيد بيجين وهو يعاند ؟

هل هو القانون الدولى ـ وقوله في المؤتمر الصحفى ان الارض المحتلة لم تكن في غزو واستيلاء بالقوة بل كانت في حرب دفاعية ؟ وبيجين، داهية السياسة اول من يعرف ان هذه مغالطة ليس في الدنيا من يلغى عقله ليصدقها .. والمجتمع الدولى في قرارى الامم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ .. ثم في دستة قرارات اخرى اصدر ما هو مناف لها .. واكد على ضرورة الانسحاب من كل الاراضى المحتلة ..

وما هو رصيد بيجين وهو يعاند ؟ لا شك ان كتلة بيجين من الصقور القدامى عليها الان ان تنزع ريش الحمام في اجنحتها لان هذا هو الشىء الوحيد الذى يبقيها على مقاعد حكم كان املا منذ ٣٠ عاما ـ اى منذ تكونت اسرائيل ـ ان الكنيسيت جدار لا يمكن ان يستند اليه بيجين... انه حصل على ٦٤ صوتا من ١٢٠ على المشروع الذى كان في جيبه نسخته الوحيدة لما جاء الى الاسماعيلية .. والادهى ان الاقلية تبدو اكثر تشددا عند التصويت مع انها تعرف ان الشعب يريد السلام .. ومن الصحفيين الاسرائيليين من قال لى ان الكنيسيت لم يعد يعبر عن الشعب، وان بيجين لو ارادها مبادرة شجاعة لتخطى الكنيسيت الى الشعب الاسرائيلى، لقفز من فوق الكنيسيت وأخذ التأييد من الشعب مباشرة .. على انه وهو يفعل ذلك يجب ان يقدم للشعب مشروعا توافق عليه مصر ..

وهذه عودة من طريق اخر الى الفقرة السابقة .. فقرة مستقبل بيجين بعد لقاءات القدس .. التى يعرف انها ستتناول القضية الكبرى ـ قضية فلسطين ـ ولهذا طلب ان تكون في القدس على مقربة منه وتحت رقابته اليومية بينما تترك اللجنة العسكرية تجتمع في القاهرة لانه يعرف ان

قضية الخرائط بين عزرا وايزمان وعبد الغنى الجمسى قضية اقل تعقيدا ..

بيجين - بإجماع كل الملقين السياسيين - لم يصعد الى مستوى الاحداث ولم يطاول السادات في عظمته ، لم يقدم للعالم مثلما قدم السادات .. من يطلبون ان يشارك بيجين السادات في جائزة السلام مخطئون .. السادات يستحقها وحده .. وعلى بيجين ان يفعل شيئا ذا بال ليستحقها عن عام ١٩٧٨ ..

استضافت مجلة - جون أفريك - الكاتب الاسرائيلى صمويل ميرلين فكتب يقول :

- الفرق بين رجل الدولة الحقيقى ورجل السياسة ان الأول يركز نظرته دائما على المستقبل بينما لا يضع الثانى في اعتباره سوى الحاضر وحده .. فا لسياسى يعيش يوما بيوم ليتصرف وفقا لمعايير تتفق مع الظروف السائدة . اما رجل الدولة فهو يستند الى مبادىء غير زمنية وغير مادية . ويتصرف بمقتضى تطلعات أبدية ..

ثم يقول صمويل ميرلين :

- حينما اذكر هذه العبارات التى قالها الفليسوف البريطانى ادموند بارك اذكر في المقام الاول الرئيس المصرى أنور السادات .. وانا كمواطن اسرائيلى لا استطيع ان امنع نفسى من الشعور بالأسف العميق لان الرجل الذى اهتدى الى القيام بهذا العمل الفريد من نوعه .. الذى اسر خيال واعجاب العالم كله لم يكن احد قادة بلادى ولا شك في ان القادة الاسرائيليين لا ينقصهم الذكاء ولا الصفات الطيبة ولكنهم يفتقرون الى فضيلة ضرورية في هذه الفترة التى تشهد ازمة .. الا وهى سعة الافق والخيال ، وصحيح ان العيش في دولة محاصرة لا يثير بصفة خاصة الخيال الخلاق .. بيد انه لابد من الاعتراف ايضا بأنه منذ عدة سنوات لم تعد اسرائيل دولة محاصرة ..

كارتـــر والزلـــزال

وأعود الى سؤالى :

ـ ماهو رصيد بيجين وهو يعاند .. او كما يقول اولاد البلد وهو « يعافر اسمعك تقول :

ـ امريـــكا ..

انا اعتقد ان كارتر لايريد في قرارة نفسه ان يكون رصيدا لبيجين لانه بحكم تدينه .. وموعظة الاحد التى يلقيها كل اسبوع في الكنيسة المقابلة للبيت الابيض . كنيسة المعمدانيين التى ينتمى اليها ثم فيما اعلنه من حرص على حقوق الانسان .. حتى تراسل بالتعاطف كله مع الثائرين على السجون الحمراء في الاتحاد السوفييتى .. الرافعين راية التمرد على عبودية الفرد في دول الكتلة الشرقية من تشيكوسلوفاكيا الى بولندا الى المانيا الشرقية والمجر .. بل عرض الوفاق الامريكى السوفييتى للخطر لان السوفييت اعتبروا مافعله كارتر تدخلا في الشئون الداخلية لامبراطورية الحمر ..

كارتر بتكوينه لا يحب أن يكون رصيدا لبيجين ..

وكارتر بتكوينه كان منذ الشهور الأولى لتوليه الحكم .. ووصوله الى القاعة البيضاوية في البيت الابيض دعامة للفلسطينيين وأكثر الرؤساء دفعا لعجلة السلام حين اتفق مع السوفييت على اجتماع جنيف طبقا للورقة الامريكية السوفييتية .. وهى الورقة التى عرضته لحملة صهيونية مكثفة .. ولتآمر مدبر في الكونجرس زلزل اعصابه لانه لأول مرة يلقى هذا .. ولأنه في حقل السياسة ليس قوى الذراع كمن عركوها في عاصمة الدهاليز وتمرسوا بها في مختلف المناصب . كارتر جديد على هذا « العنف » السياسى . ولهذا ارتج كمتدين وبدت موافقه مزعزعة وهو

يصدر الورقة الامريكية الاسرائيلية تكاد تشجب الورقة الامريكية السوفيتية.

وقد فوجيء كارتر بالزلزال ..

كان الزلزال زيارة السادات للقدس وهرولت مكاتبه في اعداد التقارير والتوقعات ولكن تحرك السادات كان اسرع من هذه كلها مفاجأة بعد مفاجأة .. لا يفيق كارتر من واحدة حتى تلاحقه الاخرى وتدخل ليهديء الملعب .. اقترح السادات مؤتمر القاهرة في ٤ ديسمبر ١٩٧٧ .. فطلب كارتر ان يكون ١٤ .. ووافقت مصر .. وارسل وزير خارجيته الى الشرق الاوسط وهى ثالث رحلة لفانس الى المنطقة خلال تسعة اشهر اصبح مكوكا اخر مع انه صرح بأنه لن يحذو حذو كيسنجر .. وأجل كارتر زيارته للدول الست .. اجلها بضعة اسابيع حتى يهدأ الزلزال .. وتستقر الحمم في الشرق الاوسط ..

ولكنه وهو يفعل فوجيء ببيجين يفرض عليه زيارة محرجة .. تلك الزيارة التى اعلن عنها وطار بها صبيحة انعقاد مؤتمر القاهرة .. وبدأ كارتر متحفظا في اقواله وهو يسمع مقترحات بيجين للسلام بل ذهب الى حد القول انها لن ترضى السادات وان السادات وحده هو الذى يملك حق التعليق عليها .. ثم اعلن انه على اتصال دائم بالسادات .. وذلك بقصد الا يبدو منحازا لبيجين ..

وكان هدف بيجين من الزيارة تكميم فم كارتر حتى لا يقول مافيه ، لان مافى فم كارتر اصبح لصالح العرب ..

فهل نجح بيجين .. واخذ من زيارته لواشنطن رصيدا ؟

ظاهر الامور يدل على انه نجح .. والمحك كان في جملة واحدة قالها كارتر فبدت وسط فكره العادل كأنها زلة لسان ، او هفوة الكبير ـ وهفوة الكبير كبيرة مثله ـ قال كارتر مامعناه انه يؤيد الوطن الفلسطينى ولا يؤيد الدولة المستقلة ..

وقال السادات رأيه في هذا التصريح ، قال انه يجعل مهمته في المفاوضات مع بيجين صعبة لأن هذه هى وجهة النظر التى طرحها بيجين في الاسماعيلية ، وهى صلب اللقاء القادم بين وفد مصر ووفد اسرائيل في اللجنة الثلاثية ..

فالتوقيت في التصريح خان كارتر ..

وقد قرأت ان هذا هو رأى كارتر التقليدى .. وانه قاله حتى قبل ان يتحرك الى رحلته الاوربية الاسيوية .. التى اختار بعد ذلك ان يجعلها افريقية ايضا حتى يلتقى بالسادات ثلاث ساعات في اسوان .. قرأت ان كارتر قال هذا الرأى في بلدة بلينز من ولاية جورجيا ليلة عيد الميلاد .. وبلينز كما هو معروف مسقط رأسه ودائرته الانتخابية .

فلنقل بوضوح اذن ان بين مصر وامريكا خلافا في وجهات النظر ..

ولكن كارتر بتصريحاته بعد ذلك أعلن ان بين امريكا واسرائيل خلافا من نوع آخر فالوطن الفلسطينى له عند كارتر مواصفات اخرى .. اذ يقول :

- نحن لاندعم اى مستوطنة عسكرية اسرائيلية في غزة والضفة الغربية .. ونحن نحبذ وجود وطن او كيان فلسطينى هناك وتفضيلنا هو أن يكون ذلك الكيان مرتبطا بالاردن وليس بدولة منفصلة مستقلة .. وهذا مجرد تعبير عن التفضيل الذى نقلناه في مناسبات كثيرة للزعماء العرب .. وقد اعربت عن هذا الرأى ذاته للاسرائيليين وللملك حسين والرئيس الأسد وللسعوديين .. وليست لدينا أى نية لمحاولة فرض تسوية مقبولة لدينا .. أننا في موقف التعبير عن الآراء محاولين تعزيز

مفاوضات واتصالات صحيحة ومباشرة .. معجلين في العملية حين يبدو أنها بطيئة .. ومضيفين مساعينا الحميمة كلما طلب منا ذلك .. وليست لدينا النية او الرغبة في فرض تسوية ..

ويذهب فانس في التفسير خطوة أبعد فيقول :

- أن الموضوع الرئيسى الذى سيبحث في القدس سيكون مسأله الفلسطينيين وطلبهم بأن يكون لهم وطن .. وبينما تعتبر الولايات المتحدة اقتراحات بيجين الخاصة بمعالجة المشكلة الفلسطينية نقطة انطلاق مناسبة للمحادثات فان القاهرة غير مصادقة عليها ..

ثم اسمع تعليقات المسئولين الامريكيين تترى في الصحف والاذاعات

- امريكا لا تريد ان تقف وراء احد في بداية المفاوضات ..
- امريكا تشيد بسلوك الجانبين لجرأتهما وشجاعتهما في سلوك طريق التسوية السليمة .. ولكن عليهما ان يكونا اكثر مرونة لقطع مسافة اخرى ..
- امريكا ستوفد فانس ليشارك في مؤتمر القدس .. سيجلس في مقعد امامى .. ولن يجلس في مقعد خلفى كما فعل اثرتون في مفاوضات القاهرة .. يشى هذا الكلام الاخير بأن امريكا تحس ان التعنت الاسرائيلى يكاد يقتلع غصن الزيتون الذى زرعه السادات في الشرق الاوسط .. ولهذا تختار لفانس مقعدا اماميا يرى منه اكثر وربما يقول منه أكثر لانه سيكون مواجها للميكرفون ..
- امريكا تتوقف في أسوان لمقابلة السادات ..

اعرف أن محاولات خارقة للعادة بذلت لكى يتوقف كارتر في عواصم أخرى ولكنه لم يقبل تغيير برنامجه قيل بالنسبة لمصر قبل لان غضب مصر شىء اخر ...

١٨ ـ حرب التصريحات .. قبل المبارزة

اسوان .. منذ هل عام ١٩٧٨ ولايام اخرى مقبلة كانت اسوان مدينة الانباء الأولى في العالم ، فتحت شمسها الدفئة التقى الرئيس أنور السادات برؤساء متعاقبين لهم في تقرير مصائر الامور شان كبير ـ هم كارتر رئيس الولايات المتحدة الامريكية وشميث مستشار المانيا الغربية . والامير ترك .. من السعودية ، والشاهنشاه محمد رضا بهلوى ، ثم كالاهان رئيس وزراء بريطانيا ...

وقد وصل كارتر الى اسوان وسميث هناك في رحلة المودة .. ولقاء أكبر ثريين في العالم .. لقاء امريكا والمانيا الغربية امر يسيل له لعاب اسرائيل .. ولكنها تتربص في نفس الوقت بكل كلمة تخرج من فم الرئيس كارتر .. لانها تعدل خططها تنسيقا أو تحديا مع أو ضد ما يقوله كارتر ..

كارتر قال بعد لقاء الثلاثة ارباع الساعة مع الرئيس السادات يوم الاربعاء ٤ يناير ١٩٧٧ في استراحة مطار أسوان :

« ان وجودى هنا هو نتيجة للمبادرة الشجاعة للرئيس السادات . ان عملية التفاوض سوف تستمر في المستقبل القريب ونحن نؤيد بكل قوة هذا الجهد وسوف نلعب دورا نشطا مباشرا في اعمال اللجنة السياسية لمؤتمر القاهرة التى سوف تجتمع في القدس قريبا » ..

ثم قال :

« نحن نؤمن بأن هناك مبادىء معينة وأساسية يجب المحافظة عليها قبل التوصل الى سلام عادل .. هذه المبادىء هى » :

١ ـ السلام الحقيقى يجب ان يقوم على أساس علاقات طبيعية عادلة بين الأطراف .. التى ستحقق السلام فيما بينها .. ان السلام يعنى أكثر من مجرد أنهاء حالة الحرب ..

٢ ـ يجب أن يكون هناك انسحاب اسرائيلى من أراض احتلتها عام ١٩٦٧ ، .. واتفاق على حدود آمنة ومعترف بها لجميع الاطراف في أطار علاقات طبيعية وسلمية تتفق وقرارات مجلس الآمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ..

٣ ـ يجب أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ويجب الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتمكين الفلسطينيين من تقرير مصير مستقبلهم ، ان بعض المرونة مطلوب دائما لضمان توفير مباحثات ناجحة ولإيجاد حل وسط بالنسبة للآراء .. المتعارضة .. أننا نعرف ان

سمة العظمة التى يتمتع بها القادة هى أنهم يقومون بدراسة دقيقة لاراء الاخرين ، وهناك فائدة أكبر وهى تشارك شعوب العالم كله من أجل المشاركة في البحث المشترك من أجل التوصل الى السلام ..

أنتهى كلام كاتر ..

صحفية امريكية في السبعين ترافق كارتر في جولته قالت لى وحكمة السنين تطل من شعرها الفضى :

ـ كانت اسوان منذ عشرين عاما تقريبا فصل الخلاف بين أمريكا ومصر حول تمويل السد العالى . ها هى الايام تدور وتشهد اسوان فصل الائتلاف بين امريكا ومصر حول السلام .. ولعله أغلى عندكم من السد العالى .

والعادة ان الرئيس الامريكى اذا تحدث ففى البيت الأبيض من يتولون الشرح على هوامش تصريحاته ، أو يقدمون مذكرة تفسيرية لاقواله . قال مسئول امريكى بعد ان طار كارتر من أسوان الى فرنسا وتحدث قبل ان يغادر السماوات المصرية الى بيجين ..

قال المسئول الامريكى :

ـ ان كلمات كارتر المنتقاة بدقة والتى تمس أخطر نقاط الحساسية في مفاوضات السلام الخاصة بالشرق الاوسط كانت محاولة متعمدة لدفع عملية السلام الى الامام بطريقة الاشارة العلنية لما هو الدور الذى يجب أن يقوم به الفلسطينيون في تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين .. وتمكن الفلسطينيين من الاشتراك في تقرير مصيرهم هو ارساء لاسس محتملة للوصول الى تسوية خاصة بمواقف مصر واسرائيل .

تسبق محادثات وزيرى خارجية البلدين المقرر أن تبدأ في القدس ·

الخطــر المميت

فماذا قال بيجين تعقيبا على تصريحات كارتر « الاسوانية » ؟ قال :

ـ لا يمكن ان يكون هناك تقرير مصير حسب مفهوم هذا التعبير وفق القانون والممارسة الدوليين بالنسبة الى الفلسطينيين العرب . ان تقرير المصير يعنى انشاء دولة فلسطينية ، ولن نوافق على مثل هذا الخطر المميت الذى يتهدد اسرائيل · ان السوفييت سوف يستولون على دولة فلسطينية برئاسة عرفات خلال ايام أو اسابيع مثلما حدث في انجولا وموزمبيق واثيوبيا واليمن الجنوبية وليبيا ..

ثم تجاوز بيجين المدى حين اصدر التصريحات عن أنشاء المزيد من المستوطنات في الضفة الغربية ورفح . وكأنه يرد على أعتدال كارتر بلطمة ، وكأنه يطلق انذارا لليهود الامريكيين ان خذوا بالكم ان كارتر يطعن اسرائيل ، وهذا هو الهتاف الذى صدره بيجين للمتشددين اليهود في امريكا منذ شهرين . وقد قابلوا به كارتر في مؤتمر عقده في كاليفورنيا بعد أن صدر البيان الامريكى السوفييتى .

ولكن المؤكد أن عددا كبيرا من اليهود الامريكيين قد افلت تماما من يد بيجين منذ شاهد هذا العدد ـ الرئيس السادات وهو يذهب الى القدس مرفوع الهامة واثق الابتسامة ومحدد الغاية .. ثم محدثا زلزاله الذى غير الفكر الدبلوماسى العالمى قبل افول عام ١٩٧٧ :

والواقع ان من الامريكيين اليهود من يحاول القيام بتقريب وجهات النظر بين بيجين والسادات .. فالكسندر شاندلر رئيس المنظمات الصهيونية في امريكا قام بزيارة القدس وأعلن انه سيزور أسوان ، ولشاندلر وزنه بين ستة ملايين يهودى في امريكا ، هم ضعف سكان

اسرائيل وهم الخزانة التى تغدق عليها الرخاء والقدرات الاقتصادية ، كما ان من أعضاء الكونجرس ، ملوك اللوبى والدهاليز السياسية - من آثر ان يلتزم الصمت حتى لايحرج بيجين ، ومنهم من صرح بأن خطوة السادات الهائلة يجب أن تقابل من بيجين بخطوة في مثل حجمها .. ومنهم طبعا من يشبهون حزب أصحاب الطواقى .. جوش امونيم .. الذين يؤمنون بالاحتفاظ بالارض ... « التوراتية » .. اى الارض التى نصت عليها التوراه ..

الخلاصة ان اكثر اليهود الامريكيين في تصريحاتهم اصبحوا أقرب الى كفة العرب .. وتصريحات بيجين عن المستوطنات ، وحديثه عن الخطر الشيوعى الداهم محاولة منه لتذكيرهم بالخطر الذى يتهدد ارض الميعاد .. حلم الاجداد ، محاولة منه لاستعادتهم ..

والواقع ان مصر لم تنزلق الى حرب التصريحات التى تخوضها اسرائيل ، لتدخل بها قاعة المفاوضات في القدس وهى متشددة سلفا .. عنيدة مسبقا .. فالرئيس أنور السادات لم يحد عن مبادئه الخمسة التى أعلنها في الكنيست .. وكل احاديثه الشروحية لنجوم الاعلام في العالم كله لا تخرج عن هذه المبادىء التى تعتبر مقدسة .. لا تفريط فيها ، ومحمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الجديد التزم هذا الخط في احاديثه الصحفية القليلة التى ادلى بها .. واضافاته تعبر عن شيئين : حسمه الشديد .. وهو ما اشتهر عنه حين بدأ حياته السياسية بالنضال ضد الاستعمار البريطانى في زمالة قديمة وباسلة للرئيس .. السادات ، ووضوح الرؤية عنده من منطلق اقتناع كامل بمبادىء مصر في مسعى السلام .. وتصريحات محمد ابراهيم كامل هى التى اثارت عصبية بيجين واطلقت تصريحات ديان المتشددة .. الذى قال :

- اننى اشعر بقلق بالغ بالنسبة للموقف بعد اجتماع الاسماعيلية ، ان هناك نقط خلاف بين مصر واسرائيل فيما يتعلق بسيناء .. والمشكلة

التى احتلت مكانها في تقييم أكثر العناصر تشاؤما هى كيف يمكن تفادى عودة المفاوضات الى نقطة الصفر .. أو تفادى دخولها في حلقة مفرغة ..

تقرأ في تصريحات مناحم بيجين وموشى ديان ما يمكن ان يعتبر تعنتا جديدا اذا قيست هذه التصريحات الى مجموعة اقوالهم في ديسمبر الماضى ، ولعلهم صدموا في عيد الميلاد حين تصوروا ان مصر المتلهفة على السلام قد تقبل اى شىء من أجل السلام . ولما كانت زلة لسان كارتر بعد ذلك ـ الخاصة بعدم قيام دولة فلسطينية ـ مما شد ظهرهم وشدد قبضتهم .. كما تصوروا فقد تصاعدت حرب التصريحات .. ولكن هذه الحرب صادفت تصعيدا جديدا يواجه تصريح كارتر في اسوان .. فهم على الحالين يتشددون وهذا التشدد يعنى الحيرة .. والاحساس بالحصار .. هم يريدون ان يظهروا بمظهر اصحاب الحق ، وانهم حين يفرطون في شىء يتنازلون .. وانهم على حد قول بيجين « ارضهم مقدسة ، وقد استردوها في حروب دفاعية » ..

يريدون ان يدخلوا قاعة المفاوضات في القدس من هذا المركز القوى ..

ولكن الحقيقة الدولية ، والمسلمة الدولية والبديهية الدولية ان التصريحات لا تصنع المركز القوى ، المركز القوى يصنعه شيئان :

● المواقف .. ومصر تملك بمبادرة السادات بزيارة القدس .. أعظم مواقف التاريخ المعاصر ..

● والقوانين الدولية ، وبحسب هذه القوانين ، وبحسب قرارات الامم المتحدة .. وبحسب اجماع التكتلات الدولية حتى التكتل الشيوعى الذى يريد تحطيم كل شىء فيه خير مصر .. كل هذه في صف مصر .. صف العرب ..

• السلام ملك العالم

ان العالم لن يسمح بضياع فرصة السلام التى اتاحها السادات . ان السلام لن يعد قضية اسرائيلية عربية . انه ملك العالم كله .. ان منطقة الشرق الاوسط لا تستمد اهميتها من أنها منطقة البترول وحده .. انها المنطقة الاستراتيجية الوحيدة في العالم التى يمكن أن تتصاعد أى حرب عالمية . ان العالم يعرف ان الأسرائيليين انتصروا في ثلاثة حروب ولم يستطيعوا أن يضمنوا الأمن لانفسهم .. بل بعد كل حرب كان خوفهم يزداد أكثر لان كل حرب تؤصل عقدة الكراهية والحاح الثأر عند العرب .. ان ايجال الون وزير خارجيتهم السابق قال « ان خسائر حرب واحدة تعنى فقدان كل شيء » ان اسرائيل تؤمن بأنها يجب أن تكون ترسانة سلاح قادرة على حماية نفسها .. وهى بهذا تعود الى اعتناق اساطير الحدود الامنة والذراع الطويلة ورجل البوليس في المنطقة .. ان التصريحات الاسرائيلية تصادف تقليب الشفاه تعجبا من العالم كله لان معناها ان اسرائيل تغلق الباب أمام فرصتها الحقيقية للحياة في آمن ، وسط جيران يقبلون وجودها ، وعلى المدى الطويل يعايشونها ..

ان العالم لن يقبل التعنت الاسرائيلى .. فقد اقتنع بأن العرب للسلام ، فاذا لم ترده اسرائيل ، واذا لم تستجب له اسرائيل فانها ستصبح في عزلة اشد من أى عزلة سبقت وهى تعرف هذا .. وهى تعرف أيضا ان الحرب قد تكلفها وجودها .. في الهزيمة، وتكلفها الإنهيار الاقتصادى في الانتصار ـ ولو أن المقدر عسكريا ان الحرب الحديثة توزع الخسائر على الغالب والمغلوب ـ ان الجنرال الاسرائيلى بيليد اجرى بحثا اكاديميا في مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة هارفارد الامريكية ، اثبت ان حرب ٦٧ التهمت ١٢ ٪ من الدخل القومى لاسرائيل ، وحرب ٧٣ أخذت

٣٦ ٪ من هذا الاجمالى ، انه يعتبر فرطحة الحدود الاسرائيلية هى السبب .. وهو يحذر من أى حرب قادمة مهما كانت نتيجتها . ان العزلة العالمية حول اسرائيل المتعنتة ليس فيها الا « الثغرة الامريكية » .. وهذه الثغرة كادت تسد في لقاء كارتر والسادات في أسوان ..

فماذا فعل الفلسطينيون .. مغاوير المنظمة وابطال النضال من بعيد ؟ هل استفادوا من هذا المناخ العالمى المتحمس لقضيتهم . هل ملأوا شراعهم من الريح وهى رخاء ليعودوا بسفنهم الى شاطىء فلسطين ؟

قال ياسر عرفات رجل فلسطين الحبيس في قفص بعثى احمر ـ أن مصر تخون فلسطين .. وقال بأن لاسلام في الشرق الاوسط حتى تلحق قوات المقاومة التابعة له الهزيمة باسرائيل في ميدان القتال ، وكان ان رد رجال المقاومة على ذلك القول ـ وما اسهل القول ـ بأن رقصوا رقصا جماعيا في حلقات رافعين بنادقهم فوق رؤسهم وهم يهزجون « ثورة حتى النصر » .

وكانت القضية الفلسطينية قد تجاوزت في التعبير هذه التصريحات التى تعود بها الى ايام الجاهلية الاولى .. ايام « خلى السيف يقول » . ان المرونة الفلسطينية هى التى فتحت العواصم العالمية للفلسطينيين ، وقد ضيع الفلسطينيون الكثير من الوقت في مهاترات تقودها روسيا ، وسفالات يعزفها القذافى فيرددها بومدين والاسد واتباعهما .. آن الاوان ان تصحو الضمائر الفلسطينية عند القادة وتسمع رأى الشعب الفلسطينى وتعبر عنه .. ان هذه القيادات غريبة بمواقفها الاخيرة عن قواعدها .. أنها في واد والمعذبون في الأراضى المحتلة ، والذين يعيشون تحت سياط البعث في لبنان وسوريا .. في واد آخر . ان هؤلاء المشردين يريدون العودة لوطنهم وقد راوا الأمل في بداية الطريق في مبادرة السادات .. ومن عمدهم

ورؤساء بلدياتهم المنتخبين بواسطتهم من عبروا عنهم بصدق فزاروا مصر

مؤيدين خطواتها ..

تمنيت لو حدث لقاء بين زعامات الخارج .. ومن يحسون نبض الداخل .. شرط الا تحمل زعامات الخارج قنابل وخناجر لمن في الداخل ...

أن العالم يتفرج علينا ، ان الدم الفلسطيني الذى يسيل . ان الضحايا الفلسطينيين عار فلسطيني وخزى عربى . ان مقتل حمدى القاضى وبرهان الجعبرى وسعيد حمامى خسارة فلسطينية ..

ان التصفية الجسدية سوف تقلل من فرص انتفاع الدولة المأمولة برجال خدموا القضية ... ولهم بين الشعب الفلسطيني وزن . علمت ان بعض « الحكماء » من الكونجرس الامريكى نصح بيجين بأن يسلم للفلسطينيين بدولة وقال له : « اعطهم الدولة وسوف يصفون بعضهم البعض بداخلها . ولهذا لن يشكلوا أى خطر عليك » ...

أقول : المرحلة .. ياساده .. تحتاج الى ارتفاع مستواها ..

● بافساح مكان لصوت العقل حتى يلحق المعتدلون في المنظمة بموكب المفاوضات لأن الوقت الضائع محسوب على كل فلسطينى معذب ..

● بحوار بين فلسطينيي الخارج . فلسطينيي الداخل وتوزيع الأدوار البناءة عليهم .

● بفض حلف الشيطان بين قادة الأرهاب الذين يضيعون بعمالة سوفييتية بعثية المكاسب التى حققتها القضية منذ انتصار ١٩٧٣ الى الآن ، وهى مكاسب لم يستطع السوفييت ان يحققوا منها شيئا طوال أعوام تولوا

فيها الوصاية على مصر . والتحدث باسم العرب في لجان الأربعة الكبار وفي مباحثات يارنج · وفي أروقة الأمم المتحدة ...

أهتف من قلبى :

- متى يفتح الفلسطينيون عقولهم ؟ من يبصر الرجل الذى يتمتع بحب في الضفة الغربية تأغل في هذه الأيام شمسه .. من يبصره بما هو فيه ؟ من يفك أسره من يفرج كربه .. من يحول ياسر عرفات من التبعية المفروضة عليه الى الشجاع الذى كنا نعرفه عاقلا متزنا .. يقبل على حقائق الأشياء ، ويدرك المتغيرات العالمية ، ويعرف ماهو الممكن وماهو المستحيل ؟

أكتب هذا بعد أن قرأت تحقيقا في النوفيل اوبزرفاتير الفرنسية كتبه الصحفى كينز مراد الذى دخل مع عدد من الفلسطينيين الى الضفة الغربية .. يزورون أهلهم في عيد الميلاد .. قال كينز أنه كان مع بعضهم في سيارة أجرة عبرت جسر اللنبى وقد قال له السائق وهم في الطريق الى رام الله : « أتعرف أننا جميعا سئمنا هذا الاحتلال ، أنه من السهل على الفلسطينيين في الخارج أن ينهجوا موقفا متطرفا .. فهم لا يفعلون سوى أن يعدوا الضربات التى نتلقاها نحن .. »

ثم ذكر كينز قول الفلسطينيين رفاق رحلته أنهم أصبحوا مؤمنين بالتحدث مباشرة مع اسرائيل حتى لا يدعوا الدول الكبرى أو بعض المصالح العربية تتحكم في مصير الفلسطينيين وموقف العراق المتجمد يبعث على الازدراء أزاء ما فعلوا من اجلنا عام ١٩٧٣ .. لقد كانوا آخر من وصل ، ولا يسع العراق الا تقديم الوعود ، وعلى كل حال فنحن في نظر عدد كبير من أنظمة الحكم العربية أداه لسياستهم الداخلية ..

ويقول كينز ، تساءل احد الفلسطينيين اذا كان من ابناء الضفة الغربية من يقبل بقاء اسرائيل في الضفة الغربية كمواطنين لاكمحتلين فما الذى يجعل بعض الحكومات العربية اكثر تشددا من سكان الضفة أنفسهم · الضفة فيها اسم عرفات فقط ، ومعارضة عرفات للمبادرة اجبارية

مفروضة عليه ، ونحن نعرف انه على اتصال دائم بمصر ..

هذا هو انطباع صحفى اجنبى .. التقى مع جماعة من الفلسطينيين صدفة ودون ترتيب ، وسمع نبضهم .. وهؤلاء قادمون على الضفة . ضيوف لأيام .. فما بالك بالمقيمين في الضفة الذين يتحرقون شوقا للسلام والدولة المقبلة والسيادة ، على الأرض .. من خلال المفاوضات .. لأن الموائد ممتدة ومن خلال خطى السلام ـ لأن طريقها مفتوح ..

مفاوضـــــات هنا وهنـــاك

بدأت اللجنة العسكرية أعمالها في القاهرة ، وقد استوقفنى تصريح قرأته لعزراوايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى ـ والنجم الساطع خليفة بيجين وقائد حملته الانتخابية الظافرة ـ قال عزرا الذي يرأس الجانب الأسرائيلى في المفاوضات العسكرية بعد زيارته الأولى لمصر :

ـ تسألونى عن المفاوضات مع الجانب المصرى أقول لكم أنها ليست مفاوضات سهلة ، فهى ليست طلعة جوية يسيرة ، أحيانا تشرق الشمس ثم فجأة يخيم السحاب وتظهر المطبات الجوية .. والأمور لاتسير على وتيرة واحدة من قضية لأخرى ..

ولكن كيف تتصور العمل في اللجنتين العسكرية في القاهرة والسياسية في القدس ؟ وكيف العلاقة بينهما ؟ وما طبيعة الحوار فيهما ؟

أقول .. بعد ما استمعت الى حفنة مسئولين .. ان المباحثات العسكرية تستهدف دراسة المشروع الأسرائيلى للإنسحاب من سيناء ، والمشروع المصرى.والمشروع الأسرائيلى له بعض أطماع في سيناء ، وتستطيع أن تعرفها من الخط المصرى الواضح فوق خرائط سيناء .. هذا الخط يقول :

ـ مصر ترفض بقاء مستوطنات داخل حدودها الدولية ، مصر ترفض وجود مطارات اسرائيلية .

ـ مصر ترفض تأجير أرضها أو اعاواتها ..

ـ ومصر تقبل بوجود محطات انذار مبكر ليس فيها اسرائيلى واحد ..

ـ ومصر تفاوض على مدة الانسحاب ٠ اسرائيل تطلب ثلاثة أعوام ٠ مصر ترى هذه المدة مبالغا فيها ..

والى جانب الخرائط توجد احصاءات التعويضات .. فمصر تطالب اسرائيل بقيمة ما استغلته من البترول من عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٥ حين جلت اسرائيل عن حقول أبورديس ..

هذا هو الوضع العسكرى ..

والواضح أنه يخص مصر ويعتبر ذلك تنفيذا دقيقا لما أعلنه الرئيس السادات من اننا في شان ارضنا نفاوض وحدنا . وعلى كل صاحب أرض ان يفاوض بشانها بعد ان تتوصل مصر إلى اعلان المبادىء ..

واعلان المبادىء هو موضوع القدس .. أى مباحثات اللجنة السياسية في القدس ، هذه اللجنة استمرار لما بدأ في مينا هاوس أوبرى بالقاهرة ، وهى تستمد وجودها من الاتفاق عليها في لقاء السادات وبيجين في الاسماعيلية يوم عيد الميلاد ، مثلما تستمد اللجنة العسكرية هذا الوجود من ذلك اللقاء ..

واتفاق المبادىء هو ما لم يتحقق في الاسماعيلية .. وقد بدا واضحا أن بيجين يريد أن يعطى بالقطارة ، مع أن الاجماع العالمى والالحاح العالمى أن يعطى طبقا لقرارات الأمم المتحدة .. أن يعطى ما احتله وان يفسح مكانا لقيام الدولة الفلسطينية ٠ قد كانت محادثات القاهرة مرحلة تمهيدية وكأنها عمليات الاستكشاف واستطلاع النوايا .. في الاسماعيلية حدثت المواجهة .. ولكن في الاسماعيلية نظم الطرفان مستوى التفاوض بعد ذلك .. قد عدل بيجين مشروعه للسلام بعد عودته لبلده ، ولكنه لم يستوف بعد شروط العدالة المطلوبة لوجود السلام وسوف يعدل مره أخرى ويحاول الأقتراب أكثر ٠ وهو يواجه صراعات كثيرة في الكنيسيت

ومع الأحزاب ، ويعانى من عقليته هو شخصيا . يعانى منها بمعنى أنه صقر قديم فكيف يقبل أن يتنازل عن الضفة الغربية وغزة ، ويعانى منها لأنه الآن في موقع يتيح له أن يدخل تاريخ الصهيونية ، ويحفر لنفسه تمثالا في الحياة الاسرائيلية لاجيال قادمة ـ اذا حقق السلام ؟

هذا الصراع .. كيف يحقق السلام وشروطه عند مصر ان يرد الأرض ويدع دولة فلسطين تقوم ؟ كيف ؟

ولعله بسبب هذا الصراع الدائر في تلافيف عقله يصدر التصريحات مرة بلسان .. الصقر القديم ، ومرة بلسان الطامع في الخلود على اجنحة حمام السلام ..

ترى الى متى يستمر هذا الصراع .. وماذا يسفر عنه .. أو ماذا يفرز هذا الصراع في لقاء القدس على لسان ديان وزير خارجية بيجين والرجل الذى بدا متقلب المزاج، غريب الأطوار .. يتشدد حتى يسبق بيجين ويرخى العنان حتى يبدو حمامة بعيدة عن أوكار الصقور ؟ ..

ان وفد مصر في اللجنة السياسية يتحدث لكل القضية العربية .. يبحث بشمول ، ويناقش الجذور ليصل الى الاطار والمبدأ .. فالانسحاب كمبدأ تستفيد منه سوريا وفلسطين ومصر .. وحين يتم الاتفاق على هذا المبدأ تتولى كل دولة شئونها . اذا كانت مصر قد خاضت اللقاء العسكرى فلأن عجلة السلام بشقيها يجب أن تدور ، وسوف تدور بعدها عجلة سورية أسرائيلية وعجلة فلسطينية اسرائيلية .. فمصر لاتدعى الوصاية على أحد ، ولا تريد زعامة على أحد .. هى .. فقط .. من موقع الالتزام بالمسئولية ، ومن ادراك عاقل لخطر التسويف في جنيف والتآمر من جانب السوفييت ، ومرور الوقت الذى يفيد اسرائيل دعما فوق ما احتلته من أرض ويميع القضية ويضعها في ثلاجة أحيانا .. مصر من منطلق مسئوليتها التاريخية أقدمت على مبادرة شجاعة قال عنها التاريخ المعاصر انها حدث تفوق على كل الأحداث ، وسوف تذكر لها الأجيال القادمة أثرها على هذه المنطقة وعلى العالم كله لسنوات عديدة .. قادمة ..

والمبادىء التى يدخل بها الوفد المصرى الى اللجنة السياسية هى ما أعلنه السادات في الكنيست ..

والمبادىء التى يدخل بها الوفد الاسرائيلى هى آخر ما تقدمه اسرائيل بعد تعديلين من جانبها .. تعديل بعد رحلة بيجين لكارتر، حين قال كارتر ثم كالاهان لبيجين ان مشروعه لن يلقى قبولا عند السادات، وتعديل بعد رحلة بيجين للأسماعيلية حين وجد أن ما يقدمه للسلام يتضاءل أمام ما يطلبه العرب والعالم ..

وتعديلات أخرى كثيرة لا بد أن تدخل قاعة المفاوضات اذا أرادت اسرائيل النجاح .. لهذه المفاوضات ..

وسوف يكون للولايات المتحدة الأمريكية وجود جوهرى في القدس .. ان كارتر قال وهو في أسوان « ان عملية التفاوض سوف تستمر في المستقبل القريب ونحن نؤيد بكل قوة هذا الجهد، وسوف نلعب دورا نشطا مباشرا في أعمال اللجنة السياسية لمؤتمر القاهرة التى سوف تجتمع قريبا في القدس » ..

ان الدور النشط المباشر سيقوم به فانس الذى أعلن أنه سيقيم في القدس ثلاثة أيام وقد تزيد، وسوف يتجاوز هذا الدور دور أثرتون في لقاء القاهرة .. ان ما يقال عن استعداد أمريكا لتقديم الضمانات لأسرائيل كثير، ولا شك أنه سيكون بندا في جدول أعمال اللجنة السياسية ..

مبارزة الأذكياء

والكرة في ملعب اسرائيل ..

اذا أرادت أن تسجل هدفا يصفق له العالم فان عليها أن تعود الى ما يريده العالم، العالم يريد السلام بمواصفات عربية، لأن العرب أصبحوا الآن أصحاب الحق دون شك إنهم أسقطوا بالحرب في عام

١٩٧٣ ـ نظريات الحدود الآمنة .. والسيطرة العسكرية وأسقطوا بمبادرة السادات مخاوف اسرائيل التى تتذرع بها للحرب والتوسع ..

أما مصر فقد سجلت بالمبادرة الهدف .. وقطعت أطول شوط في أذكى دبلوماسية ، ان النتائج بعد ذلك ستصبح تحت نظر الدنيا ، ونحن نريد السلام ، والاسرائيليون يضعون العراقيل ..

اذن فماذا يريدون ؟

ورغم كل شيء فمازال التفاؤل يتجول في صدرى ، أننى أحس أن تيار السلام الجارف عند شعب أسرائيل سوف يجتاح أمامه كل العناد .. سوف ينهى حرب التصريحات ليعطى مناخا هادئا لمبارزة الأذكياء .. خلف الجدران والأبواب المغلقة في لقاء القاهرة مرة .. وفي لقاء القدس مرة أخرى ..

---

١٩ ـ تعال نزرع التفاؤل

● **مرة أخرى من القدس ١**

قلبى ثقيل ولكنى أزرع فيه التفاؤل زرعا ! الساعات القليلة التى سبقت تحليق الطائرة من مطار القاهرة كانت مزدحمة بالأحداث . تصريحات فانس من أمريكا حول تأجيل سفره ٢٤ ساعة .. ما معنى هذا ؟ واجتماع مجلس الامن القومى في القاهرة على جناح السرعة .. والاصرار على أن تمضى اللجنة السياسية الى مهمتها بعد أن بدت الامور متعثرة حين أطفأت تصريحات بيجين المشتطة الشموع المضيئة ! بمعادلة أصبحت تقليدية في الفكر السياسى المصرى ـ وهى أن امريكا تملك ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة قرأت تصريح كارتر في أول موتمر صحفى يعقده في عام ١٩٧٨وسألوه هل معنى اتفاق وجهات النظر بينه بين السادات في لقاء أسوان انه يوافق على انهاء الوجود الاسرائيلى في المستعمرات في سيناء « فقال كارتر » اعتقد ان القول انى والرئيس السادات ننظر الى مسألة الشرق الاوسط نظرة متطابقة تقريبا هو قول دقيق . لم اكن مشتركا ولا أنوى أن أصبح مشتركا في التسوية العسكرية التى يجرى

حاليا التفاوض بشأنها في القاهرة ان موقف حكومتنا الان ـ وقد كان دائما هكذا ـ ان المستوطنات الاسرائيلية القائمة في الاراضى المحتلة غير شرعية . وأنها تنافى القرارات المتخذة في ميثاق مؤتمر جنيف . ان قرار منظمة الامم المتحدة رقم ٢٤٢ هو أساس ويلحق به القرار ٣٣٨ اللذين أوجد مؤتمر جنيف برئاستنا بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتى ولدينا في ذلك القرار اللغة القائلة ان اسرائيل ستنسحب من أراض محتلة ، على انه يتحد مع هذا الاقتضاء ان اسرائيل ستكون لها حدود امنة وبما في ذلك تحقيق الامن من موقف جيرانها وهذا موضوع معقد للغاية . ولا أستطيع القول اننى ساتفق مع الرئيس السادات في التفاصيل في كل حالة معينة . ونحن لم ندرس تلك التفاصيل .. واعتقد ان افضل شيء بالنسبة لنا هو ان نضيف مساعينا الحميدة حينما نستطيع ونؤيد الرجلين في الوقت الذى يجلسان فيه الى مائدة المفاوضات ، وسيكون وزير الخارجية فانس في القدس مع وزيرى خارجيتى الدولتين المشتركتين ..

وختم كارتر اجابته قائلا : « وموقفنا من المستعمرات لم يتغير » .

والواقع ان المستعمرات في سيناء .. تلك الصخرة التى أصطدمت بها المباحثات العسكرية في القاهرة مسألة مدسوسة على الموقف بين مصر واسرائيل ، فلم يكن هناك حديث التحدى بين البلدين في هذا الشأن ، وكان المفهوم قبل ان يجىء بيجين الى الاسماعيلية يوم عيد الميلاد الماضى انه يستطيع ان ينتزع الرضاعن مشروعه الخاص بالحكم الذاتى للضفة الغربية وغزة ، ولما رفض السادات المشروع ..٪ واصر على أن اللقاء ينبغى أن يسفر أولا عن أعلان المبادىء قبل الدخول في التفاصيل التزم بيجين بعد عودته من القاهرة سياسة التفاصيل حتى يتحاشى الحديث عن المبادىء ! ودس حكاية المستوطنات في سيناء مع ان ما طرحه من قبل كان الجلاء عن سيناء .. وهو الامر الذى ندد به شيمون بيريز .

وهاجمته جماعة جوش امونيم ، وتظاهرت به شراذم من سكان مستعمرة ياميت القريبة من رفح · ظن بيجين أن الجلاء الكامل عن سيناء سوف يرضى السادات فيقبل المساومة على الضفة الغربية . ويميع قضية حق الشعب الفلسطينى في تقرير مصيره وانشاء دولته ...

وأستشرت هذه الحكاية المدسوسة حتى أصبحت لعبة السياسة الاسرائيلية . في حرب تصريحات متصاعدة من جانبها ، بل في مشروعات قوانين لزيادة عدد المستعمرات في سيناء مشروع القانون الذى قدمه أريل شارون وزير الزراعة والمسئول عن المستعمرات الى مجلس الوزراء بانشاء اربع مستعمرات جديدة .. وصحيح ان هذا المشروع رفض ، ولكنه في نفس الوقت احيل الى لجنة لدراسته ، وكأن الاحالة تهديد وقد تحركت جماعات من ذوى الطواقى - جوش أمونيم - الى مواقع جديدة لاستيطانها في الضفة الغربية .. وكان هذا كله .. في مجموعه .. جليطة سياسية وصفاقة بيجينية ، لان أول المطالب التى اجمع عليها الاسرائيليون كعربون لمبادرة السادات هى وقف عمليات الاستيطان ، والافراج عن المسجونين الفلسطينيين ..

وكان التصعيد في هذا الموقف « الصفيق » بعد زيارة كارتر لاسوان ، كان بيجين يريد أن يقول انه لا يكترث لما يقوله كارتر ، وان اسرائيل تستطيع أن تهدم المعبد ..على اعدائها .. وعليها ..

وتضاربت اقوال ديان .. وبدا بشخصية مرتبكة وحائرة ..

فقد زار مستعمرة سادوت مع شارون وخطب في سكان المستعمرة على مسمع من مندوبين من مستعمرات سيناء والجولان وطمأن السكان الثائرين ، وحثهم على عدم ترك مواقعهم لانه سيوفر الامن لهم ، مع الابقاء على الروابط القوية مع الادارة المدنية في اسرائيل .. وقال شارون ان المستعمرات جزء لا يتجزأ من خطة السلام التى وضعتها الحكومة .. ودعاهم الى تطوير المنطقة ، ثم هى قصة مشهورة حكاية المسئول

الاسرائيلى الذى كان يمضى الى جنوب سيناء في سيارته حين وجد بعض اليهود يحفرون الارض الى اعماق بعيدة ، فسألهم ماذا تفعلون هنا ؟ فقالوا .. نبحث عن اجدادنا انهم قبيلة عاشت هنا منذ ثلاثة الأف عام » ..

اقول ان ديان يبدو مرتبكا وحائرا لانه في الوقت الذى يمضى فيه على خطى بيجين وهو يصعد قضية المستعمرات في سيناء يقول في حديث له وهو يزور ايطاليا والفاتيكان في جولة سريعة « ان الحدود لن تقررها المستوطنات ، بل القرارات بشأن المستوطنات ستتخذ وفق الحدود ، واذا وجد ان بعض المستوطنات الاسرائيلية تحت سيادة بلد آخر لدى اعادة تخطيط الحدود فتلك المستعمرات اما ان تزال أو يتم اتفاق بشأنها مع السلطات العربية » .

وفي القول الاخير يبدو تضاربه مع بيجين .. ومن المعلقين من يتصورون صداما وشيكا بين بيجين وديان .. لان بيجين الذى لا يسمح لوزير بالتدخين في مجلس الوزراء لا يمكن ان يتناقض معه في تصريحات علنية ! ..

المبادىء قبل التفاصيل

المستوطنات في سيناء هى ما أصطدمت به اللجنة العسكرية في القاهرة . فاخذت اجازة لان الجانب الاسرائيلى يصر على مناقشة « التفاصيل » والجانب المصرى يرى أن التفاصيل يجب ان تعقب اعلان المبادىء . لان المبادىء هى قواعد التفسير ومرجع الحوار . واجازة اللجنة العسكرية تمتد كما فهمت حتى تصدر المبادىء عن مؤتمر القدس .. عن لقاء اللجنة السياسية ..

ولكن بدا قبل ان تقلع الطائرة الى القدس ان اسرائيل تراوغ .. وتريد أن تدخل في مناقشة تفاصيل .. قبل ان تتفق على المبادىء ! ..

وفي الطائرة شرح لنا السيد محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية والدكتور عصمت عبد المجيد مندوب مصر الدائم في الأمم المتحدة ورئيس الجانب المصرى في مفاوضات القاهرة التمهيدية .. شرحا لنا كيف جرت الأمور

كانت أمريكا قد تقدمت بجدول اعمال للجنة السياسية .. تقدمت به بكل صفاتها : كصديقة للطرفين ، كشريكة في اللقاء ، كصاحبة مصلحة قصوى في حل النزاع .. الخ ! ووافق السادات على جدول الاعمال لانه ينص على مناقشة المبادىء .. وعرضت أمريكا الجدول على بيجين وغضب بيجين لان أمريكا عرضت الجدول على مصر أولا .. وطالب بتعديلات عليه . واتصلت أمريكا بمصر لتعرض عليها مطالب اسرائيل ، واصرت مصر على موقفها .. وبدا الموقف معقدا ، وأعلن فانس انه سوف يؤخر رحلته الى القدس ٢٤ ساعة .. لان الموقف معقد .. واجتمع مجلس الامن القومى في القاهرة ليناقش الموقف الذى بدا شديد الحساسية .

وقال لنا محمد ابراهيم كامل ان اللجنة السياسية المصرية تمضى الى القدس على اساس مناقشة المبادىء ! والشىء الذى يغضب اسرائيل ان وجهات نظر مصر وامريكا حول المبادىء متفقة .. تماما كما صرح كارتر في اسوان ، تماما كما ردد كارتر في البيت الابيض بعد عودته من رحلته .

واذا كان هذا الشكل .. شكل الدخول الى المبادىء قبل التفاصيل يعد انتصارا لوجهة نظر مصر تدخل به القاعة .. فان مصر حرصت عليه من اجل الحل الشامل للقضية ، ومصر في حرصها عليه تحظى بتأييد العالم كله .. العالم الذى أصدر قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، والعالم الذى يضع السادات فوق قمة عالية بين صناع التاريخ في العالم .. منذ الساعة الثامنة مساء ١٩ نوفمبر .. حين وصل الى ارض اعدائه .. باسطا يده .. قائلا : سلامى أعطيكم ..

مظاهرة اسرائيلية !

مرة أخرى في القدس ..

خواطرى تلك تثقل قلبى ، ولكنى ازرع فيه التفاؤل زرعا بعبارات السيد محمد ابراهيم كامل ود . عصمت عبد المجيد .. وبابتسامة صغيرة الحجم تابع بها الدكتور بطرس غالى حوار الطائرة بين مجموعة اللجنة .. ومجموعة الصحفيين ..

ومطار بن جوريون هو الذى هبطنا فيه اول مرة .. منذ ٥٦ يوما ! ..

ومدير المراسم يصعد الى الطائرة يدعو السيد محمد ابراهيم كامل وصحبه للنزول وديان عند سلم الطائرة هاشا مرحبا .. والأضواء تبدد الليل .. وديان يرحب بوفد مصر بعبارات سريعة وكلها تفاؤل ، ويرد محمد ابراهيم كامل فتقول عباراته ان ما جئنا من أجله هو ما قاله السادات دائما .. وان السلام سوف يجد مكانه في النهاية .. بفضل النوايا الطيبة ..

وانطلقت بنا السيارات الى القدس ..

هذه المرة لم يكن طريق الساحل ماقطعنا .. مضينا الى طريق اللد والرملة واللطرون .. هذه المدن الصغيرة تتناثر على مسافة ستين كيلو مترا .. والى يمين الطريق ـ صوب شاطىء البحر الابيض تبدو الكيبوتز والقرى الاسرائيلية .. والى يسار الطريق تتسلق قرى الضفة الغربية المرتفعات والجبال ، اضواء هذه تواجه أضواء تلك .. وربما ظلام الموقف .. سطعت انوار القدس فجأة فهل تسطع منها انوار السلام بعد اللقاءات .. في فندق الهيلتون نزلنا . والاسرائيليون ، يملأون ردهاته وصالوناته .. وكلهم وقوف واضواء التليفزيون تغمرنا .. وعدسات التليفزيون تسجل كل شىء ، والصحفيون الذين التقينا بهم أول مرة في القدس ، والثانية في القاهرة يتصايحون بأسمائنا ..

مظـــاهرة ...

ولكن كلما تذكرت تصريحا لبيجين احسست قلبى ثقيلا ، ورحت ازرع فيه التفاؤل زرعـــا .

الفلسطينيون ليسوا المكسيكيـين !

قلت ان بيجين اخترع حكاية التشدد في مستوطنات سيناء بعد الاسماعيلية حتى يجر مصر الى تفاصيل فرعية ويبعده عن قضية فلسطين .. لب القضية .. وقلت انه ذهب في التطرف الى حد التوسع في اقامة المستوطنات ـ وكأنه يزيد الطين بلة ! ـ وقد قال برزينسكى فقيه الدبلوماسية الكارترية ، ان أى توسع من جانب اسرائيل في اقامة المستوطنات في شمال سيناء هو أمر من شأنه تعقيد المفاوضات بشأن اقرار السلام في الشرق الاوسط ، وهو علامة على سوء التقدير لان مثل تلك المستعمرات في المرحلة الراهنة تقوض عملية التفاوض .. وفي لب القضية توقف بيجين عند الشكل الذى طرحه في الاسماعيلية لايام .. شكل الحكم الذاتى تحت السلاح الاسرائيلى . ولما رفضت مصر هذا الشكل مضى يدعمه في احاديثه بحجج تجعل منه رجلا ذكيا .. ولكنها لا تجعل منه رجل سلام .. ولا ندخله تاريخ الصهيونية مثلما دخل غريمه بن جوريون .

يقول بيجين « ان الحكم الذاتى الذى اقترحه بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة تنازل هام ـ فهناك ٢١ دولة عربية ذات سيادة . وخذوا مثلا الامريكيين من أصل مكسيكى وهم يعدون بالملايين يعيشون في الولايات المتحدة ولا يطالبون باقامة دولة خاصة بهم على الحدود الامريكية المكسيكية .. انما المهم الان اننا بدأنا محادثات حرة ومباشرة بين اسرائيل ومصر وعلى العالم ان يترك الفرصة لنجاح هذه المحادثات بعدم التدخل فيها .

وانا أرد على بيجين :

ـ القول بان هنال ٢١ دولة عربية لا يسقط حق الفلسطينيين في

دولتهم . لو صحت حجة بيجين الا يجوز ان يحتل دولة افريقية ويقول ان افريقيا قارة فيها ٥٠ دولة أفريقية فلماذا تطمع في أرض تغتصبها اسرائيل ولماذا تثور من أجل شعب تشرده اسرائيل .

ـ الامريكيون من الاصل المكسيكى هاجروا من المكسيك الى امريكا بحثا عن رزق أكبر ٠ أو حتى مناخ أفضل وهم يستطيعون العودة الى دولتهم في أى وقت . مثل المهاجرين اليها من لبنان او مصر .. أما الفلسطينيون في الضفة الغربية فهذه أرضهم ارض الجدود وهذه دولتهم .. هم لا ينشئونها بل يستعيدونها ٠ ومنهم ٠٠٠ ر ١٠٠ ر ١ لم يتركوها ٠ والذين تركوها تركوها مرغمين .. فكيف يستقيم تشبيه الفلسطينيين بالمكسيكيين ؟ بيجين يريد للفلسطينيين مصير الهنود الحمر في امريكا .. وقد كان هذا جائزا في القرن الخامس عشر .. اما في القرن العشرين فالعالم كله مع الحق الفلسطينى ؟ ..

ـ مناشدة اسرائيل للعالم ان يترك اسرائيل ومصر لمفاوضاتهما دون تدخل منه هروب من سماع كلمة التأييد لمصر .. وسماع عبارات المساندة للحق الفلسطينى .. لب القضية ومدار الصراع ...

وقد حذرت الجارديان البريطانية بيجين في افتتاحية لها ، حذرته من مغالطاته قائلة :

ـ بعد مقتل حمامى يبدو طريق السلام محفوفا بالاغتيالات ، وما لم يغير مناحم بيجين من موقفه الذى اعلنه وتشبث به الا وهو انه من المتعذر حدوث تغيير في فترة وجيزة فان ثمة خطرا من ان الظواهر الجديدة التى بدت في الشرق الاوسط سوف تبدأ في الاقوال ، ان الاطراف الاخرى في النزاع ـ شأنها في ذلك شأن الرئيس كارتر تعتقد أن الوضع الذى يتعين ان يتمتع به الفلسطينيون في الضفة الغربية قد أصبح

مشكلة لغوية تتمثل في الفرق الدقيق بين عبارة تقرير المصير وبين وطن قومى . اما بيجين فقد قال : « اننا لا نحوم حول المعانى اذ أن عبارة تقرير المصير تعنى قيام دولة فلسطينية .. ونحن لن نوافق على ان تواجه اسرائيل مثل هذا الخطر المدمر » ..

وتمضى الجارديان في مقالها « طريق السلام محفوف بالاغتيالات » فتقول :

ـ ان الحجج التى جمعها بيجين بدأت جميعها في اللحظة الخاطئة في التاريخ . اذ أنها تبدأ من الافتراض بأنه نظرالآن أرض اليهودية والسامرة كانت تشكل جزءا من ارض اسرائيل أبانَ الاوقات الدينية فانها ينبغى أن تكون كذلك اليوم . وتعتبر الضفة الغربية بالنسبة لكل فرد اخر جزءا من الاراضى التى ضمتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ والتى ينبغى ان تنسحب منها أولا كى يتم التوصل الى تسوية دائمة . وجهة نظر السادات في هذا تتفق مع وجهة نظر كارتر .. وقد التزم كارتر بأسس اقرار السلام في الشرق الاوسط ـ أسس اسوان ـ وهذا أمر يتطلب اجراء انسحاب اسرائيلى من الاراضى المحتلة . وقد لا يمضى وقت طويل حتى يتحول التأييد الى ضغوط وتوضح كافة التفاصيل ان الشعب المصرى . والشعب الاسرائيلى يتوقان الى اقرار السلام ولا يمكن لاى منهما ان يحقق رغبته حتى تحل مشكلة الاراضى . ولا يمكن ان تحل مشاكل الاراضى حتى يترك الاسرائيليون الضفة الغربية . ان شروط الانسحاب موضع مفاوضات .. ولكن يتعين على الاسرائيليين الانسحاب اذا كان هذا هو الثمن الذى ينبغى ان يوضحه كارتر لاسرائيل فانه ليس املمها خيار سوى دفعه .. !

المناخ في القدس .. وحولها

ومناخ القدس هذه المرة فيه لذعة برد . كانوا يتوقعون سقوط الجليد .. ولم يسقط .. فهل تذيب الشمس جليدا سياسيا يريدون أن

يبقوا فيه الاشياء على ما هى عليه . المناخ العالمى فيه شمس كبرى تكشف كل مناورات بيجين ، وتضع تحت الاضواء الساطعة حقيقة انه اذا أستمر في عناده فانه يضيع شعب اسرائيل ، وعلى شعوب المنطقة وعلى شعوب العالم فرصة سلام نادرة ..

والمناخ العالمى تشرحه عادة صحافة العالم .. اسمع ماتقوله صحافة العالم :

● صحيفة الاوبزرفر البريطانية تحذر من ان يكون الفجر الذى لاح في الشرق الاوسط فجرا زائفا .. وهى تنحى باللائمة على بيجين لان الباب مفتوح وهو لا يدخل ، والفرصة سانحة وهو لا يلتقطها ..

● وصحيفة فرنسية تقول : الان وقد هدأ بالهم من ناحية مصر فسوف يكونون أسوأ بكثير .. وهذا في الواقع هو مكمن الخطر اذ يشعر الاسرائيليون الذين لم يكن لديهم عدو حقيقى سوى مصر بالميل الى المماطلة اللانهائية ، وهذا موقف خطير لشعب حكم عليه منذ اجيال بحياة غير مستقرة في الجيتو ، وهو الامر الذى تجسده تلك القصة اليهودية القديمة .. حين سأل احد البولنديين احد يهود جيتووارسو ..

ـ هل يمكنك ان تعلم كلبى كيف يتكلم ؟

ـ طبعـــا

ـ كم من الوقت يستغرق هذا ؟

ـ ٢٠ عاما .

وتدخل جار لهما في الحوار .. وسأل اليهودى :

ـ هل تعتقد أن من السهل ان تعلم أى حيوان كيف يتكلم ؟

فأجاب اليهودى قائلا :

ـ بالطبع لا .. ولكن خلال ٢٠ عاما اما أن أموت ، أو يموت الكلب .. أو يكون السيد قد مات !.

● وتتهكم صحيفة اخرى على العلاقة بين بيجين وديان فيما يتعلق بالسباق في التصريحات .. قالت الصحيفة أن أول تعبير عن الحرب على

لسان ديان كان في الكنيسيت حين قال « ان الجيش الاسرائيلى سوف يضمن عدم حدوث اى تغيير في السلطة الذاتية الفلسطينية في المستقبل .. وقد غضب بيجين من ديان بعد هذا التصريح لان ديان قال ما يفكر فيه بيجين ولا يريد قوله .. ! »

● صحيفة رابعة تقول ، من المحتمل ان يتمكن هذان الشعبان اللذان تسيطر عليهما فكرة الخلود من تحقيق احلامهما ، ان الشجاعة الفائقة التى اتسم بها تصرف السادات شأنها شأن الاهرامات التى تجعل الحسابات الصغيرة التى اجريت في الماضى تبدو ضئيلة بالمقارنة بها ، ومن المحتم ان تتسم العملية بالتقلبات ، وسوف تدور المفاوضات المعقدة ولكن الطرفين قد ربطا مصيريهما بالنجاح .

● وصحيفة خامسة تقول ، « بذهاب السادات الى القدس تخطى التفكير الذى سيطر على جيل باكمله اذ سمح لشعب اسرائيل ان يحدد لنفسه التزامه بالسلام ، وقد تمكن من جانبه من مشاهدة آلام شعب لم يعرف قط يوما بدون حرب في تاريخه القومى ، وكان السادات محقا في اعتقاده ان جوهر المشكلة يرجع لاسباب نفسية .. وليس هناك بديل للمفاوضات لان جنيف لا يمكن ان يتحقق فيما على مستوى الدبلوماسيين الصغار مالم يستطع تحقيقه لقاء السادات وبيجين .. كما ان اسرائيل اذا فشلت مبادرة السادات سوف تعود الى العزلة .. والجيتو ، وتواجه مصر الحرب » ..

● وقال دبلوماسى امريكى ، من مجموعة المفسرين في البيت الابيض ، ان اسوأ شيء يمكن ان يحدث هو ان نفقد بيجين في موت أو مرض لا قدر الله ، انه متفتح العقل الا في حالتين .. فهو يرفض اى حوار مع منظمة تحرير فلسطين . وهو لا يقبل بوجود قوات معادية على الضفة الغربية التى يشير اليها بأسمائها القديمة .. ولانه من الصقور لا يستطيع احد ان يتهمه باللين مع العرب ولهذا يستطيع ان يكون مرنا مثلما كان

نيكسون في مفاوضات الصين . وماضى بيجين المتعصب يقف في طريق العطاء الذى يمكن ان يجعل السلام ممكنا .

وقد قال احد مؤيديه « ان بيجين يستطيع ان يحقق المستحيل ، وهو قلق نتيجة لمرض القلب ، وهو ما معناه ان الوقت يتسرب .. وهو مشغول بكيفية حكم التاريخ عليه بالمقارنة بغريمه بن جوريون » .

شخصيـــة بيجـين !

● **وتحلل « التايم » شخصية بيجين قائلة :**

ـ ليس لمثل بيجين المحصن بثقة ضخمة في نفسه ان يجد صعوبة في اتخاذ خطوات جريئة ، ويقدر مواطنوه هذا فيه . وهناك نكتة شائعة تروى في اسرائيل مؤداها ان ليزا زوجته أفسدت العجة التى كانت تعدها فصاحت « يا الهى » فرد عليها مناحم من الغرفة المجاورة « لا عليك يا ليزا .. لقد قلت لك ان تنادينى هكذا امام الناس فقط ! ..»

ثم تقول :

ـ وربما كانت قبضة بيجين على اسرائيل اشد من كل من سبقوه منذ غريمه بن جوريون . وهذه القوة هى التى جعلت من مبادرة السادات امرا ممكنا . احد المقربين منه يقول . ان بيجين يعتقد أن التاريخ اليهودى في اسرائيل توقف منذ عام ١٩٦٣ حينما اعتزل بن جوريون ، ولم يبدأ سوى عند انتخابه رئيسا للوزراء . وهو حاكم اوتوقراطى منع التدخين في مجلس الوزراء . ولا يستطيع وزير ان يفشى سرا للصحافة بسهولة وقد ارتفعت شعبيته من ٦٣ ٪ قبل زيارة السادات الى ٩٠ ٪ بعد الزيارة ..

هذه هى اقوال الصحف الاوربية والامريكية التى تكشف اتجاه الرأى العام في بلادها . وقد سلم بيجين بأن مصر اخذت الرأى العالمى الى صفها بمبادرة السادات . وقد نشطت الدبلوماسية المصرية بعد المبادرة والتقى السادات بعدد كبير من القادة ..

من ضـــد الســـــلام ؟

لا أستطيع ان اقول ان الوجوه في اسرائيل عابسة .. لا أستطيع ان أقول أن الترحاب خف أو جف ، لا أستطيع ان اقول ان الابتسامات على الشفاه ضاقت او تضايقت .. لا أستطيع فكل من تحدثت اليهم يتمنون السلام .. واستطيع ان احلل الموقف من القدس كالاتى :

ـ ليس ضد السلام احد الا جماعة جوش امونيم التى تريد وطنا توارتيا يشمل كل ارض مشى عليها انبياء اليهود ـ وما اكثرهم ! ـ والا جماعات في المستوطنات .. لا يعرفون كيف يكون مصيرهم اذا تركوا ارضا أستصلحوها أو بيوتا بنوها . فان سكان المستعمرات من اليهود الشرقيين . وهؤلاء مواطنون من الدرجة الثانية يعرفون ان يهود اوربا لايكترثون لهم ..

ـ ليس ضد السلام احد .. الا بعض الساسة من منطلقات حزبية . لم يستطيعوا ان يحققوا السلام بالانتصارات العسكرية فاذا به دانى القطوف بغير انتصاراتهم وعلى يد من ؟ .. على يد بيجين الذى يجلس على مقعد الحاكم لاول مرة فاذا به يجد الكنز الحلم قبل ان تمضى به ستة أشهر على مقعده .. زمان كان عندنا من يقولون « الحماية على يد سعد خير من الاستقلال على يد يكن .. » هذا هو منطلق هؤلاء الساسة .. من منطلقات حزبية بحتة ..

ـ ليس ضد السلام احد . الزيارة قلبت النسب .. أصبح ٨٠ ٪ من شعب اسرائيل حمائم و ٢٠ ٪ صقور ..

ـ على ضوء النسب الاخيرة اقول ان الصقور القدامى هم الذين اختاروا بيجين ، وعلى بيجين اذا أراد ان يعبر عن شعبه

ان يقول رأى هؤلاء الذين تحولوا الى حمائم فهؤلاء هم الذين انتخبوه ، وقد غيروا مواقفهم حين احسوا بالامان ، وبالطمان ، وبنظافة اليد التى امتدت اليهم ، وشرف الكلمة التى اعطيت لهم ، وروعة السريرة والضمير والوجدان المصرى .. ممثلة في السادات ..

بيجين وهو يتشدد لا يعبر عن شعب اسرائيل الجديد .. الجديد بعد ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، فقد خرج هذا الشعب يهتف للسادات ويغنى للسلام وتجاوب معه شعب مصر فايد السادات تأييدا ليس له في التاريخ ضريب ذكرنى هذا التأييد بعبارة قالها السادات بعد ان انتخب لاول مرة باغلبية ٨٥٪ فقال « سوف ابذل كل مافى وسعى لكى اقنع ال ١٥٪ التى لم تنتخبنى .. ولا ضمها الى صفى .. واكسب ثقتها وتأييدها » .. السادات في حرب أكتوبر كسب أكبر مساحة من هذه ال ١٥٪ .. والسادات في مبادرة السلام كسب كل مصر .. كل المائة في المائة ..

أقول ، بيجين اذا تشدد فانه لا يعبر عن شعب اسرائيل الجديد الذى جدد مظاهرات السلام في تل ابيب بعد مسيرات السلام في القاهرة ، والذى مشى في مظاهرات في القدس يرد بها على مظاهرات جوش أمونيم الذين نصبوا خيمة امام مكتب بيجين ، ومظاهرات أهالى مستوطنة ياميت ..

واذا لم يعبر الحاكم عن شعبه .. فبقاؤه مسألة فيها نظر .

أقول هذا من هنا .. وانا على يقين من ان بيجين اذا لم يعبر عن شعبه فانه بالحتم سوف يخسر شعبه ..

واذا كان بيجين يتحدث .. ويطلق تصريحاته المتشددة من منطلق القوة العسكرية ، فانه نسى ان شعبه لا يريد الحرب رغم هذه القوة ونسى

ان الحرب لم تعطهم الامن ولا كتبت لهم صك الوجود المستريح ، ونسى ان ثلاثة حروب لم تفت في عضد العرب ، ولكن حربا واحدة زلزلت اسرائيل ..

وإذا كان بيجين يتصور ان مصر تنشد سلام الضعيف او سلام الجائع ، فالرد على هذا بسيط : ان مصر ليست ضعيفة كما يتصور ، وليست جائعة كما فهم . ولعله ينظر الى اسرائيل ويعرف حقائقها قبل ان يبنى مواقفه على ما يقوله عن مصر أهل الحقد والضغينة .. وقد كتبت بارى ماتش ـ اكبر المجلات الفرنسية مقالا في هذا المعنى .. تقول بارى ماتش :

لاشك ان قدرة الشعب المصرى الاسطورية في تحمل الالم توشك على الوصول الى نهاية المرحلة ، بيد أن هناك أسطورة اخرى اصبح من المحتم أن تنتهى . وهى أسطورة اسرائيل التى لا تقهر . ومعجزات الارض الموعودة ، وتكمن الحقيقة في أن اسرائيل عاشت دائما على هاوية الافلاس ، فاوشكت أكثر من أى وقت مضى للسقوط فيها اذ بلغ التضخم ١٢٪ خلال ديسمبر ١٩٧٧ ، وذلك على الرغم من الضرائب المتزايدة التى بلغت ٤١ ٪ في الميزانية الاخيرة ، وتبلغ ميزانية الجيش ٦٠ ٪ مقابل ٦ ٪ للتعليم و ١٪ للتأمينات الاجتماعية ، وتبلغ ديون بريطانيا مثل ديون اسرائيل مع ان سكان الأخيرة ٢٠ ضعف سكان اسرائيل ، ومعظم سكان اسرائيل مضطرون لقيام بعملين أو ثلاثة لمواجهة المعيشة ، وهناك عدم مساواة صارخة حيث ان ١٠٪ من المتميزين يستحوذون على ٥٦٪ من العائد القومى ، وهناك فضائح تلوث اعضاء حزب العمل من ليا رابين زوجة رئيس الوزراء السابق التى حكم عليها ب ٢٥٠ ألف جنيه غرامة لوجود حساب سرى بأسمها في امريكا الى وزير الانشاء الذى انتحر هربا من السجن

ومحافظ البنك المركزى المبدد . وفضيحة الفضائح هى التفرقة العنصرية

بين يهود شمال أوربا واليهود الشرقيين والاخيرون يزدادون عددا لان معدل المواليد بينهم مرتفع والهجرة الى داخل البلاد تعمل بالكاد على تعويض الهجرة الى خارجها ، وقد مضى العهد الذى كان بن جوريون يقول فيه « على كل يهودى يعيش بالخارج أن يدرك انه يرتكب فاحشة كبرى » .. مضى ذلك العهد لان ابن بن جوريون نفسه يعيش في أمريكا .

ثم تسترسل بارى ماتش قائلة :

ـ لقد انتخب بيجين الشباب والشرقيون .. والشباب سئم فضائح حزب العمل وسئم الانتصارات الملوثة بالفضائح . واحتكار الرعيل المؤسس للسلطة ، حتى أستنفدها ـ وسئم هؤلاء أسطورة عدم قهر اسرائيل التى تحطمت في ٧٣ . وسئموا الحلم بما يمكن ان تكون عليه اسرائيل من القوة والانتصار ...

سلام .. وشالوم

ومرة اخرى من القدس ..

لقد عبر السيد محمد ابراهيم كامل عن موقف مصر بكلمات لا تحتمل التأويل .. قال : أود ان أبدأ تصريحى بما قاله الرئيس انور السادات في الكنيست منذ أسابيع .. وهو اننا نجىء بقلب مفتوح وعقل مفتوح . نبنى معا سلاما عادلا ودائما في المنطقة .. ثم يقول : « لا سلام مع الاحتلال أو انكار الحقوق الفلسطينية » .

هذه مبادئنا من اول وهلة ..

واجتماع القدس مهمته المبادىء .. يعلنها ويعدها كقواعد القانون تطبق على كل الحالات التى تعرض لها أو تندرج تحتها . وأمريكا في الاجتماعات فهل صح منها العزم لتقوم بدورها الى المنتهى بعد أن فرش لها السادات طريق السلام بأروع مبادرة ؟ وشعب اسرائيل يضع على

الشفاه الابتسامات ويطلق كلمات الترحيب .. فهل لساسته ان يروا ابتسامة السلام . ويسمعوا كلمة « شالوم » .. من له أذنان للسمع فليسمع .. ان توجيه الاذان الى نبضات قلوب الشعوب يعطى المؤشر الصحيح لطريق السلام . فهل يفعل بيجين الذى طلب ان تجتمع اللجنة السياسية في القدس لتكون أمام عينيه وتحت سمعه . وهل تشرق الشمس على ارض الانبياء . انبياء المسلمين والمسيحيين واليهود الذين تعاقبوا بالرسالات ، واتفقت تعاليمهم على السلام .

من القدس اكتب .. وقلبى ثقيل .. ولكنى ازرع فيه التفاؤل زرعا .

٢٠ ـ أسرار أزمة السلام في القدس

● مائير كوهين قال لى :

ـ لا أصدق أنك سترحل بهذه السرعة · اجلس بيننا ـ انا وبلدياتك الصعيدى ودعنا نناقش الأمر ، لا تحزم حقائبك الان ، فان محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية عند بيجين وسوف يتصالحان ·

واقبلت علينا استر زوجة مائير وقالت بالتياع :

ـ مائير أنهم يصفون الحقائب استعداداً للرحيل ، هل معنى هذا أننى لن أزور الاسكندرية ·· ولن أراها أبداً ؟

وليندا موظفة الاستعلامات الاسرائيلية كانت باهتة الوجه · سألتنى بحزن :

ـ هل هذا معقول ، هل الغى رحلتك الى يافا وحيفا وغزة غداً ؟ · هل أطلب الياس فريج وحكمت المصرى وأنور الخطيب وأقول لهم انك لن تذهب اليهم يوم الجمعة في بيت لحم ونابلس والخليل ؟··

ـ انك طلبت ان تزور سجنا أسرائيليا لتلتقى بالمعتقلين الفلسطينيين .. وقد قدمت طلبك للمسئولين .. الا يغريك هنا بالبقاء ؟.

وجاد مرافقنا في زيارة السادات كان يبتلع دموعه وهو يقول ،
ـ سأروى لك سرأ .. أننى قاتلت في الجبهة المصرية عام ١٩٥٦ ، وبلغت نسبة أصابتى ٤٥ ٪ والآن لى ولد في الجيش .. لا أريد له مصيرى .. صدقنى أننى لا أريد له مصيرى .. اذا رحلتم الآن فان الخوف على ولدى يخلع قلبى ..
وحاييم اليونانى الأصل قال ،
ـ اذا كان لابد من عودتك للقاهرة واذا كنت ممن يلقون السادات فقل له « ان شعب اسرائيل يحبك .. ويحترمك ! » ..
وصحفى من معاريف قال لى ،
ـ اليوم كتبت حديثك .. انك قلت فيه ان المستوطنات يمكن ان تبقى في الأرض المصرية تحت السيادة المصرية لان السلام سوف يرفع علم الحب فوق كل الربوع .. فوق كل الربى .. قل لى هل لسفركم خلفية أخرى غير ما أعلنته الاذاعات ؟
وصحفيون وصحفيات في اعينهم الدموع .. وناس لا نعرفهم والاسى على صفحات وجوههم . وخلق من أوربا أو آسيا .. وبشر من امريكا أو أفريقيا .. فشعب اسرائيل كوكتيل من كل مكان .. ولكنهم جميعا في ذهول .

لابد أن أكتب هذا أولا .. لان كل هؤلاء طلبوا الى أن أكتب عن شعب اسرائيل الذى يريد السلام قبل أن أكتب عن قادته الذين يدمرون السلام . ولابد أن أذكر مجموعة المصريين الذين التقيت بهم في فندق رامات ابيت .. في تل أبيب . وقدموا لى القهوة السادة .. وسألونى عن السيدة زينب والظاهر والموسكى الف سؤال . وقالوا لى ،

ـ نريد أن نزور أصدقاءنا في مصر .. فهل الأبواب مفتوحة ؟
فقلت لهم :
ـ بل مفتوحة لمن يريد العودة ؟
فتبادلوا نظرات الدهشة وكأنهم لم يسمعوا هذا الخبر من قبل . وقال أحدهم :
ـ مصر في مسامنا .. والسادات اعاد لنا كل الذكريات الطيبة ..
وأقبل فلسطينى من طولكرم في الضفة الغربية . وصافحنى واجهش بالبكاء . وقال بعد أن هدأ :
ـ هذه أول مرة أقابل فيها مصريا منذ احد عشر عاماً ..
وعشرات الوجوه في ذاكرتى . والوف الكلمات في مسمعى . والخواطر تتزاحم في صدرى وانا احزم حقيبتى لأعود الى القاهرة . لقد كتبت في رسالتى الأولى من القدس أن قلبى ثقيل .. ولكنى أزرع فيه التفاؤل زرعا .. هذه المرة اكتب وأقول إن قلبى رفض التفاؤل المزور . فقد أثبتت ثمانون ساعة قضيناها في القدس ان ما بين جوانحنا من حب للسلام ليس مثل ما بين جوانح صقر اسرائيل الشهير بمناحم بيجين .

اسرائيل تضيع السلام

في كل ما كان يجرى من خلاف حول جدول اعمال اللجنة السياسية كنت أتصور أن الاتفاق على الجدول سوف يفتح الطريق الى الجلوس حول المائدة المستديرة لكى يبدأ الدخول في الموضوع وهو الأمر الذى تسعى اليه مصر حتى تتفادى تضييع الوقت . وتضييع الوقت تخصص اسرائيلى . بل أن الأساس في مبادرة السادات هو تفادى الوقت الضائع في الشكليات . ولا بأس من أن يضيع بعض الوقت في مناقشة الموضوع فقد قلت قبلا أن المفاوضات ليست رحلة شاعرية . ولا هى مما يجرى بين غمضة عين وانتباهتها كما يقول الشاعر .

ولكنى اكتشفت منذ وصولنا الى القدس ان اسرائيل لا تضيع الوقت .. انما تضيع السلام .. كيف ؟

سوف اسرد احداثا تبين سؤ النية .. سوف أروى وقائع الشوك الذى زرعه بيجين وديان على وجه التحديد .. على طريق السلام ..

(١) ما بعد رحلة الاسماعيلية ابتدع بيجين حكاية المستوطنات في سيناء . واقامها على دعاوى ليس فيها ما يتفق مع روح القدس ومبادرة السلام . وقال ان المستوطنات يجب ان تبقى لأنها تحمى اسرائيل من ناحية رفح - لان كل هجوم مصرى لابد أن يبدأ من رفح أما مستوطنات المطارات فتحمى منفذ اسرائيل الى البحر الأحمر . كيف ؟ في هذه المستوطنات شمالا وجنوبا اسرائيليون مسلحون .. هم هكذا دائما في المستوطنات والكيبوتز . وفضلا عن هذا فان جيش اسرائيل سوف يحميهم . أى ان المستوطنات ستبقى قلاعا وقواعد أمامية وحزام أمن لاسرائيل . والمطارات تبقى منطلقات الى قلب مصر .. وفيها بالطبع أجهزة رادار راصدة ..

ولم تقبل مصر هذا كله .. واعتبرت المستوطنات لعبة اسرائيلية تحول بها اسرائيل الانظار عن جوهر القضية وهو غزة والضفة الغربية ..

قالت اسرائيل ان المستوطنات هى الحدود الآمنة التى نص عليها قرار ٢٤٢ . وقالت مصر ان المستوطنات احتلال لأراضى الغير بالحرب وهو ما يرفضه البند الثانى من نفس القرار . فاحتلال الحدود باطل وما ينبنى على الباطل باطل مثله .. أما المطارات ومنها ما يبعد عن الحدود الاسرائيلية ١٥ كيلو مترا فقط فالاحتفاظ بها في أرض مصر يخفى غرضا آخر هو التوسع لأن ١٥ كيلو مترا بالنسبة للطائرة ف ١٥ أو ف ١٦ تستغرق بين ٣٠ و ٤٠ ثانية . فهل يمكن ان تنسف مفاوضات السلام هذه « الشوانى » .. وهل تكون المستوطنات حزام أمن أكثر مما كان خط بارليف . اذا كان الأخير هو الجبنة الجرويير ذات الخروق على

حد قول ديان بعد سقوط بارليف فان المستعمرات سوف تكون الجبنة القريش الهشة .. أو اللبن الزبادى الهلامى .

وأضحك معى ..

المستشار القانونى لبيجين وأسمه البروفيسير موشى ارتز أراد أن يخترع شيئا جديداً ـ وحقوق الاختراع مكفولة لاصحابها ـ قال: « نطالب بأن تكون سيناء لاهل سيناء فلايدخلها المصريون الا بتصريح خاص » .. أى أن تكون سيناء المصرية مغلقة في وجوه المصريين حتى يشعر الاسرائيليون بالأمن ..

ولم يقل موشى أرتز من سيعطى هذا التصريح .. رئاسة مجلس الوزراء في القاهرة .. ام رئاسة مجلس الوزراء في اسرائيل ..

وقبل الجلوس الى موائد المفاوضات في القدس كانت كل حجج اسرائيل حول مستوطنات سيناء مدحوضة من الجانب المصرى .

العقدة في المنشار

(٢) فعند بيجين وتابعه ديان ان مصر لن تفرط في شبر من أرضها .. ولكن بيجين وتابعه ديان اذا سلما بهذا .. اذا تخليا عن المستوطنات فسوف يلتزمان بتطبيق نفس المبدأ على الضفة الغربية وغزة .. وفي الجولان ولهذا لابد أن يضعا العقدة في المنشار من البداية ، فماذا فعلا ؟. وزعا الادوار .. زحف شارون وزير الزراعة والمستوطنات بالبولدوزرز الى المستوطنات ليعمر أكثر .. ونشر اعلانات في الصحف لمن يريد أن يبنى بيتا في ياميت فليتقدم لأن الأبواب مفتوحة ؟ ولماذا ياميت بالذات ؟ لأنها المستعمرة الرئيسية عند رفح المصرية .. ولا يعقل ان يقدم شارون على « عملة » كهذه الا في سيناريو توزعت فيه الادوار .. لا يعقل .. لأن بيجين ليس ناظر مدرسة المشاغبين الذى يسمح للوزراء ان يفعلوا ما يشاءون من وراء ظهره ..

وقد أشعل هذا التصرف « الشاروني » نهم جماعة جوش امونيم فضاعفوا نشاطهم في انشاء مستعمراتهم بالضفة الغربية ..

وهكذا حولت اسرائيل روح القدس روح السلام الى روح بروتوكولات صهيون ووصايا هرتزل روح « من الفرات الى النيل ارضك الموعودة يا اسرائيل » . وروح التوسع على حساب الجيران .. وليس اغتنام الفرصة للعيش مع الجيران في سلام ..

على نفسها جنت براقش ..

٣ ـ قد كان يمكن غفران هذه الاخطاء التى وقعت قبل تحديد جدول الاعمال بتدخل امريكى حاسم يوم الاحد ـ ١٥ يناير عام ١٩٧٧ ـ قد كان يمكن . ولكن سوء النية مضى الى الغاية منه في تدمير السلام حين عقد موشى ديان مؤتمرا صحفيا للصحفيين الاسرائيليين فقط .. هاجم فيه خطابا القاه محمد كامل في مطار بن جوريون . وأفشى ديان مشروع اسرائيل الذى لم يقدمه بعد . كأنما يعد الصحافة الاسرائيلية لحملة تدعيم موحدة لوجهة النظر الاسرائيلية ،ومن المعروف ان من الصحف الاسرائيلية ما هو معتدل .. ومنها ما يمقت ديكتاتورية بيجين وعناده الذى يهدد بتضييع سانحة فرصة السلام ..

وليس في العرف الدبلوماسى ان يفشى وزير خارجية اوراقه قبل أن يعلنها للاطراف المعنية حول المائدة المستديرة .. الا اذا كان يريد نسف المائدة المستديرة .. فيعتبر تصرفه هذا قنبلة زمنية تدمر الاشياء في الأوان المحدد لها ..

أكثر من هذا .. عقد ديان مؤتمرا للصحفيين العالميين الذين هرعوا بالمئات الى القدس لكى يتابعوا عمل اللجنة السياسية وقال لهم « إن مطالب مصر بمثابة مسدس مصوب الى رأس اسرائيل » وقد انبرى له الصحفيون يفندون أقواله .. وقد كان هذا المؤتمر عقب الجلسة الافتتاحية

وليس في العرف الدبلوماسى أن يعقد وزير خارجية مؤتمرا بعد الجلسة الافتتاحية إلا اذا كانت عنده نية قلب الموائد على المفاوضين .. العرف الدبلوماسى ان يجيب الوزير عن سؤال طيارى . ويترك للمتحدث الرسمى ان يدلى بتصريح مختصر لا يؤثر على سير المفاوضات . وهذا هو الشكل الحضارى النظيف الذى التزمه محمد كامل وزير الخرجية حين رفض ان يعقد مؤتمرا . وترك لمرسى سعد الدين أن يتحدث الى الصحفيين بعد كل جلسة .

العرف أن المؤتمر الصحفى « العالمى » لا يعقد الا بعد انتهاء المباحثات ..

وفي عبارات ديان ما يعتبر استخفافا لا يليق . وقد ردد مغالطاته التى لم يفلح في اقناع الجانب المصرى بها .. وقد بدت الصحافة العالمية مستنكرة لمنطق ديان خلال المؤتمر .. وهذا جعله مستفزا فاقد الاعصاب .. وهى أمور تفسد المناخ .

(٤) على أن بيجين كان أكثر تشددا . وقد التقى بيجين بمحمد كامل ثلاث مرات .

ـ المرة الأولى حين استقبله قبل أن تبدأ المفاوضات . وراح يعتذر عما بدر من تصريحات خاصة فيما يتعلق بالفرق بين « يحرق » و« يحرث » في حديث السادات وحمله أمانية الطيبة للسادات . قال لمحمد كامل سوف نلتقى مساء على العشاء فأجاب محمد كامل قائلا : « آمل ألا تصدر عنك تصريحات تفسد الموقف وتعقد الأمور » .

ـ المرة الثانية في حفلة العشاء .. ويبدو أن بيجين أصبح نجما تليفزيونيا تتملكه أمام العدسة السحرية ميول استعراضية . فقد وقف ليفسد الاشياء ويعلن ان السلام لن يتحقق اذا تراجعت اسرائيل الى حدود يونيه ٦٧ . ولن يتحقق اذا أعيد تقسيم القدس . وتحدث عن اساءة استخدام حق تقرير المصير . في تشبيه يجعل من العرب نازيين جددا ..

لأنه قال ان هتلر طالب بهذا الحق بالنسبة للالمان في تشيكوسلوفاكيا .. لكى يوسع نفوذه .. وانتهى الأمر إلى الحرب العالمية الثانية ..

وأكفهرت الوجوه .. خاصة عندما قال بيجين لوزير الخارجية المصرى : انت صغير .. ولست من جيلى وجيل فانس .. ارتج فانس . بدأ الاسرائيليون الجالسون الى جانب المصريين من أعضاء وفد المفاوضات والمصريين من أعضاء الوفد الصحفى يعتذرون لهم في همس ..

وكانت لهجة بيجين الساخرة مزاحا بشعا لا يليق بمضيف يتحدث الى ضيفه في حفل عام ، كما لا يليق برئيس وزراء يدعى أنه يسعى الى السلام فاذا به ينسف المبادرة علنا .. وعلى رؤوس الاشهاد ، ان العرف الدبلوماسى أن يعطى رئيس الوزراء تعليماته لوزير خارجيته ليقولها في الإجتماعات المغلقة ، أما اخراج احشاء اللجنة على مائدة العشاء ، فهذه ليست الدبلوماسية .. هذا ليس المكان وهذا ليس الزمان ..

جافاه الصواب .. وكانت المجافاة فادحة لأن خطبته هذه قد تكون خطبته الأخيرة في العشاء الأخير .. قبل أن يصلب السلام . قبل العشاء الأخير باع يهوذا السيد المسيح بثلاثين من الفضة .. وبيجين باع السلام بعشر دقائق من الكلام السام !

ورد محمد كامل على ما تعرفون . كان رائعا . رفع رؤوسنا . قال لبيجين : « بعد يوم حافل من السياسة اخترتم الحديث في السياسة في هذه المناسبة الإجتماعية . أننى أومن بشدة بأن العناصر التى ذكرتها هذا الصباح في كلمتى أمام اللجنة السياسية هى أسس السلام . ومناقشة هذه الأمور يجب أن تجرى في اللجنة السياسية .. ولسوف احتفظ بأرائى لاقولها في اللجنة » .

ولم يشرب محمد كامل نخب السلام ..

وأرتج فانس مرة أخرى .. ولكنه قطعا ارتج اعجابا لأن الامريكى يحب مباريات الملاكمة ، وقام يحاول أن ينقذ الموقف . قال عبارات

الوسيط المهذب وكان محرجا وهو يتحدث .. وكأنه يعتذر لمحمد كامل .. ومحمد كامل يجلس ومعه كبرياء الاربعين مليونا .. يدخن في هدوء سيجارته ..

الاسرائيليون كانوا في غاية الحرج من أقوال بيجين .. ولكنهم التمسوا له الاعذار كالآتى :

- بيجين رجل في الخامسة والستين .. لا تعتبوا عليه ان تجاوز الحد ..

- بيجين كان محروما من الأضواء ، ومن الحديث تحت الأضواء . الان وقد استولى على كل الميكروفونات قد اتيح له ان يتكلم كثيراً . ومن يتكلم كثيراً يخطىء كثيراً ..

- بيجين لا يفعل هذا معكم .. أنه يفعله في حفلات المجتمع الاسرائيلى وهو يستخف دمه .. ويداعب السيدات بجرأة ، ومنهن من تحمر وجوههن خجلا من تصرفاته .

- وبيجين لا يخصكم بهذه الجليطة . ان وفد المفاوضات الامريكى الأخير برئاسة زابلوكى رئيس لجنة العلاقات الدولية كان شديد الانتقاد لسلوك بيجين في مجالسهم الخاصة .

- أنه يبتسم ليخفى الوحش الضارى في اعماقه كارهابى قديم ، ويحاول التظرف حتى ينسى الناس أنه دموى ، وها أنتم ترون النتيجة ..

وهذه مجموعات الأقوال من الاسرائيليين أنفسهم .. شهد شاهد من أهله ..

ولكن من قال ان علينا ان نتحمل كل هذا السخف .

ولماذا لا تمضى الأمور على مواصفات الاعراف الدبلوماسية ، والسوابق المهذبة .

● واللقاء الثالث بين محمد كامل وبيجين كان بعد صدور أمر العودة للوفد المصرى .. واعتذر بيجين .. ولكن لات ساعة ندم .

● وبلغ بيجين أقصى المدى في تطرفه ومغالطاته حين جلسنا اليه - نحن مجموعة رؤساء تحرير الصحف المصرية - في غرفة اجتماعات مجلس الوزراء الاسرائيلى ، فقد بدأ بعبارة ظريفة ونحن جلوس حول المائدة المستديرة . قال « ان تاريخ الموائد المستديرة في المفاوضات تاريخ طيب » .. وبعد هذه الجملة لم يقل بيجين أى شىء طيب . قال « أطلقوا اسئلتكم كما يقول الامريكيون ؟ » فلما أطلقنا أسئلة تهدف الى تصحيح مسيرة السلام التى بدأت تنحرف في اسرائيل ، اخذ المسيرة باجاباته الى متاهات مظلمة .. وخرجنا وقلوبنا ثقيلة بالحزن ..

وقبل أن الخص متفجرات بيجين في لقائه مع الصحفيين المصريين اقف عند نقطتى نظام ما كان يصح البتة ان تقعا ..

- النقطة الأولى ان الزميل موسى صبرى طلب منذ البداية ان يكون اللقاء مغلقا ، ومقصورا على مجموعة الصحفيين المصريين ، فلما ذهبنا وجدنا الصحفيين الاسرائيليين ، واحتج موسى .. ووضعهم في حرج .. وبعد مشاورات همس مرافقنا جاد في آذان الاسرائيليين بأن ينصرفوا ..

واحضار الصحفيين الاسرائيليين عملية « استعراضية » من بيجين ، ذلك لأن كل شىء يتم في اسرائيل يتم بأمره ..

النقطة الثانية اننا أردناه حوارا للخلفية ، أى لا ينشر . فهذه مناقشة ليست رسمية ، ونحن لسنا وفد مفاوضات . نحن نعبر عن شعبنا بصورة أخرى . وننقل لبيجين رأينا لنسمع رأيه أو رده . كان هذا هو الاتفاق وعندما خرجت من الإجتماع حاول مندوبو الصحف والتليفزيون ان يعرفوا شيئا فقلت لهم ، « متأسف .. هذا لقاء خاص » ..

صنا الأمانة ...

ولم يصنها بيجين ، لأننا سمعنا من راديو السيارة التى اخذتنا الى تل أبيب ، لتلتقى برؤساء تحرير الصحف ، ولنتغذى مع عمدتها سمعنا تفاصيل مادار بيننا وبين بيجين .

وقد قال لنا بيجين كل ما قاله من قبل : المكسيكيون لم يطلبوا وطنا في جنوب امريكا فلماذا يطلب الفلسطينيون وطنا في الضفة وغزة ؟ ولماذا يطلب وزير خارجيتكم تقسيم القدس . هل لما جئت اليلكم في الاسماعيلية طالبت بتقسيم القاهرة ؟ وأشار الى نافذته وقال : لو قسمت القدس لا صبحت هذه النافذة على مرمى المدفع من القدس القديمة .. منذ احد عشر عاما تعرض بيتى للقصف .. فهل أسمح بهذا مرة أخرى . انا غضبت من أمريكا لما عرضت جدول الأعمال على مصر أولا .. نعم غضبت .. لماذا لا تعرضه علينا أولا ؟ انا هددت بالاستقالة ان آلت المستوطنات الى مصر لأن الاستقالة لعبة جارية في الشرق الأوسط . قرار ٢٤٢ يقر لنا الحدود الآمنة والحدود الآمنة هى ما قدمناه في مشروعنا .. المستوطنات لنا . الحكم الذاتى للفلسطينيين في اليهودية والسامرة تحت العسكرية الاسرائيلية . هذا شىء لم يحصل عليه الفلسطينيون منذ قرون .. لا أيام العثمانيين ، ولا أيام الانجليز ، ولا أيام الملك حسين .. نحن لم نقتل الفلسطينيين ولم نخض حروبا ضدكم . أننا بدأنا كفاحنا ضد الانجليز لتحرير ارضنا ، وكنا ننتهى من عملياتنا فنختبىء عند الفلسطينيين ، وكانوا يسمون أبطالنا « جدا .. جدا » قالها وتوقف ليسأل ما معنى جدا « بالعربية .. وتدخل مترجمة الخاص البروفيسير شارون ليقول لنا انما » جدع « أى ان بيجين كان جدعا باعتراف الفلسطينيين ! وقال ان العرب هم الذين شنوا حروب ٤٨ و٥٦ و٦٧ .. وانهزموا فيها كلها ، حتى حرب ١٩٧٣ ، انهزموا فيها ، بدليل ان السادات قال لإريك شارون « كنت أريد أن أمسكك في الثغرة » . ولكنه لم يمسكه . على حمدى الجمال قال له انتم قتلتم لورد موين ،

فأعتبرها اهانة من على .. وقال له ان أمريكا هددتنا ان نحن أبدنا قوات الثغرة الاسرائيلية فقال بتهكم « انتم اذن لا تعرفون ما فعل كسنجر من أجلكم » .. تقولون ان مبادرة السادات اعتراف بنا . من قال لكم اننا طلبنا هذا الاعتراف ؟.

وعلى هذا المنوال .. حتى لما سألته لماذا كنت قاسيا على وزير خارجيتنا في حفلة العشاء الأخير .. لماذا خضت في عمل اللجنة مما يعرض هذا العمل للاجهاض . قال ، كان يجب ان يتوقع وزيركم هجوما لأنه هاجمنا منذ وصل الى القدس .. هاجمنا في مطار بن جوريون لما طالب بتقسيم القدس .. وقال ان حفلات العشاء يصاحبها احيانا مناقشات حامية في السياسة ..

مشكلته أنه يعتقد أنه اذكى الاذكياء ..

مشكلته أنه الان ديكتاتور اسرائيل . وهو يسابق نفسه لكى يتفوق على بن جوريون في تاريخ اسرائيل . ولكنه يلعب لعبة خطرة .. ولعله وهو الواعظ التوراتى . ومذاكر التاريخ الشاطر يتذكر تاريخ كل الذين أفلتوا فرص السلام وأطفأوا الشموع .

لا حديث إلا السياسة

سياسة .. سياسة .. سياسة .. لا حديث الا السياسة .. ماذا بعد ساعة . ماذا بعد دقيقة . نحن في تل أبيب . أو تل الربيع وعمدتها الشاعرى يقول إن السلام هو الربيع الدائم . الكتيبات التى وزعوها علينا عن المدينة توحى بانها المدينة السياحية الأولى .. ومن الاسرائيليين من قال لى ان السياحة ترتبط بالسياسة ومنذ زارهم السادات تدفق الوفد السائحين وحققت اسرائيل المليون سائح . وقال في اغراء ، « نحن جهزنا اتفاقيات سياحية حتى نصدر لك السائحين القادمين الينا من بعيد ، فضلا عن تصدير السائحين الاسرائيليين الذين قال استفتاء أجرى بينهم

إن أول عاصمة يريدون زيارتها هى القاهرة .. احتفلت اسرائيل بالسائح رقم مليون لهذا العام . كانت فتاة ايرانية مع عشيقها .. حولوا اقامتها الى ضيافة . وقدمت لها الشركات عشرات الهدايا ..

ثم ينتهى الحديث الى السياسة ، فيقولون :

ـ لو تعثرت المفاوضات فان هذا ينعكس على حمولة الطائرات والسفن القادمة . فورا ينعكس !

والسياسة في الفندق ..

زارنا عضو الكنيسيت زيدان عطشه .. درزى هو . عربيته طليقة وفيها « الكاف » الفلسطينية المشهورة تحل محل كل قاف في الكلام . وهو من حزب التغيير الديمقراطى الذى له ١٥ مقعدا في الكنيسيت و٤ وزراء ورئيسه يجال يادين نائب رئيس الوزراء ، قال لنا زيدان . إن الحزب انشق على نفسه بشأن موقفه من الحكومة في قضية المستوطنات ، وان زيدان أمضى في الإجتماعات ثمانى ساعات حتى التأم الشمل . وقال لنا ان حزب التغيير حزب ثورة على الفساد .. وحزب ثورة على التطرف ، وأنه بعد أن القى بيجين خطابه في الكنيسيت بعد خطاب السادات ـ يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ـ خرج اعضاء الكنيسيت من الحزب وعقدوا اجتماعا خرجوا منه بأن بيجين لم يكن على مستوى مبادرة السادات ، وان خطابه لم يقل شيئا يقابل المبادرة .. وكلف الحزب رئيسه بالذهاب الى بيجين في منتصف الليل ليقول له :

ـ أما ان تخفف من لهجتك ، وأما ننسحب من الوزارة الائتلافية لتنهار ..

وسمع بيجين الكلام .. وبدت عبارته معتدلة في اليوم الأخير .. وفي المؤتمر الصحفى ..

وزيدان يرى ان الاحزاب الاسرائيلية معقدة ، وأنها فوجئت بالمبادرة . أوكما يقولون دخل السادات عليهم بالمبادرة وهم في نصف

ثيابهم · الأمر يتطلب وقتا لاقناع من أمتلأت رؤوسهم بأقوال التوراه · وتعبئة الحرب النفسية طوال ثلاثين عاما ·· تمتد عشرين عاما أخرى الى الخلف بالنسبة للصقور فوق الستين ··

وناشدنا ان نتريث · ان نعطى فرصة لاحزاب اسرائيل باقناع الشعب بالتخلى عن الضفة وغزة والمستوطنات ··

ـ ان الشعب الاسرائيلى يريد السلام ·· والساسة هم الذين يزايدون لاسباب انتخابية ·

ويقول زيدان :

ـ طولوا بالكم ·· وطولوا بالكم سمعتها من يجال يادين رئيس الحزب حين التقينا في حفل العشاء الأخير ـ الذى باع فيه بيجين مسيرة السلام بعشر دقائق كلام ـ ويجال يتحدث العربية ، ويعرف المصور وآخر ساعة ·· ويتمتع بروح اعتدال وصفاء · هذا الرجل في تقديرى رجل المستقبل في اسرائيل · كانت التنبؤات تقدر لحزبه حوالى ٤٨ ٪ من الأصوات في الانتخابات الأخيرة ولكن الأحزاب كالاشجار لايصمد منها لعواصف الانتخابات الا من غاصت جذوره في الأعماق · اخذ حزبه ١٢ ٪ من الأصوات هى التى تحولت الى ١٥ مقعدا في الكنيسيت · وهذا يعتبر معجزة لحزب يتقدم للانتخابات لأول مرة ·

يجال متحفظ · غير قادر على التنبؤ بشىء حاسم ·· وهو يتمنى ان تتقارب المفاهيم حتى يسهل التلاقى · قال هذا قبل خطبة بيجين السامة ·· ولم يتح لى أن اتصل بيجال في رقم تليفونه الخاص لأننا عدنا الى القاهرة ·

ولكنى لم أسمع طولوا بالكم من اريه الياف · عضو الكنيسيت الذى يرفع شعار دولة فلسطين ، ويرفع شعار الواقعية فيطالب بالتفاوض مع الفلسطينيين والمعتدلين من قادة المنظمة ، وقد ذهب الى هذا المدى ، تفاوض في باريس مع عصام سرطاوى وحمامى وغيرهما ·· وتقدم

بمذكرة الى الحكومة الاسرائيلية يقول فيها ان من الفلسطينيين اناسا يستحقون ان نمد أيدينا لهم ..

أريه الياف من سكان تل أبيب وقد دعاني لقضاء ليلة في بيته ... ولكن عودة الوفد لم تمكنى من القعدة الطويلة لا ناقش هذا الاسرائيلى الشريف ..

لا بد لنا من صداقة حميمة مع الشرفاء من أمثال أريه الياف ..

سمعت ان شالوميت .. عضو مجلس الكنيسيت ورئيسه حزب حقوق المواطن تقف في صف الفلسطينيين ، وأنها كانت « ضرة » جولدا مائير في الكنيسيت . ايضا لم يتح لى الوقت لقاء مع هذه التى يصفونها بالشعنونة القوية .

قالوا في الثمانين ساعة !

سياسة .. سياسة .. سياسة .. هذه قراءات سريعة عن أحداث الثمانين ساعة ..

● انفعالية بيجين تلتصق بصورة طبيعية بعضو قديم في الحركات السرية والمعارضة السياسية وهى ليست بأداة الضبط التى يوصى المرء بأستخدامها في الدبلوماسية .

● مسئول امريكى قال : إن انفجار بيجين كان مروعا ومفزعا ..

● كثير من الاسرائيليين الذين يفكرون بالأمور تفكيرا واعيا ، بمن فيهم بعض أعضاء حزب بيجين نفسه يقولون إن بيجين ينتمى الى غير زمانه الصحيح ، فكونه الى حد كبير ذلك اللاجىء البولندى المناضل في أوربا الماضى وغير المهيأ عاطفيا لمعالجة حقائق وسياسات الشرق الأوسط ..

● سئل برزنيسكى « هل تعتقد أن بيجين لديه من القوة السياسية ما يمكنه من تقديم تنازلات جديدة ؟ فاجاب قائلا : « أنه في موقف يقارن بموقف ديجول .. اذ تولى ديجول السلطة في وقت كانت فيه

فرنسا منقسمة فيما بينها بشأن القضية الجزائرية ، وتمكن من اقرار السلام بالنسبة لتلك القضية حتى بالرغم من ان هذا أدى الى فقدانه الكثير من التأييد · اننى أشعر ان بيجين سيكون من الشخصيات التاريخية ، وكما ان السادات قد ارتفع عن الاحقاد والصفات التى تتحكم فيمن حوله كذلك سيفعل بيجين ·

● ان شعبى اسرائيل ومصر يريدان السلام ، ويبديان اشتياقهما اليه ، اذ انهما لا تهمهما المعانى المختلفة للكلمات ، بل يشجعان بيجين والسادات على نحو أكثر من الساسة أو الصحف ·· حتى تستمر الدفعة الى السلام ·· ولايجاد طريق أفضل للمستقبل ، وقد يكون ذلك هو المبرر الاساسى للدبلوماسية ··

● ان حكومة بيجين قد أخطأت في تحويل المبادرة التاريخية للرئيس السادات الى فيض من المساومات · ان هذه مناورة خاطئة خيبت آمال العالم والعرب والاسرائيليين أنفسهم · لقد كان ينبغى على العكس من ذلك ان ترد اسرائيل على مصر بتصرف بنفس الحجم · ان اسرائيل بصدد ان تفقد مباراة في غاية الأهمية ·· واذا لم تغير اسرائيل من تكتيكها فان السلام لن يفرض الا عليها ··

هوذا بيتكم يترك لكم

وأقول :

ان البيان الرسمى الذى صدر باستدعاء وفد التفاوض المصرى من القدس حسم الموقف بكلمات لا تحتمل التأويل قال : « قد كان موقف مصر صادقا وصريحا منذ بدأت مبادرة السلام ولم يتغير الموقف المصرى على الإطلاق تفاديا لاى مزايدة ، وكان الامل ان يقابل الطرف الآخر هذا بوضوح مماثل ··· ان المواقف الصريحة والمستقيمة هى وحدها الكفيلة بالوصول الى حل يحقق آمال الملايين على نطاق العالم في سلام لا يهتز ، وأى اسلوب غير هذا أسلوب لم يعد يقبل بعد مبادرة السلام

الشجاعة . لقد اعلنت مصر موقفها المبدئى منذ اللحظة الأولى وهو موقف اتخذته طوال نضالها خلال السنوات الثمانى الأخيرة . وهو قائم على ضرورة الانسحاب من كل الأراضى العربية التى احتلتها اسرائيل بعد ٥ يونيه عام ١٩٦٧ بما في ذلك القدس . وتقرير الحقوق المشروعة بما فيها حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى الذى شرده العدوان قرابة نصف قرن . واذا كان ضمير العالم قد أستقر على صحة هذه المبادىء اساسا للحل لاتفاقها مع العدل ومبادىء القانون الدولى والمواثيق الدولية . فانه لم يعد مقبولا ان تكون المساومة والمزايدة والالتجاء الى اضاعة الوقت والطاقة هى الطريق الى اقرارها . واذا كان يهود العالم قد شردوا وشتتوا فليس هناك معنى لان يشرد الفلسطينيون ليعيشوا تحت الاحتلال ثمنا لالام اليهود .. الخ ..

كانت كلمات البيان جناحا طرنا عليه من القدس الى القاهرة .. فقد رد البيان على كل مغالطات بيجين . ووضع أمام الدنيا حقيقة اسرائيل . وكشف القناع عن « الجدع » القديم الذى يصر على ان يدس السم في الفكاهة .. ويدب كلامه دبا على شاشات التليفزيون . وهو يدرك أنه يلعب لعبة خطرة .. جد خطرة وخطيرة ...

ولكن طريق السلام لم يسد .. وعجلة السلام لن تتوقف . ان السادات الذى أسقط القناع عن وجه اسرائيل يطالب العالم كله بأن يقول كلمته حتى يزيل الغام اسرائيل على طريق السلام . ويبعد عجلة السلام عن مطبات بيجين الخطابية والاستعراضية .. ذات المزاح البشع ..

وقد حلقت بنا الطائرة من مطار بن جوريون .. ومحمد ابراهيم كامل وبطرس غالى وعصمت عبد المجيد واسامة الباز ونبيل العربى وعبد الرؤوف الريدى وفؤاد هويدى وعمرو موسى وأحمد ماهر وأحمد

الزنط .. كل أعضاء وفد مصر قاماتهم مرتفعة . وديان يسعى بينهم الى سلم الطائرة وهو يقول في اضطراب لمحمد كامل :

ـ آمل ان نلتقى قريباً .

ومن قلبى رحت اردد العبارة .

ـ آمل أن نلتقى قريباً مع السلام ..

٢١ ـ طريق الآلام الى مدينة السلام

هاج بيجين رئيس وزراء اسرائيل وماج ! وقال : كيف يطالب محمد أبراهيم كامل وزير خارجية مصر بتقسيم القدس ؟ هل لما ذهبت الى الاسماعيلية طالبت بتقسيم القاهرة ؟ هل طالب أحد بتقسيم دمشق أو بغداد أو باريس .. القدس عاصمة اسرائيل . وعاصمة اسرائيل لن تقسم ..

والمغالطة واضحة في حديثه . فعاصمة اسرائيل هى مجموعة العمارات الجديدة . والحصون والكنيسيت وفنادق السياحة وما اليها . أما القدس المقدسة التى مشى فوق أرضها الانبياء . أما القدس مدينة السلام حيث مضى السيد المسيح على طريق الآلام .. حيث أسرى بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهذه هى القدس العربية ..

وسوف تبقى القدس عربية !

● وقبل أن أتجول في ربوعها التى تثير أروع الذكريات في قلب كل مؤمن . قبل أن أدخل من أحد أبوابها السبعة .. وأنا أدور حول سورها العظيم .. وأملأ العين والقلب من مبانيها العتيقة التى يتضوع منها عطر التاريخ أقف بك عند أقوال كثيرة تؤيد عبارتى « سوف تبقى القدس عربية » ..

ويقول محمد حسن التهامى . نائب رئيس الوزراء .. والرجل الذى يتولى الاعداد لاعمار المسجد الاقصى ومدرسة الاقباط في كنيسة القيامة .. وسائر مقدسات الاسلام في مدينة السلام .. يقول من حديث له الى جريدة الاهرام : ـ القدس هى القدس العربية .. أى القدس القديمة التى يقع فيها المسجد الاقصى وقبة الصخرة ومنازل الانبياء والرسل .. يحيى وزكريا وغيرهما . ومهد سيدنا عيسى ومقام سيدتنا مريم عليهم السلام جميعا . أما المعروف بالقدس الجديدة التى تعتبرها اسرائيل عاصمتها فلم يكن لها وجود في الاصل . لا في ذلك العصر ولا في عصور لاحقة . الا في عهد الانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الاولى .. حين قسمت بريطانيا أرض الشام الى فلسطين والاردن ولبنان . وبدأت في زرع الوجود الصهيونى على أرض فلسطين .. ومنها القدس الجديدة .. والقدس القديمة هى المقصودة بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « انت جنتى وقدسى وصفوتى من بلادى . من سكنك فبرحمة منى . ومن خرج منك فبسخط منى عليه » وقد ذكرت عروبة القدس لجان عصبة الامم التى أوفدتها « العصبة » للفصل في الخلافات بين العرب واليهود على أرض فلسطين حتى في عصر الانتداب البريطانى حيث أثبتت تقاريرها عروبة القدس . وملكية العرب للقدس العربية كاملة .. حتى حائط المبكى الذى مازال مصلى لبنى اسرائيل » ..

انتهى حديث محمد حسن التهامى .

بعينى .. رأيتها عربية !

والواقع ان عروبة القدس لا تحتاج الى دليل عند من يتجول فيها ! أنا زرتها في ثلاثة أعوام متعاقبة هى أعوام ١٩٦٣ و ١٩٦٤ و ١٩٦٥ . وأبى زارها في عشرة أعوام متفرقة بين عام ١٩٣٤ و ١٩٣٩ لانه كان يقدس فيها . ويعمد كل مولود له في مياه نهر الاردن .. حيث تعمد السيد المسيح .. ومما رأيت في شبابى . ومما سمعت في طفولتى فالقدس عربية .. غير أن ما رأيته أخيرا في زيارة الرئيس السادات لها في نوفمبر ١٩٧٧ .. وفي زيارة اللجنة السياسية .. في يناير ١٩٧٨ قاطع أيضا بأنها عربية . فأنت تسمع فيها لغة الضاد . وأنت ترى فيها أبناء فلسطين وعلى وجوههم احزان الاحتلال . أو تفاؤلات السلام . حوانيتهم ذات طرز عربية . وما يبيعونه تراث عربى من صنعة أو حرفة .. الرجل عربى .. المرأة عربية .. والطفل عربى . وأماكن العبادات ما أكثرها بين كنيسة ومسجد . وما أقلها مما ينتمى الى الديانة اليهودية . ها هوذا حائط المبكى في سور المسجد الاقصى .. والدموع تذرف عنده .. أو الزغاريد اذا جاء يهود الشرق بالنذور . ومن بوابة حديدية يقولون ان الحفريات أثبتت أن الحياة تحت الحائط كانت مزدهرة .. والى أعماق سحيقة حفر اليهود بحثا عما يؤكد ملكيتهم لهذه البقاع المقدسة .. وكادت تتقوض المبانى الاسلامية المقدسة .. وهم يحاولون المستحيل للبحث عن الدليل . يعود محمد حسن التهامى من القدس بعد زيارة السادات فيقول :

- لم تفتنى اهمية السؤال عما وصلت اليه حفريات بنى اسرائيل تحت الحائط الجنوبى للمسجد الاقصى وحول سوره لا تأكد من الواقع عما روجه البعض عام ١٩٦٧ من وجود اصول وقواعد لهيكل سليمان في المنطقة الاسلامية والعربية . وقد أجابنى بوجه القطع أناس من بنى

اسرائيل في اعلى المستويات بأن نتيجة كل الحفريات كانت عبارة عن اكتشاف بقايا المبانى السكنية من العصر الاموى . ولم يعثر المنقبون على حجر يدل على انتمائه الى معبد سليمان الذى من المرجح أنه كان مبنيا في حجم الفيلا السكنية خارج أسوار القدس العربية .. وبوجه القطع خارج منطقة المسجد الاقصى وقبة الصخرة .

عقدة الآثار اليهودية !

ورغم هذا فما أكثر الكتب والمطبوعات التى تنشرها اسرائيل . وتروجها في انحاء العالم لتدلل بها في حقها في هذه الارض .. قدس وغير قدس . وقد سرت من الفكر الصهيونى عدوى الى كل يهودى هاجر الى اسرائيل .. عدوى يمكن ان أسميها . عقدة الاثار اليهودية . فعند أوفيرا .. في جنوب سيناء كان عدد من المهاجرين الروس يحفرون في أعماق الصحراء .. ورآهم حكومى اسرائيلى فسألهم :

- ماذا تفعلون ؟

فقالوا :

- في التوارة أن أحد الاسباط هنا .. ونحن ننتمى الى هذا السبط ونبحث عن عظامه المقدسة .

وقد خرجت بعثة من جامعة تل أبيب بقيادة الدكتور روتنبرج تبحث في صحراء النقب عن كنوز الملك سليمان فوجدت مناجم النحاس تدل على ان من كانوا يملكونها هم أهل مدين وأصلهم عربى .. وقد سكنوا جنوب فلسطين قبل اليهودية بمئات السنين .. وقد تزوج موسى ابنة شعيب . وشعيب مدينى .. كما ثبت من الحفائر ان الفراعنة تعاونوا مع اهل مدين على حفر المناجم .. بدليل وجود معبد بناه سيتى الاول هناك .. عام ١٤٠٠ قبل الميلاد .. أى قبل موسى عليه السلام ..

وهذا الذى تحقق تاريخيا في السنوات الاخيرة يناقض كل ما كتبه سير رايدر هاجارد .. الكاتب البريطانى الشهير في قصة « كنوز الملك سليمان » التى أثرت على أفكار الملايين في انحاء الارض .. ككتاب .. وكفيلم سينمائى .. وأقنعتهم أن هذه الربوع ملكية يهودية قديمة .

وقد كتب يهودى صادق مع نفسه هو والتر شواتز يقول :

ـ كلما بحثت في اعماق حديقتى لم اجد الا أثارا عربية .

ومع هذا فانه في الشهر المشئوم .. يونيه عام ١٩٦٧ .. عندما سقطت القدس القديمة في يد القوات الاسرائيلية ذهب موشى ديان الى حائط المبكى . وذرف دموع الشكر على الانتصار .. وثبت على حائط المبكى لافتة مكتوبا عليها « السلام لبيت اسرائيل » .. وعاد ليستعمل هذه العبارة في مباحثات اللجنة السياسية في يناير ١٩٧٧ ولهذا رد عليه الجانب المصرى . السلام لبيت فلسطين .. فهنا فلسطين » ..

ولكن الحقيقة أن القدس احتضنت الاديان الثلاثة .. لم تعرف التعصب ولا جربت ديكتاتورية دين على دين .. الا منذ بدأت دولة اسرائيل . ولو عرجت على قضية المستوطنات الاسرائيلية . تلك الخناجر البشرية المزروعة في سيناء أو الجولان أو الضفة الغربية لوجدتها صورة للاحتلال ووضع اليد الدموى .. وهى بعكس ما نقرأ في تاريخ القدس من سماحة ..

الا ما أروعها قصة عمر بن الخطاب مع صفرونيوس كبير قساوسة القدس أيام الفتح العربى . فقد خرج صفرونيوس يلقى عمر .. وذهب الى كنيسة القيامة ليتجول فيها عمر .. شىء واحد فعله قبل هذا هو زيارة الصخرة وهى رمز الديانة اليهودية وقد اخذ رجاله يزيلون التراب عنها حتى تم تنظيفها تماما لانها تراث نبوى . ولما أنطلق الى كنيسة القيامة رمز المسيحية جلس مع صحبه حتى حان وقت الصلاة فرأى

صفرونيوس أن يدعو أمير المؤمنين الى أداء الصلاة في الكنيسة · ولكن عمر بن الخطاب رفض حتى لا يزعم المسلمون ان هذا المكان مكانهم بحجة ان أمير المؤمنين الفاتح الظافر قد صلى فيه ·· وفي هذا ما فيه من البلاء ومعاندة السلام الذى هو دين جميع الأنبياء المرسلين . وصلى عمر في مكان آخر يقوم فوقه الآن مسجد عمر بن الخطاب على مرمى حجر من كنيسة القيامة ·

عمر بن الخطاب رفض أن يصلي في الكنيسة حتى لا تكون سابقة يتذرع بها من يجيئون بعده ··

وحكومة اسرائيل تغرس المستوطنات في قلب سيناء وفلسطين والجولان ·· وتتمسك بها اجزاء من حدودها ··

الا ما أشد الفرق وأوسع البون ··

أسمعوا هذا الشاهد

ومهما يقولون من أن القدس عاصمة اسرائيل · ومهما يحلمون به من أن القدس لن تتجزأ فإن حقائق التاريخ ضدهم · وليس في الماضى ولا في الحاضر ما يشد أزرهم أو يسند حجتهم . فالقدس بيت فلسطين لأن فيها مقدسات الاسلام والمسيحية . وحائط المبكى يبقى رمزا لعناق الاديان في ذاك الموقع المصطفى لمعبد سليمان · وصلب المسيح ·· وأسراء محمد ··

ويجىء شاهد من الغرب فيقول كلمة حياد تتفق في أكثرها مع وجهة النظر العربية ·· والشاهد ليس غريبا على المنطقة . ولا دخيلا على القدس بأنفه أو فكره · ولا هو في النهاية بعيد عن أزمة الشرق الاوسط . الشاهد هو اللورد كارادون البريطانى ·· الذى عاش في القدس وقت الانتداب موظفا كبيرا من قبل الحكومة البريطانية وعرف أن القدس عربية . وهو الذى كان مندوب بريطانيا الى الامم المتحدة في عام ١٩٦٧ . وهو الذى

وضع صيغة القرار ٢٤٢ الذى يدور الخلاف بين الجانب الاسرائيلى والجانب العربى على تفسيره ..

يقول اللورد كارادون :

« ثمة عامل اساسى في الشرق الاوسط غالبا ما يتم تجاهله .. وهو انه ينبغى أن يعيش القدس في سلام .. واذا لم تتحقق تسوية في القدس فان مبادرة السادات الشجاعة سوف تتحول الى فشل يائس .. ولن يكون فانس في حاجة الى تنقل آخر فقد يتبدد امل الرئيس كارتر في اقامة وطن فلسطينى قومى وسوف يتعين على اسرائيل الدفاع عن نفسها على مدى عشرات من السنين المحفوفة بالخطر الباهظة التكاليف . وستضحى بمثابة جزيرة تقع في وسط بحر كبير من العداء الذى يهدد بالخطر ..

ثم يقول اللورد كارادون :

ينبغى ان تكون هناك مدن مناخية داخل القدس الموحدة ، قدس عربية تحت الحكم والسيادة العربية من جانب . وادارة اسرائيلية وسيادة اسرائيلية من جانب آخر مع السماح بحرية التحرك والاتصال بين المنطقتين وتتركز التسوية على الاحترام المتبادل والتعايش السلمى وخلق علاقات جديدة من الثقة والتعاون بين الاسرائيليين والعرب . واقامة قدس جديدة من اجل تحقيق السلام .. لان وجود القدس بهذه الصورة .. سوف يكون انتصارا ساحقا .. يصحبه نزع للسلاح في المدينة التى يجب ان تكون مفتوحة بأشراف مندوب سام يراقب حرية الحركة بين جزءيها ..

هكذا يرى كارادون أن تقسيم القدس ضرورة . وان عودة القدس العربية للعرب شرط للسلام .. بل يذهب الى أبعد من ذلك فيقول ان البدء بالقدس في المفاوضات على هذا الحل يجعل القدس أسهل مما عداها من المشاكل . ثم يقول اللورد كارادون في حسم :

ـ ينبغى ان تتمتع اسرائيل بالامن .. وينبغى ان يكون الفلسطينيون احرارا .. ولا يمكن تحقيق احد هذين الامرين بدون الآخر . والامران يمكن تحقيقهما الآن .. ويمكن ان تدلنا القدس على الطريق .

كنوز القدس

واذا كانت كنوز الملك سليمان ابداع خيال وبراعة قلم .. فان كنوز القدس حقيقة مسجد القبة الصخرة وحوله ثمانية أبار . وللاقصى أربع مآذن ومتحف ومكتبة . وهو قطعة فنية عز نظيرها في الروعة والابداع . طوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ ويرتفع فوق ٥٣ عمودا من الرخام . وقد بدىء بناؤه في عهد عبد الملك بن مروان عام ٧٠٥ ميلادية .

ويقال ان عمر بن الخطاب حدد موقع المسجد الاقصى بردائه . وقد تقلب المسجد في العز لأنه كان موضع رعاية كل الحكام المسلمين المتعاقبين . وعندما استرد صلاح الدين الايوبى القدس من ايدى الصليبين نقل الى المسجد الاقصى منبر مسجد حلب .. وهو المنبر الذى أمر بصنعه نور الدين بن زنكى . وهو بعينه المنبر الذى أحرقه اليهودى الاسترالى روهان في عام ١٩٦٩ . فتنادى المسلمون من أطراف الارض احتجاجا على حريق المسجد الاقصى . واجتمعوا في الرباط على المقدسات ليقولوا ان الخطر الصهيونى على المقدسات أصبح حقيقة تتواتر عليها الادلة ..

وقد رأينا موضع الحريق حين ذهب الرئيس السادات ليصلى عيد الاضحى في المسجد الاقصى بين أبناء فلسطين ..

وعلى ذكر الاضحى تختلف الروايات حول الاضحى وموقعه .. الثابت اسلاميا الى التضحية كانت من ابراهيم بأسماعيل وحدث الفداء .. وأصبح الاضحى عيدا اسلاميا يصاحبه الطواف حول الكعبة وهو

ما أرساه سيدنا ابراهيم في ذاك الموقع المقدس قبل اليهودية .. وجاء الاسلام ليحيى هذه الشعائر .. عند اليهود ان التضحية كانت بأسحق .. ولكنهم لا يمارسون « الضحى » .. ولا يعرفون الفداء .. أقول على ذكر الاضحى .. لان قبة الصخرة هى ما يقال ان التضحية كانت عليها حسب الرواية اليهودية ..

وقد اتفق السادات مع بيجين على ان تتولى مصر بالتعاون مع العالم العربى والاسلامى اصلاح المسجد الاقصى .. ومقدسات الاسلام ..

وفي جبل موريا ـ قبالة المسجد الاقصى كما قدمت ـ يقع مسجد قبة الصخرة . يقولون ان الركعة عند القبة بألف ركعة . والمسجد بنى من خراج مصر في عهد عبد الملك بن مروان وأبنه الوليد .. وهو خراج سبعة أعوام . وقد تبقت منه أكياس فيها ألف دينار من الذهب فقرر الوليد صرفها مكافأة لمهندسيه العظيمين رجاء بن حياة الكندى ويزيد بن سلام . فاذا بهما يرفضان ويقولان : « اولى أن ندفع له من حلى نسائنا . وقد صبت الدنانير ذهبا غطى قبة المسجد .. لتبدو صقيلة جميلة تحت شمس القدس العربية .

وفي جبل موريا جدار البراق حيث تم الاسراء حسب الآية القرآنية . وجدار البراق حائط ضخم طوله ١٥٦ قدما وأرتفاعه ٥٦ قدما . وهو جزء من الجدار الغربى للحرم القدسى ..

المسيح .. هنا

وفي القدس للمسيحية بصمات وآثار .. ومقدسات لها اغلى الذكريات . فعلى أرض القدس طبع المسيح قدمه . ليس هذا تعبير المجاز فانت تراه حقيقة في كنيسة الصعود على جبل الزيتون . هناك تجد صخرة عليها قدم مطبوعة يعتقد أنها اثر قدم المسيح .. وعلى سفح جبل الزيتون كنيسة الجثمانية التى تعبد فيها السيد المسيح في آخر لياليه .. وفيها حديقة يتناثر فيها ثمان من أشجار الزيتون يقال انها شاهدت

المسيح وهو يصلى على الصخرة .. يصلى الى الله ان يعبر عنه تلك الكأس .. وفيها كنيسة مريم وقبر مريم .. وفيها كنيسة القديس زكريا وهى الموقع الذى جاء فيه اليهود الى المسيح بزانية ليروه كيف يحكم عليها .. ويدينونه من أفعاله . فقال لهم قولا سرى حكمة عبر القرون . « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر أولا » فتساقطت الاحجار من أيديهم .. وأنسحبوا بخزيهم !

وفي القدس طريق الحج المسيحى الذى يسمى طريق الآلام . ذاك الطريق سلكه السيد المسيح الى حيث صلب . وهو يتمثل في ١٤ مرحلة تسع منها خارج كنيسة القيامة .. حين كان ينوء المسيح بصليبه الثقيل فيسقط على ركبتيه ويلتقط انفاسه . ويساعده سمعان القيروانى .. آخر المراحل التسع عمود من رخام على واجهة مطرانية الاقباط الارثوذكس في القدس .. والمراحل الخمس الباقية داخل كنيسة القيامة التى تعتبر اقدس المواقع المسيحية على الاطلاق .. ففيها موضع الجلجثة حيث صلب المسيح .. وتحتها الموضع الذى وجدت فيه هيلانه ام الامبراطور قسطنطين صليب المسيح في القرن الرابع .. ثم كوة صغيرة في بناء كنيسة القيامة كانت هيلانه تطل منها على العمال الذين يجرون الحفائر بحثا عن الصليب . وتلقى اليهم من الكوة بقطع الذهب حتى تستحث همتهم .. في كنيسة القيامة موضع التغسيل والتطييب . وموضع المهانة والتحقير . وموضع اقتسام الثوب . وموضع وقوف المريمات في لوعتهن . وموضع التشقق في الجبل كنبوءة المسيح .. ثم قبره الذى يفوح منه البخور فتنطلق معه الروح الى ملكوت الايمان .. وسكينة النفس .. ودون أن تحس .. تجد الدمع في عينيك ندى يتحول الى رافد .. وروافد تتحول الى نهر ..

ويبدأ المسيحيون مسيرة طريق الآلام يوم الجمعة الحزينة .. وهى يوم صلب المسيح .. يبدأ في الثالثة والنصف بعد الظهر .. وأول الطريق عند دير راهبات صهيون وراهبات الفرنسيسكان .. وهما ديران بنيا على

موقع كان فيه قصر بيلاطس البنطى . هذا الحاكم الرومانى الذى قدم له اليهود المسيح وهم يصيحون « أصلبه .. أصلبه .. » فلما حقق قضيته غسل يديه .. وقال : « أنا برىء من دم هذا البار » .. فقالوا قولتهم التى يحاولون التنصل منها بوثائق لم تجد سندا ولا اعترافا من الكنائس الشرقية . قالوا قولتهم : « دمه علينا وعلى أبنائنا » ..

وكنيسة القيامة تقتسمها طوائف المسيحية الارثوذكسية الكاثوليكية .. والاروام والسريان . وللكنيسة الارثوذكسية المصرية كنيسة صغيرة داخل كنيسة القيامة تلتصق بقبر السيد المسيح .. ولهذا تعتبر أقدس المواقع داخل قدس الاقداس ..

وفوق كنيسة القيامة .. على طرف منها يقع دير السلطان . وهو ملكية أرثوذكسية مصرية مكن الاسرائيليون للاحباش منها في عام ١٩٧٠ . وذهب الانبا باسيليوس مطران القدس الى محكمة اسرائيل العليا ليطالب بردها وصدر له الحكم بذلك . فلم تنفذ الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة الحكم .. الى اليوم ..

وقد أوقف الانبا باسيليوس حجيج المصريين المقيمين في القدس .. وهم جالية من خمسة آلاف نسمة من بقايا جنود ابراهيم باشا .. ومن مدرسين ورهبان وقساوسة .. اوقفه حتى تسترد مطرانية الاقباط مقدسات الاقباط ..

والقدس هى التى دخلها السيد المسيح يوم احد يسمى السعف وهو يسبق قيامته باسبوع كامل .. وقد تهلل له اهلها . وخرجوا في مظاهرة يستقبلونه قائلين « مبارك الاتى بأسم الرب » .. ولجبل الزيتون في القدس قدسيته . ففوقه كان السيد المسيح يصلى . وعلى ربوة منه قال آيته التى تبقى في اسماع الاجيال تدين ما فعله اليهود به .. قال :

- « يا أورشليم يا أورشليم .. يا قاتلة الانبياء . وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت ان اجمع ابناءك كما تجمع الدجاجة فراخها . ولكنهم لم يريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » .

وجاء تيطس الى القدس في عام ٧٠ ميلادية وحطم القدس .. وترك بيوتهم خرابا .

حكاية الطمع .. قديمة

والطمع في القدس طمع قديم .. قديم ! فياما شاهدت هذه المدينة التى ليس لها في التاريخ نظير من غزاة وفاتحين . ويا ما تعرضت للحملات والمستعمرين .

يقال انها كانت قصبة لملكى صادق الذى كان ملكا وكاهنا ومعاصرا لابراهيم الخليل قبل ان يظهر اليهود كشعوب بأربعة قرون . وقد سميت في الكتاب المقدس شاليم او ساليم وأرتييل واليبوسى والقرية الآمنة وصهيون والقدس ومدينة الملك العظيم . وقيل ان ملكى صادق كان يدعى سالم ولهذا سموها أورسالم وأور معناها مدينة .. أى هى مدينة سالم . ولانه كان مسالما يحب السلام سموها أورسلام التى تحرفت الى أورشاليم ..

وقد حاصرها اليهود اثناء زحفهم على ارض كنعان لينتزعوها من أصحابها اليبوسيين . ولكنها استمرت تحتفظ بكيانها حتى جلس داود على عرش اسرائيل عام ١٠٥٥ قبل الميلاد .. فهاجمها ولم يظفر منها إلا بحصنى صهيون . وعاد الى عاصمة ملكه في حبرون ـ أى الجليل ـ وترك رئيس جيشه الذى أحتلها بعد هذا التاريخ بثمانية اعوام ـ أى عام ١٠٤٧ قبل الميلاد .. ومات داود عام ١٠١٤ . وقام خلفه ابنه سليمان الحكيم .. فبنى فيها هيكله .. وهاجمها نبوخذ نصر البابلى عام ٥٥٨ قبل الميلاد فحرقها وهدم أسوارها وهيكلها .. وسبى مئات الألوف من اهلها . وغزاها بعده الاسكندر الاكبر . واحتلها بعد الاسكندر انطيوخس ابنياس ملك سوريا الذى أعاد اليهود الى عبادة الاوثان . ثم حررها المكابيون . وفي عام ٥٦٣ قبل الميلاد احتلها بومبيوس الرومانى وانهى حكم المكابيين

وضم فلسطين الى روما .. وظهرت فيها المسيحية . فقد ولد السيد المسيح في بيت لحم - على مسيرة ٨ كيلو مترات منها - وذهب الى الجليل وطبرية والناصرية ودخلها في ٢ أبريل عام ٣٠ ميلادية .. دخلها لا يحمل سيفا .. ولا حقدا .. دخلها ليبدأ كل من فيها بقولة « سلامى اعطيكم » ..

وجاء الفتح العربى عام ٦٣٧ . فتحها ابو عبيدة بن الجراح وسلمها صفرونيوس مطرانها الى عمر بن الخطاب الذى اعطى اهلها من مسيحيين ويهود ما يسمى بالعهدة العمرية . وامن الناس على ارواحهم وأموالهم وعقائدهم وضرب أروع الامثلة في السماحة .

وفي ١٥ يوليه عام ١٠٩٧ احتلها الصليبيون .. أقبلوا بجحافل من جيوش أوربية . وظلوا بها حتى ظنوا أنها صارت ملكية خاصة .. ولكن صلاح الدين الايوبى حقق انتصاره عليهم في ٢ اكتوبر عام ١١٨٣ واسترد القدس منهم . واستطاعت حملات الصليبيين الثانية غزو القدس مرة اخرى في عهد فردريك الالمانى .. واستردها منه الملك الصالح نجم الدين .. وأخذها التتار .. واخذها العثمانيون .. ولكنهم لم يستطيعوا ان يأخذوا شيئا من مقدساتها . ولا أن ينالوا من عبيرها وعطرها .. ووضعها الحلفاء تحت الانتداب البريطانى في عام ١٩١٨ .. بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .. أو بمعنى أصح بعد أن القت الحرب العالمية أوزارها على القدس ..

بيتى .. بيت الصلاة

وها هى الآن وقد احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ..

وبيجين يقول انها لا تقسم .. ولن تقسم .. لان ما يسرى على القاهرة ودمشق وباريس ولندن ينبغى ان يسرى عليها ..

ونحن نقول لبيجين ..

- بل هى مقسمة بالحد الفاصل ومنشقة بالملامح التى لا تقبل الجدل .. مدينتنا العربية داخل السور الذى بنى عام ١٥٣٦ في عهد سليمان الكبير وعليه أبوابها الشهيرة : باب الخليل . وباب المغاربة . وباب النبى داود . وباب الاسباط . وباب الازهار . وباب العمود . والباب الجديد .. هذه أبوابها تحدد مداخلها . لا يبقى بعد ذلك لبس .. لا يصبح بعد ذلك خلط .. قدسكم الجديدة هى هذه المبانى الجديدة .. عمارات من الحجارة البيضاء كنص القانون البريطانى السارى المفعول الى الان . ومناطق سكنى ومكاتب ادارة .. بنوك وصيرفه ..

خليكم في مكانكم ودعونا في مكاننا .. وأياكم ان تدخلوا قدسنا بأقفاص الحمام وصرر المال كما فعلتم في معبد قديم حين أمسك السيد المسيح بسوطه . وطردكم من بيت الله وهو يقول في غضبه الرفيع : « بيتى بيت الصلاة يدعى .. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » !

القدس بيت صلاة .. فلا تجعلوها مغارة لصوص .. وإلا فان العالم كله سوف يحمل السوط هذه المرة .

٢٢ - الصامتون يتكلمون !

اشياء كثيرة اضافتها مصر إلى قاموس الدبلوماسية في خريف عام ١٩٧٧ . اضافت أول ما أضافت دبلوماسية الصدمة او الزلزال وتمثلت بزيادة الرئيس السادات للقدس فراحت كل وزارات الخارجية في العالم تعيد تقييم الموقف في الشرق الاوسط على ضوء هذه الزيارة التاريخية وتطوى اوراقها القديمة التى تفكر وتحسب الحسابات على .. التحركات الدبلوماسية التقليدية ..

ودبلوماسيه الصدمه هزت اسرائيل هزا .. وقد قال ايجال يادين رئيس حزب الحركة الديموقراطية للتغيير ونائب رئيس وزراء اسرائيل للدكتور بطرس غالى : « اسمحوا لنا ان نتكيف مع الصدمة التى احدثها مجيء السادات لبلادنا » ..

وقد حذره بطرس غالى قائلا : « حذار فقد تقع كما في الروايات التراجيدية اليونانية حادثة تضطر إلى العودة بالامور الى الصفر .. » ..

ودبلوماسية الصدمة ثورة في الفكر الدبلوماسي ومثلما صدمت اسرائيل زلزلت بعض الدول العربية ..

إن اسرائيل حين وجدت دبلوماسية الصدمة تضيق الخناق عليها وتضعها امام العالم في قفص اتهام بدأت في محاولة اجهاض هذه الدبلوماسية .

والحق اقول ان بعض الدول العربية كان اسبق من اسرائيل الى هذه المحاولة فقد تجمع هذا البعض في قفص اسمه « قفص الرفض » .

واضافت مصر الى قاموس الدبلوماسية .. دبلوماسية الحركة السريعة المكثفة .. فعلى مقتضى الاوضاع التقليدية تتحرك الدول لشرح مواقفها بالتؤدة الدبلوماسية المعروفة .. تؤدة الباقات البيضاء والكلمات المنمقة .. ومثل الدبلوماسية الكثفة ما عايشته في طائرة خاصة اقلت السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهوريه في جولة زار فيها عشر دول هي بالترتيب التالى . السودان . السعودية . اليمن الشمالية . قطر الامارات العربية . عمان . ايران . البحرين . الكويت . الاردن .. أى انه زار ... تسع دول عربية صديقة على حافة العالم العربى من الشرق ولكنها في صميمة من حيث التعاطف والموقف المؤيد .. زار نائب الرئيس كل هذه الدول في ثمانين ساعة طار منها عشرين ساعة ..

وتوقيت الرحلة يدل على الهدف منها .. فهو يجىء في فترة قطعت فيها مبادرة السادات نحو السلام شوطا يستحق ان تطرح كل جوانبه على الدول العربية العاقلة، فقد ذهب السادات للقدس يبسط يده بالسلام مقابل استرداد الارض وحق الشعب الفلسطينى في تقرير مصيره . وصار الاجماع العالمى على ان اسرائيل فقدت كل حججها القديمة في ان العرب يريدون القاءها في البحر وانها جزيرة في بحر الاحقاد والدم . وان المقابل الذى يجب ان تدفعه لليد المبسوطة للسلام هو تنفيذ قرارات الامم المتحدة ..

ولم تنسف مصر الجسر الذى مدته من اجل السلام بل بدأت التحرك ..

واسرائيل لم تفعل هذا. وراغت على ما نعرف وسحب الرئيس السادات اللجنة السياسية من القدس بعد ما بدا من تشدد بيجين ما ينذر بأنه يهدر فرصة السلام ..

ولم تنسف مصر الجسر الذى مدته من اجل السلام .. فقد بدأت مصر التحرك الدبلوماسى لتشرح موقفها . وتقول للعالم حكايتها مع اسرائيل . وكان الطبيعى أن يبدأ التحرك في الاتجاه للاشقاء العرب ..

السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية قال لى ونحن في الطائرة تقطع بنا الجزيرة العربية من اقصى غربها الى اقصى شرقها :

- « احب ان اؤكد ان التضامن العربى كان قائما بعد ثلاثة ايام من المبادرة واذا استثنينا دول الرفض فإننا نستطيع أن نقول ان الاشقاء العرب كانوا معنا ولكنهم لم يصدروا التصريحات والبيانات . وكان دليل انهم معنا ان شيئا من مواقفهم المسبقة لم يتغير .. الدعم المعنوى لم يقطعوه .. والدعم المادى لم يوقفوه .. »

قلت للسيد نائب رئيس الجمهورية :

- ما الهدف من رحلتك ؟

فقال السيد حسنى مبارك :

- احمل ملف القضية وفي الملف وثائق الموقف منذ الاسماعيلية حتى اليوم اطلع عليها كل الاشقاء العرب .

الرفض .. مرفوض

ان مصر حقيقة تعلن للاشقاء العرب ما تعمله باستثناء المبادرة وكيف جرت في تكتم . وقد جرت في تكتم لان الرئيس السادات أرادها مخاطرته الشخصية من قناعته وحساباته الذاتية .. ولم يرد لاحد ان

يتحمل المخاطرة معه ولا اراد لهذه القناعة ان تكون حوارا مفتوحا . السادات ارادها مخاطرة شخصية غرمها عليه وحده .. وغنمها للعرب جميعا .. وفى حوار دار بين ايميليوكولومبو رئيس البرلمان الاوربى للدورة الحالية وايجال الون وزير خارجية اسرائيل السابق في مستعمرة جوينوسار عند بحيرة طبريه قال ايجال الون :

- اذا وضعت مكاسبنا في كفة ومكاسب السادات في كفة اخرى فان كفة السادات ترجح وتربح .. وان لم تضع اسرائيل في اعتبارها المغزى السياسى والمعنوى لاعتراف الرئيس السادات بها . وكذا امكانية التباحث المباشر مع العدو بلا وسيط فان مصر سجلت ما يلى :

- استردادها لسيناء ..
- فرضت على اسرائيل قبول مشكلة فلسطين وهذا هام جدا ..
- خلقت بالمبادرة ردود فعل لدى الرأى العالم الاسرائيلى وعلى الاختيار السياسى الناجم عنه ..

وفي توقيت رحلة حسنى مبارك الطائره اقول :

انها جاءت سابقة للرحلة التى يبدأها الرئيس انور السادات في اتجاه الغرب .. تصب الرحلة الاولى محصلاتها في الرحلة الثانية .. ويطير السادات بالموقف العربى الموحد الذى اصبح وهو يؤيد الموقف المصرى يدير ظهره بنعومة لموقف الرافضين .. وهذا الموقف العربى الموحد اصبح واضحا ومعلنا لان غيابه او غموضه كان مما تفسره اسرائيل لحسابها ويفسره الرفض ايضا لحسابه .. بل ان هذا الموقف العربى الواضح المعلن اصبح يحاصر دول الرفض التى حاولت ان تستقطب دولا اخرى خاصة بعد ان وجدت نفسها كالنار « تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله » ..

وقد باءت كل محاولات الإستقطاب بالفشل .. فرحلة الأسد الأولى إلى بعض دول الجزيرة العربية لم تحقق له ما يريد فعلا . فلا هى

ضمت اليه دولا . ولا هى شكلت على مصر ضغطاً .. وعاد الأسد إلى قواعده ليقرأ مقالا لديفيد هيرست صحفى الجارديان البريطانى يقول فيه : ان رجل الشارع السورى مع مبادرة السادات وان في الجيش السورى حركة تذمر تتصاعد منها الهمسات لأن العلويين يسخرون النظام كله لمصلحتهم ويخططون لمآربهم الشخصية ..

ورحلة الخدام بعد الأسد كانت أكثر فشلا .. وكل ما فعله الخدام أن غذى الصحف المأجورة لجبهة الرفض .. بتصريحات غير مسئولة منها قوله حين سأله أحد القادة العرب : « لو أسفرت مبادرة السادات عن تحرير الجولان فماذا تفعلون » ؟ ..

فقال الخدام :

ـ لن نقبل الجولان !

ولعل هذا يقودنا إلى القصة القديمة التى وردت في كتاب سامى الجندى عن صفقة الجولان حين باعها البعث حتى تصبح قضية تحرير

الجولان هدف الحكم البعثى ومبررا لاستمراره .. من أجلها يعلن الأحكام العرفية ويواصل السيطرة الديكتاتورية على شعب سوريا المقهور ..

وفي ايران سمعت من احد الاصدقاء الايرانيين ان وفدا عسكريا ايرانيا زار الجبهة السورية وشاهد الجولان وعاد وهو يقول :

ـ قطعا لم يحدث في عام ١٩٦٧ قتال في الجولان لان من يملك هذه المرتفعات الحصينة يستطيع ان يهزم الجيش الاسرائيلى مهما كانت درجة تفوقه ..

وكانت رحلة هوارى بومدين هى الثالثة

وكان هوارى يهدف الى جمع شمل السوريين والعراقيين قبل ان يستضيف الرافضين الى عاصمة بلاده في مؤتمر الرفض الثانى فهل وفق ؟

وهوارى بومدين ليس له في القضايا العربية وزن او اهتمام .. ان الذى يهمه من دول الرفض ان تساند موقفه الطامع في الصحراء المغربية وهو الموقف الذى تتخذه الجزائر تنفيذا لخطة سوفيتية تريد ان تدس دويلة شيوعية في هذه المنطقة . كما ان الجزائر تبحث لنفسها عن نضيب في فوسفات الصحراء ومطل على المحيط فى موانيها

وقال لى اصدقاء في الكويت ان الحكومة الكويتية كانت تعرف هدف بومدين من الزيارة وقد اراد بومدين ان يجعل الزيارة مفاجأة للكويت ولهذا طلبها قبل الموعد الذى حدده باربع وعشرين ساعة وردت الكويت بحزم قائلة :

- نحن في حالة حداد على سمو الشيخ الراحل صباح سالم الصباح

ولم تستقبل الكويت هوارى بومدين .. وحين ذهب الى السعودية لم يجد صدى لما يقوله عن مبادرة السادات .. اما عن الصحراء فقد وعدته السعودية باستمرار جهودها من أجل احلال السلام بينه وبين الملك الحسن .

وحين ذهب بومدين الى باقى الاسرة العربية على الخليج وجد الاذان تصغى فهكذا تقاليد الضيافة ولكنه لم يقرأ على الوجوه اى تأييد لما يقول ضد مصر ولم يسمع من الافواه حتى ولو عبارة مجاملة وعاد بومدين الى الجزائر بخفى حنين اكبر حجما من خفى الاسد ..

من مطار إلى مطار

تعال نترك الخواطر ونهبط في المطارات المتعاقبة :

● الخرطوم : هى حقيقة لا تقبل الجدل ان السودان وهو يتكامل مع مصر سياسيا واقتصاديا يشكل عمقا استراتيجيا لمصر .. ويشكل معها زخما بشريا قال عنه السادات « تقول جبهة الرفض انها ستعزلنا .. كيف تستطيع عزل ستين مليونا في مصر والسودان » الرئيس جعفر محمد نميرى مواقفه واضحة ومعلنة منذ الوهلة الاولى للمبادرة والشعب السودانى

مع شعب مصر تماما .. وقد زار السادات السودان قبل ثلاثة اسابيع ولكن شركة التكامل بين مصر والسودان جعلت اول جلسات حسنى مبارك في القصر الجمهورى المطل على نيل الخرطوم ..

والنتيجه : تفهم كامل للموقف المصرى .. مساندة تامة لكل خطوة يخطوها السادات .

● المملكة العربية السعودية : قطعنا ارض الشرق السودانى وعبرنا البحر الأحمر وصولا الى جده .. هذا البحر الاحمر وشيجة بين جيرانه خاصة حين يلوح الخطر الاحمر زاحفا من الجنوب .. ملف البحر الاحمر يرتبط بملف القرن الافريقى . وهو نقطة بحث بين حسنى مبارك ومن تحدث اليهم في السعودية ..

تحدث الى سمو الامير فهد ولى العهد الذى أعلن تأييده للمبادرة التى تمت حين كان في امريكا . واعلن ذلك فور عودته من امريكا .

قبل اربعة ايام من وصول حسنى مبارك كان للامير فهد لقاء حاسم مع السفير الامريكى في الرياض ..

وطار حسنى مبارك من جده الى « البر » حيث يمضى جلالة الملك خالد بعض وقته .. وحضر اللقاء الامير سلطان وسمو الامير سعد الفيصل . وفي خلال الحديث طلب جلالة الملك الرئيس انور السادات في القاهرة ودار بينهما حديث ودى ..

والواقع ان دور السعودية دور هام وهادىء لم تصحبه التصريحات والبيانات .. انها تقوم بدورها في الضغط على امريكا وتشترك مع مصر في تكثيف هذا الضغط .. استطيع ان اقول ان جماعة الضغط العربية قد لا تقل اهمية الآن عن جماعة الضغط الصهيونية . الاولى تتحرك من الخارج ولكنها تستطيع ان تؤثر في الداخل كما تؤثر الثانية .. فالسعودية - وحدها .. اى بغير الكويت والامارات وقطر وعمان .. الخ تملك ٦٠ مليار دولار في بنوك امريكا وهذا عامل لا يمكن تجاهله في الوقت

الحاضر ـ وقد اسدت للولايات المتحده فضلا ـ بالاتفاق مع ايران ـ فجمدت سعر البترول في مؤتمر الاوبك الذى انعقد في كراكاس بفنزويلا .. ولا بد ان تدفع امريكا مقابلا لهذا الموقف .. والاتفاق بين السعودية ومصر كامل حول تحرير الارض وحقوق السيادة للشعب الفلسطيني والقدس .. والمقابل الذى يجب ان تدفعه امريكا هو تحقيق وضع عادل في المنطقة ..

واقول .. لقد قالت السعودية لكارتر كل ما يمكن قوله حين زارها في اول يناير ١٩٧٧ وعلى الفور طار الامير ترك الى الرئيس السادات في اسوان لينقل اليه صورة مما حدث ... وتكاد صحف العالم تجمع على اهمية الدور السعودى في الضغط على امريكا في هذه الآونة بالذات .. تقول صحيفة الجارديان .. ان السعودية تعمل من اجل السلام في المنطقة ذات الاهمية الكبرى في التوازن الدولى . ودفاعا عن نظام الاقتصادى الدولى . وقد قدمت الدليل الكافى على موقفها المسئول . لهذا فهى تطلب القيام بالتزام اكبر من جانب امريكا لكى تعترف بضرورة دعم نظم الحكم المعتدلة في المعسكر العربى .. وان تقضى على اسباب عدم الاستقرار من جذورها واول هذه الاسباب المأساة الفلسطينية ..

وتستطرد الصحيفة قائلة :

ـ واذا كانت السعودية لم تتخذ موقفا اكثر وضوحا في تأييد السادات فلانها تريد ان تعمل بهدف الحفاظ على الوحدة العربية ..

انتهى حديث الجارديان ..

والواقع ان الذى بدأت امريكا تفهمه الان هو ان البديل للسلام الذى يعرضه السادات بديل مخيف .. ومزلزل .. وقد عرف كارتر جيدا ان الدول البترولية سوف تستخدم سلاح البترول في اى معركة قادمة . كما ان مصر تتحالف مع الشيطان لكى تحصل على السلاح الذى تخوض به المعركة .. واذا عاد الشيطان للمنطقة فهذه هى نهاية التواجد الامريكى

فيها .. وهذه هى العاصفة المزلزلة التى سوف تقطع كل اسباب الوجود الامريكى في الشرق الاوسط ..

وضع السيد حسنى مبارك كل دقائق الموقف امام جلالة الملك خالد .. واتفقت وجهات النظر على الخطى القادمة .. بدءا بزيارة السادات الى امريكا واوربا .. ووصولا الى السلام المطروح فاذا لم يتحقق فالموقف كما قال السيد حسنى مبارك لنا سوف تقرره في حينه ..

من يدفع ثمن الخطأ

اليمن الشماليه : الغاشمى في استقبال حسنى مبارك .. الحديث في المطارومظاهر الحفاوة والفرحة بادية على كل الوجوه .. يستمع الغاشمى الى نائب الرئيس ساعة كامله .. ويقول ان اليمن الشمالية مع مبادرة السادات ..

واليمن الشمالية تشق طريقها الى الاستقرار بثبات .. يحدق بها الخطر من اليمن الجنوبية التى اعطت عدن قاعدة للسوفييت .. ولكن الايمان في اليمن الشماليه سوف يقف دائما ويحاصر الالحاد في جيب دولة الرفض الجنوبية التى يأخذونها لمؤتمراتهم « كمالة عدد » .

● قطر : ثمة وشيجتان بين قطر ومصر .. وشيجة على مستوى القادة .. في صداقة حميمة قديمة بين سمو الشيخ خليفة والرئيس السادات . ووشيجة على مستوى الشعبين . دارت المباحثات بين سمو الشيخ وحسنى مبارك في جو ودى للغاية .. قطر يؤيد مبادرة السادات .. ولكن هذه الاسرة العربية لا تجاهر بالمواقف آملة ان يتحقق التضامن من العربى الشامل ..

وقد قال سمو الشيخ خليفه ان امريكا الآن في امتحان جديد وعليها ان تتفادى الخطأ لانها تخطىء ونحن ندفع ثمن الخطأ حين اخطأت برفض تسليح مصر . وبرفض تمويل السد العالى اتجهت مصر الى روسيا وقامت الحروب .. ونحن العرب دفعنا الثمن ولولا هذا الثمن الذى

دفعناه للسوفييت مقابل السلاح دفعناه لاوربا لحللنا مشاكلها ولما هددتها الاحزاب الشيوعية . ان على امريكا ان تفتح عينها جيدا لان الموقف جاد وحاسم.عليها ان تعرف اننا لا نريد ان ندفع ثمن خطأ تقع فيه بعد هذا كله ..

• دولة الامارات : الشيخ زايد بن سلطان في الباكستان ولهذا استقبل الشيخ راشد المكتوم نائب رئيس دولة الامارات نائب رئيس الجمهورية المصرى.الشيخ راشد يجيد الاستماع .. ويردد عبارات الشيخ زايد بأن « اهل مكة ادرى .. بشعابها » وما تفعله مصر فنحن معها » همس في اذنى صديق في المطار قال : يذيع تليفزيون ابو ظبى كل احاديث الرئيس السادات وخطبه .. وفي كل مرة يقدم السفير السورى في دولة الامارات احتجاجا .. ولا يجيبه احد .. في المرة الاخيرة سألهم « لماذا لا تذيعون خطب حافظ الاسد ؟ .. ولم يجبه احد ..

• عمان : مسقط .. صالة كبار الزوار انيقة .. قصر المسيب أشد اناقة .. فهو فوق ارض تعتبر من اخصب اراضى الجزيرة . وقصر الغبرة حيث قضينا الليلة الثانية في رحلة الثمانين ساعة جنة هادئة والطرق بين هذه المعالم حريرية .. السلطان قابوس يأخذ عمان باصرار من القرن التاسع عشر الى الربع الباقى من القرن العشرين ..

للتاريخ اسجل ان هذا الحاكم المتفتح كان اول من ساند الرئيس السادات وايد زيارة القدس لست ادرى هل وصلت مساندته قبل الحسن ونميرى ام بعدهما .. ولكنه كان اول المساندين من المشرق العربى .. وهو يتفهم الموقف ويتابعه وهو يدلى باحاديث ناضجة صحفية حوله .. وهو يستمع الى نائب الرئيس فتلقى فيها وجهات النظر على التحركات المقبلة ..

عمان عنق الزجاجة العربية في الشرق .. عنق الزجاجة معنا ..

• ايران :

للشاهنشاه رضا بهلوى موقف مبدىء من القضية .. انه مع المبادرة تماما .. هكذا .. عبر للرئيس كارتر وهو يزور ايران ويمضى فيها ليلة رأس السنة وقد كتب خطابا حاسما لمناحم بيجين يستنكر فيه موقفه من المستوطنات .. وزار الشاهنشاه الرئيس السادات في اسوان ..زيارة السيد حسنى مبارك حلقة طيبة في الاتصالات الدائمة بين البلدين ..

وقد عبرت صحيفة « رستاخيز » عن تطور الوضع في الشرق الاوسط بما يلى :

١ ـ ان موقف اسرائيل المتصلب بالرغم من زيارة الرئيس السادات للقدس وبيجين للقاهرة سدت كافة الطرق نحو التسوية ..

٢ ـ ان اسرائيل لا تبدو مستعدة لاى تراجع حول بعض القضايا التى تشكل مفتاح الازمة ونعتقد انها ستعرض امنها للخطر اذا وافقت على مطالب العرب القانونية لانها اعتقدت خطأ خلال ثلاثين عاما ان العرب لا يفكرون الا في القضاء عليها معا جعلها حذرة لمواجهة جهود السلام المصرية ..

٣ ـ ان زيارة السادات للقدس تبين ان العرب وخاصة المصريين جادون في طلب السلام ولا يطالبون الا بحقوقهم المشروعة ..

٤ ـ ان اسرائيل تعتقد ان مصر تدعو للسلام من موقف ضغط وقد حاولت الحصول على تنازلات من العرب في مقابل لاشىء وهو ما رفضه العرب ..

٥ ـ ان توقف محادثات السلام اعطى القادة العرب المتطرفين فرصة للادعاء بانها مناورة سياسة وان مصر تحاول عقد سلام منفصل مع اسرائيل ..

٦ ـ ، ان العربية السعودية التى اتبعت سياسة الصبر والصمت تبذل جهودها لتوحيد العرب لان انتصار الجبهة المعارضة للرئيس السادات

سيعزز النفوذ السوفيتى في الشرق الاوسط ..

٧ ـ ادى ارسال الاتحاد السوفيتى الأسلحة ومنها الصواريخ الموجهة والدبابات والطائرات الميج الى سوريا ان تتخذ موقفا متصلبا ..

٨ ـ ان السوفييت يستهدفون من ارسال الاسلحة لسوريا وللفلسطينيين اقناع العرب المتطرفين بانهم يستطيعون الانتصار على اسرائيل بدون مصر .. وبدون مساعدات مادية من الدول الغنية المنتجة للبترول ..

٩ ـ ان امريكا اصبحت تعتقد ان السعودية غير راضيه عن سياسة امريكا في الشرق الاوسط في الوقت الذى يحاول الاتحاد السوفييتى بسط نفوذه في المنطقة وادركت امريكا ان عليها ان تلعب دورها كوسيط بصورة افضل . وان تفهم قادة اسرائيل ان تصلبهم لن يفيدهم . وقد دللت الاتصالات بين مصر واسرائيل على مدى الدور الذى يمكن ان تقوم به امريكا .. ولكن الى اى مدى سترضخ اسرائيل ..

ورستاخيز الصحيفة تأخذ اسمها من حزب رستاخيز الحاكم ..

والشاهنشاه يدعو حسنى مبارك الى غغاء عمل .. ويتناقشان في الجزء الاخير من القضية اى ما بعد زيارته لاسوان . ويطرح نائب رئيس الجمهورية أبعاد الموقف في الشرق الاوسط .. وقد قال الشاهنشاه انه سيعاود الاتصال بامريكا ليشرح لها خطورة الموقف ان اهدرت اسرائيل فرصة السلام المتاحة . وقد تحدث الشاهنشاه مباشرة مع الاسرائيليين وحذرهم من نسف المبادرة ..

● البحرين : ساعة زمن وربع بين طهران والبحرين . في الطريق من المطار الى قصر الضيافة ترى معجزة البحرين في غزو البحر .. سلسلة من مبان شامخة ترتفع فوق الارض المجففة من صلب البحر . هذه الدولة كانت منارة علم في الخليج . ومواقفها مع مصر دائما كشقيقاتها في اسرة الخليج .. واسرة الجزيرة العربية استقبل الشيخ عيسى بن خليفه السيد حسنى مبارك وشرح نائب الرئيس كل ابعاد الموقف .. كان الشيخ حمد بن خليفه ولى العهد في استقبال نائب الرئيس مع رئيس الوزراء في

المطار .. وكان في زيهم العسكرى . وقد استقل سيارة حسنى مبارك مع رئيس الوزراء ..

قال لنا سائق سيارتنا « مصر تخوض المعارك وتدفع لها المال والدم .. ومن يتفرجون عليها لا يرحمونها من السنتهم مع ان دورهم لا يتجاوز دور المتفرج في مباراة كرة القدم ..

وقد قال لنا السيد حسنى مبارك ان البحرين تتفهم الموقف بعمق وبتوسع بدليل ان المدة المحددة للمقابلة كانت أربعين دقيقة امتدت الى ساعتين غطى فيها حسنى مبارك كل جوانب الحوار التى اثارها سمو الحاكم وولى عهده ورئيس وزرائه والشيخ محمد بن مبارك وزير الخارجية .. واكدت البحرين موقفها الثابت الدائم الى جانب مصر وكل ما تفعله مصر مستقبلا ..

● الكويت : الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية يصحب نائب رئيس الجمهورية المصرى الى قصر السلام .. ويجلس اليه دقائق ثم ينصرف.ما ستريونى سفير امريكا في الكويت كان يبحث عن الدكتور اسامة الباز وكيل الخارجية المصرية ومدير مكتب السيد حسنى مبارك للشئون السياسية.ما سترونى كان في القاهرة وهو يعرف اسامة معرفة قديمة كان السفير الامريكى منزعجا بعض الشيء .. لان المسئولين في الكويت استقبلوه منذ يومين ليقولوا له ان امريكا ليس لها إلى الآن موقف واضح . وانها يجب ان تفعل شيئا حاسما لان ما قدمه السادات لن يقدمه اى رئيس عربى لا في الحاضر ولا في المستقبل .. وهذا أوان الوضوح والكويت تريد ان تعرف حقيقة الموقف الامريكى ..

واستقبل سمو الشيخ جابر الاحمد حاكم الكويت السيد حسنى مبارك وصار التفاهم كاملا حول المطلوب في المرحلة القادمة .. فالمعادلة هى ان عملية السلام ليست عملية مصرية بل عربية .. ولهذا فعلى كل

العرب ان يدفعوا عجلة السلام .. ومصر بالمبادرة قفزت فوق الشكل ودخلت في الموضوع .. والوصول الى الموضوع كان يمكن ان يكلف العرب عشر سنوات لو ترك الامر لجنيف وتعقيدات الشكل ودهاء اسرائيل في اثارة قضية شكلية وراء قضية شكلية .. وفي هذه الاثناء - اثناء الحوار حول الشكل - يمكن ان تبنى عشرات المستوطنات وتساوم عليها بادئة بالحديث ان كل مستوطنة قطعة من اسرائيل ..

وقد تناول الحديث المصالح الامريكية في المنطقة وضرورة ان تحس امريكا بان في هذه المصالح مهددة اذا لم تقف موقفا حاسما مع السلام العادل ..

الرياض مرة اخرى .. اخذتنا الطائره الى الرياض .. التعريج عليها ضرورة لتبادل وجهات النظر بعد ان استطلع حسنى مبارك ردود فعل كل دول اسرة الجزيرة والخليج الاتفاق بين مصر والسعودية وكل الاسرة العربية حول الخطوات القادمة اصبح حقيقة .. استطيع ان اقول والطائرة تحلق بنا فوق صحراء الجزيرة قاصدة الاردن ان التنسيق بدا واضحا في التحرك القادم وهو تحرك عربى - دول العقل العربى - كما انه تحرك منسق . وهدفه مساندة السادات في مبادرته .. والسعى للسلام لان السلام قضية عربية ..وليس قضية مصرية .. ان مرور الايام ومواقف مصر الشريفة منذ المبادرة ورفضها الكامل لاى مساومة قد جعلها حقيقة لا تقبل الشك ان مصر تتحدث باسم العرب جميعا ..

ومن هنا استطيع ان اقول ان رحلة حسنى مبارك الى الدول العربية وايران قد حققت كل اهدافها .. وان الرئيس السادات وهو يطير الى امريكا بعدها يعرف ان دول العقل العربى معه .. ومن حوله ..

عن الاردن اقول

مر الفريد اثرتون وكيل الخارجية الامريكية بعمان عندما انهى محادثاته في القدس مع موشى ديان . وشرح للملك حسين تفاصيل

ما حققه من تقدم خاص باعلان المبادىء من هذه البداية بدا حديث جلالة الملك والسيد حسنى مبارك .. وكان واضحا ان :

١ ـ الملك حسين سوف ينضم لمفاوضات السلام حين تحقق اول اهدافها وهو اعلان المبادىء وسيظل في موقف المترقب المنتظر حتى يحدث هذا ..

٢ ـ اعلانه بوضوح لهذا الموقف اثار حفيظة السوريين والعلاقات بين الاردن وسوريا تمضى فوق جسر الخطر ..

٣ ـ الملك حسين مع المبادرة .. بدليل انه في جولته في الجزيرة العربية كان يدعو دولها لمساندة المبادره لأنها عبرت عن امانى العرب ومطالبهم بصلابة ودون تفريط

٤ ـ تلقى الملك حسين رسالتين من ياسر عرفات حول الموقف .

وأنا أقول ان ياسر عرفات يضع قدميه على أول الطريق .. وأقول ان محاولته للبحث عن وسطاء يقنعون أمريكا بايجاد مقعد للمفاوضة محاولة عاقلة . وقد بدأ ما يمكن أن أسميه بدبلوماسية الخطابات .. فأرسل خطابا للرئيس كارتر . وأرسل خطابا لشاهنشاه ايران .. وأرسل خطابين للملك حسين .. وحتى الخطابات أخذها تحت باب الفأل خطوة طيبة .. ان كانت النوايا صادقة !

وفي النهاية أقول أن رحلة نائب رئيس الجمهورية .. السيد حسنى مبارك رحلة شاقة .. هدت حيلنا . ولكن نشاطه وشبابه جعلانا نلهث لهثا وراءه .. ثم ننسى كل متاعبنا وهو يعود بابتسامته الواثقة ليعلن بعد كل لقاء أن كل شيء في دول العقل العربى على ما يرام ..

ان الأسرة العربية ستتجه الى أمريكا .. بخطى منسقة .. تتجه قبل السادات .. ومعه .. وبعده لتقول لها :

ـ والآن ماذا ؟

٢٢ في كامب داڤيد .. السلام وراء الجدران !

● المشوار طويل .. تماما كالمفاوضات مع اسرائيل . والنظر من النافذة الى بحر السحاب الذى ينتشر كالمظلة فوق أوربا . أو ينسدل فيخفى المحيط تحته .. هذا النظر يفقد امتاعه بعد ساعة .. والمشوار طويل .. خمس عشرة ساعة .. تعال نقرأ معا مقالا في مجلة القوات المسلحة الأمريكية فيه نظرة عميقة للموقف في الشرق الأوسط .. ولكنها مشوبة بالتشاؤم الذى يغلب على العسكريين حتى وهم يكتبون عن « السلام » وكاتب المقال هو انتونى كورد سمان ــ هل سمعت هذا الأسم ؟ ــ كان مساعدا لنائب وزير الدفاع . وسكرتيرا لمجلس المخابرات الحربية في البنتاجون . وهو خريج جامعات شيكاغو وهارفارد . ومتخصص في الدراسات السياسية والاستراتيجية .. يصفعك كورد سمان عند الجملة الأولى فيقول لك : « الحرب واقعة لامحالة بسبب القوة العسكرية الضخمة التى وفرتها الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل .

والمأزق السياسى الذى يحيط بأسرائيل في الوقت الحالى . واغراء شن حرب خاطفة ضد مصر وسوريا للخروج من هذا المأزق » .. ثم يقول كورد سمان ان الولايات المتحدة في الواقع ليست لها مصالح قومية دائمة في اسرائيل . ولكن وشنطن أصبحت اسيرة تحالف يتعارض مع قوانين الواقع السياسى . والجيوبوليتيك .. أى الجغرافية السياسية . ومع ذلك فهناك ثلاثة أسباب تمنع الولايات المتحدة من تغيير سياستها نحو حكومة بيجين . وقطع المعونات عن اسرائيل .. هذه الأسباب هى :

- السبب الأخلاقى .. ويتعدى في دوافعه عزلة اسرائيل الاستراتيجية . ووضعها كدولة ديمقراطية صغيرة ليشمل الاحساس بالذنب، لدى الغرب وأمريكا بصفة خاصة بسبب ما حدث لليهود الأوربيين على يد النازى قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها .
- السبب التاريخى .. ويعود الى عزلة اسرائيل في المنطقة والدور الذى ورثته الولايات المتحدة عقب انهيار القوة البريطانية والفرنسية وتحول اسرائيل الى الاعتماد بصورة كاملة على العتاد والمساعدات الأمريكية . وما يتبعها من التزام أخلاقى بالاستمرار في تأييدها ..
- السبب الثالث هو الضغوط السياسية الداخلية من الرأى العام في الولايات المتحدة نتيجة للسببين السابقين . بالاضافة الى تحالف اليهود الأمريكيين مع اسرائيل وتأييدهم لها .

ويرى كورد سمان أن الأسباب الثلاثة تقف وراء استمرار علاقة يصفها بأنها واحدة من أكثر العلاقات الاستراتيجية غير المرغوبة في التاريخ . فقد أصبحت الحكومة الأمريكية مقيدة الحركة بسبب موقف الكونجرس ونفوذ مؤيدى اسرائيل الذين يمثلون واحدة من أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة . بل أن الكونجرس أصبحت لديه قدرة اقل من الحكومة على تغيير السياسة القائمة . ولا يستطيع أن يغامر ببحث المساعدات الأمريكية لاسرائيل بطريقة واقعية . أما الجالية

اليهودية الأمريكية المؤيدة لاسرائيل فيبدو أنها مصممة على الاستمرار في مواقف مبنية على الخوف بدلا من العقل . وبالتالى فهى تلجأ للتطرف ضد أى محاولة لرؤية الموقف بمنظار المستقبل . وهى مستعدة دائما لاستخدام شعارات « معاداة السامية » . واضطهاد اليهود دفاعا عن وجهة نظرها .

ويقول كورد سمان ان هناك حالة من الجمود تحولت الى دائرة مغلقة . فمن جانب الحكومة هناك حاجة الى شجاعة فائقة للضغط على حكومة بيجين دون تأييد من الكونجرس أو اليهود والأمريكيين . وبينما قد نجد بعض الاستعداد لقبول ذلك لدى الكونجرس الا أنه ليس مستعدا لأن يسبق الحكومة في هذا الصدد بسبب ضعفه أمام جماعات الضغط اليهودية . أما اليهود الأمريكيون فانهم بالرغم من ارتفاع مستوى ثقافتهم الا أنهم بالنسبة لموضوع اسرائيل فانهم يفتقرون الى القيادة والمعلومات الكاملة عن الموقف من جانب الحكومة والكونجرس .. أما مناحم بيجين فانه يعرف كيف يستفيد من هذه الدائرة المغلقة ويستغل العجز الأمريكى .. مثله مثل أى زعيم اسرائيلى آخر ..

ولكن كورد سمان لا يغلق أبواب الأمل في قدرة الحكومة الأمريكية على تغيير هذا الموقف . ويضرب أمثلة لما يمكن أن تستخدمه الولايات المتحدة لاصلاح الموقف كالآتى :

١ ـ ان بيجين نفسه ارهابى لجأ الى وسائل غير انسانية ويحاول الآن أن يهاجم ياسر عرفات لقيامه بأعمال مشابهة . وقد اعترف بيجين بذلك في كتابه « الثورة » ويمكن للولايات المتحدة أن تستغل حقيقة أنه ليس هناك فارق أخلاقى بين أسرائيل يقودها الزعيم الوطنى بيجين . ومنظمة تحرير فلسطين التى يقودها الزعيم الوطنى ياسر عرفات . وهو موقف لم يكن قائما عندما تولى رئاسة الوزراء في اسرائيل بن جوريون أو جولدا مائير .

٢ ـ تستطيع الولايات المتحدة أن تجمد حجم المعونات الحالية لاسرائيل . وان تقلل من الدعم والمساعدات التى تحصل عليها اسرائيل دون حساب . كما يمكنها اعادة تقدير قيمة المعدات العسكرية وتحميلها نفقات النقل والبحث والتطوير بالكامل .

٣ ـ يمكن للولايات المتحدة أن تبطىء من الامدادات العسكرية لاسرائيل دون الاضرار بأمنها . كما يمكنها أن تعلن أنها ستوقف كافة الأمدادات العسكرية لاسرائيل اذا دخلت القوات الاسرائيلية أى ارض عربية . وبالتالى يمكن للولايات المتحدة . أن تقضى على بيجين سياسيا قبل أن يلجأ لأى عمل عسكرى .

٤ ـ يمكن للولايات المتحدة اذا أسرعت في وقف تزويد اسرائيل بقطع الغيار والذخيرة أن تخلق عجزا اسرائيليا من الناحية العسكرية في وقت قصير ..

٥ ـ يمكن للولايات المتحدة أن تستخدم ضغوطها لانهاءعلاقة التعاون بين اسرائيل وجنوب أفريقيا في انتاج الأسلحة البرية والجوية . خاصة تعاونهما في مجال الأسلحة النووية .

٦ ـ يمكن للولايات المتحدة أن تستغل الاتصالات الجارية من أجل الوصول الى تسوية سلمية لارغام مناحم بيجين وحزب ليكود على تحديد مفهوم أرض اسرائيل بشكل قاطع وواضح . ورفض خطة أريل شارون التى تقضى بتوطين مليونى يهودى في الضفة الغربية ..

ويقول كورد سمان ان تلك الاجراءات لاتشكل تهديدا لأمن اسرائيل . ويمكن تنفيذها دون مساس بالعرف الدبلوماسى . ويمكن أن تدعم تلك الاجراءات قيودا أخرى عسكرية واقتصادية وضغوطا سياسية بل ان تقليل الاتصالات الرسمية بين واشنطن وتل أبيب يمكن أن يحدث أثرا ملموسا داخل اسرائيل ..

ومن ناحية أخرى ـ هكذا يستطرد كورد سمان ـ فان الحكومة والكونجرس يمكن أن يطرحا للمناقشة العلنية المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل . وحدود الالتزامات الامريكية مما سيؤدى الى تقييد حركة بيجين . وفي أى الحالات يعتبر تقدما في حد ذاته · كذلك ليس ما يدعو للافتراض بأن جماعات الضغط الصهيونية تؤيد بيجين أكثر من تأييدها لاسرائيل . وبالتالى فليس هناك ما يدعو لأن نتصور أن اليهود الامريكيين لن يتابعوا ذلك الجدل العلنى بعقل مفتوح · والوقوف وراء سياسة أمريكية تحمى مصالح الولايات المتحدة دون أن تؤثر على بقاء اسرائيل ..

ويختتم كورد سمان تحليله قائلا :

« انه لجبن أخلاقى أن نحاول الهروب من جدل علنى يمكن من خلاله أن نحرر السياسة الأمريكية الحالية من قيودها ..

انتهى مقال كورد سمان ..

ولعله من أصدق ما قرأت في تحليل الموقف الأمريكي الذى أطير اليه .. وراء صانع السلام .. الرئيس أنور السادات .. وصانع السلام ليس تعبيرى بل هى لافتة وجدتها على السيارات واعلاما في الايدى . وملصقات على الحوائط .. في واشنطن لما بلغتها ..

المغرب .. الغالية !

ولكن لنا قبل واشنطن محطة عربية .. غالية .. هذه المحطة هى المغرب التى أمضى فيها الرئيس السادات ليلة. موقف جلالة الملك الحسن .. موقف شجاع في الحرب وفي السلم · في الحرب كانت قواته تصد جيوش اسرائيل عن دمشق لما أجهضت اسرائيل ضربة سوريا الأولى · اعترف الاسرائيليون في كتاباتهم بانهم وجدوا مقاتلين من نوع فريد يوقفون تقدمهم ويجبرونهم على التقهقر · وفي السلام كان صوته أول صوت شجاع يؤيد المبادرة ·

آخر ما قاله الملك الحسن في الموقف العربى إن استرجاع الأراضى العربية المحتلة واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى لا يتخذ صورة واحدة . ولكنه يمر عبر طرق متعددة تختلف باختلاف الظروف وتباين المعادلات والحسابات وتغير القوى . واذا كان استرجاع الحق يمر عن طريق المفاوضات فإن من أوجب الواجبات اتباع هذا الطريق حقنا للدماء . وتوفيرا للأرواح والأموال . لأن المفاوضات لاتعنى التنازل عن الحقوق العربية . ولكن هدفها هو الاقناع . اننى لم اعتقد لحظة واحدة ان الرئيس السادات يمكن أن يخرج على مقررات الرباط . لذلك ساندته من أول وهلة دون أن يخطرنا بقراراته وخطواته . وجاء تسلسل الأحداث يؤكد ظنى . والنتيجة التى وصلتها المفاوضات المصرية الاسرائيلية تؤكد أنه لم يفرط في بند واحد من مقرارات الرباط .

ثم يقول :

-آمل أن يكون توقف المفاوضات المصرية الاسرائيلية فرصة لجمع الصف العربى . ومساندة مصر في هذه المرحلة التى يبدو فيها الموقف واضحا لا غموض فيه . فاما أن اسرائيل تريد السلام لتعرب عن ارادتها واما انها تختار الحرب . وعلى كل الذين يعنيهم الأمر أن يفكروا في عواقب الأمور ويتخذوا التدابير اللازمة » .

والحق أقول ان موجة من التفكير في عواقب الأمور قد شملت عالم العرب العقلاء وقد رأيت في جولة السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية بين تسع دول عربية كيف تتلاقى وجهات نظر هذه الدول حول الحقائق الآتية :

- ان السادات عبر عن العرب تماما .
- ان على أمريكا دورا عليها أن تقوم به .. لأن ساعة الحقيقة قد دقت !
- ان العرب العقلاء يجب أن ينسقوا فيما بينهم كيف يخاطبون أمريكا .. ويحمون ظهر السادات ..

● ان العرب الذين يساندون السادات في مبادرة السلام لن يتخلوا عنه في أى بديل قدتقتضيه المواقف بعد ذلك .

وكان خوارج العرب قد منوا بالفشل في مؤتمرهم الأول في ليبيا . وقد عقدوا اجتماعهم في يوم سفر السادات .. كأنها مظاهرة تقذف الطوب . ولكن عزلتهم تأكدت تماما ليس فقط لأنهم في الجزائر التى تعانى من عقدة أنها ليست عربية . بل لأنها أيضا تقود الرفض الى غاية ذاتية في الصحراء المغربية .. والموقف في الشرق الأوسط سلم تصعد عليه للحصول على تأييد الرافضين ..

وموقف الرافضين لم اجد له أى صدى في الصحف الأمريكية . ولا الاذاعات .. ولا شاشات التلفزيون . والشعب الأمريكى يضحك اذا سمع أسم القذافي مثلا . ويقول : ماذا يريد القذافي ؟ السلام أم الحرب ؟ فإذا كان يريد السلام فلماذا يعارض ما يجرى ؟ وإذا كان يريد الحرب فلماذا لا يشمر عن ساعده .. ويحارب ؟ .

مباحثات عطلة الأسبوع !

قاعدة اندروز الجـــوية ..

البرد لاذع يخترق المسام الى العظام .. وبعد نصف ساعة من وقفة في الظل تحس أنك فقدت أذنك وان انفك لم يعد فوق فمك . نحن نقفز بخطوات محلك سر في طابور الصباح المدرسى . طائرة الرئيس السادات تصل .. وتفتح الأبواب وسط هتافات مدوية لبطل السلام . هذه هى الزيارة الثالثة للرئيس السادات منذ تولى الحكم - زارها مرة قبل ذلك في الستينات - وهى الزيارة الثالثة خلال ٢٨ شهرا .. لأن الزيارة الأولى الرسمية كانت في اكتوبر عام ١٩٧٥ حين نزل في مدينة وليامزبرج . استقل السادات الهليوكبتر .. الى حديقة البيت الأبيض .. ما أن فتح باب الطائرة ورأى كارتر مندفعا اليه حتى اندفع وهو مفتوح الذراعين ..

مفتوح القلب . لاتتصوروا كم لمس هذا اللقاء الودود قلب كل أمريكى .. مراسم الاستقبال والكلمات المتبادلة تجرى على مقتضى اعراف البيت الأبيض . في الكلمة قال : « اننا عند مفترق طريق تاريخى .. وحرج » ونادى بأن تتدخل أمريكا من أجل انهاء الحروب وسفك الدماء .. وقال « ينبغى الا ندع الجمود الفكرى أو التعصب يشكلان خطرا على المسيرة المقدسة فوق الطريق الى السلام » .

على أن أبرز ما أبرزته الصحف الأمريكية هو أن السادات طالب كارتر بأن يقوم بدور الحكم ـ في الموقف الذى أدى الى وقف المفاوضات بين مصر واسرائيل .

وانتهت الشكليات.. وبدأت زيارة المودة والعمل التى عبر عنها كارتر في خطاب بعث به إلى بيجين قائلا انه أمضى في أسوان وقتا لم يتسع لدراسة كل جوانب الموقف . لهذا يجىء السادات لنتعمق في الدراسة . « وسوف اطلعك على نتائجها عند انتهائها » .

وتحركت طائرة الهيليوكبتر من جديد الى كامب دافيد . وكامب دافيد استراحة رئيس الولايات المتحدة التى يستجم فيها مع اسرته في عطلة نهاية الاسبوع . وهى تبعد عن واشنطن حوالى مائة كيلومتر .. مساحتها ٢٠٠ فدان من حدائق جبال كاتوكتين في ولاية ميريلاند . خلال الحرب العالمية كانت مقرا للمؤتمرات عالية المستوى للرئيس فرانكلين روزفلت وقد سماها « شانجرى لاند » .. وكان يلقى فيها حلفاءه وأشهرهم تشرشل ! واستخدمها الرؤساء الامريكيون المتعاقبون للاستجمام « ايزنهاور ثبت عليها اسم ابنه الكبير « دافيد » لتصبح كامب دافيد . وهى منطقة مغلقة حاول الصحفيون أقتحامها فلم يستطيعوا .. وقد رفض كارتر مطلبهم قائلا « هذا مكانى الخاص » فورد من قبل ترك المصورين يلتقطون له الصور في حمام السباحة الساخن . وايزنهاور سمح لهم بتصويره مع ضيفه خروشوف . ونيكسون مع بريجينيف .. ثالث الضيوف الرؤساء هو السادات .. »

وفي كامب دافيد فيللا رئيسية لكارتر .. وعشر فيلات صغيرة للضيوف . والموقع محاط بأسوار مزودة بأجهزة أنذار امنية .. فضلا عن نقاط أمن متناثرة حول الموقع تجعله بعيدا عن قدم وعين وعدسة الفضولى !

ولكن ما معنى أن يستضيف كارتر ضيفه الى بيت العطلة الأسبوعية ..

أحد المعلقين الأمريكيين قال :

- كارتر يريد أن يبعد المباحثات عن شاشات التليفزيون لأنه يعتقد أن شاشات التليفزيون المتشددة تغرى بالمواقف المتطرفة .

والواقع أن نضوب أخبار المباحثات في اليومين الأول والثانى .. رغم أهمية ما كان يدور وراء الأبواب المغلقة في كامب دافيد يوحى بأن لهذا التحليل نصيبا من الصحة ..

ولكن هناك تحليلا آخر سمعته .. وهو أن كارتر يريد أن يضغط على أعصاب اليهود الأمريكيين . ويضعهم أمام حقيقة أن الرئيس السادات بالنسبة له ليس أى رئيس . بل هو صديق له مكانة خاصة . بدليل انه أخذه الى بيت الاستجمام في العطلة التي اعتاد أن يخصصها لروزالين زوجته وأولاده ! وامعانا في هذا المعنى قامت روزالين بخدمة ضيوفها . وعزفت ايمى أبنة كارتر وصديقة لها الموسيقى أثناء تناول الطعام . وصدر هذا في بيان من البيت الأبيض .. وكأنه جزء من مراسم اللقاء ..

وكارتر - في هذا التفسير - يريد ان يقول لليهود بطريقة عملية انه لن يتخلى عن السادات الصديق .

لماذا ذهبنـا ؟

وقبل أن أذهب بعيدا أقف عند هذا السؤال ؟

- لماذا ذهبنا الى أمريكا ؟ وماذا نريد من كارتر ؟ ..

وأستطيع أن أقول :

اننا ذهبنا الى أمريكا كجزء من التحرك نحو السلام الذى بدأناه . ان اسرائيل سدت طريق السلام بأحجار من تشددها ثم جرت الى الرأى العام الأمريكى تحاول أن تفهمه أن مصر بسحبها اللجنة السياسية من القدس أورت أنها لاتعنى السلام الذى أعلنت عنه .. ذهبنا الى أمريكا كفصل من فصول الرحلة الشاقة الى السلام .. ذهبنا لأن معدل السرعة في مسيرة السلام هبط بعد انفضاض اللجنة السياسية . ومستوى الأداء الأمريكى لم يستطع دفع العجلة بالسرعة المأمولة مع ما بين مصر وأمريكا من تفاهم يكاد يكون كاملا حول النقاط الرئيسية .. مثل اعلان المبادىء المتمثل في الانسحاب من الأراضى المحتلة . وحقوق الشعب الفلسطينى . وطبيعة السلام . ذهبنا الى أمريكا لنوقف التصعيد والمزايدات الاسرائيلية في الموقف .. وذهبنا الى أمريكا لنسألها « هل هناك التزام أمريكى بالحل ؟ » . والواقع ان الالتزام الأمريكى قائم .. يطل برأسه من كل خطبة قالها نيكسون أو فورد أو كارتر بعد حرب ٧٣ . ويعلن وجوده بتاريخ الانغماس الأمريكى في المشكلة ؟ واذا كان هذا الالتزام يتعثر . أو يلتف في غلالة ضباب بسبب الصداقة الأمريكية الأسرائيلية فإن العالم أصبح يردد أن هذه الصداقة صداقة مرضيـة وليست صحية ـ وهناك تأثير متبادل بين أمريكا واسرائيل . أما الغريب في هذا التأثير فهو أن الطرف الصغير يمارس الضغط على الطرف الكبير . وإذا حاول الكبير ضغطا فإن الصغير يعلن ويتبجح ان الضغط لا يهمه . بل وصل الأمر الى حد « الصبيانية » السياسية فان كارتر أعلن غير مرة أن مناحم بيجين أكد له أنه لن يسمح باقامة مستوطنات جديدة وإذا به ـ أى بيجين ـ تنتابه منذ عاد من الاسماعيلية الى القدس هستيريا المستوطنات .. فيترك من يبنى يبنى .. ويترك من يوسع ويزيد الكثافة يفعل . ثم يدافع عن بقاء

المستوطنات بفرية تاريخية .. هى أنها فوق أرض أخذت بمقتضى حق الدفاع عن النفس . وغضب كارتر وأرسل لبيجين خطابا يقول فيه إننى أعرب عن أسفى العميق لمحاولة أقامة مستوطنات غير شرعية أخرى في الضفة الغربية .. وعلى أى حال فأننى واثق أن بيجين سيحترم تعهده الشخصى لى .. وبهذا فلن يسمح بالاستمرار في هذه المستوطنات .

ولم يتلق ردا من بيجين ..

ان أمريكا تعتبر المستوطنات غير شرعية ومفسدة للجهود المبذولة حاليا لاعادة محادثات السلام المصرية الاسرائيلية الى طريقها الصحيح ؟ ولكن اسرائيل لاتبالى ثم يكذب بيجين أنه أعطى أى وعد .. أو قطع أى عهد بعدم انشاء مستوطنات ...

حكاية الضغط الصهيونى !

وأقول :

ـ جئنا الى أمريكا لأن أمريكا رغم التزامها المعلن بحل القضية تسهم من جانبها في تقديم ما يعرقل الحل . وما يكاد يهدر فرصة السلام التى لن تتكرر لأجيال قادمة . أمريكا تقدم لاسرائيل الأموال والاسلحة . ومن هذه الاسلحة ما لم تحصل عليه دول حلف الاطلنطى . وتزويد اسرائيل . بالعتاد :

أصبح يزودها بالصلف . وعدم المبالاة . بالعودة الى أفكار ما قبل ١٩٧٣ . بأنها الذراع الطويلة . والقبضة الفولاذية والترسانة العسكرية ..

ـ جئنا لنقول ببطلان ما تقوله اسرائيل من انها كلما كانت قوية كانت قادرة على عمل السلام ـ وقد وضعت اسرائيل هذا الكلام في أفواه جماعة الضغط الصهيونى في الكونجرس . وهؤلاء لا بد من مواجهتهم .

ـ جئنا لنقول ان ما كنا نعنيه بأن أمريكا معها ٩ر٩٩٪ من أوراق اللعبة معناه أن لديها قوة التأثير عل اسرائيل،لديها هذه القوة مهما أنكرت . ومهما توارت وراء أنها لاتستطيع ضغطا على اسرائيل ..

ـ جئنا نقول ان مصر وهى تتحرك الى السلام كان في جعبتها معطيات الموقف الأمريكى وهى :

● التزام الرؤساء المتعاقبين باحلال السلام .

● التزام كارتر شخصيا بجانب أنسانى من منطلق تربيته الدينية . ومن منطلق أنه واعظ الاحد في كنيسة البيت الأبيض . وكل من حوله من رجال .. من مونديل الى جودى باول واعظون مثله .. هذا الالتزام هو حقوق الانسان التى كاد وهو ينادى بتطبيقها يقع في مواجهة مع الاتحاد السوفيتى . انه أعلن في كلينتون ـ ١٨ مارس ١٩٧٧ ـ ان من حق الشعب الفلسطينى أن يكون له كيان . وقد ثارت عليه اسرائيل . ولكنه لا يستطيع أن ينسى وعده الصاعد من أعماقه لأن حقوق الانسان الفلسطينى فصل عذاب في قصة حقوق الانسان المهدرة في القرن العشرين !

وكارتر هو من وقف بشجاعة وراء مبادرة السادات .. وقبل أن يلهث خلفه ـ عل حد قوله ـ وقد ابدى من التفهم لخطوات السادات ما يجعله امل عشاق السلام في العالم كله .. أملهم أن يتدخل في الوقت المناسب ليقول لاسرائيل : « قف .. لماذا تحطمين الاشياء ؟ .. لماذا تدوسين غصن الزيتون ؟ » .

هذه المعطيات .. صاحبها بدء انفتاح العقل الامريكى على الموقف العربى منذ زيارة السادات الأولى . ثم تصاعد هذا الانفتاح الى اقتناع رجل الشارع الامريكى ـ البعيد عن عمليات غسيل المخ

الصهيونى ـ بأن العرب يريدون السلام .. منذ شاهدوا بالفرحة الغامرة الرئيس أنور السادات وهو ينزل من طائرته في مطار بن جوريون .

ماذا يســـتطيع كارتــر ؟

ولكن هل يمكن أن يفعل كارتر شيئا ذا بال ؟

رجل الشارع الأمريكى إن يقول ان كارتر رجل طيب .. واسرائيل تحتاج في مواجهتها الى رجل شرس .. ومعنى هذا أن رجل الشارع الأمريكى في قرارة نفسه يتمنى أن يخلع كارتر قفازه الحريرى .. ويظهر مخالبه ! ومن الأمريكيين من يسوقون الأسباب للتدليل على أن كارتر يتحرك في دائرة محدودة . وبالتالى فليس من العقل التمادى في التعويل على دوره . أو التهويل في قدرته على عمل معجزة .. ويتهمه هذا البعض من الأمريكيين بأنه لم يفهم يهود أمريكا جيدا .. وقد حدث مثلا بمناسبة البيان الأمريكى السوفييتى لعقد مؤتمر جنيف من أجل السلام أن فوجئ كارتر بحملة صهيونية ضارية حاصرته في كل مكان حتى ان روزالين زوجته قالت لأصدقائها : « ان كارتر لم يتعود مواجهة مثل هذا العنف . انه يتعامل طوال عمره مع يهود ولاية جورجيا .. ويهود مدينة بلينز ولم يكونوا أبدا بهذه الفظاظة » .

ويتهمه بعض الأمريكيين أيضا بأنه « قليل خبرة » في فن الدبلوماسية . وهذا يتجلى في تصريحاته المتناقضة التى أوقعته في حرج مع السادات حين قال في أحد تصريحاته غير الدقيقة أنه ضد اقامة دولة فلسطينية . ولهذا حرص المحيطون به ـ وأشهرهم برزنيسكى ـ على أن يلقى في لقاء أسوان كلمة مكتوبة تجنبه عثرة اللسان .

ويتهمه البعض أيضا بأنه طيب أكثر مما يجب بمعنى أنه قد يغدق عبارات مجاملة على من لا يستحق . فقد قال عن بيجين لما زاره في واشنطن انه رجل دولة عظيم . ولهذا عاد بيجين الى الشرق الأوسط

منتفخ الاوداج .. ليملى شروطه على محادثات السلام . وكان هذا القول أيضا ضوءا أخضر لدول أوربية رفضت استقبال بيجين لأنه أرهابى .. مثل انجلترا .. ففتحت له الأبواب بعد ٢٩ عاما كان أسمه فيها على القائمة السوداء في كل مطارات وموانى المملكة المتحدة .

بعض الأرض وكل الأمـــن !

وقد اشتعلت المنظمات الصهيونية بالنشاط أو التصدى منذ اعلن البيت الا بيض عن نبأ زيارة السادات . وأحست الصحافة العالمية بأهمية اللقاء فتقدم الى البيت الأبيض حوالى ٧٨٠ صحفيا يريدون بطاقات تعطيهم الحق في متابعة الزيارة .. هذا عدا مائتى صحفى مسجلين في البيت الأبيض والخارجية الامريكية ..

وقد عقدت المنظمات الصهيونية لقاءات كثيرة .. وأعلن بعضها أنه سوف يقاطع زيارة السادات ولن يلتقى به حتى لايقال انهم يطرقون بابه خوفا على مسار مستقبل اسرائيل .. لأن اسرائيل لاتخاف .. ومن هذا البعض منظمة الكسندر شاندلر الذى زار السادات في اسوان حاملا وجهة نظر بيجين في أحدى مراحل التفاوض قبل اللجنة السياسية ..

ومن هؤلاء من ينظر للأمور بعقلانية . وقد التقى بهم الرئيس السادات في بلير هاوس .. بعد أن أمضى ليلتين في كامب دافيد . وعلى تفاوت المفهوم بين الرافض والفاهم فان زعماء اليهود الأمريكيين يرددون ما يقوله بيجين . قلة قليلة هى التى تبدى تفهما واضحا لموقف السادات . ولكنها تريد في النهاية تنازلات عربية . وتريد في النهاية شكلا من أشكال الجمع بن بعض الأرض وكل الأمن ..

على ان الذى تحاول الصهونية ان تحفره في الاذهان .. عند الرأى العام الامريكى والحكام الامريكيين مايلى :

١ - ان أية حكومة امريكية تقوم على اتخاذ خطوات تهدف الى فرض تسوية تعتبر في نظر اليهود ، بل وفي نظر الأغلبية من غير اليهود ، على انها تنطوى على تهديد وخطر على أمن وسلامة اسرائيل ستكون قد أرتكبت نوعا من الانتحار السياسى .

٢ - ان اليهود الامريكيين يتشككون في نوايا ودوافع الرئيس كارتر ، ويزدرون ويحتقرون مستشاره لشئون الامن القومى برزنيسكى ..

ثم يتنبأون .. لكى يحولوا التنبوء الى ايحاء يشل الارادة الأمريكية ، يتنبأون بأن أمريكا لن تقدم على فرض عقوبات عسكرية أو اقتصادية بهدف اجبار اسرائيل على قبول شروط للصلح لا تعتبرها كافية لضمان حماية امنها وسلامتها ..

وأزعم ان يهوديا أو آخر في الكونجرس سوف يكون معتدلا لانه أورى عن اعتداله من رؤية واضحة بأن الاعتدال هو السبيل الوحيد لتحقيق السلام ، واخراج الجزيرة الاسرائيلية من بحر الحقد والكراهية .. خذ مثلا كليمنت زابلوكى نائب وسكنسون ورئيس لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الامريكى ، قد عاد كليمنت مؤخرا من جولة في الشرق الاوسط وكان انطباعه عن بيجين « غاية في السوء » .. وقد قال بعد عودته ان الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المحتلة أمر جوهرى بالنسبة للتوصل الى احلال السلام في الشرق الأوسط . واضاف قائلا :

- اننا نعتقد أنه لكى نصل الى احلال السلام في الشرق الاوسط يلزم اعادة الاراضى العربية المحتلة ، واعضاء وفدنا ادركوا ان بعض اجزاء مرتفعات الجولان ضرورية

لأمن اسرائيل .. ولكن حتى هذه ينبغى أن تكون محل تفاوض ..

وختم زايلوكى حديثه قائلا :

- ان اسرائيل لم تستجب بعد لمبادرة السادات ..

ومن أعضاء لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب الامريكى ، ومن أعضاء لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكى - وعلى رأسهم جون سباركمان - من يعتبرون أصدقاء شخصيين للرئيس السادات ، فقد ألتقوا به غير مرة في القاهرة وواشنطن ، وهم يحترمون فيه مايسمونه ، « بالقدرة الابداعية » على دفع عجلة السلام .. وقد فقدنا هيوبرت همفرى قبل اسابيع قليلة .

وهيوبرت همفرى الذى توفي في مطلع ١٩٧٧ كان عضو لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ . وكان مرشحا لرئاسة الجمهورية في الستينات وقد كان آخر اعماله ان كتب خطابا شخصيا لبيجين قبل موته بثلاثة أيام يقول فيه :

- يجب أن تكون هناك طريقة ما لوضع برنامج لحكم هذه المستوطنات اثناء فترة انتقالها الى سيادة مصرية كاملة . مثلما يجب أن يكون هناك حل عملى مستساغ للضفة الغربية .. يجب الا ندع هذه الكأس - كأس السلام - تمر على شفاهنا دون أن نرتشف منها .

شوشرة اسرائيلية

والمعروف ان موشى ديان وزير خارجية اسرائيل قد قرر زيارة الولايات المتحدة قبل انتهاء زيارة الرئيس السادات لها .

والهدف واضح .. مهما غلف الزيارة بأهداف اخرى . الهدف هو التصدى لتأثير السادات على الرأى العام الامريكى . وتجميع القوى

اليهودية على موقف واحد يلتزم أقصى التطرف حتى يشل كارتر عن الاقدام على شيء ذى بال .. ان المنظمات الصهيونية اطلقت نداءاتها لاعضاء الجالية . وهم ستة ملايين مبعثرون في انحاء أمريكا لكى يستقبلوا ديان بما يستحقه بطل الحروب الاسرائيلية !! ومعنى هذا أنهم يفاخرون بنغمة الحرب . مع ان العالم يعزف لحن السلام وراء السادات .

في رحلة عام ١٩٧٥ قال المعلقون الدبلوماسيون في الصحف الامريكية أن على أسحق رابين . رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الحين . ان يؤجل زيارته لامريكا حتى تنتهى اثار صورة السادات على شاشات التليفزيون الامريكية ..

واذا كنت أحس احيانا اننى في غابة من الصياح الصهيونى فاننى اعتقد أن آثار صورة السادات على شاشات التليفزيون وهو يهبط بأرض القدس .. لن تنمحى من ذهن هذا الجيل .. ولن تنمحى من سفر التاريخ ..

ان الصحافة الامريكية فيها صيحات استنكار لاسرائيل . ان جانبا كبيرا منها يتمتع بشرف الكلمة وروعة التحليل وامانته . ان من السياسيين القدامى من يتطوعون بفكرهم وتجاربهم على شكل مقالات وتحليلات يقدمونها للرأى العام الأمريكى يعلمونه كيف يقاوم سيطرة اسرائيل على أمريكا . ان من أساتذة الجامعات ومراكز الدراسات من كرسوا أنفسهم لبحث قضية الشرق الاوسط بحثا علميا ليقول للشعب الامريكى ان مصالحه تهتز اذا ترك نفسه لتأييد نزوات اسرائيل وفقدان العرب .

ان لوس انجلوس تايمز كتبت تقول :

- « ان المستوطنات لا تختلف عن النظام الاستعمارى القديم . والموقف الاسرائيلى من مسألة المستوطنات ينطلق من اعتبارات سياسية محلية الى حد كبير . ويستهدف ترضية وتهدئة المنتقدين

بالداخل . واذا كان مقدرا للسلام ان يصبح ممكن التحقيق فانه سيكون على الحكومة الاسرائيلية أن تتحدى أولئك التوسعيين داخل اسرائيل وكلما سارعت الحكومة الى ذلك كان أفضل » .

وقد كتب السناتور **جيمس** ماكلور يقول :

- ان اسرائيل بدات تتعنت بعد ان اتيحت لها فرصة المفاوضات المباشرة والتى طالما رددت انها تتمناها ولابد من التوصل الى تسوية سلمية على اسس عادلة في المنطقة . ولابد من ضرورة مواصلة امريكا لجهودها خلال الايام القادمة لتهيئة الفرص من جديد لاستئناف مفاوضات السلام بين مصر واسرائيل .

ثم يقول **جيمس** ماكلور :

- ان الرأي العام الامريكى يشعر الان بضرورة اجراء تعديل على السياسة الامريكية في المنطقة لتكوين سياسة متوازنة ولكن هل

يعقل أن يكون الموقف هكذا : كارتر رجل طيب .. وبيجين رجل شرير .. ونحن نضيع بين الطيب والشرير ؟ هل يعقل انَ يكون هذا هو كل حصاد مصر من أشجع مبادرة عرّفها التاريخ وأكرم هدية تقدمها لسلام العالم ؟

أقول ان مصر التى بدأت عملية السلام تريد الاستمرار فيها . وانْ العرب يستطيعون أن يضعوا امام امريكا المحاذير .. والاندرات .. يستطيعون أن يقولوا لها ..

- ان مصالحها في الشرق الاوسط مهددة تماما اذا تحرك العرب للبديل عن السلام .
- ان مكانتها التى أستردتها في السنوات الخمس الأخيرة سوف تنهار .. لان العرب لن يصدقوها . بعد ان أكدت الاحداث - ان لم تقم بدورها - انها منحازة لاسرائيل وحدها ..

- ان البترول سلاح في اليد العربية يمكن ان يرهق امريكا ويدمر اقتصاد أوربا . ويضع العالم في أزمة ذاق بعضها ويعرف لهذا مذاقها ..
- ان اسرائيل ذات الثلاثة ملايين ينبغى ألا تدوس مصالح أمريكا ذات المائتين وخمسين مليونا وحقوق العرب .. المائة مليون .. وأمل العالم كله في السلام لمجرد أنها تردد افكارا قديمة وتبقى على معادلات لا تتفق مع القانون الدولى ولا المواثيق ولا قرارات الامم المتحدة التى تمثل ضمير العالم .
- ان المرحلة الحالية أصبحت تتطلب أكثر من مجرد اعلان المبادىء . أنها تتطلب مسودة تسوية فيها ملامح تفصيلية .. حتى لا تدخل

المباحثات مع اسرائيل في دوامة أخرى . إن على العرب أن ينقلوا معركة السلام الى الشارع الامريكى . أن الشارع الامريكى يعرف اخبار معركة السلام من وجهة النظر الاسرائيلية أضعاف ما يعرفها من وجهة النظر العربية . ولهذا تبقى اسرائيل امريكا بعيدة عن مشاهد المعركة . أو معرفة أخطارها وأبعادها ..

ان زيارة السادات حققت هذه الغاية .. نقلت معركة السلام الى الشارع الامريكى وهذا فصل هام من فصول التحرك للسلام ..

اننى اكتب من واشنطن وقائمة لقاءات الرئيس حافلة . أنه الرئيس الوحيد في العالم الذى التقى به ٣٨٧ نائبا وشيخا من الكونجرس الامريكى .. فهل يحزم من سمعوه أمرهم ويعودون لكلمة سواء .. ويشجعون كارتر على أن يخطو خطوة ؟

لا اتفاءل ..

لا اتشاءم ..

قد علمتنا الاحداث أن ننتظرها . لان السباق معها سباق مع مجهول .

٢٤ ـ أوربا لا تبتعد عن الأزمة

إن هذا الطريق الطويل من القاهرة الى الرباط وواشنطن ولندن ، ثم هامبورج وميونيخ وسالزبورج وبوخارست وباريس وروما ودولة الحبيب المقدسة ، الشهيرة بالفاتيكان جزء من طريق السلام الذى بدأ الرئيس السادات مشواره في ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ إن مئات الملايين من البشر في هذه الدول كانت تفتح أعينها على شاشات التليفزيون وعلى صفحات الصحف كل يوم لتسمع الجديد عن الشرق الاوسط ، ولتبدى تعاطفها مع الرئيس السادات الذى حقق الخبطة الدبلوماسية التى دخل بها التاريخ من أوسع أبوابه ..

في الولايات المتحدة ـ رأيت معركة السلام دائرة ، فبينما كان الرئيس السادات مع الرئيس كارتر في كامب دافيد .. بعيدا عن عدسات التليفزيون ، وبعيدا عن أنوف الصحفيين كانت الصحف تشى بنواياها .. طيبة أو خبيثة ، وكانت تعليقات التليفزيون تقول الاخبار والتكهنات

من منطلق انتمائها للحق .. أو انتمائها للصهيونية .. وعندما خرج السادات وكارتر من القوقعة النائية التى غرقت في بحر الجليد بدأت المعارك تأخذ شكلا ساخنا . وفي لقاءات السادات مع الصحفيين ، كان حاسما .. وكان باسما ، تصوروه على غير ذلك سوف يجيء مزمجرا تحمله موجة غضب .. وحتى عندما سألوه بعد مناقشة طويلة أجراها مع أعضاء لجنة الشئون الخارجية في الكونجرس ، وأعضاء لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب ، ماذا تفعل لو رفض الكونجرس اعطاءك السلاح قال ضاحكا: « سوف أثير الجحيم عليهم » .. وحاول بعض الصحفيين أن يحولوا الجملة الى انذار .. ويثيروا الشعب الامريكى ، ولكن اعضاء الكونجرس قالوا إن الرئيس السادات يعنى دعابة ، ويتحدث كصديق ..

قبل أن أستطرد دعنى أقدم لك تقييم الدكتور اشرف غربال سفير مصرفي الولايات المتحدة رحلة السيد الرئيس ، قال لى الدكتور اشرف غربال :

- في البيان المشترك تأكيد على حصيلة طيبة .

● أولا : موضوع المستوطنات فقد اكدت الحكومة الامريكية أنها ضد إنشاء المستوطنات التى تعتبر عقبة في طريق السلام وهى مخالفة للقوانين الدولية .

● ثانيا : حق الشعب الفلسطينى في المشاركة في تقرير مصير مستقبله .

● ثالثا : قرار ٢٤٢ للامم المتحدة ينطبق على كل الجهات .. على سيناء ، وعلى الجولان ، وعلى الضفة الغربية وغزة مهما اعطتها اسرائيل من أسماء قديمة كالسامره واليهودية .

ويستطرد الدكتور اشرف غربال قائلا :

- إن الرئيس انور السادات جاء الى الولايات المتحدة بشعور الضيق ، بعد أن بدأ من تصرفات بيجين ما يتعارض تماما مع روح مبادرة

القدس · فقد قفز الرئيس السادات بالزيارة فوق الحواجز النفسية ولكن اسرائيل ارتدت الى العقد النفسية ، وقد تشجع الرئيس السادات ·· وطرح عنه شعور الضيق بعد ما بدا من الشعور العالمى ، ومن الشعور اليهودى داخل اسرائيل ·· وخارج اسرائيل · هذا رد اليه اليقين بأن المبادرة حية ويحترمها الجميع وهو ما يعطى القناعة بأنه ليس هناك من يرضى عن اسلوب بيجين

وقال السفير المصرى في أمريكا ،

ـ وقد كانت زيارة الرئيس السادات الى الولايات المتحدة زيارة عمل بكل ما في الكلمة من معنى ، يتضح هذا من هذه العزلة عن الاضواء والمقابلات ليومين كاملين في كامب دافيد التقى فيهما مع الرئيس كارتر ثلاث مرات · وبعد هذين اليومين امضى ثلاثة ايام في لقاءات هامة مع الصحفيين في ناديهم ومع رؤساء تحرير الصحف ثم مع عناصر التأثير واتخاذ القرار في امريكا فالتقى بأعضاء الكونجرس وهؤلاء استقبلوه كصديق قبل أن يستقبلوه كرئيس دولة وقالوا له نحن نفهم وضعك · وكل ما نرجوه منك هو الصبر ·· وخرجوا ليقولوا علانية إن السادات وضع إمامهم قضية كاملة · زيارة العمل هذه هى الحقيقة ·· اما ما ادعاه ديان حين وصل الى امريكا من ان السادات قام برحلة دعائية وانه لا يريد السلام فان هذا يدل على ان ديان هو الذى جاء لرحلة الدعاية ·· لان كل ما قاله لا يحمل أى دليل على حق فيه ·

وعن السلاح قال لى السفير اشرف غربال ،

ـ إن الرئيس السادات طلب السلاح دون تردد ودون خجل ليقين منه بأنه يستحق السلاح . وقد قال الرئيس كارتر إن الطلب سيعرض في النهاية امام الكونجرس ، وفي الكونجرس رغم نشاط الضغط الصهيونى صداقات لمواقف مصر بعد المبادرة ·· بل وقبل المبادرة صداقات تمت خلال مقابلات ومناقشات طويلة بين السادات واعضاء الكونجرس ·· وهذه الصداقات سوف تقف الى جانب مصر ··

والدكتور اشرف غربال مشغول بما بعد المبادرة .. إنه طار الى سان فرنسيسكو والساحل الغربى ليلقى سبع محاضرات عن الموقف في الشرق الاوسط ويشرح فيها وجهة النظر العربية . وفيها يلتقى بهيئة تحرير صحيفة لوس انجيلوس تايمز .. التى تقف في صف مصر . ويزور بعض كبار الشخصيات هناك . إن الساحل الغربى وجه الدعوة للرئيس السادات ليزوره ولكن ارتباط الرئيس السادات بمواعيده الاوربية لم يمكنه من تلبية الدعوة ..

حكاية شهرين !

ورجل الشارع الامريكى راقب السادات على شاشات التليفزيون بإعجاب وحب . قال لى صديق أمريكى :

- ليس في العالم كله رئيس حظى بشعبية عند الشعب الامريكى مثل الرئيس السادات .

واستمعت الى كلمات من القلب في لقاء الرئيس مع الامريكيين العرب فقد قال احدهم إن زوجته الامريكية كان تهتز بالتأثر والدموع في عينيها وهى ترى الرئيس يخطو من الطائرة في مطار بن جوريون ، وتمنت لو تنجب ولدا لتسميه أنور ! في هذا اللقاء خطب عضو جماعة الامريكيين من رام الله - المدينة الجميلة التى تكاد تتلاحم مع القدس ، وقال إن اعضاء الجماعة مع السادات في كل ما أقدم عليه ، ووراءه في كل موقف جديد ، ولكنهم يريدون أن تتم الاشياء في حضور الفلسطينين وفي خطابه اليهم قال الرئيس السادات إنه منذ عامين دعا ياسر عرفات الى أن يحضر مع المنظمة الى القاهرة حتى يتحرر من الضغط السورى ، والضغط السوفيتى .. ولكن ياسر لم يسمع الكلام ..

وفي حديقة البيت الابيض كانت مراسم الوداع رائعة . كانت الشمس تضرب في الجليد الذى يغطى حديقة البيت الابيض .. فلا ينوب من

الجليد ذرة · قرص الشمس كرسم في لوحة ·· وكان الرئيس كارتر ودودا في عباراته ·· فلما رد الرئيس السادات على كلمته قال كارتر له ، انت رجل عظيم ··

ملامح هذا الرجل شديدة الطيبة ، فلاح جورجيا يريد أن يفعل شيئا وفي داخلى احساس أن الاقدار لن تخذله · إنه في الشهور القادمة يتخطى حاجزين شديدى الارتفاع · الحاجز الاول هو قضية بناما فهى قضية معقدة وشائكة ولو استطاع أن يحلها فانها سوف تشد ظهره · هكذا يكون قد اتى بما لم يأته الاوائل ، هذه تفتح له طريقا الى الحاجز الثانى هو قضية الطاقة · لو نجح كارتر في بناما فهو على وجه اليقين سوف ينجح في الطاقة كما يتوقع اكثر الناس قربا منه ، واذا تخطى هذين الحاجزين فسوف يجد طريقا معبدا الى قضية الشرق الاوسط ·· سوف يكون قويا مرتين ، سوف يستطيع أن يكون ذا قبضة توقع القرار ··

وماذا يمكن أن يحدث في الشهور القادمة ؟

(۱) أثرتون في مهمته المكوكية يكون قد فرش بعض الطريق ، وذلك بعض العقبات ·

(۲) بيجين يكون قد زار الولايات المتحدة وسمع من كارتر تأكيدا على النقاط الثلاث المعلنة في حديقة البيت الابيض ذات يوم جليدى ·· ولكنه ساخن بعواطف المودة بين رجل كرس نفسه للسلام ·· ورجل كرس نفسه لحقوق الانسان ··

(۳) جماعات الضغط العربية · من حكومات مؤيدة لموقف مصر ترتب الآن أوراقها في ملف كبير تقول به للولايات المتحدة كلاما واضحا وكلاما حاسما ·· ومن جماعات في أمريكا تنادت بأن تكتب الخطابات لاعضاء الكونجرس ، فهذه الخطابات بزحامها حول الاعضاء تشكل رأيا عاما يعمل له اعضاء الكونجرس حسابا · إن هذه العقيدة يهودية قديمة

وفي بريد كل عضو كونجرس مئات الخطابات كل يوم حول أى قضية فيها مساس باسرائيل ، فاذا أضفت الى هذا انه ما من عضو في الكونجرس إلا وله بين مستشاريه من يجسم الصوت اليهودى في امريكا ٠ فان معنى هذا أن هذه الخطابات العربية الى الكونجرس يجب أن تكون من القوة والكثرة والتواتر ووضوح المنطق بحيث تكون مؤثرة ..

(٤) وكل وقت يمضى ٠ ومصر على طريق السلام .. وبيجين ينضم الى جبهة الرفض فان الوقت يكون لحساب مصر .. وضد اسرائيل لأن مصر تكسب التأييد العالمى واسرائيل تخسر من هذا المنطلق .. وفي تقديرى الشخصى اعتقد أن اللجنة السياسية لن تحقق نجاحا كبيرا إلا بعد شهور مهما بادرت الى اجتماعاتها فلابد أولا أن يجتاز كارتر عنق الزجاجة الاول ، وعنق الزجاجة الثانى ٠ ويصبح قوى القبضة ، وقوى الساعد وقوى الظهر ..

وأسوق اليك فيما يلى تلخيصا لموقف الصحافة الامريكية .. قرأته في كتيب من عديد الكتيبات أعدها المكتب الصحفى في واشنطن حيث يعمل الزميلان محمد حقى الوزير المفوض .. والمستشار أحمد ابو شادى .. في الصحف الامريكية تتضح هذه الخطوط ؛

● يصعب على الحكومة الامريكية أن تدخل في مواجهة كاملة للضغط على اسرائيل بسبب تاريخ العلاقات بين البلدين والموقف المؤيد للرأى العام الذى يجرى اقناعه باستمرار بوجهة نظر أسرائيل ، وهو الدور الذى تقوم به جماعات الضغط الصهيونية بنفوذ واسع بين أجهزة الاعلام واعضاء الكونجرس واصرارها على الاحتفاظ بتأييد رجل الشارع لاسرائيل ..

(١) المصالح القومية الامريكية تحتم على الولايات المتحدة العمل من أجل فرض تسوية تقبلها اسرائيل ويقبل بها العرب ٠

(٢) تحقيق ذلك يمكن أن يأتى عن طريق وسائل ضغط مستترة وفعالة تصحبها مناقشة علنية لتحويل موقف الرأى العام واليهود

الامريكيين ضد سياسة حكومة بيجين واقناع الرأى العام بسلامة الخط الذى تتبعه الحكومة الامريكية في تحقيق سلام مرضى لجميع الاطراف ·

(٣) ومن الشواهد الهامة التى تدل على اتجاه الحكومة الامريكية تمسك برزنسكى مساعد الرئيس لشئون الامن القومى بتصريحه الذى قال فيه «بان للولايات المتحدة حقاً مشروعاً في استخدام وسائل الضغط المتاحة لها لتحقيق تسوية في الشرق الأوسط ، وهذا ما تنوى القيام به على وجه التحديد » وبالرغم من الهجوم المكثف الذى تعرض له بسبب هذا التصريح فقد عاد وقال للصحفيين إن كل الترتيبات العسكرية والاقتصادية بين اسرائيل والولايات المتحدة يجرى التفاوض عليها بين الطرفين ولكنى اعتقد أن أى تهديد مباشر او غير مباشر لأ من اسرائيل اقتصاديا كان او عسكريا سوف تكون له أوخم العواقب السياسية والنفسية ··

ومن الطريق العام التقط لك هذه الكلمات ،

● التقيت بالفنان جالا هارول الذى جاء من أوكلاهوما ليرى السادات عن قرب لكى ينجز تمثالا بدأ في صياغته ليلة ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ·· وبعدما أخذ شحنة حب له من زيارته للقدس ·· الفنان يقول · أن أروع صور السادات هى التى يميل فيها بذقنه على صدره ، كانما يغمس ذقنه في قلبه ، وساعة يرفع رأسه يواجه العالم بما في قلبه من صفاء ثم يقول ، عندى عشرات الصور للرئيس السادات ولكنى جئت أراه شخصيا لان الرؤية الشخصية لرجل عظيم ملهم تحقق في لحظة ، مالا تحققه مئات الصور ·

● فوق الجليد ·· وقفت صفوف الشعب الامريكى لترى السادات وهو ينتقل من بليرهاوس الى البيت الابيض · قالت لى سيدة تقف في الصف الاول ، جئت أراه بعينى وأصفق له ·· أنا فقدت ابنا في فيتنام وعندى ابن اخشى أن افقده في الشرق الاوسط إن قامت الحرب ·· عندما زار

الرئيس السادات مدينة القدس احسست أنه يحب كل ابن لكل أم .. في العالم كله ..

● عاملة شركة البرق واللاسلكى التى تعمل في المركز الصحفى تحب مصر الى حد الجنون ، ولكنها منذ قام الرئيس بمبادرته اصبحت تعتقد أن أمريكا ملتزمة بالسلام في الشرق الاوسط تماما مثلما هي ملتزمة بأمن اسرائيل ، وأن الواجبات التى يجب ان تتقدم بها لاسرائيل ، يجب ان تقوم بمثلها لمصر .

● المعلق التليفزيونى اللامع ماكس روبنسون الذى يطل على الامريكيين من شاشة التليفزيون في الساعة الحادية عشرة كل مساء .. ويؤثر في الملايين بما له من رصيد الجاذبية والاقناع عند قطاع هام من مشاهدى التليفزيون الامريكى قال لى ، زرت القاهرة .. ولم احس اننى غريب عنها . بل أكاد اجزم أن أجدادى جاءوا من مصر وليس من اى مكان في أفريقيا ..

بالمناسبة ، ماكس روبنسون معلق تليفزيون زنجى .. يتمتع بما لا يتمتع به البيض من شهرة .. قال ماكس أيضا ، مبادرة السادات السلمية جعلته بطلا شعبيا عند الشعب الامريكى .. صدقنى .

وأنا أترك امريكا وديان قد حط قدميه على الشاطىء الامريكى .. إن بيجين اختار ديان وزيرا في وزارته ليستغل شعبيته خارج أمريكا . إنه يجىء الى اليهود الامريكيين بطل الصحراء القديم .. ولكنى لا أظن أن البطل القديم يستطيع أن يغالط كثيرا بعد أن أتضحت المواقف بشدة ..

ولكن .. لابد من مواصلة الجهد الاعلامى على نطاق كل الولايات الامريكية .. ان السفير يحاضر والمكتب الصحفى يصنع المستحيل . ولكن علينا الا ننسى اننا نتعامل مع قارة . وهذه القارة هى التى تمسك مفتاح الموقف وهى التى تقول لاسرائيل أو لا تقول ..

علينا أن نقنعها بأن تقول ..

والاقناع في أمريكا يبدأ من الشارع ليمضي الى الكونجرس . الاقناع في أمريكا لا يبدأ من أعلى في السبعينات .. ولم يكن يبدأ من أعلى في الستينات ، لان لعبة الصراع بين الكونجرس والادارة أصبحت لصالح الكونجرس ..

« طوبى لصانعى السلام لانهم ابناء الله يدعون » . أية من الانجيل قالها كارتر للسادات امتداحا وهى ما يبقى في خاطرى وانا اعبر المحيط .. في المشوار الطويل .

أوروبا وسواد العيون !

أوربا .. هذه أرض الامبراطوريات القديمة . التى كانت ترسل جيوشها لتحتل الشرق الاوسط . ثم تتضارب على الشرق الاوسط فتجلس الى الموائد تتقاسمه كما يتقاسمون ذبيحة . ها هى اوربا تتحول الى متفرج في الربع الاخير من القرن العشرين . فقد جاءت اسرائيل الى الشرق الاوسط وانغرست في جزءمن فلسطين .. واستدارت في كل اتجاه تبحث عن المزيد من الارض . أصبح الموقف الان خيارا بين شيئين : الارض والسلام . مصر تريد السلام شرط أن تسترد الارض .. بما فيها دولة فلسطينية تلملم شعبها المعذب . واسرائيل تريد الارض والسلام معا ..

وكل أوربا مع الموقف المصرى .. الذى أصبح تجسيدا للموقف العربى لاننى في كل ما سمعت من احاديث امريكية وأوربية لم أجد من يعير اصوات الرفض سمعا . ولا يقيم لدولة الرفض وزنا ..

أوربا مع الموقف المصرى وتاريخ السوق الاوربية بدا ناصعا .. كالكريستال كما يقول الامريكيون ـ منذ نوفمبر عام ١٩٧٣ . وبعد ثلاثة أسابيع من المعركة . اكتوت أوربا بنار انقطاع البترول . وعرفت ان الله حق . ليس لسواد عيوننا موقفها بل لمصالحها . هذا عالم يتخاطب

بالمصالح . وعلينا ان نضع أضواء على هذه المصالح حتى يعرف كل طرف كم يخسر وكم يكسب من موقفه ·

آخذك الى أوربا بلدا .. بلدا ...

● **لندن .. المملكة المتحدة ..**

لا جدال على أنها تفهمت الموقف المصرى . وأيدت المبادرة منذ أول لحظة . لها من بيجين موقف يتحرك مرة أخرى . فهى التى وصفته بالسفاح بعد حادثة تفجير فندق الملك داوود في القدس . ومنعته من أن يدخلها طوال ٢٩ عاما . دخلها بعد مبادرة السادات . مبادرة السادات أعطته جواز سفر لانه في الايام الاولى كان يقول كلاما يفتح طاقة على السلام . التقى كالاهان بالسادات في أسوان بعد لقائه مع بيجين في طريق عودة الاخير من أمريكا . اللقاء الثانى بين السادات وكالاهان فيه تأكيد على خط أسوان . أروع ما تجده في لندن الآن أن المعارضة مثل الحكومة .. على كل الخطى يتفقان .. أدوار هيث كان في القاهرة في ينا ير ١٩٧٧ وعاد ليكتب مقالا رائعا في الصنداى تايمز قال فيه :

« لمن فشل زيارة الرئيس السادات للقدس سوف تسفر عن مواقف خطيرة . أن جميع من التقيت بهم لا يشكون مطلقا في ان العالم العربى سوف يرتاب في مدى صدق اسرائيل في اقرار التسوية وايضا في استعداد اوربا الغربية والولايات المتحدة لتأييد محاولة حقيقية من جانب الزعماء العرب لتحقيق هذه التسوية . مما سيحدو بهذه الدول الى الالتجاء للاتحاد السوفييتى للحصول على الامدادات والقيام بمحاولة عسكرية اخرى لاستعادة اراضيهم من الاسرائيليين . وتدرك السعودية تماما الانشطة السوفييتيه الاخيرة في منطقة القرن الافريقى . وتقدمها نحو جنوب القرة وذلك فان السعوديين لا يريدون تهيئة فرصة لتوسيع نطاق نفوذ السوفيتى كما ان ذلك ليس في صالح العالم العربى ».

ويستطرد ادوار هيث قائلا :

هناك حلان لمخاوف اسرائيل :

(١) انه عندما يتم اقامة الدولة الفلسطينية سيكون مؤيدو المنظمة قد حققوا هدفهم ولن يكون هناك حاجة الى المتطرفين .. وسوف يضطر

هؤلاء الى قبول مسئولية تولى شئونهم الخاصة . وسوف تكون السيطرة للمعتدلين فضلا عن ان فلسطين الجديدة هى أبعد ما تكون عن امتلاك الموارد التى تمكنها من مهاجمة اسرائيل ولن تستطيع البقاء بدون وثيقة مع الاردنيين أو الاسرائيليين واذا ما حصلوا على الاختيار فليس هناك شك في شأن الجانب الذى سيلجأون اليه .

(٢) السبيل الاخر هو أن يكون هناك فترة انتقالية تصل الى خمسة أعوام يتم في بدايتها إنسحاب القوات الاسرائيلية واستبدالها بقوة دولية . وسيقرر الفلسطينيون في نهاية الامر من خلال الاستفتاء ما اذا كانوا يرغبون ام لا في ان يكونوا مستقلين تماما او تربطهم صلة ما بالاردن او بأسرائيل . وستمكن هذه الفترة لاؤلئك اللاجئين الذين يرغبون في ذلك من العودة لهذه المنطقة .

ويقول أدوار هيث إن الاتفاق اجماعى على أن التسوية النهائية لقضية فلسطين يجب ان تكون جزءا من اتفاق كلى شامل . وان هذه أفضل فرصة للسلام تتاح منذ ثلاثين عاما . ثم يقرع ادوار هيث جرس الانذار فيقول : تتحمل الولايات المتحدة والحكومات الغربية مسئولية كبيرة في هذا الوقت ولابد ان يصرح زعماؤهم بوضوح ليس فقط انهم يؤيدون بقوة مبادرة السادات بل ان يصرحوا على ان هذه هى افضل الفرص لضمان السلام في الشرق الاوسط . واذا ما ضاعت هذه الفرصة فلا يمكن ان تعود لفترة طويلة . وربما تنشب الحرب مرة اخرى نتيجة لسوء فهم من قبل اى من الجانبين . ويمكن ان تنجرف المنطقة برمتها نحو النفوذ السوفيتى . ولا بد ان يطالب رؤساء الحكومات بضرورة ان تنفذ اسرائيل التزاماتها وانه بالاعتراف بوجودها لاول مرة يجب على البلاد العربية ان تعى حاجاتها وتكون سخية في تلبيتها وبهذه الطريقة تستطيع هذه البلاد ان تعيش كجيران طيبين . واذا أعاد كارتر النظر في الموقف فانه ربما يجد انه من الخطأ التورط في عدد من التصريحات المضطربة حول مستقبل الفلسطينيين..

ثم أنقل لك من مقال هيث الطويل هذه الخاتمة :

« يعتقد السادات ان النجاح يتطلب تحقيق تسوية خلال الشهرين او الثلاثة القادمة وبدون هذا سيتم فقدان القوة الدافعة ويجب أن يوضع ذلك الان في كفة الميزان . والمخاطرة كبيرة .. بالنسبة لنا جميعا . وبمقدورنا أحلال السلام ومزيد من الرفاهية لشعوب الشرق الاوسط . » بمقدورنا المخاطرة بالتغلغل السوفييتى وبالخطر القائم للنزاع . وتستطيع اوربا وامريكا قلب الميزان في صالح النجاح . ويتعين علينا القيام بوثبتنا الكبيرة للأمام .

انتهى مقال هيث . وقد يكون هيث قد شخص الداء . ووصف الدواء بشجاعة لأنه بعيد عن كرسى الحكم . وكرسى الحكم له اغلال .. ولكننى اقدم المقال كانموذج للتطور في العقلية البريطانية . والواقع ان الصحافة البريطانية تساند السادات ومصر مساندة لا أظنها حدثت في تاريخها ..

صحيفة الديلى اكسبريس كتبت تقول أنه من المستحيل الحصول على أية تنازلات من الجانب العربى . والسؤال هو هل ستستمر أمريكا في مساندة اسرائيل بينما اسرائيل سادرة في غيها في ظروف يستحيل معها على الرأى العام الأمريكى أن يصف العرب بأنهم أصحاب نوايا عدوانية .. إن من المستحيل ان يستمر اليهود إلى الأبد في انكار الدولة الفلسطينية . وقد دعت الديلى اكسبريس الرئيس كارتر الى لى ذراع بيجين وإرغامه على تعديل برنامجه اذا كانت النية متجهة فعلا إلى تجنب اندلاع حرب مدمرة جديدة في الشرق الأوسط ..

وقالت صحيفة الديلى ميل تحت عنوان« لماذا أهدر بيجين فرصة كبيرة » . تقول :

ـ ان بيجين الذى ظهرت فظاظته في القدس هو نفس الشخص الذى تجرأ يوما على تبرير مذبحة دير ياسين التى كان بطلها عام ١٩٤٨ . وهو نفس الشخص الذى انشق قبل قيام اسرائيل على القيادة الاسرائيلية

نفسها . وقد اتخذ هذا الموقف الفظ رغم علمه بأن هذا الموقف سوف يحرج حتى أفضل أصدقاء اسرائيل ..

ثم قالت الديلي ميل :

ـ ان مزاعم اسرائيل في الارض المحتلة أمر يتنافى مع القانون الدولى . ولو كان بيجين يناور الآن بهذا التشدد حول المستوطنات في سيناء تجنبا لتشدد عربى مقبل بالنسبة لباقى الأراضى المحتلة فهو مخطىء تماما لأن العرب سوف يكتشفون اللعبة .

وأختصرت الديلي ميرور رأيها في بيجين في جملة . فقد قالت :

ـ ان موقف بيجين المتشدد الذى يصل إلى أقصى المغالاة لا يأتى إلا من رجل أثقله المرض .. وأنا أقول أن بيجين ذهب إلى جنيف والسادات في أوربا ..

ذهب بدعوى إنه يرأس حملة لجمع التبرعات ويتصل بزعماء اليهود في أوربا . ورفض القول بأنه ذهب للفحص الطبى . ولم يقل أنه ذهب ليخطف بعض اعمدة الصحف التى أصبحت في صف السلام . وفي صف مصر . وفي صف الحق الفلسطينى وضد بيجين وضد المستوطنات . وضد الجمع بين الأرض والسلام ...

المانيا وفرنسا وايطاليا .. !

● هامبورج المانيا الغربية :

لقاء هامبورج بين هيلموت شميث والسادات استطراد للقاء موسع بدأ في القاهرة على طول النيل الى اسوان . وفي اللقاء الموسع بين كارتر وشميث والسادات في أسوان قال شميث إن المانيا الاتحادية كعضو في السوق الاوربية . وكدولة ذات سيادة مع مبادرة السادات التى تترجم الضمير العالمى العاشق للسلام . شميث أبدى رجولة منقطعة النظير منذ

الوهلة الاولى للمبادرة فقد قال « هذه مبادرة لا يقدم عليها الا رجل شجاع ملهم » وشميث هو اول من رفع صوته بترشيح السادات لجائزة نوبل ..

بريطانيا والمانيا الغربية .. وفرنسا هذه هى دول السوق ذات الوزن والسوق كان بسبيل ان يصدر قرارا إيجابيا يساند الحق العربى . هذا منذ ثلاثة اسابيع .. وفور توقف المفاوضات بسبب تصرفات بيجين المنافية لأصول الضيافة او آداب الحديث . ولكن كارتر تدخل .. وقال لدول السوق : إن موقفكم هذا سوف يسلم بيجين للمزيد من العناد . إننا انغمسنا في القضية بكل حماسنا فأتركوا لنا الموقف . إن أى بيان متطرف ضد اسرائيل سوف يعقد الامور .. ولن يحلها ..

وسمعت دول السوق الكلام . لاتنس أن الولايات المتحدة هى الشقيق القوى ـ وأن التنسيق بينهما ضرورة للتحرك الفعال . ولهذا ـ على ما قرأت ـ يجمع هيث بين الولايات المتحدة واوربا وواجبات الموقف .

أسأل :

ـ هل تلزم اوربا الصمت بناء على النصيحة الامريكية ؟ ام تتحرك للعمل بناء على اقتناع مطلق بان اى حرب في الشرق الاوسط تزلزل كيان اوربا واقتصاد اوربا .. وليس بنفس المقدار تتأثر امريكا ؟ .. هل ترضى اوربا بدور التابع ام تقدم على مبادرة خاصة تؤكد بها ان الوحدة الاوربية قادرة على رفع صوتها بكلمة حق ؟ .

أنا اعتقد ان اوربا سوف تحاول الضغط على امريكا .. ونحن في حاجة الى هذا الدور الاوربى . اننى قلت لك إن في كفة اسرائيل على الساحة الامريكية جماعات الضغط الصهيونية وهى متشعبة كسرطان قديم . وينبغى ان يقول عن الحق العربى . ويدافع عن الحق العربى جماعات ضغط قلت عنها .. عربية كدول عربية . وعربية كمواطنين

امريكيين في عقر القارة الامريكية .. ويتحسن الموقف كثيرا . اذا انضم لهؤلاء جميعا هذه القوة الاوربية ذات الحول والهول ..

لهذا يتجول السادات في اوربا ..

شميث مضمون مضمون . في الموقف الالمانى تجد المعارضة متعاطفة مع الحكومة في هذا الشأن . رغم حماسة شميث فان برانت مستشار المانيا السابق وأول رئيس جمهورية المانى يزور مصر ويتعرض لمؤامرة التصفية الصهيونية التى اضطرته الى اعتزال منصبه بعد عودته من مصر بأسابيع .. ويلى برانت يعلن قبل وصول السادات بأيام عن ضرورة قيام دول المجموعة الاوربية بدعم مساعى السلام في منطقة الشرق الاوسط وبتقديم ضمانات للتسوية السلمية . اذا أقتضت الظروف ذلك ..

وأستراح السادات ليلة في ميونيخ ..

هذه المدينة العظيمة فيه عطر با فاريا القديم .. أحبها السادات واختارها لليلة راحة .

● سالزبورج بالنمسا :

سالزبورج والجليد . إنها أكثر مدن العالم ازدحاما بساحات الانزلاق الطبيعية واللقاء مع كرايسكى مستشار النمسا ..

كرايسكى تعرفونه .. اشتراكى وسط اوربا العتيد الذى قال لاسرائيل إنها عوراء في عينها وذكرها بأن للفلسطينين حق في الوطن وان للعرب الحق في الارض التى اغتصبت منهم في الحرب . وذهب الصحفيون الى شقيق له يعيش في مستعمرة اسرائيلية . فكرايسكى يهودى وسألوه : ما رأيك فيما يعلنه شقيقك كرايسكى ؟ . فقال بلهجة درامية : أتقولون شقيقى .. اننى برئ منه الى يوم القيامة ..

كرايسكى أيضا برئ من كل من ينكر الحق . كان صديقا لجولدا مائير من خلال المؤتمرات الاشتراكية الاوربية .. فأفسد رأيه الود بينهما . وهو يساند المبادرة منذ أول لحظة . هو صوت عاقل راجح بعيد النظر ..

وله في وسط أوربا رأى راجح .. لانه مسموع على الضفتين .. ضفة الشرق بأشتراكيته وضفة الغرب بديمقراطية ..

● **باريس ـ فرنسا :**

ترددت في اعلان رأيها في المبادرة انتظارا لجمع الصف وقيل وقتها إنها تعرضت لضغط شديد من دول الرفض ومن دول اخرى لها ميزان تجارى حافل مع فرنسا .. فلزمت هذا التردد لأن فرنسا في بعض الاحيان تخضع لاسلوب البقالة السياسية ... وتصادق من يشترى ! ولكنها بعد ايام أعلنت انها مع مبادرة السلام .. لأنها وجدت الرافضين وهم قلة هوجاء تستغل موقف الصمت الطيب لصالحها . ومضت الامور بعد ذلك سهلة سلسلة ..

بين مصر وفرنسا . بل بين العالم العربى وفرنسا وشيجة السلاح . فهى تبيع الميراج وغيره . وبين مصر وفرنسا وشيجة الثقافة منذ عهد نابليون . بل قبله حين كانّ رهبان السوريون يترجمون كتب العرب في الطب والفلسفة والفلك والجبر ..

وديستان مشغول بالانتخابات فهل تؤثر الانتخابات . والايدى اليهودية الملوحة بالتهديد على قراره ؟ أقول ان رجل فرنسا ذى القوام المشوق له مواقف ثابته . ومادئ لا يتخلى عنها . واقول ان الصحافة الفرنسية احتفلت بالمبادرة احتفالا لا يقل عن احتفال الصحافة المصرية .. لا أخفى عليكم ان صحيفة « الايمانتيه » الشيوعية كانت نشازا في موكب الفرح . وآخر ما قرأته في الفيجارو هذه العبارات :

إن ما فعله السادات وكان عظيما هو آنه أعلن السلام الاسرائيلى باعترافه بها . وباجراء مباحثات معها . وبالتالى اتاح امكانية بدء مفاوضات السلام لا أقل من ذلك ولا اكثر . وقد اتسمت المفاوضات منذ البداية بطابعين : فهى من وجهة ستكون طويلة وشاقة .. ومن وجهة اخرى لايمكن ان تنتهى الا بحل وسط . والمقصود بالحل الوسط على سبيل المثال هو الا تقاس التنازلات التى تقدمها اسرائيل بالنسبة

للبرنامج الاقصى الذى قدمه السادات وان الاعتقاد بامكانية التوصل الى هذا الحل مع التظاهر باعتبار اسرائيل وحدها هى المعنية بالامر يعد امرا غير واقعى ! فهل ينبغى الاعتقاد بان هذه المسألة تواجه طريقا مسدودا . وان املا كبيرا في طريقه الى الانهيار ؟ إن روح القدس مازالت تحتفظ بفضيلتها ونحن حين نبتعد عن الحرب فاننا لا نستطيع الا ان نصنع السلام .

وكتب رئيس تحرير الموند ـ أوسع الصحف الفرنسية انتشارا يقول بعد انتقاده لموقف اسرائيل من مفاوضات السلام :

إن حكام اسرائيل ارتكبوا نفس الخطأ الذى ارتكبه حكام جبهة الرفض . إنهم اعتقدوا ان الرئيس السادات لم يكن يعنى ما يقول عندما خطب امام الكنيسيت يطالب بعودة الاراضى المحتلة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وكيف يطلب منا أن ننسى ما شاهدناه بانفسنا في القدس عندما زارها السادات . أن كل من كانوا هناك كانت لديهم العقيدة بأنهم يعيشون لحظة تاريخية ؟ فكيف يطلب منا ان ننسى اننا رأينا جولدا مائير يومها وكأنها مؤمنة بأن الاتفاق ممكن ... اننا لا نستطيع ان نشك لحظة في اخلاص السادات . فقد قفز بالقضية خطوات للامام حين ذهب بنفسه الى القدس تلك التى ترفض كل عاصمة عربية ان تقيم فيها سفارتها ..

فرنسا والمانيا الغربية تتنافسان على لعب الدور الاكبر في الشرق الاوسط حسنا . التنافس نقطة لحساب العرب . ولكن اذا استقر في الاذهان اننا شبعنا من التصريحات وأصبح الموقف الحاد .. اصبح مفترق الطرق يتطلب اختيارا .. والاختيار يتمثل في الاعمال لا الاقوال ..

● روما .. إيطاليا ..

عندما زار ديان وزير خارجية اسرائيل روما . بعد مبادرة السادات كان يتصور انه يستطيع ان يبدأ التأثير على ايطاليا في مواقفها المعروفة .. وبالتالى كسب صوت داخل السوق الاوربية . ولكنه فوجىء باندريوتى

رئيس وزراء أيطاليا يقول : انني اناشدكم الا تضيعوا الفرصة التى بين ايديكم . فرصة حوار السلام لان اى فشل للسلام سيترتب عليه شعور عميق بخيبة الامل لدى العالم . وقد تكون له عواقبه الوخيمة التى يمكن توقعها تماما .

وعندما ذهب لزيارة رئيس الجمهورية الايطالية ليونى سمع من ليونى قوله :

ـ إن أيطاليا والمجموعة الاوربية تعتبر أن كل ما يحدث في الشرق الاوسط خاصة والبحر الابيض عامة له اهمية حيوية بالنسبة لأمنها السياسى ووجودها الاقتصادى .. ومن اجل تقدم المفاوضات اصبح من الضرورى اليوم أكثر من اى وقت مضى ان تقول كل الدول التى يعنيها الحل السلمى وفي مقدمتها امريكا والمجموعة الاوربية بالخطوات الملائمة لمساندة ذلك سياسيا ..

وعندما زار الرئيس السادات ايطاليا منذ حوالى عامين كانت تمر بأزمة اقتصادية خانقة . وكانت المانيا الغربية تفتح خزانتها على حذر .. وعلى حذر اكثر تفتح فرنسا خزانتها لانقاذ ايطاليا . رغم هذه الظروف القاسية .. فقد أورت أيطاليا عن رغبة شديدة في تلبية الانفتاح الاقتصادى . وفي تقديم القروض لمصر .. وقد دبرت ايطاليا بضعة من عشرات الملايين تقدمها قرضا ..

احيانا تقاس الأمور بمواقف من هذا النوع ..

● الفاتيكان

قال البابا بونس السادس لديان الذى احس انها أمله أن يقابل بابا الكاثوليك وهم ٦٥٠ مليونا في انحاء العالم . قالها بحسم رغم وهن إلثمانين :

ـ ثلاثة مناطق أرجو أن تكون بعيدة عن السياسة في القدس :

● المدينة القديمة

● جبل صهيون

● منطقة قبر داوود

ولم يشر بابا الفاتيكان الى القدس الجديدة . والمعروف أن كلاما كثيرا تداولته الكواليس الدبلوماسية عن تدويل القدس .. وما الى ذلك .. الرئيس السادات له رأى في هذه القضية فحين سئل عن التدويل قال « أقبل تدويل القدس شرقا وغربا .. ولا تتصوروا أن يوافق مسلم واحد من ٧٠٠ مليون على ان تحكم اسرائيل مدينة المقدسات » .

ابتلع ديان موسيا في روما . والقموه حجرا في الفاتيكان . وقال للصحفيين :

ـ ليس هناك من يستطيع أن ينكر على الدول الاوربية حقها في أن يكون لها افكارها ولكن ما يقلقنا هو محاولة وضع النتائج مسبقا . والخطط الجامدة التى من الممكن أن تعرقل أو تزيد من صعوبة المفاوضات . **فلنترك للأطراف المعنية أن تقرر ما هو الأفضل بالنسبة لها .**

لا يتخلى عن السلام

هذا هو الخط الاسرائيلى .. إبعاد اوربا عن القضية . لأن موقف أوربا معروف .. مع مصر . مع الحق العربى . مع المبادرة . مع الحق ..

ولكن جولة السادات حطمت خط اسرائيل في اوربا .. إن تجميع أصوات هذه الدول .. وفيها ثلاث دول كبرى .. لها مقاعد دائمة في مجلس الامن سوف يشكل حتما ضغطا على اسرائيل . ضغطا يتجه الى أمريكا صانعة القرار الاخير . وضغطا على اسرائيل لتحس إنها ستكون في عزلة .. آخر ما فعلته .. في يناير ١٩٧٨ أن دعت أميليو كولومبو رئيس البرلمان الاوربى الى زيارة القدس . أرادوا أن يعملوا له غسيل مخ فاذا بالرجل لايميل برأسه .. ولا يفتح فمه في اتجاه ما يقولون فقد خطب بيجين واحدة من خطبه العصماء . نصفها من التاريخ . ونصفها من التوراه وهى مزينة بآيات من العهد القديم . وفيها تعاريج على النازية والجيتو وعذاب المشردين في الديا سبورا وفجأة وجد أميليو نفسه

يخطب فيهم ويفسر لهم مدى الصعوبة والتعقيد في الموقف الذى تواجهه مختلف دول المنطقة ..

في رحلة الدبلوماسية .. في أطول رحلاته الدبلوماسية كسب السادات للقضية مواقع كثيرة وأستطيع أن أقول أنه أعطى للسلام دفعة قوية حين حاصر أكاذيب اسرائيل ، وهمّد منطق بيجين وأشهد الدنيا على أن من بدأ معجزة السلام .. لن يتخلى عن السلام ..

٢٥ ـ دقت ساعة المواجهة

إننا ذاهبون الى أمريكا وقلبنا مفعم بالخوف.ولكن بالأمل كذلك.. هذا ماقاله مناحم بيجين رئيس وزراء أسرائيل قبل أن تحلق الطائرة الى واشنطون في زيارته الثالثة لها منذ تولى الحكم . وقد قالت صحيفة معاريف الاسرائيلية إن آمال بيجين تنبع من التأكيدات القائلة بأنها لن تمارس ضغطا على اسرائيل . اما مخاوفه فلأنه يمضى الى رحلة صعبة سوف يأخذ خلالها على القادة الامريكيين ما بدا من اضمحلال في مساندتهم لاسرائيل منذ آخر زيارة قام بها الى واشنطن .. يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧٧ .. وبعض اصدقاء اسرائيل في الكونجرس يتملكهم الشعور بأن الدعوة التى وجهتها حكومة كارتر الى بيجين تعد « شركا » يستهدف ارغام رئيس الوزراء الاسرائيلى على الدخول في مواجهة سافرة مع الولايات المتحدة الامريكية تؤدى الى أضعاف موقفه امام الرأى العام الاسرائيلى ..

وحدث بعد الزيارةالاخيرة التى قام بها بيجين لواشنطن تغيرات كثيرة دفعت امريكا الى المواجهة مع اسرائيل . ففي ١٦ ديسمبر ١٩٧٧ طار بيجين الى واشنطن ليحول الانظار عن القاهرة التى كانت تجرى فيها المباحثات التحضيرية لمؤتمر جنيف .. يحولها اليه وليحاول اقناع امريكا بحسن نواياه عبر مشروع السلام الذى تقدم به كارتر . قاصدا - أى .. بيجين - تخفيف التأييد الامريكى للموقف العربى بعد مبادرة السادات .. وهذه الزيارة هى التى وصفها اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل السابق بقوله ، منذ عهد بن جوريون ورؤساء الوزراء الاسرائيليون يحلمون بيوم يلتقون بزعيم عربى .. يخوضون معه مفاوضات مباشرة . فلما اتيحت الفرصة . وكانت لبيجين . آثر الهروب منها . وطار الى امريكا ليحصل على مباركة كارتر لمشروعه ..

وقد تعلم كارتر من هذه الزيارة اشياء هامة :

● اولها ، الا يطلق الاوصاف على عواهنها . فقد قال عن بيجين انه رجل عظيم ... فصدق بيجين هذه المجاملة .. واصيب بالغرور الذى بدا في كل تصرفاته بعد ذلك ..

● وثانيها ، ان يتحفظ في ابداء الرأى . ويجعل له شهودا على ما يقول لانه قال لبيجين ان مشروعه للسلام خطوة الى الامام ولكنه لا يستطيع ان يدلى فيه برأى قبل ان يقول السادات رأيه . اما بيجين فقد فسر هذا بأنه تأييد من كارتر لمشروع بيجين ..

● وثالثها ، ان السياسى الطيب الذى تعود على التعامل مع اليهود البسطاء في جورجيا يجب ان يحذر وهو يتعامل مع الصهاينة محترفى السياسة . فيتحفظ .. ولا يرسل الكلام في العموميات ارسالا .. وعند الخوض في التفاصيل يدقق . واذا اساء بيجين تفسير شىء . او افترى على كارتر شيئا فان على كارتر ان يبادر الى الايضاح او الى التكذيب حتى يصبح كل شىء واضحا ..

وبأخذنا هذا الى نقاط الخلاف بين كارتر وبيجين ، وهى النقاط موضوع الحوار الساخن في واشنطن ، وهذه النقاط يمكن العثور عليها بسهولة في البيان الامريكى الذى صدر عن البيت الابيض عقب زيارة الرئيس السادات الى الولايات المتحدة في فبراير ١٩٧٨ .. حدد هذا البيان الرسمى الاسس التى ينبغى ان يقوم عليها السلام الدائم في منطقة الشرق الاوسط وطبيعة الالتزام تجاه جهود السلام في النقاط الاتيه ،

١ ـ ان الهدف الاساسى للسياسة الامريكية سوف يتمثل في مساعدة الاطراف المعنية على تحقيق السلام الدائم ، وان اقرار السلام ينبغى ان يتجاوز انهاء حالة الحرب الى العلاقات الطبيعية والمفتوحة ، كما ينبغى ان تنص عليه معاهدات السلام بين اسرائيل والعرب ..

٢ ـ إن التسوية ينبغى ان تقوم على اساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بما في ذلك انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وحق كل دول المنطقة في العيش داخل حدود آمنة ومعترف بها ...

٣ ـ لا يمكن أن يكون هناك سلام دائم دون حل المشكلة الفلسطينية . والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وتمكين الفلسطينين من المشاركة في تقرير مستقبلهم ..

٤ ـ إن المستوطنات الاسرائيلية تتعارض مع القانون الدولى وتشكل عائقا أمام السلام ، كما ان انشاء المزيد من المستوطنات لا يتفق مع الجهود المبذولة من أجل التسوية ..

٥ ـ إن الولايات المتحدة ستبقى على التزامها التاريخى بأمن اسرائيل . وحق كل دول المنطقة في العيش في سلام ..

نبدأ ببند من البيان

وبيجين فيما ادلى به من تصريحات وفيما قاله لالفريد اثرتون الذى اختاره كارتر للقيام بمهمة مكوكية بين اسرائيل ومصر بعد صدور هذا

البيان .. بيجين عارض كل هذه النقاط جملة وتفصيلا .. على النحو التالى :

١ ـ ففيما يتعلق بانهاء حالة الحرب الى العلاقات الطبيعية والمفتوحة

احدث بيجين اكبر متغير في المنطقة ـ واكبر صدمة في العالم حين اعتدى على جنوب لبنان بقصد التهامه والوصول الى نهر الليطانى ـ وهو أحد أهداف اسرائيل الاستعمارية ـ وقد تذرع لذلك بعملية الفدائيين في تل ابيب .. متناسيا ان غضبة الفدائيين رد فعل طبيعى لتصريحاته المتطرفة حول الضفة الغربية ، واشاعته لليأس والقتامة فيما يتعلق بالجلاء عنها وبالتالى اهدار الامال في صدور هؤلاء الشبان .. ومتناسيا ايضا ان مايتمسك به من حدود آمنة لا يرتبط بسلك شائك أو خندق .. ولا يرتبط بخط لبارليف او عائق مياه .. فقد اثبتت حرب اكتوبر ان هذا كله من ورق .. واضاف حادث الفدائيين ان من تتوقعه من البر قد يجيئك من البحر .. واثبت هذا وذاك ان الامن الحقيقى هو امن السلام ، الامن المنبثق من التعايش مع الجيران ..

واذا كان بيجين سوف يستخدم بلاغته ولعبه بالالفاظ لمحاولة اقناع امريكا بأن التسليم باقامة دولة للفلسطينيين في الضفة الغربية سيجعل اسرائيل على مرمى المدفع الفلسطينى ، أو يجعلها على حد قوله على الحدود الخطرة مع سوريا والاردن والسعودية فضلا عن فلسطين فان كارتر يستطيع ان يقول له ان الحل الوحيد للمشكلة هو ان يأخذ صاحب الحق حقه . لأنه لن يكف أبدا عن المطالبة بهذا الحق ..

واسرائيل ترفض قوات الطوارىء .. لان قوات الطوارىء سوف تجلى قوات اسرائيل عن الارض التى احتلتها ، ولعل بيجين يذهب في تطرفه في شأن

العدوان على الجنوب اللبنانى ورفضه للقوات الدولية الى آخر المدى لأنه وجد في هذه القضية الفرعية ملاذاً ومفراً ومهرباً من القضية الأساسية التى ضاق فيها الحصار حوله .. إن بيجين يقول عن الجلاء عن جنوب لبنان أنه يتطلب أبحاثا قانونية لأنه يحتل الجنوب اللبنانى في عملية دفاع عن النفس، وهذه هى ذات الذريعة التى يسوقها اذا طولب بالجلاء عن سيناء والضفة الغربية والجولان .. انه يقول انه استولى عليها وهو في حالة دفاع شرعى عن النفس ..

كارتر الآن أمام موقف محدد .. وعليه أن يختار بين التفسير البيجينى أو التفسير المنطقى الذى يتفق وعقلية القرن العشرين وينبع من كل المواثيق الدولية . وهو ان احتلال الأراضى بالقوة لا يعطى حقا بل يشكل جريمة حرب ..

٢ ـ وفيما يتعلق بأن تقوم التسوية على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .. بما في ذلك انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ . فان بيجين اخترع في الفترة بين زيارة السادات لواشنطن وزيارته هو ـ حكاية ان القرار ٢٤٢ لم ينص على الضفة الغربية . لأن رد الأرض يجب أن يكون لمالكها .. وهذه أرض بلا مالك .. لأن يد الملك حسين عليها كانت يداً غير شرعية . ولم يكن للفلسطينيين في أى عهد منذ الأتراك والانجليز ولاية عليها .. والفرية واضحة .. أعلن كارتر غير مرة عن ان هذا التفسير سيكون فيه ضربة خطيرة لاحتمالات السلام وتراجع كامل في سياسة الحكومة الأمريكية . وان قرار مجلس الأمن الذى يعتبر الأساس للمفاوضات الدائرة ينص على الانسحاب من جميع الجبهات .

وبيجين وهو يسوق هذا المنطق لا يجد سندا حتى من شعبه .. ان حزب العمل يقول ان تفسير بيجين هذا تنكر لكل التزامات اسرائيل ان

السابقة امام المجتمع الدولى .. ابا ايبان وزير الخارجية السابق قال : ينبغى على اسرائيل ان تستعد للتخلى عن الضفة الغربية اذا كانت لديها النية للسير قدما في مباحثات السلام . وجيمس كاميرون كتب مقالا تحت عنوان خطوات الى الوراء قال فيه : « ما هو مؤكد الان ان موقف اسرائيل ازاء المسألة الفلسطينية لن يمكن الدفاع عنه اكثر من ذلك ، ومن ثم فانه يتعين عليها ان عاجلا أو آجلا الانسحاب من الضفة الغربية ، وفي حين استمر الاحتلال الاسرائيلى عشر سنوات فانه من المحتم ان تزداد المقاومة من شعب يرنوالى الخلاص من الاستعمار اليهودى وتحقيق شكل لا يقل عن دولة فلسطين واليهود التى كانت قائمة قبل عام ١٩٤٨ ، وسوف تضطر اسرائيل بالرغم منها الى مجابهة ذلك بمزيد من القمع ، وسوف تبدد الجاذبية المعنويه لقضيتها ..

فالمواجهة حول قرار ٢٤٢ مواجهة حاسمة ، وبالنسبة لكارتر فان النزاع مع اسرائيل حول القرار ٢٤٢ ليس مجرد مراوغة لفظية حول الفواصل - كما قال مسئول امريكى - انها تمس صميم النزاع العربى الاسرائيلى ، وينوى كارتر جعلها محورا اساسيا للمحادثات مع مناحم بيجين لانه بدون اتفاق حول هذه القضية لا يمكن الاتفاق على شيء آخر ..

الضفـــة والمستوطنـــات

٣ - وفيما يتعلق بالبند الثالث في بيان البيت الابيض الصادر في زيارة السادات لواشنطن الخاص بأنه لن يكون هناك سلام دائم دون حل المشكلة الفلسطينية والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وتمكين الفلسطينيين من المشاركة في تقرير مستقبلهم ذهب بيجين وهو يريد ان يصور عملية اتوبيس تل ابيب على انها اقوى ادلته على احقيته في رفض اعطاء دولة للفلسطينيين . ولكن كارتر يعرف ان

اصدار الحكم على شعب حرم حقوقه عبر ثلاثين عاما .. اصدار حكم عليه بناء على حادثة فردية يجعل الحكم متسرعا وظالما ومتربصا بشىء عارض ينبغى الا يمس السلام ، والا يمس الحق الاساسى الذى اصدرت الامم المتحدة عديدا من القرارات لتأييده .. قضية فلسطين هى اللب والجوهر . قضية فلسطين هى الاصل والجذور . هذا هو اليقين الامريكى بعد تغيير السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ، وبعد ان التزم كارتر بحقوق الانسان . في تقرير اخير من الخارجية الامريكية بشأن احترام حقوق الانسان في العالم تمييز واضح بين اسرائيل حيث كانت حقوق الانسان موضع احترام ، وبين الاراضى المحتلة حيث شوهدت بعض المخالفات لهذه الحقوق ، وقد كتب التقرير قبل عدوان بيجين على جنوب لبنان .. ماذا والا لتضمن ان الشعب اللبنانى اصبح الضحية ، وان تعرضه للمقاتلات من طراز ف ١٥ وتشريده بعشرات الالوف من جراء عدوان دموى على حقوق انسان لم يحمل مرة واحدة سلاحا في وجه اسرائيل ..

واذا كان كارتر قد عانى من عثرة لسان حين قال انه ضد اقامة دولة فلسطينية ، فانه في تصريح اسوان قرأ من كلام مكتوب انه من يؤيد الشعب الفلسطينى في أن يشارك في تقرير مصيره .. اذا كان هذا قد تأكد في بيان البيت الأبيض فان بيجين سوف يخسر هذه النقطة اذا حاول التغرير برجل البيت الأبيض ..

٤ ـ والبند الرابع خاص بالمستوطنات الاسرائيلية وتعارضها مع القانون الدولى وتشكيلها العائق امام السلام . وان انشاء المزيد منها لا يتفق مع الجهود المبذولة من أجل التسوية . والسؤال هو ، بأى وجه يقابل بيجين كارتر ، وهو ينتهج خط العناد .. وغلاظة الرقبة في هذه القضية ؟ بل بأى وجه قابل بيجين شعب اسرائيل بعد ان تعرض انشاء مستعمرة شيلوه لسخرية ما بعدها سخرية .. ان شيلوه هى آخر

المستوطنات في سلسلة الانشاءات الاستعمارية . وقد قال عنها بيجين انها منطقة حفائر .. فيها مجموعة علماء تبحث عن تابوت العهد فقال رابين ، « هذه الحجج تجعل اسرائيل اضحوكة ، وتفقد ثقة العالم في صدق ما تقوله ، وقال ابا ايبان ، « ان تابوت العهد اختفى منذ ٣٤٠٠ سنة فهل كان يضيره ان ينتظر سنه اخرى ؟ » واصبح الشعب الاسرائيلى يتندر بها على المقاهى .. فاذا سأل واحد آخر .. وماذا يعمل ابنك .. « فانه يقول « عالم اثار » ٠

والمتطرفون من جماعة جوش اميونيم يحظون بتأييد بيجين واريل شارون ، وليس في شيلوه الا عائلات عندها هوس دينى ذهبت الى هذا الموقع من تلال السامرة ، ليقيموا هيكلا .. ويمجدوا الله .. وقال واحد منهم : « لقد وهبنا الله هذه الارض وليس مناحم ، وليس هناك من يستطيع ان يسلبنا هذه الهبة بمن في ذلك بيجين » ..

والواقع ان احد لا يستطيع ان يقول هذا الا اذا كان متفقا عليه مع بيجين ذى القبضة الحديدية ٠ ان عزرا وايزمان وزير دفاع اسرائيل كان ضد انشاء المزيد من المستوطنات حتى لا تتعثر فيها اقدام السلام ٠ وعندما زار واشنطون وسمع وهو هناك بنوايا شارون في انشاء المزيد من المستعمرات تحدث تليفونيا مع بيجين وهدده بالاستقالة ان فعل هذا ٠ وبيجين وضعها في قلبه .. نقطة سوداء لوايزمان ، لهذا استدعاه على الفور بعد حادث الاتوبيس ٠ وكلفه بحملة لبنان ، حتى يضعه امام العالم معتديا وينزع منه قفاز الحرير الذى بدا به في امريكا ، ويشوه صورة الاعتدال التى استقرت له عند الشعب الاسرائيلى ..

ولم يأخذ بيجين وايزمان معه الى امريكا ٠ ان بيجين اذا تكلم يحب أن يتكلم وحده ٠ ففى فمه كل المغالطات وهو يخشى ان يكشفها احد أتباعه ..

المستوطنات تثير داخل اسرائيل حوارا حادا . وتهدد بيجين نفسه . ولامريكا موقفها الثابت منها وقد قال فانس في مؤتمر صحفى في ١٠ فبراير ١٩٧٨ ان المستوطنات ضد الشرعية الدولية . وضد اتفاقية جنيف . ورد متحدث باسم مجلس الوزراء الاسرائيلى بأن هذا القول يناقض ما قاله كارتر من قبل . وتولى البيت الابيض في ١٤ فبراير حسم الموقف .. فقال ان رأى كارتر يطابق تماما رأى سيروس فانس .. وديان اعتدل في شأن المستوطنات ولعل بيجين شده من اذنه بعد ان صرح بأن المستوطنات تشكل نوعا من المضايقة يجب عدم السماح له بأن يتسبب في فشل مفاوضات السلام مع مصر .. وقد طرح عدد من الكتاب المعتدلين في داخل اسرائيل سؤال : ايهما هو القضية : بقاء المستوطنات ام بقاء اسرائيل ؟ ..

والانشقاق في حكومة بيجين سببه الاكبر هو المستوطنات . وعلى هذه الصخرة قد يتحطم بيجين . فهل على هذه الصخرة تفشل مهمة بيجين في امريكا ؟

٥ ـ وخامس البنود في بيان البيت الابيض ينصب على التزام امريكا التاريخى بأمن اسرائيل . وحق كل دول المنطقة في العيش في سلام ..

وهذا يأخذنا الى قضية السلاح .

والمتغير الجديد في قضية السلاح ان مصر والسعودية تقدمتا بطلب شراء سلاح من امريكا . ووافق كارتر مبدئيا وأعد مشروعا لتقديمه للكونجرس في مايو ١٩٧٨ . وهاجمت اسرائيل وماجت . وناشد بيجين كارتر الرجوع في قراره هذا .. لان بيع الاسلحة لمصر والسعودية من شأنه زيادة خطر المواجهة ودخول السعودية ضمن دول المواجهة ضد اسرائيل . اما ديان فقال ان بيع الاسلحة سابق لاوانه وسوف يضر بأمن اسرائيل . وقال ان على الولايات المتحدة الا تبدأ في تزويد مصر بالاسلحة الا بعد ان تتوصل مصر واسرائيل الى اتفاقية سلام ..

فاسرائيل تريد السلاح الامريكى لها وحدها ، لانها تريد ان تجلس الى مائدة المفاوضات فتهدد بقبضة تشير الى مخازن « متلتله » بالسلاح .. تريد ان تكسب السلام والسلاح حتى ولو لم تستعمله ساخنا · تريد ان تبقى على تفوقها · وفانس اعترض على هذا ، وقال ان امريكا سوف تعطى السلاح لمصر حتى تستطيع ان تدخل المفاوضات وهى قوية .. فالتوازن عند فانس هو الذى يحقق فرص السلام وليس فارق القوة ، وليس سطوة اسرائيل وحماقة القوة عندها ..

و .. وقد ذهب وايزمان الى امريكا .. ليطلب تسليحا لعشر سنوات قادمة · وقدم قائمة قالت عنها مصادر البنتاجون انها تصل الى ١٥ بليون دولار ..

ولا شك ان طلبات وايزمان قوبلت بفتور لانها تتعارض مع البند الخامس في بيان البيت الابيض الذى يجمع بين التزام امريكا بأمن اسرائيل ، والتزامها بحق كل دول المنطقة في العيش في سلام · ان هذا معناه انها ستنتظر بدقة وعمق الى كل طلب للسلاح تتقدم به اسرائيل .. وهذه هى فاتحة لما يمكن ان تسميه الضغط الامريكى على اسرائيل ..

الضغط .. كيف ؟

وهنا يثور سؤال ؟

ـ هل تستطيع امريكا الضغط على اسرائيل حقيقة ؟

وأجيب :

ـ ان تعارض وجهات النظر بين امريكا واسرائيل .. وتمسك امريكا بموقفها نوع من الضغط · صحيح انه رقيق جدا .. ولا يخرج عن حدود العبارات والتصريحات الا انه بداية ..

والذى يمكن ان يفسح مكانا للتعارض ليصبح ضغطا هو هبوط اسهم اسرائيل عند الشعب الامريكى · فقد التقى الرئيس السادات بالشعب

الامريكى وخاطبه من على شاشات التليفزيون ثلاث مرات في قارته الامريكية ، والتقى به مرة رابعة كانت اروع من كل هذه المرات .. التقى به على شاشات التليفزيون وهو يزور القدس في مبادرته التاريخية ، ويعطى له وللعالم الدليل على نية السلام ، وحب السلام وعظمة الاقدام على طريق السلام ..

مجمل هذه الزيارات صنع تحولا في الشارع الامريكى دلت عليه كل استفاءات الصحف ومحطات التليفزيون في امريكا واوربا . الشارع الامريكى ليس غائبا عن مناطق التأثير وصنع السياسة . والكونجرس لا يستطيع ان يتجاهل نبض الشارع الامريكى . ان اللوبى الصهيونى يجد نفسه لاول مرة وقد فقد بعض ارضه وخسر عددا من مواقعه . قد قيل ان كارتر ماكان يستطيع ان يتقدم بطلب سلاح لمصر مالم يكن واثقا من ان اللوبى الصهيونى قد اصابه عطب .. وان اسرائيل فقدت بعض مكانتها في امريكا . ان الرئيس كارتر يغير بصورة ملموسة سياسة تقليدية جعلت اسرائيل حليفا مطلقا للولايات المتحدة منذ ثلاثين عاما .. وما كان يستطيع الاقدام على هذا الا وهو واثق من قوته ..

وهذا يخالف كل مايقال عن ضعف كارتر .. او كل ماتردده حملات الدعاية الصهيونية ضد الرجل الذى اصيب بصدمة من المظاهرات المنظمة لليهود ضده بعد ان وقع البيان الامريكى السوفيتى ، الآن كسب كارتر حصانة من التجارب . وكسب قسما كبيرا .. من الشارع الامريكى .. بجهود السادات في رحلته المثمرة ..

فاذا كان احد موضوعات الحوار بين بيجين وكارتر هو السلاح .. والسلاح يرتبط ارتباطا وثيقا بالبند الخامس من بيان البيت الابيض الصادر في ٨ فبراير عام ١٩٧٨ فاننى لا اظن ان كارتر سترتعد فرائصه .. ويصدر ما يتناقض مع الموقف الذى اصبح مبدئيا .. او .. يعمل ما يخل بالتوازن بين التزامه ، بضمان امن اسرائيل وبحق كل دول المنطقة في العيش في سلام .

كارتر لن يهتز وحوله رجال ومفكرون يؤيدون خطواته لحل قضية الشرق الاوسط .. على اعتبار ان عودة السلام الى هذه المنطقة يمكن ان يكون اروع انجازاته ويمكن ان يجعله ايزنهاور آخر لا يبالى موقف اليهود طالما يثبت عينيه على ميزان العدالة .. ان حملة اليهود على برزنيسكى مستشار كارتر لشئون الامن القومى كانت ضارية عندما صرح بان من حق امريكا ان تضغط اذا كانت تقدم كل هذه المساعدات الاقتصادية والعسكرية .. انهم افهموه ان من يقف ضد اسرائيل يحكم على نفسه بالانتحار .. الصيغة المخففة للاعدام .. وقد ذكروه بما حدث لفورد .. لما غير سياسة امريكا في المنطقة وذكروه بتابعه كسنجر .. واتهموه اى برزنيسكى بمعاداة السامية. هذا سيف قديم يستلونه من غمد صادىء . وقد أثار سخرية كارتر ..

يهود ولكن شرفاء

.. ومن خندق اليهود ترتفع اصوات شريفة ..

وهذه الاصوات الشريفة سوف تؤثر على تجمعات اليهود ـ من ٣٠٠ منظمة ـ التى استعدت للقاء بيجين كما لو كان نابليون العائد من معركة اوسترلتنر..

واقف لحظة عند تصريح للنائب ريبكوف .. سليل وعميد اسرة ريبكوف اليهودية ذات الثراء العريض . والذى يعتبر أحد خمسة كبار بين اليهود في الكونجرس الامريكى . ريبكوف قال :

- إن بيجين لا يستحق تأييد امريكا . إن شعورا مضادا لبيجين يخيم الان على الكونجرس والرأى العام الامريكى بسبب مواقفه المتعنتة من المستوطنات والضفة .. اننى اعتقد ان السياسة الاسرائيلية خاطئة ولا تستحق مساندة امريكا .. وجماعات الضغط الصهيونية تحاول خلق انطباع بانها تتحدث باسم اليهودية وهى في الواقع اساءة بالغة للولايات المتحدة والمجتمع اليهودى على حد سواء ..

ثم قال ريبكوف :

- اذا كان من حق عضو الكونجرس الامريكى ان يتوجه بالاسئلة ضد سياسة امريكا فان من حقه - من باب اولى - ان يتساءل عن الحكومة الاسرائيلية والى اى مدى تضر بنا . اننى اتفق مع معارضة حزب العمل لما يفعله بيجين .. وأنا مع صفقة الاسلحة للسعودية ومصر .. وسوف أؤيدها لأنها تسهم في طرد السوفييت من المنطقة ..

وقد بدأ الشقاق يدب الشقاق يدب بين بعض يهود امريكا ..

وفي مؤتمر لهم في بلتيمور - على بعد ٧٠ كيلو مترا من واشنطن - طالبت الجماعات الدينية خارج اسرائيل بأن يكون لها رأى فيما يجرى في اسرائيل حتى لا يترك الامر لتحكم وسطوة الجماعات الدينية التى تعيش داخل اسرائيل .. ولان مندوب بيجين ماكان ليستطيع مقاومة هذا التيار الساخط فقد اكتفى بترديد العبارات العامة .. ولكنه حمل لبيجين ان المؤتمر ليس « مواتيا » لبيجين نفسه ..

وفي نيويورك بدأت جماعة اسمها « بريرا » اى « البديل » يرأسها دان جيلون .. بدأت نشاطها المنادى بأن اسرائيل لا يمكنها الحصول على السلام والارض معا .. وان الضفة الغربية لاتشكل عنصر ضروريا لامن اسرائيل .. وان المستوطنات في سيناء يمكن التخلى عنها فورا ومن هذه الجماعة دافيد وينشتين رئيس جامعة يهودا في شيكاغو الذى زار اسرائيل مؤخرا وعاد ليقول « من السهولة بمكان اعادة المستوطنين في سيناء الى اماكن في اسرائيل وتسليم تلك المستوطنات كاملة الى مصر ..

والمعروف ان ديان هاج على هؤلاء وقال (لا اقبل ان يلقنونا دروسا .. ان .. الاشرف منهم جماعة جوش اميونيم التى تقيم في اسرائيل .. وتناضل نضالها هناك) ..

وفي لوس انجيلوس صرح روبرت بلومنتال وكيل اللجنة اليهودية قائلا : اننا يمكن ان نجمع المزيد من التبرعات لاسرائيل ولكن الحقيقة ان الملل اصابنا بعد ثلاثين عاما ..

وقد قال رئيس الجالية اليهودية في بوسطن « ان على بيجين وديان ان يكفا عن الحملات الاعلانية . وان يعودا الى التفاوض بسلام » ..

وفي تل ابيب صرح اسحق رابين تصريحا مماثلا حين قال :

ـ ان استئناف المفاوضات بعد زيارة بيجين لواشنطن هو وحده الكفيل بتفادى التقلص المستمر لمركز اسرائيل في الولايات المتحدة . والحيلولة دون حدوثه ..

من يحمى اسرائيل من نفسها ؟ ؟

ويتعرض بيجين لهجوم شديد من كل الذين يعتقدون أنه لا ينوى سلاما وأنه يهدر اعز فرصة كان الشعب الاسرائيلى ينتظرها ـ إن اسرائيليا رسميا قال :

ـ إن هذه الحكومة يوجهها اناس مجانين . وهذه السياسة تنم عن جنون مطلق وسوف يدخل شارون التاريخ باعتباره الرجل الذى الحق أكبر الأضرار بالدولة اليهودية في أقصر وقت . ويجب أن ينحى باللوم على بيجين باعتباره الزعيم الذى سمح بحدوث هذا ..

ومن قبل قال بن.جوريون :

ـ إذا تولى مناحم بيجين الحكم في اسرائيل فهذه هى بداية النهاية ... ويتفق هذا مع نصيحة كتبها جورج بول وكيل الخارجية الامريكية السابق حين قال : « يجب أن نحمى اسرائيل من نفسها » ..

ويستطيع كارتر أن يحمى بيجين من نفسه .. إذا تمسك بكل ما جاء في بيان البيت الأبيض ويعتبر بنوده مبادىء ثابتة لا تقبل التفاوض .. لأن شعار بيجين أن كل شىء قابل للتفاوض ويستطيع أن يضع أمامه التقارير العسكرية التى تقول أن البديل عن السلام مخيف .. مخيف .. وأن الصحف الاسرائيلية ذاتها تتوقع ثمانية آلاف

قتيل اسرائيلى خلال حرب تستمر ثلاثة أيام .. وان هذا الرقم يوازى أربعة أضعاف قتلى حرب ٧٣ وهو بعينه مثل رقم ضحايا الحرب العالمية الثانية في أمريكا ..

يستطيع كارتر ان يقول لبيجين ان دور امريكا لن يبقى إلى الأبد وسيطا يحقق نتيجة أو لا يحقق بل قد تحول هذا الدور إلى دور الشريك الذى يتحتم عليه أن يجد الحل .

يستطيع كارتر أن يقول لبيجين ان الادارة الأمريكية تحس مسئوليتها في اتخاذ مواقف محددة بالنسبة للنزاع وإن هذا ما تمليه عليه لصالحها وما يمليه الشعب الأمريكى الذى بدأ يأخذ موقفاً إيجابيا بقدر كبير في الصراع العربى الاسرائيلى ..

ويستطيع كارتر أن يقول لبيجين ان الاحتلال لجنوب لبنان لن يكون القضية الأولى .. ان هذا الاحتلال عدوان ينبثق من موقف آخر شامل ، من موقف عدوان شامل وإن السلام هو الحل الوحيد والسلام هو الحل الدائم وبيان البيت الابيض حد معقول للحل المأمول ..

---

٢٦ ـ شيلوك ربما .. شمشون جائز !

خلع مناحم بيجين ثوب المفاوض شيلوك .. وارتدى ثوب الجبار شمشون .. وضرب ضربته البربرية في جنوب لبنان . وذهب الى الولايات المتحدة بصلف أضفى على لقاءاته مع الرئيس الامريكى جيمى كارتر كآبة وقتامة .. وعاد وهو يهمهم بالغضب ويتهم الولايات المتحدة بالانحياز للعرب ويشخط في مجلس وزرائه ليحصل على التأييد الكامل لخطاه .. وخطب في الكنيسيت ليوقظ كل مشاعر اليهود في أرض الميعاد . وليذكرهم بآيات التوراه التى تجعل لكل شبر من الارض يحتلها قدسية من ثلاثة آلاف سنة . والتى تجعل كل حق يسلبونه من أصحابه .. حلالا على اليهود . وكسبا نهائيا لاسرائيل ..

نغمة نشاز في مناخ عالمى ينشد السلام . ونذير صدام شامل بينما تخفق قلوب الملايين بأمل الأمان منذ ذهب السادات الى القدس باسطا يده .. باسطا قلبه .. معلنا للعالم أرقى مبادرة حضارية في التاريخ ..

فهل ينجح بيجين في فرض الحقد واراقة الدم ؟ .. هل يسكت عليه شعب اسرائيل الذى بدا متعطشا للسلام ؟ .. هل يسكت عليه الشعب الامريكى الذى انقلب عليه ؟ ..

هل يسكت عليه العالم وهو يبدد فرصة نادرة ويغلق بابا ذهبيا ؟ ..

وقد كتب انتونى كورتزمان ـ وكان مساعدا لنائب وزير الدفاع في عهد فورد ـ يقول إن بيجين يريد ان يصعد العلاقات سوءا بين امريكا واسرائيل ليزيد من قبضته على اسرائيل .. وان بيجين يعتزم ان يسىء للتحالف الامريكى الاسرائيلى حتى يتمكن في نهاية الامر من فرض سيطرته الكاملة على مدن الضفة الغربية وبعض الأراضى التى لم يكن يتطلع الى ان تصبح جزءا من اسرائيل .. وفي حين أن بيجين قد يدمر وقد لا يدمر رغبة اسرئيل الاولى والحقيقية في السلام الا انه بدأ بالفعل .. وعلى نحو جاد تدمير المصالح الامريكية ..

وفي نفس الاسبوع حذر مجلس رؤساء الاركان الامريكى ـ في البنتاجون ـ حذر كارتر من استعمال اسرائيل للقوة التى تمتلكها دون اذن من الولايات المتحدة مما قد يؤدى الى تدمير المصالح الامريكية .. وتلقى كارتر تحذيرا مماثلا من الجنرال الكسندر هيج القائد الاعلى لقوات حلف شمال الاطلنطى . وقد قال انتونى كورتزمان الذى عاد الى حقل الصحافة انكارتر اذا لم يستطع قطع المساعدات عن اسرائيل فورا فانه يستطيع تغذية النقاش السياسى المرير الدائر في اسرائيل . الانقسامات داخل حكومة بيجين . لان التغيير لن يحدث الا نتيجة للضغط من الرأى العام الاسرائيلى ..

وصرح هيمان بولبندر مندوب اللجنة اليهودية الامريكية في واشنطن بان الجدل الحالى في داخل اسرائيل يثير ايضا مناقشات خطيرة ومؤلمة داخل الجالية اليهودية الامريكية ..

وقد تتابعت التصريحات من عدد من من اعضاء الكونجرس المعروفين بمواقفهم المؤيدة لاسرائيل . تتابعت لتؤكد تصديهم لسياسة بيجين . وعدم رضاهم عن السخط الجشع الذى يمضى عليه وهو يتحدث عن المستوطنات والضفة الغربية .. فقال شارلز بيرسى .. سناتور ولاية الينوى : « ان سياسة بيجين تمزق اسرائيل . وتمزق اليهود في امريكا » وبعده على الفور صرح ادلاى ستفنسون - وهو مرشح سابق للرئاسة الامريكية .. وسناتور الينوى ايضا . بأن اسرائيل تتمتع بتأييد قوى .. كدولة اسرائيل .. ولكن التأييد الذى يتمتع به بيجين ضعيف . وقد دعا المليونير الامريكى اليهودى ماكس بالنفسكى السفير المصرى الدكتور اشرف غربال الى مائدة عشاء في قصره في بيل اير - لوس انجيلوس - وامام جيرى براون حاكم كاليفورنيا قال ان بيجين لم ينتهز الفرصة التاريخية لينجز شيئا .. ويجب ان تفرض محاولة مانحو انجاز تصالح اكبر . وامريكا في وضع تستطيع فيه أن تنجز هذا .. وقال حاخام يهودى بارز تعليقا على الحملة العنيفة التى شنها السكندر شاندلر لرئيس المنظمات الصهيونية في امريكا على برزنيسكى مستشار الرئيس الامريكى لشئون الامن القومى والتى اتهمه فيها بالجعجعة والتهديد والتعصب ضد السامية .. قال فيما يتصل بأمن اسرائيل فإن يهود امريكا متحدون واقوياء .. اما فيما يتصل بالمستوطنات فهم مضطرون ومنقسمون ومتحيرون ولا يفهمون الضرورة الدينية أو السياسية أو الاجتماعية للمزايدة على المستوطنات في الوقت الذى أحرز فيه السادات الرئيس المصرى مثل هذا النصر في مجال العلاقات العامة .

وقال سناتور متعاطف مع اسرائيل : « إن اسرائيل سوف تفقد إن عاجلا أو آجلا بعض كبار المتعاطفين معها . ولن يكون هذا في صالح اسرائيل . ولا صالح اليهود الامريكيين » ..

وقد بدأ صالح اليهود الامريكيين يهتز بسبب سياسة بيجين حين صدرت تعليماته ليهود امريكا بشن حملة منظمة على قرار كارتر تزويد مصر والسعودية بالسلاح وربط هذه الصفقة بصفقة توريد السلاح لاسرائيل . وصحيح ان القرار لا يصبح نهائيا الا بعد اقرار الكونجرس له الا ان لجنة الشئون الامريكية الاسرائيلية في الكونجرس الامريكى كتبت الى الكونجرس تطلب رفض الصفقة .. وبدأت الخارجية الامريكية دفاعها ـ على الفور ـ عن الصفقة ومبرراتها . وذهبت في تنفيذ الانتقادات الاسرائيلية للصفقة الى حد لم يسبق له مثيل . ووقع دوجلاس بنيت مساعد فانس لشئون الكونجرس خطابا الى كل اعضاء الكونجرس يتناول اصرار الادارة الامريكية على انجاز الصفقة لأن لامريكا مصالحها في الشرق الاوسط ..

حملـــة على الأسلحـــة

وبدأ التصعيد الصهيونى للحملة ..

في لوس انجيلوس التقى الف يهودى في معهد ستيفن وايز .. يصلون ويكتبون على اثنتى عشرة مائدة خطابات الى الكونجرس الامريكى . وكان على كل مائدة نموذج مختلف ولكنه يتفنن في الهجوم على كارتر والتنديد بصفقة الطائرات لمصر والسعودية ـ وما ان كتب الجميع الالف خطاب .. حتى وقف الرابى اسحق زيلدن ليخطب قائلا : « ان هذه الصفقة تصيبنا بالجنون وسوف نحاربها بجنون » ..

زيلدن هذا مشهور بعباراته النارية ضد كارتر قد قال بعد البيان السوفيتى الامريكى عن مؤتمر جنيف : « ان كارتر رجل حسن النية . ولكن الطريق الى جهنم مفروش بحسن النية » ..

و.. تصدت السفارة السعودية في واشنطن للحملة اليهودية على الصفقة ... فأرسل السفير على رضا رسالة للكونجرس يفسر فيها المعنى

وراء تخلى الولايات المتحدة عن السعودية . بل وتصدى السفير الامريكى في السعودية « جون ويست » لهذه الحملة فقال مذكراً بأن سعر البترول وحالة الدولار سوف يرتبطان بهذه الصفقة . وأحس بالخطر نبلاء اليهود في امريكا الذين ينظرون لبيجين بغضب من تصرفاته ، وبخوف من نواياه لانه سوف يؤثر على مصالحهم اذا استمر في عناده او اذا تجاوز العناد الى موقف أحمق ..

وطالب هنرى جاكسون ـ وهو سناتور يهودى ـ بتأجيل الصفقة ولكن بريان اوتوود وهو مساعد لوزير الخارجية الامريكى أجاب بسرعة بأن إرجاء الصفقة سيحول السعودية الى البحث عن السلاح في اماكن اخرى ، وارجاء الصفقة لستة اشهر سوف يجر الى عام لان المجلس ينفض لاجازته .. فاذا عاد الى الانعقاد وطرح القضية فان هذا قد يجر الى عام كامل » ..

ومن المتشائمين من يقولون إن بيجين وهو يرتدى ثوب شمشون قد يقدم على حرب خاطفة قبل أن تصل الاسلحة الامريكية الى السعودية .. ومصر ...

على ان الموقف كله له دلالاتـه :

● الاولى في الدلالات أن الولايات المتحدة ربطت صفقة الاسلحة لاسرائيل مع صفقة السعودية ومصر ، تنعقد الصفقة حزمة واحدة اولا تنعقد .. وهذا يحدث لاول مرة في التاريخ الامريكى ..

● الثانية في الدلالات أن الولايات المتحدة لم تعد مبقية على نظرية ان اسرائيل هى الصديق الاوحد في الشرق الاوسط ، لان لها مصالح في دول اخرى ..

● الثالثة في الدلالات ان كارتر يبدأ مرحلة التصدى لاسرائـيل بعد ان تأكد له خاصة بعد زيارة بيجين الكئيبة ـ ان شيئا ما يجب ان يعمل .. خطا ما يجب ان ينتهج ..

● الرابعة في الدلالات ان الولايات المتحدة بدأت تحس انه قد حانت ساعة العمل الأمريكي.

ولكن الحقيقة ان الولايات المتحدة تتلمس بعد كيف يكون هذا العمل الامريكي . ان صفقة الاسلحة عربون هذا العمل ومثال له .. ولكن ما هو العمل الحقيقي ؟

- هل هو اسقاط بيجين .. وكيف ؟

- هل هو إبلاغ مصر واسرائيل مشروع سلام لا يتراجع عن المبادىء المعلنة عن البيت الابيض ولكنه في نفس الوقت يجد وسيلة ما لإرضاء اسرائيل . وعدم ادماء كرامتها القومية ؟

- هل هو اتاحة الفرصة لبيجين ليعيد ترتيب اوراقه وحساباته وليتحرك من جديد في ساحة السلام التى اعلن الرئيس السادات بدبلوماسيته الذكية انها مفتوحة وقائمة . وان الفرصة مستمرة وسانحة ؟

الواقع ان الولايات المتحدة فيما يبدو لى تسعى الى الاختيار الثالث ..

بيجين الجبار

واذا كان بيجين الجبار قد شخط في مجلس وزرائه فانصاع فان هذا ليس معناه ان المجلس لا يعاني من التمزق والشقاق فمن قال ان وايزمان يوافق شارون على سياسة الاستيطان والاستمرار في بناء المستعمرات .. ومن قال ان وزراء الحركة الديمقراطية للتغيير يوافقون على الاستمرار في العناد حتى تضيع فرصة السلام ؟ ..

واذا كان بيجين امتص سخط الشعب الاسرائيلى عليه بهجمته البربرية على لبنان فعادة الحكام الذين يحسون بالاهتزاز أن يجمعوا قلوب شعوبهم على صد خطر خارجي . أو .. شن حرب على الحدود - راجع تصرفات بومدين والقذافى والاسد - واذا كان بيجين قد اثار كرامة

الشعب الاسرائيلى ضد كارتر لان الاخير ـ بدأ يضغط على اسرائيل .. فليس معنى هذا ان الشعب الاسرائيلى سوف يسمح لبيجين بتضيع فرصة السلام أو فرصة المفاوضات المباشرة مع زعيم عربى ..

هذه هى الايام التى يحس فيها بيجين بدفء الانتصار في داخل اسرائيل .. ولكن ماذا بعد الانتصار ؟ اقول : بعد الانتصار .. بعد رفض وساطة امريكا ، بعد اهدار زيارة السادات للقدس ، بعد سحق غصن الزيتون وسحق حمامة السلام سوف يعود شعب اسرائيل الى الخوف .. فالحرب هى البديل الوحيد للسلام .. ومهما بلغت قوة اسرائيل او مهما بالغت اسرائيل في تصوير قوتها فان الشعب الاسرائيلى الذى ذاق طعم الهزيمة في عام ١٩٧٣ أصبح يؤمن بأن الحرب « الا ما علمتم وذقتم » وأن النصر .. حتى النصر سوف يكلف اسرائيل غاليا ..

واذا كانت اسرائيل ـ ومعها دول الرفض ـ تغالط وتقول إن مصر سعت الى السلام لان حالتها الاقتصادية لا تصلح قاعدة لحرب .. فان المؤكد ان الحالة الاقتصادية في اسرائيل تدهورت الى وضع لم يكن اسرائيلى واحد يتصوره وهو ينتخب بيجين ليكون بطلا منقذا للاقتصاد الاسرائيلى بعد ان عاث فيه حزب العمل فسادا .. ان التضخم في اسرائيل يصل الى معدل ٥٠ ٪ سنويا ، والشعب الاسرائيلى يتعرض لضرائب خانقة ، ومع مواجهة احتمال نشوب حرب خامسة وهو احتمال يشل حركة الهجرة الوافدة ويزيد حركة الهجرة الرافضة فان الانهيار الاقتصادى يستمر بغير توقف ..

وقد انخفض سعر الليرة الاسرائيلية ٤٠ ٪ من قيمتها ، وزاد الطين بلة أن الحكومة الاسرائيلية خفضت دعمها للسلع الاساسية ، وقد ادى الامر الى المطالبة بازدياد الاجور .. واندلعت الاضرابات وفشلت الحكومة فيما وعدت به الناخبين .. فشلت في تصفية الشركات الحكومية وبيعها ، وقد اعترف بيجين بأن حكومته تمر بمأزق واعترف بأنه يعانى من الفوضى

داخل مجلس الوزراء واعترف بأن هيبة الحكومة داستها الازمة الاقتصادية .. ففقدت الاحترام الذى فقدته حكومة رابين سلفه. فانهارت ..

وقد تناولت الاضرابات قطاعات من الشعب الاسرائيلى لم تفكر في الاضراب مرة واحدة من قبل ..

- فقد أضرب القضاة .. قالوا لمن القاضى الذى لا يحس بالعدل لا يمكن ان يقدم العدل للناس ..
- وأضرب عمال المطارات وشلت المطارات وأضرب عمال السفن التجارية .. وتوقف الاسطول الاسرائيلى . ولان اسرائيل لا منفذ لها الا الطائرة والسفينة لأنها جزيرة في بحر اعدائها من كل جانب فان توقف الطائرة والسفينة يصيبانها في الصميم ..
- وأضرب عمال شبكات الاذاعة .. هؤلاء يطالبون برفع الاجور الى ٥٣٠ ٪ لتتناسب مع الزيادة المجنونة في الاسعار ..

وحين التقى اصحاب الاعمال مع مندوبى العمال في الهستدورت - وهو اتحاد نقابات العمال في اسرائيل الباقى الى الان في قبضة حزب العمل .. حدثت بين الاثنين مواجهة ضارية حول مفاوضات الاجور وقال اصحاب الاعمال إن ما يطالب به العمال سوف يعجل في التضخم ويضاعفه ويفرغ الخزنية ويخلق البطالة .

ويقال طبعا إن الهستدروت يضغط على بيجين لحساب حزب العمل ..

والاكثر من هذا ان الجريمة في اسرائيل تفشت بشكل لم يسبق له مثيل واصبح في اسرائيل مافيا - على الطريقة الامريكية - لها رأس مال موزع في اوجه نشاط عديدة ويقدر بخمسمائة مليون دولار .. هذه المافيا

لها قبضة قوية في اسواق الماس والفندقة والمبانى والخضروات واللحوم والمخدرات والنساء .. وهى تحاول الان ان تفرض نفسها على عالم المسرح والسينما وعلب الليل ..

وهذا كله يثير السخرية .. فالشعب الاسرائيلى انتخب بيجين لانه الارهابى ذو الذراع الحديدية .. ولكن يبدو انها ذراع حديدية ضد السلام وليست حديدية ضد اسباب المرارة والمعاناة داخل اسرائيل ..

اقول إن بيجين يحاول ان يمتص هذا كله بخلق الذرائع لمعارك المواجهة مرة في لبنان ومرة في امريكا .. حتى ينسى الشعب الآمة .. ويجمعه على الخطر القادم من الخارج في شكل هجمة فدائية .. او « ضغطة » أمريكية ..

هذه هى اسرائيل من الداخل ..

هذه هى اسرائيل بيجـــين ..

أيام بيجين معدودة

إن من المعلقين من يقول إن ايام بيجين اصبحت معدودة ويمكن للحكومة الامريكية ان تقف على بعد وتدع بيجين يسقط ..

وقد كتب جيم اندرسون المعلق السياسى لوكالة اليونيتد برس يقول : « ليس في تاريخ بيجين ما يشير الى انه من ذلك الطراز من الناس الذين يغيرون رأيهم تحت أى نوع من الضغوط . كما ان بيجين كان سجينا في معسكرات العمل السوفيتية وزعيما لجيوش ارهابية سرية .. ويحمل وجهة نظر شبه صوفية حول آمن اسرائيل ونتيجة لذلك كله فان المسئولين الامريكيين يصرحون بأنهم توصلوا الى اهمية ان يحل شخص اخر محل بيجين اذا كان لابد من استعادة قوة الدفع المفقودة في مفاوضات السلام المصرية الاسرائيلية .. ان نهاية بيجين يمكن ان تكون على اساس افتراض ان الاكثرية ضد إهداره لفرض السلام . وعلى اساس

ضعف الاتجاه التقليدى الموالى لاسرائيل عند الرأى العام الامريكى والكونجرس » ..

ولكن ماذا تتوقع من بيجين بعد هذا كله ؟

ان الانباء القائلة بأن عزرا وايزمان سوف يزور القاهرة قد تبشر بخير .. ولكن هل مجرد زيارته للقاهرة تفتح الطريق اذا كانت المواقف الاسرائيلية هى ؟ ان صحيفة « دافار » وقفت وقفة شجاعة حين قالت إنها تعتقد ان مشروع بيجين للسلام - الذى عرضه على الرئيس كارتر يوم ١٦ ديسمبر - قد اجهض تماما في لقاءين بين كارتر والسادات في اسوان وكامب ديفيد .. وإن المطلوب من اسرائيل ان لا تخرج من المأزق الا اذا قدمت مشروعا جديدا متغيرا شكلا ومضمونا عن المشروع السابق . وعلى اساس من الدروس المستفادة من اربعة اشهر من المباحثات ..

وتنصح صحيفة دافار بمراعاة مايلى في التحرك الذى تقترحه :

- ألا يبدأ بيجين من حيث انتهى بل يقدم مشروعا يصلح اساسا للمفاوضات والتنازلات المتبادلة والا يفاخر بانه يقدم مشروعا اخيرا يرفض كله أو يقبل كله ..

- ان مصر لا ترغب في الوصول الى اتفاق سلام مع اسرائيل قبل ان تلتزم اسرائيل بحل المشكلة الفلسطينية برمتها ..

- ان الاتفاق مع مصر يمكن ان يكون تاليا للاتفاق مع الاردن وسوريا .. اى على بيجين ان يواجه الجبهة الشرقية .. اى على بيجين ان يقدم مشروعا جديدا للسلام يشمل اولا واخيرا حل المشكلة الفلسطينية برمتها وتأجيل اتفاقية السلام مع مصر والانسحاب من سيناء ..

فهل يجتاز بيجين مرحلة التفكير في مشروع جديد ؟

وهل تلقى من الولايات المتحدة فكرا جديدا يعنيه على المضى فيما توقف ويدفعه الى الاسراف فيما ضيع .. واستعادة امل العالم في السلام .. الصعب ..

وقد جاء الى القاهرة الدكتور اشرف غربال سفير مصر في واشنطون حاملا رسالة من الرئيس كارتر فهل في الرسالة مشروع امريكى يلتزم المبادىء المتفق عليها بين مصر وامريكا .. مشروع تعلنه امريكا .. ثم تسعى لفرضه .. ويضرب كارتر عرض الحائط بكل الضغوط اليهودية عليه وينفذ ما يمليه ضمير المتدين .. الذى اصبح ينسجم مع ما يقوله

الشارع الامريكى .. ويتفق مع نبض الكونجرس الامريكى ..

هل تقوم امريكا بدورها المأمول . وتفرض السلام حتى لا تفرض اسرائيل الحرب .. وتنقذ السلام حتى تبقى على مصالحها ، وتبقى على احترام العالم لها ؟ ..

٢٧ ـ أيام الانتظار

● العالم كله ينتظر ! إن مبادرة الرئيس السادات التاريخية تكاد تطوى شهرها الخامس ولم يستطع مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل أن يرقى الى مستواها .. أو يتجاوب معها . ان مسئولا أمريكيا صرح بأن الادارة المريكية مجمعة على عدم الرضا عن بيجين وسياسته . فقد بدأ منذ أربعة أشهر غير قادر على انتهاز الفرصة النادرة التى أتاحها السادات للسلام بزيارته للقدس . والآن ـ كما يقول المسئول الامريكى ـ تعتقد قلة ضئيلة أن بيجين هو الذى يمكن أن يفعل شيئا . فهو يناقش كثيرا في كل شىء . ويصر على العناد .. وهناك أجماع في الادارة الامريكية على أن بيجين لا يعرف العطاء .

والموقف في الولايات المتحدة هو حالة الانتظار ! فبعد عودة بيجين بخفى حنين من رحلته الى واشنطن كان لابد أن يفعل شيئا يستعيد به العلاقة الطيبة مع الادارة الامريكية ولكن الواقع أن بيجين فعل شيئين ..

يشبهان في مجموعهما العطاء بيد والأخذ باليد الاخرى . فتكون المحصلة في النهاية صفرا ..

ففى جلسة الكنيسيت ردد مناحم بيجين كل تصريحاته التقليدية المتمثلة في اللاءات .. لا أنسحاب من الضفة الغربية وغزة.لا أنسحاب من المستوطنات لا دولة فلسطينية . واذا كان بيجين قد ظفر بتأييد سياسته في الكنيسيت بأغلبية ٦٤ صوتا - من ١٢٠ - فإن هذا لا يعنى أنه خاض جولة بدأ فيها الربح من أول لحظة . انه بذل مجهودا جبارا ليجمع الصفوف . وسهر ليلا بطوله يلتقى بأعضاء الكنيسيت ويقنعهم بأن هذه لحظة للتاريخ .. لأن سقوطه معناه نجاح أمريكا في الضغط عليه . ونجاح العرب في أثبات التمزق داخل اسرائيل . بل وضياع هيبة الحكومة الاسرائيلية في عين العالم كله ..

ورغم هذا .. فان شيمون بيريز شن على بيجين حملة وصفت بأنها أعنف ماتعرض له بيجين . بل وأعنف ماقيل تحت سقف الكنيسيت . فقد قال بيريز إن حكومة بيجين قد خلقت حالة من سوء الفهم الشديد مع الحكومة الامريكية . وأضعفت تأييد الكونجرس والرأى العام الامريكى . ونجحت في تمهيد الطريق لحصول مصر والسعودية على طائرات امريكية مقاتلة . وأستطرد بيريز قائلا لمن سياسة بيجين قصيرة النظر لأن أغلبية الشعب الاسرائيلى لا تتفق مع سياسة بيجين . أغلبية الشعب الاسرائيلى تريد تقديم تنازلات في الارض . وعلى كل الجبهات ولا يمكن لمفاوضات السلام أن تحرز تقدما الا اذا وافقنا على مبدأ الوصول الى حل وسط في شأن الاراضى في الضفة الغربية لنهر الاردن ..

وقال بيريز : « اذا كانت أهداف الرئيس السادات خلق نوع من الشقاق بين اسرائيل والولايات المتحدة فان حكومة بيجين قد ساعدته على انجاز هذه المهمة » . ثم حمل بيريز على بيجين لان سياسته تحول دون استئناف المفاوضات مع السادات !

فوز بيجين بأغلبية الكنيسيت كان رد فعل العناد بعد زيارته لواشنطن .. ولا شك أن هذا الفوز يمكن أن يضيف الى عناده عنادا جديدا .. ويصل بالموقف كله الى الطريق المسدود .. ولكن بيجين أراد أن يفتح ثغرة في الطريق المسدود . أراد أن يوهم العالم كله .. وخاصة الرأى العام الأمريكى أنه يسعى للسلام ولا يغلق في وجهه الابواب فأرسل وزير دفاعه عزرا وايزمان الى القاهرة .. في محاولة لمد الجسور .. واستئناف المفاوضات وصرحت المصادر المصرية أن زيارة وايزمان لم تسفر عن جديد .. اما تل أبيب فقد أذاعت أنْ الزيارة لم تنجح .. ولكنها أيضا لم تفشل ..

شعبيته في نزول !

ولكن شعب اسرائيل الذى طال انتظاره وطال قلقه .. هو الذى فتح الثغرة الحقيقية في الطريق المسدود . إن ثلاثمائة من ضباط الاحتياط الشبان ـ ومنهم من حقق رتبة كولونيل ـ طالبوا باستقالة بيجين أو تغيير منهجه بشأن المستوطنات . وسرعان ما اندلعت بهم مظاهرة من ٤٥ ألف اسرائيلى ـ وهذا عدد هائل اذا عرفت أن بكان تل أبيب أقل من نصف المليون .. وقد حملوا لافتات السلام ! إن هذه المظاهرات تهز اسرائيل الآن . وقد صرح سمحا ايرلنخ وزير المالية بأنه يشم رائحة الانقلاب العسكرى في تحرك ضباط الاحتياط .. وتسرى مبادىء جماعة « السلام الآن » التى تكونت في اسرائيل بقيادة شخصيات مرموقة .. اجتماعية وفنية بين الاسرائيليين بسرعة كبيرة تقض مضجع بيجين الذى أثبتت احصائيات معهد يورى أنه يفقد ١٠ ٪ من شعبيته في كل شهر يمر منذ ديسمبر .. وأن هذه الشعبية هبطت بانتظام من ٧٩٪ في ديسمبر عام ١٩٧٧ .. الى ٦٩٪ في يناير الى ٥٩٪ في فبراير .. ومعنى هذا .. أن بيجين في الشهور القادمة لا يستطيع أن يحظى بالاغلبية المطلقة للشعب

الاسرائيلى .. وهذا هو المؤشر الهام الجديد في اسرائيل اليوم .. ان مجلس الوزراء مجموعة من رجاله منهم من هو حريص على كرسى الحكم .. وحتى جماعة أنصار التغيير انقسموا على أنفسهم فذهب بعض مع بيجين وعارضه البعض .. ولكن في اطار المناقشات الداخلية وراء الابواب المغلقة . والكنيسيت وهو يؤيد بيجين يريد أن يستمر ويكمل دورته الحالية لأن سحب الثقة من بيجين قد يؤدى لانتخابات جديدة .. إن مجلس الوزراء والكنيسيت يعبران عن الشعب الاسرائيلى قبل مبادرة السادات .. أما بعد المبادرة فقد سرى تيار من الاعتدال مع موجة عارمة من الأمل في السلام .. هذا التيار وهذه الموجة عبر عنهما الشعب الاسرائيلى قبل وصول اللجنة السياسية الى القدس بلقاء في أحد مسارح تل أبيب انتهى بمظاهرة تهتف للسلام .. وعبر عنهما الشعب الاسرائيلى بمظاهرة هائلة تهتف للسلام .. السلام الان !

وثمة دلالة أخرى لنوعية المنضمين لجماعة « السلام الان » .. ان غالبية منهم من الشبان الذين يدفعون الثمن الحقيقى للحروب من دمائهم .. ان ضباط الاحتياط الشبان مثل .. وطلاب الجامعة مثل آخر ، فمنذ فترة وجيزة ارسل ثمانون طالبا جماعيا برقية الى بيجين يعتبرونه فيها مسئولا عن اراقة دمائهم لو قامت حرب جديدة نتيجة لرفض تسليم الاراضى المحتلة والسماح بانشاء دولة فلسطينية . وقد هاجم وزير التربية هؤلاء الشبان . وقال : هناك دائما أقلية تافهة تتساءل بشأن حقنا المشروع في المطالبة بأرض اسرائيل .. ولكن من الصحفيين الاسرائيليين المعتدلين من انتقد لهجة وزير التربية وقال : ان وزير التربية عضو الحزب القومى الدينى ومؤسس في جماعة جوش أمونيم .. فكيف نترك لرجل مثل هذا ان يتولى مسئولية تربية أولادنا ؟ ..

أن بيجين يهتز في نظر الشعب الاسرائيلى .. انه يتصور أن بمواصفاته الصقر الارهابى نجح في الانتخابات . والحقيقة أنه نجح لان

حزب العمل تمزق وانقسم . ان اليقين عند الشباب أنه سيأخذهم الى حرب .. وهم لم ينسوا أهوال حرب ١٩٧٣ ان العجائز من الملتزمين بآيات الثورة يحبون بيجين لانه حارس عنيد لارض الميعاد . ولكن هل يبقى هذا الحب وهم يرون فرصة السلام تتبدد . ان الصورة العامة لاسرائيل انها تتمزق . شبابها ضد شيوخها . المعتدلون فيها ضد المتطرفين والمتطرفون بالمناسبة قاموا بمظاهرة أخرى أخيرا . فقد ارتدى خمسة عشر من جماعة رابطة الدفاع اليهودية أقنعة بوجه بيجين . وهاجموا السفارة الامريكية في محاولة لمقابلة صموئيل لويس .. السفير الامريكى في تل أبيب للاحتجاج عنده على انحياز كارتر للعرب ..

فالانتظار يمزق اسرائيل . والقلق يطلق المظاهرات فيها وكل يوم يمر يضاف الى مرارة الانتظار . وتوترات القلق ..

ان عزرا وايزمان طالب بحكومة ائتلاف وطنى .. عزرا يمثل الآن صورة معتدلة للاسرائيلى الذى لا يريد تضييع فرصة السلام .. أنهم يقولون عنه أنه صقر قديم ولكنه اكتوى بالتجربة . فهو الذى كتب في مذكراته بعد الانسحاب من غزة عام ١٩٥٦ يقول : « ان غريزة شيطانية تملكتنى ان أطير فوق العريش على مسافة منخفضة جدا . وقد ركضت بين النخيل واسرعت في الطيران فوق المنازل والابنية بأمتداد مخيف في القلب . وكنت على وشك ان أصرخ نحن عائدون .. واذكروها .. نحن عائدون » .. والذى جعله معتدلا هو نكبته في ابنه الذى جرح في حرب الاستنزاف . أنه هرع الى السادات لما زار القدس . كان قد أصيب في حادث سيارة .. وكانت قدمه في الجبس ولكنه ذهب للقاء السادات على عكازين .. أتمثله في كل مرة يجىء للقاهرة قادما على عكازين من الموقف الحرج الذى هو فيه .. أنه يلف ويدور وعلى شفتيه ابتسامة . ثم لا يجد جديدا يقوله لانه مكبل في النهاية بوجهة نظر بيجين . انهم يقولون لا فرق بين عزرا وبيجين . الا في أداب الحديث . واداب المفاوضات . يتقنها الاول ويجافيها الثانى .. أو تجافيه ..

مرة أخرى الى واشنطن

ومن أجل هذا سوف يجيء وايزمان كثيرا الى القاهرة .. لأن زيارته للقاهرة تسكن أعصاب المتوترين في أيام الانتظار . وتمتص قلق القلقين في أيام لا تعرف لها نتيجة .

ان الثغرة التى يشقها الشعب الاسرائيلى في الطريق المسدود هى الأمل الوحيد الباقى في مبادرة السادات . ان كارتر قالها بعد فشل محادثاته مع بيجين ، قال : « ان بيجين وهو يعود لاسرائيل يواجه تحديا يتمثل في كيفية توفير الأمن لشعبه ـ ان لدية فرصة لتحقيق هذا الأمن عن طريق اقرار سلام حقيقى وتاريخى . وينبغى عدم السماح بضياع هذه الفرصة في دائرة الكراهية والعنف اللذين أصطبغ بهما تاريخ الشرق الأوسط على مدى ٣٠ عاما الماضية . واللذين شهدنا عودتهما الى الظهور مرة أخرى » .

وقد توقف بيجين في نيويورك حتى يلتقى بمتطرفي الصهيونية فيها قبل ان يطير الى اسرائيل ! أن الكسندر شاندلر جمع المنظمات الصهيونية في حفل لتكريم بيجين في فندق والدورف استوريا . وفي هذا اللقاء غالط بيجين من جديد فقال ان مصر هى التى قطعت مفاوضات السلام وليس اسرائيل . واسرائيل هى التى قدمت مشروعا للسلام وليس مصر ! وخطب الكسندر شاندلر ليثنى على بيجين ويقول أنه زعيم يستحق التأييد .. ليس من جانب شعب اسرائيل فقط ، بل من كل يهود العالم .. وقد قيل لمن شاندلر أراد أن يقول لكارتر لمن كل يهود أمريكا مع بيجين . ولكن الواقع أن بيجين يحس في قرارة نفسه أن يهود أمريكا انقسموا .. مثلما انقسم يهود اسرائيل . والضغط عليه من جانب يهود امريكا قد اخذ شكل التصريحات الحاسمة من أعضاء الكونجرس .. والضغط عليه من يهود اسرائيل يأخذ الان صورة المظاهرات ..

واذا كان بيجين يحاول ان يعالج الضغط بأرسال عزرا وايزمان الى القاهرة . فانه أرسل وزير خارجيته موشى ديان الى بوخارست حيث التقى بشاوشيسكو . كأنه يريد أن يقول لكارتر « لست وحدك في ميدان الوساطة » . وبعد ذلك بأيام يطير موشى ديان الى واشنطن مرة أخرى ..

وقد صرح السناتور جاكوب جافتس في مطار بن جوريون بأن بيجين سوف يزور الولايات المتحدة في مايو ١٩٧٨ .. وقد اقترح جافتس تكوين لجنة امريكية اسرائيلية على مستوى الشئون الخارجية كمحاولة لستوية الخلاف في الاراء بين البلدين حول مفاوضات السلام ..

وفي تصريحات جافتس مؤشرات جديدة .. وهى تطرح السؤال التالى :

- هل يمكن ان يذهب بيجين الى واشنطن للمرة الرابعة منذ تولى الحكم . ومرة ثانية بعد تخلافه الحاد مع كارتر .. هل يمكن ان يذهب بموقفه أن أنه سيذهب بحل حقيقى ؟

واللجنة الامريكية الاسرائيلية التى يقترحها جافتس تعكس حقيقة خوف يهود أمريكا من أصرار ادارة كارتر على موقفها .. وخوفها من اصرار بيجين على عناده . لان هذا ليس ضد اسرائيل وحدها . بل أيضا ضد يهود أمريكا عندما يصطدم ولاءهم لاسرائيل بولائهم لامريكا .

أما في الساحة العالمية التى تراقب موقف بيجين بقلق فان مصر تحظى بتأييد كامل . واجماع مطلق على أنها قدمت الفرصة التاريخية . وبيجين يدمر هذه الفرصة . إن جورج براون وزير خارجية بريطانيا السابق صرح بأن بيجين يعود بأسرائيل الى طريق الكوارث وعليه أن يقبل القرار ٢٤٢ كأساس للتسوية . أما ديفيد أوين وزير خارجية بريطانيا الحالى فإن كتب مقالا

عنوانه « البحث عن السلام » في صحيفة الجويش كرونيكل قال فيه :
كما يفهم الكثيرون لماذا قاتل اليهود من أجل اسرائيل فاننا قد بدأنا نفهم لماذا يقاتل العرب من أجل فلسطين · إن القضية لا تخضع للعقل والمنطق وحدهما . فالحيوانات والبشر يقاتلون للحصول على الأرض . وإن هم حصلوا عليها فأنهم يقاتلون للاحتفاظ بها . واذا هم فقدوها عادوا للقتال لاستعادتها . وفي اسرائيل الآن أدراك عام بانه اذا ضاعت هذه الفرصة فان الرأى العام العالمى سوف يلقى اللوم عليهم لعدم انتهازهم الفرصة المتاحة لهم لإقرار السلام في الشرق الأوسط ·· والان وقد تلاشت فورة السرور الحماسية الأولى . واخذت الصعوبات في الظهور فان هناك ميلا عاما مفهوما . للاحساس بشىء من الأحباط . والتساؤل عما اذا كانت مبادرة الرئيس السادت سوف يكون

مصيرها ان تدفن في الرمال . ولست اعتقد ان هذا أمر لايمكن تلافيه ولست مفرطا في التفاؤل . انما اشعر بتفاؤل حذر . ومنذ اسابيع قليلة تمكنت مصر واسرائيل من انقاذ جهود السلام بعد أن كانت على حافة الهاوية . ولحسن الحظ فأن المصريين والاسرائيليين يسألون انفسهم هل يمكن لمن يرغبون في السلام منا ويريدون التوصل الى تسوية من خلال التفاوض ان يتحملوا السماح بفشل هذه المبادرة · اننا بحاجة الى تجديد الاصرار على احياء مبادرة السادات والبناء على أساسها . وينبغى ان نجد طريقة لاعادة قوة الدفع لهذه المبادرة ·

وآخر ما تطرحه اسرائيل من مستوى التفاوض في المرحلة القادمة قد يختلف · انه كان يمضى في قناتين : عسكرية وسياسية . ولكنه في المستقبل قد ينحصر في اتصال مباشر يقوم به البروفسير أهارون باراك مستشار بيجين ·

ولكن عزرا وباراك ·· ولكن ديان وبيجين ·· كل الاسماء لا تهم . المهم هو الموضوع ! هل اسرائيل على استعداد لان تقبل السلام العادل .

تقبل قرار ٢٤٢ أساساً للتسوية وتنسحب من غزة والضفة الغربية ، وجولان وسيناء ، وتقبل حق الفلسطينيين في تقرير مستقبلهم ، لكى تعيش بعد ذلك في أمن مع الجيران ، لان هذا هو الامن الوحيد الامن ، والامن الوحيد الباقى ·

القضية هى الموضوع ·· والقضية ليست الاسماء ·· لان القضية قضية مبادىء ، وليست قضية من يقول ومن يوقع ؟ ·

٢٨ ـ كارتر على طريق القوة

تحدثت واشنطن عن احتمال لقاء ثلاثى بين كارتر والسادات وبيجين في الاسبوع الأول من مايو ١٩٧٨

قيل إن الرئيس السادات مدعو لمؤتمر الناشرين في أتلانتا عاصمة ولاية جورجيا ـ وهى ولاية كارتر ـ لأنهم يريدون أن يقدموا إليه جائزة السلام بعد أن اختاره كل أصحاب القلم .. .. وملاك الورق .. رجل السلام لعام ١٩٧٧ . ولكن المصادر المصرية نفت أن الرئيس سيذهب الى الولايات المتحدة في هذا الموعد .

ومن قبل .. بعد أن فشلت مباحثات كارتر وبيجن قيل أن كارتر لابد أن يلتقى بالسادات للبحث عن خطة للأبقاء على مبادرة السلام .. ولم يتأكد الخبر !

أما خبر ذهاب بيجين إلى أمريكا فقد تأكد وأصبح يقينا والسبب في الزيارة هو حضور احتفالات اليهود الأمريكيين

بذكرى مرور ٣٠ عاما على انشاء اسرائيل .. وتجرى استعدادات اليهود - على قدم وساق - لإقامة احتفالات مبهرة للشعب الامريكى - وإعداد استقبالات لبيجين - وكأنه فتح عكا - وكأنما تريد المنظمات الصهيونية أن تخرج لسانها لكارتر وتقول له إن بيجين مازال يتمتع بتأييدها .. على أن هذا الذى ستفعله المنظمات الصهيونية أن تخرج لسانها لكارتر وتقول له ان بيجين مازال يتمتع بتأييدها ..

على أن هذا الذى ستفعله المنظمات الصهيونية لن يغير من

الحقائق التى استقرت عند رجل الشارع الامريكى .. ولن يغير من واقع أن التمزق قد سرى بين يهود أمريكا نتيجة لسياسة بيجين .. وقد التقت ليندا تشارلستون - وهى صحفية يهودية - بعدد من أهم زعماء اليهود والمنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ولخصت أحاديثها معهم كما يلى :

● اعترف زعماء اليهود - ومن بينهم الحاخام الكسندر شاندلر رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات الصهيونية الكبرى بوجود الشقاق داخل تلك المنظمات حول سياسة اسرائيل الحالية .

● يمر اليهود الامريكيون بأزمة نادرا ما تعرضوا لها من قبل ولهذا يشعرون بالقلق والحيرة والغضب بسبب سياسة اسرائيل وسياسة الولايات المتحدة . وأسباب الأزمة هى انتخاب مناحم بيجين رئيسا للوزراء ، ثم تبلور سياسة كارتر نحو الشرق الاوسط بشكل يختلف عن سابقيه ،كما أن مبادرة الرئيس السادات السلمية أحدثت أثارها على موقفهم التقليدى المؤيد لاسرائيل بدون مناقشة ..

● حاول بعض زعماء المنظمات اليهودية الدفاع عن بيجين على أساس أن موافقه ليست نهائية ، وأنها مواقف قابلة للتفاوض ولكن الغالبية العظمى من اليهود أعربت عن تخوفها من تعنت بيجين وتشدده .

• أعرب عدد من زعماء اليهود عن عدم رضائهم على سياسة الرئيس كارتر نحو اسرائيل ، وانه فقد كثيرا من التأييد بين أفراد الجالية اليهودية بسبب سياسته في الشرق الاوسط .

• وأعرب عدد آخر من زعماء اليهود عن أملهم في أن يقتصر دور كارتر على الوساطة وليس التحكيم .

• والموضوع الوحيد الذى التقى عليه كل زعماء اليهود هو أمن اسرائيل دون تحديد لمفهومه ، وقد انتقد عدد منهم سياسة اسرائيل تجاه الفلسطنيين ، وقالوا ان حل مشكلة الامن في اطار السلام ممكن .

وقد قيل ان الرئيس كارتر يبدو مصمما على مواجهة كل القضايا السياسية الخارجية العويصة بغض النظر عن النتائج السياسية ، وأن هناك تغيرا في موقفه الان بالمقارنة الى السنة الاولى من رئاسته ، بدليل هذا الفارق في نتائج لقائه مع بيجين في ديسمبر ١٩٧٧ ولقائه معه في مارس ١٩٧٨ ، ففى اللقاء الاخر لم يحاول كارتر تلافى خلافاته مع بيجين ، أنه واجهها واتبع خطا متشددا في مواجهتها - بغض النظر عن المعارضة في الكونجرس أو في أى مكان اخر ..

ويدخل في الخط المتشدد الذى ينتهجه كارتر الان تصريحه في ونستون سالم الذى حذر فيه السوفييت من أثر دورهم في أفريقيا على سياسة الوفاق ، وتصريحه برفع الحظر عن توريد السلاح الى تركيا برغم اعتراض مؤيدى اليونان ، وكذلك تصريحاته الجريئة حول قضية بناما وجنوب أفريقيا مما يجعله يواجه المشاكل مع كل جماعات الضغط التى تحتاج الى تأييدها في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ ، وقد فسر المعلق جيمس رستون هذا الموقف الجديد لكارتر بأنه استجابة لنصيحة مساعديه الذين راعهم الانطباع الذى ساد عن كارتر في العام الأول بأنه متردد ، وبأنه يتراجع عن مبادئه التى يعلنها ، ويبدو أن كارتر الآن توقف عن محاولات التوفيق بين مبادئه

السياسية ومصالحه السياسية . وأنه مصمم على دخول المعارك بغض النظر عن نتائجها · ويعتقد رستون أن هذا الموقف الجديد يدعم مركز كارتر أكثر مما كان في الماضى حين كان يحاول إرضاء الجميع !

على ان من المعلقين الامريكيين من « يشوشرون » على كارتر . ويحاولون تهديده من طرف خفى في مقالات تشاؤمية . وأصحاب هذه النبرة من اليهود . وقد كتب ديفيد برودر في الواشنطن بوست مقالا قال فيه ان الشهرين الاخيرين من هذا العام والشهر الاول من العام القادم ـ ١٩٧٩ ـ سيكون لها أهمية خطيرة في حياة الرئيس كارتر السياسية اعتمادا على الحقائق التالية :

● احتمال تدهور الموقف الدولى بازدياد التوتر بين موسكو وواشنطن . وفشل محادثات السلام بين مصر واسرائيل . وخطر تفجر الصراع في روديسيا .

● احتمال تصويت الكونجرس بغالبيته من الديمقراطيين ضد كثير من مشروعات كارتر خوفا من تأثير تدعيمهم لسياسة الادارة على فرصهم الانتخابية في نوفمبر ١٩٧٨

● احتمال تدهور الموقف الاقتصادى بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية ومشاكل التجارة الخارجية وتدهور الدولار وما يعنيه ذلك من مشاكل مع دول الأوبك التى ستحاول رفع أسعار البترول .

وقال برودر أن المراقبين السياسيين يتوقعون أن يلجأ كارتر لتغيير بعض معاونيه في محاولة لإصلاح صورة البيت الأبيض . ولكنه سوف يضطر في النهاية للاختيار الضاغط بين أن يتسيس وبالتالى يتخذ قراراته على ضوء المكاسب أو الخسارة التى تنعكس على زعامته . أو أن يستمر في القفز من قضية الى أخرى ومن أزمة الى أزمة كما يفعل

حاليا . وفي أى الحالات فان على كارتر أن يتخذ قراره بالنسبة لمستقبله السياسى بين نوفمبر ويناير القادم .. والا فأنه لن يستطيع التحكم في التطورات، بعد ذلك لان التطورات سوف تتحكم فيه ..

لا يتلاعب بالجغرافيا !

وتقف صحفية كريستيان ساينس مونتور مواقفها المعتدلة . فترفض التنديد بكارتر وتذكر دائما بأن التنديد ببيجين هو ما يمكن أن يجعله يثوب الى رشده . وأن يتخذ قراره بالنسبة لمستقبله السياسى . فالحكومة الامريكية مقتنعة تماما بأن بيجين يجعل التوصل لتسوية سلمية أمرا مستحيلا بسبب تشدده . وهذه قناعة الترويكا الامريكية ـ كارتر وفانس وبرزنيسكى ـ ويشاركهم في اقتناعهم أصدقاء اسرائيل من أصحاب النفوذ في الكونجرس . وهذه القناعة أدت الى أن تعيد الولايات المتحدة الامريكية النظر في التزامها التاريخى بالوقوف بجانب اسرائيل مهما حدث . وان ذلك الالتزام أصبح أمرا مشكوكا فيه . وبالتالى فان الرئيس كارتر يتوقع أن يزن مناحم بيجين هذا الاحتمال بجدية قبل فوات الأوان عندما يفكر في خطط اسرائيل نحو السلام . وان القرار بالنسبة لبيجين قد يكون الان القرار بالمخاطرة بفقدان التأييد الامريكى .. ووقوف اسرائيل وحدها في المستقبل .

اذن فهذا هو الموقف ـ بيجين يذهب الى أمريكا بعد أن منى بالفشل الذريع في زيارة ٣ مارس . وقد قذف كارتر بطوبة خلفه ـ كما نكسر نحن القلل وراء الضيف الثقيل ـ وأذاع التليفزيون هذا المشهد ولم تنشره الصحف ـ على الفور تحركت المافيا الصهيونية لتمنعه ـ ولكن ها هو بيجين يحزم حقائبه ليذهب .. فهل وراء الرجل العنيد جديد ؟ وهل يمكن أن تعلمه الهزة في الشارع الاسرائيلى .

والغضبة من فريق من اليهود الامريكيين . والتمزق داخل حكومته .. ورسوخ قدم عزررا وايزمان كرجل يسعى حثيثا وبدبلوماسية الدهاء - الى أن يغير عقل بيجين أو يغير بيجين - هل يمكن أن يعلمه كل هذا شيئا لينتهج منهجا معتدلا . أو يفتح ثغرة في الطريق الذى سده أمام فرصة السلام المتاحه ؟ !

ولا يتنبأ الاسرائيليون بأى تقدم في أى لقاء قادم بين كارتر وبيجين . وقد قال مسئول في حزب العمل ان جدل بيجين الراهن مع كارتر يمثل ذروة كفاح استغرق منه عمره كله . وقد يكون على صواب أو على خطأ . ولكنه يثق في قوة معتقداته . وقوة قدراته على اقناع كارتر أو أى شخص آخر بصواب الطريق الذى يسير فيه . ان لسانه أكثر أعضاء جسمه قوة . وهو يؤمن بأرض الضفة الغربية باعتبارها المنطقة الحساسة التى تجسد التاريخ واللاهوت والاستراتيجية .

وقد قال اسرائيلى وهو يعرف خبر سفر بيجين الى أمريكا : « لقد مررنا بنفس التجربة من قبل . لا أريد فتح الراديو . اذ أننا جميعا واقعون في شرك نفس المشكلة القديمة مع العرب والولايات المتحدة . »

وتعتنى الصحافة الامريكية بما يدور في الشرق الاوسط الى أقصى حد . وقد نشرت قول ايجال آلون وزير خارجية اسرائيس السابق بأن بيجين مسئول عن أنه انتهج سياسة غير مسئولة تتسم بالمخاطرة . وبذلك وقع في الشرك الذى أقامه مشروعه . بل وفي نية أعضاء حزب العمل أن يطرحوا على الكنيسيت حالة الثقة في الحكومة . وعلى أية حال فقد رفض بيريز وديان زعماء حزب العمل عرض الاقتراح الذى تقدم به وايزمان من أجل تشكيل حكومة ائتلاف وطنى .

ويسود الاعتقاد في واشنطن بأن التغيير في حكومة اسرائيل حتم وضرورة لاستئناف المفاوضات . يسود هذا الاعتقاد في الدوائر القريبة من الدوائر الرسمية ولكن أحدا لايصرح به . فالبيت الابيض حريص على ألا يجعل من بيجين « شهيدا » . والبيت الابيض شاهد التمثيلية المحكمة

التى قام موشى ديان بتوزيع الادوار فيها ـ فقد أسر للاذاعة الاسرائيلية فور عودته من واشنطن بأن حكومة كارتر تحاول أن تضغط على بيجين لكى يرحل ! وهذا طبعا يثير كرامة الاسرائيليين ، ويجعلهم يدقون المناضد بأيديهم ويتصايحون كيف يريد كارتر أن يحكمنا . كارتر كان في برازيليا لما سمع هذا .. وعلى الفور صرح بأن شيئا من هذا لم يحدث . ولكن جوزيف ساريد من حزب العمل وقف في الكنيست ليقدم طلب احاطة ـ وقد كشف ما حدث ـ ولكن الصحافة الاسرائيلية استمرت في استفزاز الشعب الاسرائيلى على كارتر . وكتب رئيس تحرير صحيفة معاريف « هذه المناورة الامريكية عار سياسى . وعلى واشنطن أن تعلم أن اسرائيل ليست سهلة المنال » !

شالوميت آلونى ـ شعنونة الكنيست . والمرأة التى كونت حزب حقوق المواطن . والتى تتعاطف تماما مع القضية الفلسطينية صرخت من مقعدها : « بل أنا التى أقولها .. على بيجين أن يرحل » !

وتلمح الصحف الامريكية الى عزرا وايزمان على أنه قد يكون رجل المستقبل . لا لأنه يحلم بأن يمضى فترة معاشه في الاسكندرية ! بل لانه رجل يدرك حساسية العرب . وعنده ميل لانتهاج سياسة أقل تطرفا .. بحيث لا تضيع فرصة السلام .

أما أبا ايبان وزير الخارجية الاسبق فقد قال :

« إننا منينا بخيبة أمل شديدة بسبب عمل الحكومة . إن البلاد في نوفمبر كانت تحتفل بلقاء السادات . وكنا نتحدث عن السلام وشروطه . كما كنا نتحدث عن التفاهم مع الولايات المتحدة واسرائيل .. الامر الذى ساعد في أن تزدهر كل الآمال . وفجأة انهار كل شىء . ترى هل بيجين هو المسئول الوحيد عن هذه الازمة التى نشبت بين اسرائيل والولايات المتحدة من جهة . وبين اسرائيل ومصر من جهة أخرى ؟

ويقول أبا ايبان :

- إن المسئوليات مشتركة . إن السادات رجل مثالى . اذ يعتقد أنه قد تم التوصل الى حلول للمشكلات حتى قيل أنه تم حلها فعلا . أما الاسرائيليون فيريدون مناقشة جميع النقاط التفصيلية . ولا سيما في ميدان الأمن قبل ابرام أى اتفاق . والسادات يقول أنه تم حل ٧٠ ٪ من المشكلة . وهذا صحيح إلا إن الـ ٣٠ ٪ لا يزال بلا حل . وأى جسر يقام بنسبة ٧٠ ٪ لا يمكن أن يكون قابلا للاستعمال . ترى هل بيجين هو الذى يعترض على اتمام الجسر ؟

ربما .. أنه ارتكب خطأ نفسيا جسيما ففسر القرار ٢٤٢ تفسيرا غريبا . اذ يعتقد أنه لا يقضى مطلقا بانسحاب القوات الاسرائيلية من الضفة الغربية لنهر الأردن . وهذا يؤدى الى طريق مسدود . إن بيجين تعميه ايديولوجية تمنعه من أن يكون عمليا .. ولا يزال وايزمان يدعونا الى الاشتراك في حكومة بيجين دون تغيير سياسة هذه الحكومة .. غير أن هذه السياسة هى التى تحتاج الى تغيير أولا ..

إن الأمور التى تبعدنا عن الحكومة هى نفس الأمور التى تباعد بينها وبين حكومة مصر وحكومة الولايات المتحدة .

وقد شغلت فانس لقاءاته مع روبرت أوين وزير خارجية بريطانيا لحل قضية روديسيا . ولكنه « رمى طوبة » بيجين بعد أن قال عنه إنه جاء الى واشنطن في المرة الأخيرة وقد عقد العزم على عدم تقديم اية تنازلات في المفاوضات . وفي نفس الوقت فإن الولايات المتحدة قد وقفت أيضا موقفا صارما . واثناء المناقشات طرحت الولايات المتحدة بوضوح سلسلة من الأفكار على رئيس الوزراء الاسرائيلى .. وكان الهدف منها هو جس النبض والاستكشاف . وكانت أمريكا تأمل أن تساعد هذه الافكار اسرائيل على الاقتناع

بأنها سوف تضمن أمنها في مقابل تقديم تنازلات في الضفة الغربية وغزة .. ولكن بيجين الذى بحث هذه الأفكار مع زملائه في القدس رفضها بازدراء ..

ومعنى هذا كله أن الولايات المتحدة تصر على موقفها .. وتواجه اليهود .. وتواجه اسرائيل ..

ومعنى هذا أيضا أن بيجين الذاهب الى واشنطن قد يبقى على تشدده لانه يكسب مرة ، ويخسر مرة في لعبة لا يعرف أحد نهايتها ..

والشارع الامريكى على ما أرى وأسمع هنا مع مصر .. لان مصر كسبت في الساحة الامريكية أرضا فشلت الصهيونية في انتزاعها . والشارع الامريكى هو الذى قال الكلمة الاخيرة في حرب فيتنام مثلا . وهو صاحب الكلمة الاخيرة في الانتخابات .

٢٩ ـ بين بناما والهولوكست

● أفلس اليهودى فقلب في دفاتره القديمة ! رأيت هذا المثل التاريخى يتحقق بحذافيره في الولايات المتحدة . فالصهيونية العالمية أحست بلافلاس . ويهود أمريكا عندما استطلعوا الرأى العام الامريكى بعد رحلة مناحم بيجين الخائبة الى أمريكا في مارس الماضى أحسوا أن شعبية بيجين تنهار بينما يكسب الرئيس أنور السادات شعبية متصاعدة لانه يطرح قضية السلام ويعينها . بينما بيجين يطرحها بعيدا ويلغيها . أفلس اليهودى .. فقلب في دفاتره القديمة .. تقاربت رءوس حكماء صهيون .. أحفاد من وضعوا البروتوكولات الشهيرة في نيويورك وواشنطن ولوس أنجيلوس وبوسطن ـ وقرروا اصدار بروتوكول صهيونى آخر بلغة العصر . بلغة التليفزيون .. ووضعوا ميزانية هائلة لاخراج قصة « الهولوكست » ـ وهى قصة كتبتها نورا ليفين عام ١٩٦٨ . وتدور حول مذابح هتلر لليهود في ألمانيا وبولندا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا . أى هى

قصة صلب اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية . وذلك لكى يذكروا الامريكيين بالجحيم الذى عاشه اليهود .. وبالجنة التى انتقلوا اليها .. ويشرحوا للشعب الامريكى الذى بدأ يتراخى في عطفه على اسرائيل ، ويدين تعنت بيجين .. بأن بيجين يتعنت لانه عاش هذا العذاب كبولندى ، وانه يعيش بعقدة أن من لا يتذكر الماضى فانه محكوم عليه بأن يعيشه من جديد ..

والهولوكست اذن شرح سياسى للموقف الاسرائيلى المتعنت ، والهولوكست يشرح - من وجهة نظر الصهيونية ماذا يمكن أن يحدث اذا وقف العالم صامتا وهو يرى اقلية لا حول لها مهددة بالموت ، وهو بهذا يقدم اسقاطا على موقف اليهود في اسرائيل كجزيرة من بحر الكراهية العربية ، نغمة قديمة أسقطتها مبادرة السادات التى أكدت أن اسرائيل هى التى صنعت بحر الكراهية .. ولكنه افلاس اليهودى !

وقد استغرق عرض حلقات الهولوكست تسع ساعات ونصف الساعة ، على أربعة أيام بدأت بالاحد ١٦ أبريل ١٩٧٨ لانه ذكرى الهولوكست ، وانتهت ليلة الاربعاء وقدمتها الـ (ان بى سى) على قنواتها ، وأصدرت بعض المدارس تعليماتها للتلاميذ بمتابعتها ، وعينت المنظمات الصهيونية من يشرحون لأندية الشباب معنى الهولوكست كذكرى في تاريخ اليهود مثل الخروج من مصر ، ومثل حريق روما ! ووضعت كتيبات شارحة للهدف من الهولوكست عن طريق وضع أسئلة تتناول فلسفة هتلر في عدائه للسامية ، وتستخلص الدروس المستفادة من العرض برمته ، وكتبت الصحف عن الهولوكست وأطنبت ، وشغلت الحلقات الميلودرامية التى أخرجت بأسلوب حسن الامام في الخمسينات ملايين الامريكيين .. خطبة سياسية ساخنة وطازجة صارت حديث الناس في كل مكان .

وقد شاهدت الحلقات .. التى تتحدث عن أسرة الدكتور فايس الذى يعيش محروما من حقوقه السياسية في ألمانيا واريك دورف المحامى في

بولندا . وتحصر الحلقات همها في تصوير هتلر الذى لا هم له الا قتل اليهود وتتناسى أى جانب سياسى أو اجتماعى كمناخ لتلك الفترة فتبدو الحلقات وكأن ألمانيا .. كل ألمانيا لم يكن لها غير مهمة قتل اليهود وحرق السيناجوج بمن فيه . والقتل الجماعى في أفران التعذيب . احتجت ألمانيا الغربية على هذا التصوير في مذكرة قدمتها سفارة بون في واشنطن لان الحلقات لم تفرق بين هتلر كسفاح وبين الشعب الألمانى كشعب كان مغلوبا على أمره في ظل ديكتاتورية هتلر .

وفي طيات الحوار جمل تريد الصهيونية أن تغرسها في الاعماق الامريكية . فحين يحف الخطر برودى زوج هيلينا بعد أن قتل رودى ألمانيا من فرقة العاصفة تقول هيلينا مناجية رودى المتوتر القلق : « نريد حياة خاصة بنا يا رودى .. حيث لا سجن ولا عذاب ولا قتل .. هناك في فلسطين سوف يتحقق هذا الحلم » .

وفي الكتيبات التى توزعها المنظمات الصهيونية مجانا تقرأ عبارات جمعوها من عدد من كبار الامريكيين ، العلمانيين ورجال الدين .. مثل : « اذا كانت محنة أوشفتز - وهو أشهر معسكرات التعذيب - تقول اننا انقطعنا عن الله وعن الامل .. فان تجربة العودة الى أورشليم تقول ان الله لا يخلف وعده . وإن شعبه يعيش هناك . لان سكنى نصف مليون من الهاربين من الهولوكست يمثل كرامة الانسان وقيمته »

وخذ من هذا الكثير !

وخذ منه هذا التحرك الضخم الذى تريد الصهيونية أن تستعيد به مساندة الكنيسة الامريكية لها .. أو بمعنى أدق مساندة بعض الكنائس الامريكية لها ..

وقبل أن أستطرد في هذه « الحركة » الجديدة أقول لك ان المنظمات الصهيونية كانت تتحرق شوقا لمعرفة هل يرى الرئيس جيمى كارتر حلقات الهولوكست أو لا يراها ! قد بدأت يوم الاحد .. وكان الرئيس

كارتر في كامب دافيد .. وقد اتصل واحد من أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى يسأل السؤال مباشرة ! فرد عليه واحد من أعوان كارتر قائلا :

ـ لقد اختار الرئيس أن يرى فيلما مرحا اسمه فتاة للوداع !

وفي اليوم التالى تأكدوا أن كارتر ليس أمام التليفزيون . وفي اليوم الثالث كان كارتر يحتفل بنجاحه الساحق حين وافق الكونجرس على معاهدة قناة بناما . فهل يمكن أن يترك نفسه لغم الهولوكست .. أما في اليوم الرابع فما الجدوى من مشاهدة الجزء الأخير من حلقات لم يتابعها من البداية !

المنظمات الصهيونية تعتقد أن كارتر أصبح واضحا في موقفه منها .. ولهذا تسعى المنظمات الصهيونية أول ما تسعى الى الكنيسة المعمدانية التى ينتمى اليها كارتر . لكى تجدد معها حلفا على أساس أن هذه الكنيسة كنيسة انجيلية تدرس التوراة والعهد الجديد .. ونظرتها لليهودية أخف من النظرة الكاثوليكية وهى ـ أى الكنيسة المعمدانية ـ لا تتفق في نظرتها الى اليهودية مع الكنائس الشرقية التى تقول بل هم الذين قالوا « دمه علينا وعلى أولادنا » ..

نبض امريكا هنا !

تسعى الصهيونية الى الكنيسة الامريكية عامة .. والى الكنيسة المعمدانية خاصة !

تسعى اليها عامة لانها تعرف أن الكنيسة منطلق لكل شىء في امريكا . هذه حقيقة أكدها لى القس روبرت اندروز الذى التقيت به في ليلة فلسطينية حافلة في ديلاوار الامريكية . قال لى القس :

ـ اسمع .. عندكم في مصر رجل سلام يتمتع بشعبية هائلة هنا . ولكنى اعتب عليكم أنكم لا توجهون عناية خاصة للكنيسة الامريكية مع أنها وراء كل الاحداث الكبرى في الولايات المتحدة . والتأثير على

أمريكا يمكن أن يبدأ من التأثير على الكنيسة .. أن أهم حدثين في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية هما الحقوق المدنية وحرب فيتنام .. ولولا تدخل الكنيسة لما صدر قانون الحقوق المدنية . ولا توقفت حرب فيتنام ..

بالدهشة نظرت اليه . فقال :

- اسمع مرة أخرى .. نحن الولاية رقم ١ في أمريكا .. نحن ولاية الدستور الامريكى ، ونحن في منتصف المسافة بين واشنطن ونيويورك .. ولهذا فنحن في موقع القلب ، وهنا يمكن أن تسمع نبض أمريكا .. وصدقنى اذا قلت لك أن نبض أمريكا معكم .. قال

ان الكنائس الامريكية لم تعرف وجهة النظر العربية ، تعرف فقط وخلال ثلاثين عاما أن القضية اسلامية ، فالمسلمون يريدون قتل المسيحيين واليهود ، ولهذا - فمن وجهة النظر الصهيونية التى يقدمونها للكنيسة - المعركة مشتركة .. والمعركة واحدة ، ولهذا تكونت جمعيات كثيرة مسيحية يهودية للدفاع عن اسرائيل !

وقد صاحبت أيام الهولوكست حملة صهيونية في بعض الكنائس المسيحية ، واقول البعض ، لأن الكنائس الكاثوليكية تقف بعيدا ، والكنائس البروتستانتية - لا تتورط وهاتان هما الكنيستان الرئيسيتان في أمريكا .. والصهيونية من زمن بعيد مزقت الكنيسة الامريكية الى حوالى ٣٦ كنيسة حتى يسهل عليها تضليل بعضها ! هذا البعض مشى في موكب الصهيونية ، وعلى باب كنيسة في مانهاتن بنيويورك وقف هنريك برشتين اليهودى وهو في ملابس المعتقل الالمانى - سترة مقلمة رمادية وزرقاء - وعليها رقم ٢٢٧٠٥ ، بينما وضع المصلون نجمة داود على صدورهم دليلا على التضامن مع الصهيونية في أسبوع عيد الفصح - وأسبوع الهولوكست .. وأصبحت الصحف اليومية الخاضعة للنفوذ الصهيونى تنشر وعظة الاحد لكل كاهن يتحدث في هذا الاتجاه ، وتحمل على مجموعة

نازية ضبطت في بلدة سيكوكى في ولاية الينوى . وتحمل على الرئيس كارتر لانه لم يعد يسمع صوت الصهيونية !

وقد قال لى يوسف البندك موفد ياسر عرفات الى الكنائس الامريكية:

ـ مهمتى أن اشرح لرجال الكنائس أن فلسطين العلمانية كانت دولة الاديان الثلاثة . وان في المجلس الوطنى الفلسطينى مسلمين ومسيحيين ، وان النظرة العادلة للقضية الفلسطينية نظرة يجنى منها المسلم والمسيحى على السواء .

وأنا أسأل .. وقد تتبعت قداسة البابا شنودة الثالث في رحلته بين الجالية المصرية في بعض مدن أمريكا . أنا أسأل : لماذا لا تنسق الدولة مع الكنيسة المصرية ـ ذات القيمة والاحترام في أمريكا على ما رأيت وسمعت ـ خطة اعلامية تقول للكنائس الامريكية ان تراث المسيحية في القدس مهدد ، وأن القضية قضية حقوق الانسان قبل أن تكون قضية الانتماء للاديان ..

ان الأبواب مفتوحة لكل صوت يجىء من مصر والساحة ممهدة والريح رخاء ، وعلينا أن نطرق الحديد وهو ساخن . ان الصهيونية قدمت الهولوكست .. ويجب أن نقدم أشياء جديدة ، ومبتكرة . ان السعودية انفقت ربع مليون دولار لتدافع عن صفقة السلاح السعودية ، أنها عهدت بالمهمة لبيوت خبرة أمريكية قدمت برنامجا لقى القبول ..

ان معركة السلام تحتاج الى قتال بالفكر . والتنفيذ يحتاج الى المال ، واذا كنت علمت أن عربيا مرموقا هبط بطائرته الخاصة في لاس فيجاس ، وخسر في ليلة واحدة خمسة ملايين دولار وطار بطائرته الخاصة وهو يربت كرشه الصغير ويقول :

ـ ما في حظ !

أقول له .. أقول لكل ثرى عربى :

ـ ادفعوا للقضية عشورا .. ادفعوا لها واحدا من الالف .. لان النظرة

البعيدة تؤكد ان ما تدفعونه اليوم سوف يحمى لكم ثروتكم في الغد !

بين المحافظين والليبراليين !

نعم .. كارتر لم ير الهولوكست !

نعم أيضا نشبت معركة بين اسرائيل والولايات المتحدة أجل بسببها أثرتون سفره الى الشرق الاوسط .

ولعل الصهيونية اخفقت اخفاقا سوف يهزها الى مدى طويل في عهد ادارة كارتر ! فقد اجاز مجلس الشيوخ الامريكى معاهدة قناة بناما بأغلبية ٦٨ صوتا الى ٣٢ صوتا . وكان عدد الاصوات المطلوبة ٦٧ صوتا .. أى ثلثا مجلس الشيوخ . فاز كارتر بصوت واحد ولكن هذا الصوت الواحد سوف يكون له تأثيره الهائل على الاحداث في أمريكا ..

قبل أن أدخل في التفاصيل أروى لك حكاية المعاهدة .

قناة بناما شقها الامريكيون بطول ٨٠ كيلو مترا بمقتضى اتفاقية بين حكومة الولايات المتحدة وكولومبيا في عام ١٩٠٣ .. وقد تجددت الاتفاقية مع جمهورية بناما التى تصادف وأعلنت استقلالها عن كولومبيا في ذلك العام .. كانت الولايات المتحدة تحمى قوتها الصناعية والزراعية النامية والقناة شريان حيوى لها في جنوبها . وقد أعطتها المعاهدة حق الاشراف على القناة بعرض ثمانية كيلو مترات على كل ضفة . وحق تشغيل القناة مقابل ٢٥٠ ألف دولار تدفعها سنويا لحكومة بناما . وصار هذا الرقم يزيد حتى وصل الى ٢ر٣ بليون دولار . ويعين الرئيس الامريكى حاكما لمنطقة القناة . له حق الاشراف على شركة قناة بناما التى يشتغل فيها ١٥ ألف موظف منهم ٣٥٠٠ امريكى فضلا عن ٩٥٠٠ من القوات الامريكية يتناثرون في ١٣ قاعدة عسكرية ! وقد استغرق شهر العسل بين أمريكا وبناما ستين عاما بدأت بعدها المتاعب . ففى عام ١٩٦٤ بدأت المظاهرات ضد القوات الامريكية . وتحركت عناصر وطنية متعاونة مع حركات التحرير في أمريكا اللاتينية لكى تجعل الارض

جحيما تحت أقدام الجيش حارس القناة .. لان هذا الجيش مهما كانت صفته جيش احتلال . وحقنا للدماء التقى رئيسا الولايات المتحدة وكندا واتفقا على الدخول في مفاوضات لعقد اتفاقية جديدة للقناة . وفي عام ١٩٧٤ بعد أن نجح عمر توريخوس في الاستيلاء على الحكم بانقلاب أبيض صرح أنطونيو تاك وكسنجر باعلان مبادىء يؤكد على تحديد فترة زمنية تتخلى فيها الولايات المتحدة عن القناة لبناما !

وقد استغرقت مفاوضات بناما ١٣ عاما . وصار التوقيع على المعاهدة في ٧ سبتمبر سنة ١٩٧٧ في احتفال دعا كارتر اليه كل رؤساء امريكا اللاتينية . وبقى ان يصدق الكونجرس على معاهدة قناة بناما ! وهنا تربص اللوبى الصهيونى بكارتر ..

وعرف كارتر انه يقف أمام حاجز هائل . القفز فوقه يحتاج الى جهد فلم يبخل بالجهد . أنه وقف في يوم ٢٠ يناير ١٩٧٨ يلقى خطابا بمناسبة مرور عام على توليه السلطة وقد اعترف بأنه لم يكن يعرف أشياء كثيرة .. وقد عرفها . وأنه يستطيع الان ان يتعامل مع الكونجرس .. وكان الذى يساعد اللوبى الصهيونى على التآمر على كارتر للضغط عليه أن كارتر هو أول رئيس أمريكى يجىء من الجنوب . وأنه أول رئيس أمريكى يدخل البيت الابيض قبل أن يمر على الكونجرس

أى قبل أن يكون عضوا في الكونجرس فهم ينظرون اليه على أنه دخيل مرتين .. مرة لأنه جنوبى ومرة أخرى لأنه ليس سناتور سابقا ! فاذا اضفت الى هذا أن اللوبى الصهيونى يتربص به منذ قال إن من حق الفلسطينين الذين شردوا منذ ثلاثين عاما أن يجدوا وطنا ـ واصدقاؤه يقولون أنه ينظر الى الفلسطينيين نظرة دينية لأنهم أهل بلد المسيح ـ اذا أضفت الى العاملين الأولين اللوبى الصهيونى عرفت كم هى قاسية المعركة التى خاضها كارتر في مشروع قناة بناما !

وقد أرسل كارتر الشيوخ الامريكيين الى قناة بناما ليروا القضية على الطبيعة . وأرسل سيروس فانس وزير خارجيته الى الولايات التى يعتقد أن شيوخها يقفون ضده حتى يخاطب الشعب الامريكى من فوق رأس ممثليه . وتحدث هو مرتين في التليفزيون . وأمضى الأسبوع الأخير قبل التصويت في الاجتماعات بكبار الشخصيات المؤثرة في عمليات التصويت . وفي الاتصال بهذا أو ذاك من الشيوخ ..

والى ما قبل التصويت بليلة كان التخمين والحدس يصلان الى حد المراهنات كما في حلبات سباق الخيل . أو كما في مباريات محمد على كلاى .. ولكن الحقيقة أن الشارع الامريكى كان متعاطفا مع كارتر .. من كثيرين سمعت أنهم يتمنون له النجاح حتى يستطيع ان يمضى قدما في مشروعات أخرى لخير الشعب الامريكى . أكاد أشك الآن في صدق الاحصاءات التى تقول انه خسر الكثير من شعبيته بسبب مواقفه مع مبادرة السلام .. لانه اذا كان الشعب الامريكى ينتصر للمبادرة ويعتبرها عملا فذا فكيف يولى هذا الشعب ظهره للرئيس كارتر اذا حرص على أن تحقق المبادرة النتائج المرجوة منها ؟

وقد بدأ الهولوكست قبل التصويت بليلة .. ومن الناس من كان يظن أن الهولوكست قد يكون سريع المفعول وورقة يلعب بها .. اللوبى الصهيونى !.. ولكن هذا لم يحدث . فقد حصل كارتر على الاغلبية المطلقة . وهى صعبة جدا على رئيس يرى الهول من ثلاثة أسباب شرحتها .

٣٠- الخلاف سرى والعناق علنى

أنا لست من أنصار التهوين من رحلة مناحم بيجين الى امريكا .. كما أننى لست من أنصار التهويل في أثارها . فلا التهويل صدق .ولا التهويل أمانة ..قد ذهب مناحم بيجين الى امريكا في أول مايو ليشاهد احتفالات اليهود الامريكيين بمرور ٣٠ عاما على تأسيس دولة أسرائيل . وقد توقفت بالاعجاب عند مقال نشرته صحيفة امريكية بقلم محمود عمرو الوزير المفوض الإعلامى لبعثة مصر الدائمة لدى الأمم المتحدة يتساءل فيه : « هل حدث في التاريخ أن احتفل رئيس وزراء دولة بأعياد دولته .. خارج بلاده ؟

والحق أن هذا لم يحدث . ولكنه اذا جاء من بيجين فلا غرابة لأن بيجين يجيد انتهاز الفرص .. الهدف ليس الاحتفال بالاعياد بقدر ما هو تأجيج مشاعر اليهود بإيقاظ ذكريات

أنشاء دولة الميعاد في أرض الميعاد ! سبق الاسبوع هذه الفرشة الروحية من حلقات « الهولوكست » التى شرحت للامريكيين عذاب اليهود على يد النازية .. وصحب الاسبوع سلسلة من المظاهرات اليهودية على شكل حفلات عشاء . وتجديدات المواثيق البالية مع مراكز القوى الامريكية في محاولة بارعة للضحك على عقول الامريكيين ..

فهل بلغ بيجين ما أراد أو بعض ما أراد ؟

سبق ديان بيجين الى أمريكا . والتقى بسيروس فانس وزير الخارجية .. ولما سألت بربارا والترز نجمة التلفزيون الامريكى ديان عما دار بينهما . قال :

ـ اذا جاز لى أن افشى سرا فهو أننا ناقشنا كيف يكون وضع الضفة الغربية في ظل الحكم الذاتى . وبعد أن تتجمع قوات اسرائيل في مناطق محددة داخل الضفة !

والمغالطة في حديث موشى ديان مكشوفة .. فهو يريد أن يقفز الى نتائج لم تتحقق لان أحدا لم يوافق عليها . يريد أن يصور للامريكيين أن الأمور بينه وبين فانس سمن على عسل . وان لم يعد من أمر يناقشه الا توزيع القوات الاسرائيلية .. أو تجميعها في مناطق داخل الضفة ..

والواقع أنه لا جديد في اللقاء بين الاثنين . ان الادارة الامريكية ـ كما قلت قبلا ـ طرحت على بيجين في رحلته الخائبة عدة بدائل ليختار منها .. ولكنه تعنت . وقد ضاقت به الادارة الامريكية ذرعا . وقال مسئول في البيت الابيض للدكتور عصمت عبد المجيد إن بيجين يشرح ما عنده في ساعة .. وما عنده تاريخ وتوراه .. فاذا سمع اعتراضات على ما قال راح يفهم من أمامه أنه لم يستوعب ما قال بيجين . ويشرح من جديد ..

وقد أصبح الهروب من الحوار معه أسلوب تعامل .. لأنه عنيد .. وممل .. ويترك الحاضر ليحاضر في التاريخ !

وأستطيع أن أؤكد أن نقاط الخلاف الرئيسية بين كارتر وبيجين بعد باقية حتى رغم اللقاء الاخير المغلف بالود .. المبطن بالصدام ! والنقاط هى :

- تفسير القرار ٢٤٢ . بيجين يراه غير ملزم لاسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية وغزة وكارتر يراه ملزما ..

- والمستوطنات . بيجين يراها قطعا من أسرائيل لا تقتطع .. وكارتر يراها عقبة في طريق السلام يجب أن تقتطع .

- والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .. بيجين ينكرها ويقول : « متى كان للشعب الفلسطينى حقوق على هذه الأرض ؟ » .. فيقول كارتر : ان من حق من تشردوا ٣٠ عاما أن يكون لهم وطن !

- والسلاح . وهو القضية المتصاعدة في هذه الايام في واشنطن بعد أن أصبح مشروع الصفقة بين يدى الكونجرس الامريكى . وكارتر يراه صفقة واحدة تعطى فيها الطائرات المقاتلة على اختلاف ماركاتها للسعودية ومصر واسرائيل . واسرائيل تعارض لان اعطاء السلاح للعرب سابقة خطيرة .. وتهدد أمن اسرائيل !

راسك وبول .. معنا !

واذا كان اثرتون يسعى سعيه .. فان الطريق بعد طويل .. والشقة بين وجهة النظر الامريكية ووجهة النظر الأسرائيلية واسعة . واوسع منها طبعا الشقة بين وجهة النظر الاخيرة ووجهة النظر العربية .

وقد صحبت زيارة بيجين نوبة تنشيط لقضية الشرق الاوسط في الصحافة والتلفزيون الامريكى . وفي يوم الأحد السابق للزيارة مثلا عرضت محطات التلفزيون حوارا بين دين رأسك وزير الخارجية

الامريكى الاسبق . وجورج بول وكيلها مع عدد من المعلقين التليفزيونيين ..

قال مونرو المذيع لدين راسك :

ـ تحرك زيارة بيجين لامريكا هذا الاسبوع الجدال على القرار ٢٤٢ الذى صدر وانت وزير للخارجية الامريكية فما تفسيرك لهذا القرار ؟

قال دين راسك :

ـ كان الجدال وقت صدور القرار على الأنسحاب من أراض ، أو الانسحاب من أراض . وقد أستقر الرأى على التعبير الاخير : وهو يغطى بلا شك الضفة الغربية وغزة

وربما تطلب الامر تعديلات طفيفة أو تجريد مناطق من السلاح كالجولان .

ولا تهم تفاصيل القرار بقدر ما يهم من انه قاعدة للتفاوض بمضمونه الواضح .

وهنا قال مونرو :

ـ هل معنى هذا أن القرار ينص على الانسحاب من الضفة ومن الجبهات الأخرى ؟

فقال دين راسك :ـ تماما .. تماما

وقال مونرو لجورج بول :ـ وأنت ما رأيك ؟

فقال جورج بول :

ـ ان انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية .. أو بمعنى أدق من أجزاء منها .. كان موضع اعتراف من الحكومات الاسرائيلية السابقة .. بصورة متواترة . وقد تكررت بيانات الادارة الامريكية في عهود مختلفة في هذا الاتجاه . ولهذا لا أعتقد أن هذا القرار قابل للمساومة !

وسأله المذيع سايدى :

ـ منذ أشهر صرحت .. وبعنف .. بان اسرائيل ان لم تتصرف بحكمة فان على أمريكا أن تقطع المعونة عنها . والأن وقد اقتربت المنطقة من السلام أكثر من ذى قبل . ما رأيك ؟

فقال جورج بول :

ـ الواقع أننى في هذا القول كنت أنظر الى المنطقة من ناحية المصالح الامريكية . وأنا أعتقد أن من حق الولايات المتحدة الامريكية أن تتصرف بحرية اذا ما وجدت مصالحها مهددة بسبب حرب أخرى . فهل من العقل أن ننفق مواردنا على من يبددونها في الحرب . وهذا القرار يجب أن يتخذ في واشنطن . وليس في القدس . ينبغى في عقيدتى الا ننفق مواردنا لنشجع الاحتلال العسكرى لمليون وربع مليون نسمة من الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة .. ان هذا الاحتلال يسفر حتما عن القهر والتفرقة العنصرية .. وفي النهاية يؤدى حتما الى الحرب . ولهذا فالقضية عندى هى ليست في كيف نضغط على اسرائيل .. بل هى في كيف ننفق مواردنا في المصارف السليمة !.

هل هناك ما تقترحه الآن !

جورج بول :

ـ أعتقد أن الادارة الامريكية تحسن التصرف بشأن قضية الشرق الأوسط . وعليها أن تلتزم موقفا حازما وتستمر فيه !

واستمر الحديث في ندوة « قابل الصحافة » حول صفقة الاسلحة . والرجلان المرموقان .. راسك وجورج بول يمضيان على هذا المنوال !

وقد انزعج اليهود الامريكيون من هذا البرنامج الذى أذيع عشية وصول بيجين .. وكأنه استقبال بالبيض والطماطم ! وانا أقول أن دلالة هذا الحديث خطيرة .. فما كان لقناة امريكية أن تدع شيئا يغضب اليهود ما لم يكن ثمة تحول جذرى في الشارع الامريكى . وهذا التحول

هو القضية التى تشغل بال اليهود الامريكيين قبل اسرائيل . لان اليهود الامريكيين أصبحوا يعتقدون أن انتصار كارتر على بيجين معناه أن تهتز قيمتهم في الولايات المتحدة .. وأن تهتز مصالحهم أيضا . ولهذا فأنهم مثلما تخوض اسرائيل حربها الدبلوماسية بكل وسائل الغش والخداع والمغالطة ضد العرب يخوض يهود أمريكا حربهم المصيرية . حفاظا على مواقع القوة ومراكز السطوة في أمريكا .. يخوضون الحرب ضد العرب وضد كارتر .. وضد كل من يوافق كارتر .

بطريرك اليهود يكشفهم !

ولكن يهود أمريكا انقسموا في نظرتهم الى بيجين .. وقد عبر شارلز بيرسى .. السناتور الامريكى .. عن هذا بقوله ان سياسة بيجين مزقت اليهود في امريكا . وأسبوع وصول بيجين اليها نشر سول شتيرن .. وواضح من اسمه أنه يهودى .. مقالا في مجلة « نيويورك » يقول فيه أسرارا خطيرة .. وكأنه يقول بالمقال لبيجين :

ـ تعال .. ولكن لا تغالط .. فان مبادرة السادات عرت كل نواياك ..

يقول سول شتيرن انه في نوفمبر عام ١٩٧٧ ذهب ناحوم جولدمان ـ من يسمى ببطريك اليهود ـ الى امريكا وهو يحمل٨٢ عاما على كاهله . وكان قد أنهى رئاسته « لنادى الرئاسة » اليهودى .. وأنهى حياة حافلة بالنشاط الصهيونى في أمريكا وخارجها . فهو من عاصر وعد بلفور . ومن فاوض الالمان لتعويض اسرائيل عن الهولوكست .. ومن تزعم اللوبى الصهيونى في امريكا الى ذلك الموعد .. نوفمبر ١٩٧٧ . والتقى ناحوم في البيت الابيض بفانس وبزرنيسكى ومارك سيجل . وبدا ما قاله لهم خيانة لماضيه الطويل . فقد قال بصراحة : « إننى أعترف بأن نادى الرئاسة اليهودى الذى يتكون من أكبر الشخصيات الامريكية أصبح وسيلة هدامة .. وهو أكبر عقبة في طريق السلام في

الشرق الاوسط . وعليكم أن تتصدوا له . وتكسروه . عليكم ألا تخافوا من مواجهة المنظمات الصهيونية كما فعلت الادارات الامريكية السابقة . أن اللوبى الصهيونى يحاول أن يئد مشروع كارتر للسلام في المهد .. ولكن كارتر لو تغلب على هذا اللوبى وحقق السلام لاسرائيل فانه سوف يصبح بطلا قوميا عند اليهود المتعطشين للسلام .

اليهودى « مارك سيجل » هلع من هذا الكلام .. وقد حدثت أشياء كثيرة جعلت « رؤية » ناحوم جولدمان ضرورة . فقد ذهب السادات للقدس وأتاح لاسرائيل فرصة حقيقية للسلام . وبدأت أمريكا تغير سياستها بشكل جعل مارك سيجعل يستقيل من منصبه كمستشار لكارتر في شئون اليهود . لأن سيجل يعتقد أن ما قاله ناحوم جولدمان سوف ينقذه البيت الابيض بحذافيره . ودليل سيجل على ذلك مجرد التفكير في بيع الأسلحة للعرب ! والأشهر السبعة الماضية أكدت حدوث التصدع في نادى الرئاسة اليهودى .. وهو ما تدل عليه أقوال ريبيكوف وزابلوكى وغيرهما .

ثم يقول سول شتيرن :

ـ والاهم من هذا ما يدور وراء الابواب المغلقة بين يهود أمريكا وبيجين . وبصرف النظر عن تأييدهم العلنى له فان هناك حملة مكثفة عليه ليغير مواقفه . وهى حملة تتفق في النهاية مع « وصايا » ناحوم جولدمان الذى قال يجب أن تبصروا اسرائيل بمصالحها بالرغم منها » . وعند اليهود الامريكيين قناعة بان انشاء دولة فلسطين لن يكون شيئا مخيفا . وقد نصحوا بيجين بقبول اعلان المبادىء الذى اقترحه الرئيس السادات لان هذا يفتح طريقا للمفاوضات . وليدع بيجين بعد ذلك للمستقبل أن يعتنى بنفسه . وقد وصل الامر ببعض المنظمات الصهيونية الى تهديد بيجين بنشر وجهة نظرها في سياسته إن لم يعتدل . ومن أشد المؤيدين لبيجين الراباى الكسندر شاندلر ـ وهو من خلف ناحوم

جولدمان في مواقعه ـ والكسندر شاندلر مؤيد علنى لبيجين ولكنه مشاكس سرى . والذى يرجع الى تاريخ شاندلر كيهودى إصلاحى كان ضد حرب فيتنام وكانت له أفكار حمائمية خاصة بالمشكلة الفلسطينية يعجب كيف تركته اسرئيل يظفر بمنصب قائد مظلة اسرائيل في امريكا ! إن شاندلر ذهب الى بيجين بعد الإنتخابات الآخيرة وقد كان أول ما فعله بيجين أن ذهب الى مستوطنة قادوم التى بناها غلاة المتطرفين من جماعة جوش أمونيم وخطب خطبة نارية قال فيها : سوف تكون هذه قادوم الأولى .. وسنبنى بعدها عشرات قادوم .. وصورته الصحف وهو يحمل التوراة في هذه المناسبة

والتقى شاندلر ببيجين في مستشفى تل أبيب حيث كان الأخير يعالج من نوبة قلبية . وقال له بلوم :

ـ قل لى ما هذا الذى نشرته الصحف عن زيارتك لقادوم ؟ .

فقال بيجين بدهاء :

ـ نشرت الصحف صورتى وأنا أحمل التوراة .. وا الخطأ في حمل التوراه ؟

أو ليس من حق رئيس وزراء اسرائيل ان يحمل التوراه ؟

وأجاب شاندلر :

ـ اننى لا أعترض على حملك التوراة .. أننى اعترض على ما قلت .

واستشاط بيجين غضبا . وقاطعه شاندلر قائلا :

ـ هل تريد أن تسمع منى ما تحب أن تسمعه .. أم تريد أن تسمع رأيا صريحا : اننى كمسئول عن يهود أمريكا وكمراقب لما يدور في البيت الابيض استطيع أن اسمعك الحقيقة ..

استسلم بيجين وقال :

ـ ما هى الحقيقة ؟

وشاندلر منذ ذلك الحين يقول الحقيقة لبيجين ، ولكنه يقولها له وراء الابواب المغلقة . لان شاندلر يخشى أن تمزق العلانية صفوف اليهود الامريكيين . ويخشى أن تقيم العلانية فجوة بين يهود أمريكا واسرائيل ، ويزعزع الوحدة اليهودية .. في امريكا وفي اسرائيل .. وهى أهم دعامات سلامها .

ويستطرد سول شتيرن قائلا :

- إن ستة ملايين يهودى في امريكا يقاتلون من أجل اسرائيل فهل من حق قادة أن يتحدثوا باسم هؤلاء دون الرجوع اليهم . وهل من حق اسرائيل أن تفرض الوصاية على هؤلاء . إن شاندلر قابل السادات في أسوان وكان المفروض أن يقابله في واشنطن مرة ثانية . ولكنه تلقى التعليمات من أسرائيل بألا يفعل . وأطاع .. وبهذا أضاع دور اليهود الأمريكيين
وجعلهم مجرد تابعين لبيجين .. ومصفقين لحكومته ما دامت الخلافات وراء الأبواب المغلقة ! وقد سمع هذا التصفيق عاليا في حفل العشاء الذى اقامته جماعة شاندلر لبيجين يشرح مشروعه للسلام ويقول لكبار اليهود : خذوا مشروعى للشعب الامريكى . اقنعوا به البيت الابيض . وأناشدكم بالوحدة فيما بينكم .. فأنتم خط الدفاع الثانى عن اسرائيل ..

وبعد بيجين خطب شاندلر منافقا ومؤيدا .. لانه يتحدث علنا !

ولكنه .. وأكثر الجالسين في قاعة والدورف استوريا في تلك الليلة الختامية لرحلته الخائبة كانوا يؤمنون بأن مشروع بيجين للسلام سلعة لا تصلح للبيع في أمريكا بعد أن سمع الامريكيون وجهة نظر السادات واقتنعوا بها !

الخلاف سرى والوفاق علنى

والجريمة في هذه السياسة .. سياسة الخلاف وراء الأبواب والعناق أمام عدسات التلفزيون انها تضلل شعب اسرائيل عن حقيقة ما يدور .

أنها كذب على شعب اسرائيل . قبل أن تكون كذبا على الحكومة الامريكية ..

وأنا أعتقد أن زيارة بيجين الأخيرة لن تغير شيئا في مشاعر الامريكيين .. ولا في انقسام اليهود فيها !

ولكن اسرائيل لا تخطط لأيام ولا لأسابيع .. الذى يقرأ الصحف الامريكية ويرى الاعلانات المدفوعة يحس أن هناك خطا إعلاميا جديدا تنتهجه اسرائيل وتصر عليه . أنها تنشر صفحات كاملة تهاجم فيها الرئيس أنور السادات . وتقول أنه يضيع فرصة السلام . فاسرائيل تقدم له ٩٧ ٪ من سيناء وهو لا يرضى التنازل عن ٣ ٪ . وهو .. أى السادات الذى قطع المفاوضات وسحب وفده من القدس . وهو الذى قال كلاما في الكنيسيت لم يتزحزح عنه .. مع أن بيجين ـ الطيب المتفهم ـ قال أن كل شيء قابل للتفاوض !

والمغالطات مكشوفة .. ولكنها بالتواتر والالحاح ـ وأسلوب الكوكاكولا في الاعلان المتدفق ـ قد تنطلى على الشعب الامريكى الذى يمكن أن يقول : صحيح .. لماذا وقد قدم بيجين ٩٧٪ من سيناء .. لا يقبل السادات التنازل عن ٣ ٪ ..

الحملة على الرئيس السادات مكثفة بقصد أن تهتز صورته في أذهان الأمريكيين بقصد أن تطمس عباراته التى أعتطه أصوات الغالبية في كل الاستفتاءات التى أجريت بين قطاعات الشعب الامريكى منذ ذهب الى القدس

والظاهرة الخطيرة ان المعاهد التى تتولى الاحصاء وتحليل الرأى العام بدأت تعتمد الى المغالطة فيما تقدمه للناس تليفزيونيا وصحفيا ! فأغلب هذه المعاهد « يهودية » . وقد تلقت لوما لانها تورطت في نشر ما يمكن أن يدل على التحول عن تأييد أسرائيل .. ومن هنا بدأت ـ تختار من تستفتيهم من طبقات الاطباء والمحامين ورجال المال .. وأكثر هؤلاء يهود .. حتى تخرج النتائج معتدلة .. أو لصالح اسرائيل !

والنشر الاعلانى ليس متاحا لسفارتنا في وشنطن. ولا هو متاح لبعثتنا الدبلوماسية فينيويورك، لضيق ذات اليد هذا. ولكن لنا في واشنطن ونيويورك ثلة من المتحدثين النابهين.

ولكن هل يكفى لتغطية الولايات المتحدة.. تغطية ٥٠ ولاية.. كل ولاية منها لها حجم دولة؟! اننا نترك مبادرة السلام للتفتت أما محاولات الصهيونية. ان الصهيونية تريد أن تفرغها من مضمونها. أنها تتهم صانعها بعدم الجدية حتى تفقده أرضا كسبها في الشارع الامريكى الذى يستطيع أن يكون في النهاية أكبر مؤثر على الاحداث. ان الصهيونية تملك المال والخطة الصهيونية هى تواتر الدعاية حتى يفقد المصريون حماستهم لمواجهتها. يعتقدون ان نفسهم أطول، وامكاناتهم أكبر..

آرسلوا هذه الكتيبة

ولهذا يجب أن نتنبه.. ولهذا يجب أن نكثف المواجهة.. ونعد ثلة من المتحدثين.. وعندنا منهم أطقم كاملة! ان محمود عمرو قال لى:

- كنا قبل المبادرة نتلقى في العام مائة دعوة للمحاضرات والاحاديث.. الان نتلقى ٣٠٠ دعوة. لان كل الامريكيين يريدون أن يسمعونا!

وبالطبع لا تستطيع السفارة أو البعثة أن تلبى هذه الطوفان من الدعوات. ولو تفرغ أشرف غربال أو عصمت عبد المجيد لتلبية الدعوات لما فعلا شيئا أخر غير ذلك. يجب أن ندعم هؤلاء بمن نرسلهم من القاهرة.

بطرس غالى.. أسامة الباز.. عمرو موسى.. أحمد ماهر.. وغيرهم من الذين اشتركوا في مباحثات القاهرة ولقاء الاسماعيلية ومفاوضات القدس.. الذين قال عنهم بيجين: «الفتيان الاشرار في الخارجية

المصرية » ! بل وغيرهم من الذين لم يشتركوا ولكن لهم مران الحوار مع الامريكيين مثل تحسين بشير ..

وان جولات تنظم لهؤلاء في امريكا احدى على القضية من قعدتهم في المكاتب يقرأون التقارير والخطابات ذات الصيغ البالية من نوع .. ونحيطكم علما بأن ... اننا نريدهم ليحطيوا الامريكيين علما بالقضية ..

ان اسرائيل ترسل المتحدثين تباعا .. ولا تكتفى بسطوتها الاعلامية داخل الولايات الامريكية .. وعلينا أن نخوض معركة الاعلام بالمرونة التى نخوض بها معركة السلام لأنها معركة اعلام السلام .

٣١ ـ كارتر .. ماذا بعد الصفقة ؟

● منذ ثلاثة أعوام فقط .. في مايو ١٩٧٥ عندما طار جيرالد فورد رئيس الولايات المتحدة السابق الى سالزبورج في النمسا ليلتقي بالرئيس أنور السادات بعد أن أعلن الاول لن أمريكا سوف تعيد النظر في سياستها في الشرق الاوسط .. وكان هذا على أثر فشل مباحثات كسنجر بين مصر واسرائيل في مارس من ذات العام .. منذ ثلاثة أعوام ، وقبل أن يطير فورد تلقى عريضة موقعة من ٧٦ من الكونجرس الامريكي ، أى أكثر من ثلاثة أرباع أعضائه ، يحذرونه فيها من القيام بأى ضغط على اسرائيل في شأن ما كان يدور حول اتفاقية سيناء الثانية !

وعريضة يوقع عليها هذا العدد الضخم من رجال الكونجرس يمكن أن تجعل أى رئيس أمريكي يتعثر في خطاه ! ولعل هذا ماحدث ـ ترجمة حرفية ـ عندما تعثر فورد على سلم الطائرة وهو يهبط في مطار سالزبورج !

كيسنجر وزير خارجية أمريكا قال عن هذه العريضة باستنكار شديد :

- ياإلهى.. ترى من يدير سياسة هذا البلد ؟

يوم ١٥ مايو ١٩٧٨ . يوم ذكرى انشاء اسرائيل على أشلاء فلسطين . وعيد ثورة التصحيح المصرية . تلقت اسرائيل صفعة على شكل صفقة طائرات امريكية تجمع السعودية ومصر واسرائيل في حزمة واحدة ! وجرت أكبر ثورة تصحيح في الكونجرس الامريكى . فقد سقط في أكبر امتحان فيه مركز القوة الذى كان يحابى اسرائيل . وملكت زمام الأمور أصوات الشرفاء الذين يعتنون بمصلحة بلادهم . ويقدمونها على كل مصلحة عداها .

وقد كنت أتجول في المدن الامريكية حين كانت الصفقة موضع الحملة الصهيونية وموضوعها. وأستطيع أن أقول ان مناحم بيجين حين ذهب الى الولايات المتحدة للاحتفال بالعيد الثلاثينى لانشاء دولة اسرائيل كان يهدف أولا الى « التواجد » في ساحة المعركة الرئيسية ، وتحسين صورته التى شوهت تماما في لقائه مع كارتر في مارس الماضى . وهذا التواجد مهمته توحيد الصف الصهيونى في مواجهة الادارة الامريكية حتى تستطيع قبضة هذا الصف أن تعرقل الصفقة .. ، وقد التقى بيجين خلال هذه الجولة بالرئيس كارتر.. كما التقى بعدد كبير من أعضاء الكونجرس ، وكانت صفقة الاسلحة قاسما مشتركا أعظم في كل أحاديثه ، ولكن قبل أن يغادر بيجين أرض القارة الامريكية سمع أول أنباء الفشل ! فلم يستطع اللوبى الصهيونى أن يجمع توقيع ٧٦ سناتور على عريضة تقدم لكارتر ليمتنع عن عرض الصفقة على مجلس الشيوخ .. انتهى مناخ عام ١٩٧٥ حين كانت الريح مواتية للسفينة الاسرائيلية .. تملأ شراعها ، وتبلغ بها أهدافها ! هذه المرة رفض الشيوخ الامريكيون التوقيع على العريضة.. وهذه المرة زادت ضراوة اليهود في مهاجمة

الصفقة . ان كل ما كتبوه عن اللوبى العربى ، وسطوة رأس المال السعودى على الادارة الامريكية لم يجد آذنا تسمع ! بل لعلهم وهم يهولون في تأثير رأس المال السعودى على الحياة الامريكية جعلوا كثيرين بينهم - أى من يهود أمريكا - يفيقون على حقيقة الخطر الذى يمكن أن يلحق بهم أو يحيق بهم اذا لم تفز السعودية بالاسلحة ، واتجهت الى فرنسا .. ثم اتجهت بروس أموالها الى القارة الاوربية ، واتجهت بأسعار البترول الى الارتفاع ..

والصهيونية المنظمة .. تهاجم الرئيس أنور السادات « الذى لا يتزحزح عما أعلنه في الكنيسيت ، والذى يهدر بعناده فرص السلام .. والذى يترك الباب مفتوحا للحرب . والادارة الامريكية سوف تقوى ساعده إن اعطته سلاحاهو وحليفته الأولى في المنطقة .. العربية السعودية » هذه الاعلانات لم تجد آذانا .. لأن كل الآذان سمعت السادات وهو يخطب في الكنيسيت .. وفي نادى الصحافة الدولى في واشنطن ولم تجد عينا لأن كل الأعين رأته وهو يزور القدس ، هذه الحملة المنظمة كانت تهدف الى عرقلة الصفقة لأنها كما جاء في خطابات اليهود التى أمطروا بها أعضاء الكونجرس سوف تجعل الأسلحة الأمريكية تقاتل بعضها البعض في الشرق الأوسط ، وسوف تجعل العرب مسلحين من أمريكا وروسيا في ذات الوقت الذى تتسلح فيه اسرائيل من مصدر واحد ! وسوف تجعل ميزان الرعب في صالح العرب لأنهم الأكثر عددا يتفوقون اذا تساوت أسلحتهم مع الأسلحة الاسرائيلية .. وعشرات من هذه الاسباب والذرائع ! وفي بعض المدن الامريكية سارت المظاهرات ضد الصفقة . وارتفع البكاء مختلطا بالصلوات في سيناجوجات اليهود في المدن الامريكية .. حتى أصبح كل سيناجوج حائط مبكى !

وقد استطاع كارتر الانتصار في قضية صفقة الاسلحة للعرب واسرائيل ولمن لايذكرون التاريخ . لمن ينسون موقف أمريكا من تسليح مصر في عام ١٩٥٤ .. حين ذهب وفد مصرى ليفاوضها على بيع الاسلحة لنا ، فعاد الوفد بخفى حنين ، بل حتى عندما ذهب وفد آخر ليفاوضها على تمويل السد العالى عاد بخفين آخرين .. لمن لا يذكرون التاريخ أقول إن انتصار مصر والسعودية بإقرار صفقة الاسلحة حدث تاريخى هام .. تكاد أهميته تختفى تحت وقع الاحداث التصحيحية في داخل مصر . ويكاد تحقيقه يمضى وكأنه ومض عابر .. مع أن الذين يقرأون تعليقات موسكو ودول الرافضين ودولة الرافدين عليه يدركون أهميته الكبيرة من حجم الحقد الذى ينصب على الصفقة !.

واذا كان كارتر قد نجح في قناة بناما بصوت واحد .. ولو كان هذا الصوت انتقل الى الضفة الاخرى لسقط كارتر في قناة بناما .. أقول اذا كان كارتر قد نجح في قناة بناما بصوت واحد فانه نجح في قناة السويس ، أعنى الشرق الاوسط وصفقة الاسلحة ، بأحد عشر صوتا .. لان نتيجة التصويت كانت ٥٥ الى ٤٤ ! وهذا يدل على حجم انتصاره .. خاصة وأنه .. حين طرح الموضوع على لجنة العلاقات الخارجية ليصوت بعرضه على الكونجرس أو شجبه حصل على أصوات متساوية .. ثمانية الى ثمانية .. ومعنى هذا أن نجاح كارتر في الخطوة التالية كان مغامرة أو مقامرة !

وهناك ملاحظات ينبغى ألا تغيب عن بالنا ونحن نقرأ أخبار التصويت على الصفقة :

● أولى هذه الملاحظات إن هذه احدى المرات القليلة التى تتفق فيها أصوات من المعارضة ـ من الجمهوريين ـ مع أصوات من حزب الحكم الديمقراطيين ، وعلى وقفة واحدة وراء الرئيس الامريكى .. ومعنى هذا

أن للمعارضة لم تقف من الصفقة موقفا متزمتا من أجل المعارضة .. بل فتحت عينيها على مصلحة امريكا .. وأعطت أصواتها لكارتر حتى لو قوى هذا ساعده في انتخابات مقبلة !

● ثانى هذه الملاحظات أن الشيوخ أعطوا أصواتهم لكارتر رغم أن هذا يغضب يهود أمريكا .. أعطوا أصواتهم له رغم أن الانتخابات قادمة بعد أشهر، ولرؤوس الاموال اليهودية سطوة في هذه الانتخابات، وللكتل اليهودية قوة في عدد من الولايات، وللاعلام الصهيونى قبضة الديكتاتور على تيسير المعارك الانتخابية .

● وثالث هذه الملاحظات أن من الشيوخ الامريكيين من هم في موقع القيادة من اللوبى الصهيونى التقليدى، وأن معنى تصويتهم لصالح صفقة تحاربها اسرائيل بكل قوتها أن التمزق في الصف اليهودى الامريكى أصبح حقيقة .. وان ماقاله شارلز بيرسى لبيجين في مارس ١٩٧٨ من أنه أحدث صدعا في الصف اليهودى كان نبوءة سليمة . وان من يهود أمريكا من يصيحون الآن في بيجين «قف من أنت ؟ الى اين تأخذ اسرائيل وتأخذنا » .

● وللملاحظة الرابعة حول نوايا (السناتورز) اليهود الذين أعلنوا تأييدهم للصفقة . وقد يكون هذا من باب الاقتناع المطلق بنوايا كارتر، ومن قبيل التمشى مع نبض الشارع الامريكى حتى لا يفقد اليهود الصلة بهذا النبض الى الأبد .. لأن من لا يسمع نبض الشارع الامريكى قد يخطئ حسابات المستقبل . وهذا البعض من الأصوات اليهودية يتمتع ـ ولا شك ـ ببعد النظر . فقد ردد برزنيسكى غير مرة أن كارتر يرفض الاقدام على مخاطبة الشعب الامريكى من وراء الكونجرس طالما أنه ـ أى كارتر لم يفقد الامل في الكونجرس . ومخاطبة الشعب الامريكى من وراء الكونجرس في هذه الآونة معناه الاستفتاء على سياسة كارتر في الشرق الاوسط، ولو فعلها كارتر لأصبح مطلق اليد في

تناول القضية والمعروف أنه أكثر ميلا لوجهة النظر المصرية العربية كما أن هذا اللجوء الى الشارع لو انتهى بتأييد الشارع لكارتر فانه قد يخلق موجة من العداء للسامية مثل الموجات التى اجتاحت أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين .. بل مثل قرن محاكم التفتيش .

فهذه الاصوات اليهودية العالية بالتأييد .. الأريبة في التخطيط والتدبير تجنب يهود أمريكا شرا مستطيرا لا يراه اليهود العاديون وهم مشحونون بعاطفة الحب الأعمى « التوراتى » لاسرائيل !

على أن هذا .. أى تصويت بعض اليهود في الكونجرس الى جانب قرار للعرب فيه نفع وحصيلة شئ يحدث لاول مرة في تاريخ الكونجرس !

المصلحة اولا !

وها هو كارتر قد نجح في صفقة الأسلحة فما الذى يجب أن يفعله ؟! ما الذى نتوقع أن يفعله ؟ أو ماذا يحسن برجل حقوق الانسان . النقى الطاهر الذى يلقى موعظة الأحد في كنيسة المعمدانيين بانتظام وعشق ؟ أو ماذا يحسن برجل البيت الأبيض أن يفعله لكى يقول للعالم أن امريكا تحترم مبادئها . وتحترم التزاماتها . وأنها تعهدت بإقرار السلام في الشرق الأوسط . وإنها لفاعلة !

من الصحفيين .. المتعاطفين بشكل تقليدى مع اسرائيل من أصابه الهلع ! شيخ المعلقين جيمس ريستون قال أن الرئيس كارتر على اتصال بالسادات وبيجين . يناشدهما التريث قبل اصدار ردود الفعل عن الصفقة . لان التريث هو الذى يعطى فرصة ناجحة لاستئناف المفاوضات . وللرئيس كارتر أسبابه في طلب ارجاء الخوض في أحاديث المفاوضات .. لأنه يذهب دورة الامم المتحدة الخاصة بنزع السلاح . وجروميكو يزور امريكا ليناقش القضية المعلقة الخاصة بتوقيع معاهدة الاسلحة الاستراتيجية بين واشنطن وموسكو .. وكارتر يلتقى بعد ذلك

بأعضاء حلف الاطلنطى ليبحث معهم زيادة الاسلحة التى تدافع عن أوربا في وقت يتحدث فيه عن تخفيض الاسلحة مع السوفييت ! فمن الصعب أن يلتقى كارتر مع اسرائيل على وجهة نظرها الضيقة وهى تتحدث عن مستوطناتها وحدودها . في وقت يبحث فيه مشاكل بطول العالم وعرضه ..من أوربا الى اليابان مرورا بحقول البترول والطرق اليها عبر الشرق الاوسط .. وأمريكا يمكن أن تلتقى مع اسرائيل على المصالح المشتركة ، ولكن في هذه الظروف لاتبدو كل المصالح « مشتركة » .

وجيمس ريستون لا يريد استئناف المفاوضات الآن في مناخ الهزيمه التى حاقت باسرائيل من صفقة الاسلحة لأن هذا اما أن يثير عنادها فلا تسلم بشئ ، وهذا طبع يبجينى معروف ! واما أن تقبل شيئا ، وفي حلقها مرارة .. وهذا ليس من العدل في شئ ..

ومن الملقين من يقولون ان اسرائيل تكفيها هزيمة واحدة في الكونجرس ، فلا تعرضها لهزائم أخرى ! ومن الملقين من يردد اقوالا قديمة لرؤساء امريكيين بكفالة الوجود الاسرائيلى ، بل اقوال كارتر عن الصداقة الأبدية بين امريكا والدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط وهى اسرائيل .

ولكن للحق أيضا فهناك من الملقين من يعطون الحدث حجمه الحقيقى ويقولون إن على اسرائيل أن تفهم أنها ليست الصديقة الوحيدة لامريكا في المنطقة . وإن هذا هو أوان تباين المصالح وتشعب الطريق بين أمريكا واسرائيل ، وان اسرائيل تستطيع أن تحتفظ بعطف أمريكا طالما حرصت اسرائيل ، على المصالح الامريكية مثلما تحرص على المصالح الاسرائيلية ..

وحكاية المصالح الامريكية كان فورد أول من رددها وهو يتحدث عن إعادة تقييم السياسة الامريكية في الشرق الاوسط . قد أضاف اليها كارتر بعدا أخلاقيا وهو يتحدث عن حقوق الشعب الفلسطينى .. والمصالح هى عناصر الثبات في العلاقات الدولية !

وعلى هذه المصالح يجب أن تتركز حملة الدعاية العربية التى يجب أن تتصدى للحملات الصهيونية ! إن صحيفة دير شبيجل الالمانية ـ والمعروف أنها موالية لاسرائيل ـ كتبت تقول إن مشتريات السعودية من السندات الامريكية تفوق أكبر مشتر وهو المانيا الغربية، وتفوق أية مشتريات لأى مؤسسة أمريكية أو بنك. وقروض السعودية لامريكا تتراوح بين ٣٥ و ٤٠ مليارا من الدولارات. وللسعودية في بنوك أمريكا ٢٧ مليار دولار !

كلام للتصدير !

والآن بعد صفقة الاسلحة .. اقتنعت تل أبيب بأن واشنطن تعمل بجدية تامة، وانها تخطت مرحلة الاقوال الى مرحلة الاعمال وانتقلت من مرحلة التهديد بالضغوط الى مرحلة الضغوط. فقد توقف امداد اسرائيل بقنابل البلى الامريكية بعد أن استخدمتها اسرائيل في هجومها على لبنان، ويجئ التصديق على صفقة الاسلحة لمصر والسعودية واسرائيل فيسحب من تحت قدمى اسرائيل سجادة كانت هناك مدة ٣٠ عاما، ولم تعد اسرائيل في الموقف الفريد في الشرق الاوسط. إن مبادرة السادات وإن لم تسفر حتى الان عن نتائج تمسكها بقبضة يدك فأنها قد غيرت الموقف الامريكى الى الاتجاه العربى .. وهو الترجمة الحقيقية لشعار اعادة تقييم السياسة الامريكية في الشرق الاوسط الذى اطلق في سماء سالزبورج منذ ثلاثة اعوام. واختبار القوة بشأن صفقة الاسلحة له علاقة بالمحادثات التى تستمر بهدوء خلف الكواليس للتوصل الى صيغة لحسم الموقف في الضفة الغربية. ومن المفروض من الان فصاعدا ـ كما تقول صحيفة كريستيان سينس مونيتور ـ أن تصبح اسرائيل أكثر احتراما لرغباته حول موضوع المستوطنات اليهودية في الأراضى العربية المحتلة، وحول حقوق الفلسطينيين في الضفة الغربية.

وقد قال ديان :

- ينبغى على اسرائيل الا تقف مكتوفة الايدى حتى يتم التوصل الى اتفاقيات مع الدول المجاورة العربية . ويحاول المرء الان القيام بخطوات عملية للتمكن من اقرار تعايش سلمى بين الاسرائيليين والفلسطينيين في الضفة الغربية للأردن وقطاع غزة . وطبقا لهذه الخطة التى سوف تسرى لمدة خمس سنوات سوف تكون اسرائيل مستعدة للسماح للاجئين الفلسطينيين بالانتقال الى كلتا المنطقتين اللتين يدور حولهما النزاع . كما ستحتفظ اسرائيل بوجود قواتها هناك حتى يمكننا لن ندافع عن بلدنا في حالة نشوب حرب . ان نزاع الشرق الاوسط لن ينتهى بالفعل طالما لم تحل المشكلة الفلسطينية باقامة وحدة خارج الضفة الغربية للأردن .. أيضا حتى لو لم نصل الى اتفاق في كافة الامور مع العرب فيمكننا أن نسعى الى تفاهم جزئى ونبدأ في العيش معا . والعمل أيضا معا .

كلام ديان هذا قاله قبل أن يترك امريكا الى اسرائيل ! والكلام للتصدير لرجل الشارع الامريكى . ولهذا غطى الكلام طلاء من عسل . ولكن في داخله سم زعاف من نوع « ستحتفظ اسرائيل بقواتها هناك » .. ومن نوع « يمكننا أن نسعى الى تفاهم جزئى ونبدأ في العيش معا » . والكلام بهدف التصدير كان توقيته قبل الصفقة .. ربما ليمتص الغضب الامريكى على الموقف البيجينى المتشدد !

وقد صرح فانس بعد نجاح الادارة الامريكية في معركة الصفقة بأن الحكومة الامريكية على اتصال دائم بأطراف القضية في الشرق الاوسط . وانه - أى فانس - قد وجه عدة أسئلة للحكومة الاسرائيلية خاصة باستئناف المفاوضات . وان رئيس الوزراء الاسرائيلى وافق على طرحها على مجلس وزرائه وتقديم الرد لامريكا ! وقال فانس أيضا أن أثرتون توقف في القاهرة للتشاور مع الرئيس السادات .. وان محصلة مايتجمع لدى الادارة الامريكية من اسرائيل ومصر يساعد في التحرك الى الامام .

وقد أضاف فانس الى ذلك قوله ان السلام العادل هو هدف أمريكا ، وقد كان أول بند في جدول أعمال اللجنة السياسية بين مصر واسرائيل في يناير ١٩٧٨ هو أعلان المبادئ التى تحكم المفاوضات .. ونحن نعمل الى الان ، وبكل جدية ، لتحقيق هذا الاعلان ، وأصعب الامور في تناولنا هى القضية الفلسطينية خاصة مايتعلق بمستقبل الضفة الغربية وغزة .. وكل المحادثات بين مصر واسرائيل وامريكا تركزت على كيف يمكن التحرك في هذه النقطة بالذات .

واستطرد فانس قائلا :

- وفي هذه النقطة قدم بيجين تصورا في ديسمبر ١٩٧٧ ، وقد اعتبرناه صالحا كنقطة بداية ، وللعرب رأيهم الخاص في الضفة الغربية وغزة .. ومهمتنا الان هى أن نساعد الاطراف على ايجاد أرض مشتركة أو ارض لقاء ، وفي خصوص الضفة وغزة لانستطيع البدء قبل أن تتبين بوضوح تفاصيل وجهات النظر والمواقف المعقدة لكل طرف .

تحرك ياكارتر !

على أن هذا الكلام من فانس كلام رجل رقيق الحاشية !

ورقة الحاشية لاتنفع مع اسرائيل ..

اننا كنا ننتظر أن ينجح كارتر في صفقة الاسلحة فيتحدث الى اسرائيل من مركز القوة !

ان كارتر هو رجل أمريكا الاول الذى لم تهزه كل مؤامرات الصهيونية لعرقلة صفقة السلاح ، ولو لبس مسوح الرهبان لتحركت الصهيونية مرة أخرى لتوقع به الهزيمة في اول مناسبة . ان الصهيونية أحيانا لا تكتفى بالانتقام كالعقوبة من جنس العمل ، إنها أحيانا تقتل .. أحيانا تسفك الدماء ! وفي هذا الظرف الذى يخشى فيه ستة ملايين يهودى على مستقبلهم في أمريكا . في هذا الوقت الذى يرتعد فيه ثلاثة ملايين يهودى مما ينتظرهم اذا لم يتحقق السلام . في هذا الوقت

الذى تمزق فيه اليهود في أرض الميماد .. اسرائيل .. وانقسم فيه اليهود في أرض الوداد .. أمريكا .. يجب أن يضرب كارتر الحديد وهو ساخن.ان كارتر لفرط أدبه يتحاشى الحديث عن الضغوط على اسرائيل ، مع أن اسرائيل لم تتحاش أبدا الضغوط عليه ، إن فرط الادب ليس له وصف في التاريخ غير الضعف . ورجل أمريكا المنتصر على الصهيونية في معركتين .. بين الاولى والثانية شهر واحد ليس ضعيفا !

ان الصهيونية تلوى ذراع كل رئيس امريكى يستعد لخوض معركة انتخابية .. وكارتر لايستعد فلماذا يبطئ .. لماذا يسوف ؟

ان الحق واضح وقد عبر عنه كارتر عدة مرات ، وفي كل مرة كان يقترب فيها من المنطق العربى اكثر مما يتبعد ، بل لعله في بعض تصريحاته - مثل بيان البيت الابيض في ٨ فبراير ١٩٧٧ ، وبيان أسوان قبله بشهر واحد - عبر عن العرب الى اطول مسافة في مطالبهم ..

الحق واضح .. وكارتر المنتصر رجل لاتهمه الانتخابات القادمة . وشمس الربيع ساطعة وكل المرئيات تحتها محددة المعالم .. و .. تحرك ياكارتر .. العالم كله ينتظرك يارجل !

هذا انتصار عظيم !

ضرب كارتر قبضته في كفه جزلا على الطريقة الامريكية عندما بلغه نبأ الفوز ،

هذا انتصار عظيم !

وخرج الى عدسات التليفزيون ليقول ان المفاوضات بدأت في عهد رؤساء قبله . ولكن شاء حظه ان يتم التصديق على المعاهدة في عهده . أى لم يخطف لنفسه النصر كله .. وهذه أشياء صغيرة أصبحت تجتذب الامريكى لكارتر بعد حملات الصهيونية عليه - قال لى صديق أمريكى ان من أنجح برامج التليفزيون التى عرضت هذا العام برنامج اسمه ٢٤ ساعة في البيت الابيض تابع كارتر وهو يستيقظ في الخامسة ليصلى

فيذهب الى مكتبه وقبل أن يفتح أى ملف يصلى . فاذا جلس الى الافطار فانه يصلى . واذا اجتمع بموندديل على الغداء فانه يصلى قبل أن يلمس الخبز .. وهكذا ..

في أمريكا عودة الى الدين ..

ولا أقول أنها عودة يقودها كارتر . ولكنها عودة بعد أن مضت أعوام القلق والتوتر التى صاحبت حرب فيتنام . وبعد موجات الانحلال والتفكك التى صدرتها أوربا الى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية . والعودة الى الدين وهى تطرق البيوت الامريكية تجد ـ بالصدفة ـ رجلا متدينا في البيت الأبيض . ولهذا يقول عنه البعض ان كارتر جاء في الوقت المناسب !

لكن الصهيونية لا تهادنه ..

الصهيونية تحاول ان تهز صورته في الاذهان . ارت بوكوالد ـ أظرف كاتب امريكى ـ يهودى وقد كتب عن بيرت لانس . مدير الميزانية الذى شهر به وليم سافاير وأخذ عن كتاباته عنه ـ التى أدت الى أبعاده ـ جائزة بوليتزر للصحافة . أقول كتب بوكوالد عن بيرت لانس انه يريد ان يفرض رقابة على الصحافة الامريكية ؟ فماذا يفعل ؟ يذهب الى صديقه كارتر ؟ وماذا يفعل كارتر ؟ يذهب الى الشيوخ من أصدقائه فيقنعهم بتقديم قانون عن الرقابة على الصحف . فيتقدمون بالقانون . وهنا يثور الشعب الامريكى . ويهيج الكونجرس . وتهاجم الصحافة القانون .. فيذهب الشيوخ أصدقاء كارتر الى كارتر ويسألونه : والآن ملذا نفعل ؟ فيقول لهم : هذه قضيتكم .. حلوها بأنفسكم !

وارت كما قلت كاتب فكاهى .. ولكنه يريد ان يثبت في الاذهان ان كارتر رجل ضعيف أمام اصدقائه . مجامل حتى ولو كان الامر يتعلق بأساس من أسس الديمقراطية الامريكية . وفي النهاية يتخلى عن اصدقائه لأن مواقفه غير مضمونة !

وقس على هذا عشرات المقالات ..

وآخر ما كتبوه عن كارتر .. أنه يعتقد ان أعوانه ضعفاء وانه لابد ان يغربل من حوله ! ولكن كارتر فعل غير هذا بعد أن البلبلة سرت في النفوس من حوله . دعا رجال البيت الابيض .. والوزراء الى كامب دافيد .. هناك في المناخ الذى يعين على التأمل . المناخ الذى قال عنه فرانكلين روزفلت أنه يشبه جو « الشانجرى لا » في التبت .. حيث يتأمل رهبان بوذا أعماقهم وما حولهم عقد كارتر اجتماعات مع هؤلاء مرة . ومع أولئك مرة ..

وفي هذه الاجتماعات جرت مراجعة لخطة العمل . مراجعة كشف الحساب . وقد كان كارتر شجاعا لانه بدأ الاجتماعات بأخطائه الشخصية .. وكأنه يجلس على كرسى اعتراف . وقال ان الاعتراف بالخطأ هو الذى يقيل من العثرات في الفترة المقبلة . وأكد كارتر ثقته بحكومته وبمساعديه . واعطاهم سلطات غير محدودة للانجاز . ووصاهم بالاداء بغير شوائب ولا أعذار ..

والصهيونية تعتقد أنها تتربص بكارتر حتى لا يتكرر انتخابه للرئاسة مرة ثانية . وتظن أنها تستطيع أن تلوى ذراعه كما كانت تفعل دائما مع الرؤساء السابقين . وفي مؤتمر صحفى سئل كارتر :

ـ هل اتخذت قرارا في شأن اعادة ترشيحك ؟

فقال :

ـ هذا الموضوع لم يطرح نفسه على . ولم أفكر فيه !

ورغم هذا فكتاب الصهيونية يكتبون من الآن أنه سيكون الرئيس ذا الفترة الواحدة . وكارتر لا يهتم . انه لن يتخلى عن أصول دينية تحكم حياته حتى ولو فقد المقعد في الانتخابات القادمة . وقد قال جيمس رستون شيخ المعلقين الامريكيين ان كارتر كف عن محاولة أرضاء الجميع واتجه الى إرضاء مصلحة الولايات المتحدة وكتبت نيويورك تايمز إنه معرض لهجوم مبالغ فيه ..

وأنا أعتقد أن الهجوم سوف يشتد أكثر وأكثر بعد نجاحه في قناة بناما !

ان الصهيونية ركزت على تحطيمه على صخرة بناما . حتى يتحطم على كل الصخور بعدها . وتشل حركته تماما . والمعلقون المنصفون يعتقدون أن نجاحه في قناة بناما سوف يعطيه القدرة على السباحة في المياه العميقة . والتصدى لتيارات اعدائه ..

والمعروف ان كارتر لم يقدم صفقة السلاح الثلاثية ـ المصرية السعودية الاسرائيلية ـ انتظارا لنتيجة التصويت على قناة بناما . ها هو قد حقق النجاح ليكون شهر مايو ١٩٧٧ شهر معركة السلاح في الكونجرس الامريكى بعد معركة معاهدة القناة .

وقبل قناة بناما حقق كارتر نجاحا قام عليه خلاف بين الفلاحين وسائر الشعب فقد رفض كارتر مشروعا بتعويض الفلاحين الامريكيين عن أسعار محاصيلهم . فالفلاح يريد أن يزرع فدانين من كل ثلاثة أفدنة . ويترك الفدان الثالث بغير زراعة على أن تعوضه الدولة عنه . والزراعة الأقل تضمن له ارتفاعا في أسعار الحاصلات بعد أن أصبح الفلاح يعانى من انخفاض الأسعار في محاصيله . كارتر رأى غير هذا الرأى . قال إن هذا يؤدى الى زياد التضخم .. وزيادة التضخم عبء على الشعب الامريكى كله . ولكن لأن الفلاحين قوة مؤثرة في الانتخابات فان مجلس الشيوخ أراد محاباتهم ووافق على المشروع . أما مجلس النواب فقد رفض .. وفي الوقت الذى اعتبر فيه هذا الرفض انتصارا لوجهة نظر كارتر ركزت الحملة الصهيونية عليه . قائلة إنه هدد مجلس النواب باستخدام حق الفيتو ان هو وافق على المشروع بقانون .

وأمام كارتر حواجز كثيرة .

(١) أمامه مشروع قانون خاص بالاصلاح الضريبى يسد الخروق في القانون الحالى .

(٢) وأمامه مشروع قانون بتعويض الآباء عن مصاريف الجامعات الباهظة التى يدفعونها للأبناء . وهذا مشروع يعتبر من مشروعات الدعاية الانتخابية لانه يكسب أصواتا كثيرة ـ مثل مشروع الفلاحين ـ الا أنه يقف ضده . ويقول ان هذا المشروع سوف يستفيد منه قلة الاغنياء الذين يرسلون أولادهم للجامعات الخاصة ـ متوسط مصروف الجامعة الخاصة خمسة آلاف دولار في العام ـ وهو يثقل كاهل الميزانية . والميزانية هى حصيلة الضرائب التى يدفعها الغنى والفقير ..

(٣) وأمامه مشروع الطاقة . وأعداء كارتر ينتقدون التهويل الذى تقدم به في مشروع الطاقة . وكارتر يريد أن ينظم الاستهلاك ـ ويستغل الموارد المتاحه من فحم وطاقة شمسية وطاقة ذرية . والمشروع يتعثر في مجلس الشيوخ الذى يضيع في المتاهة بين مصالح شركات السيارات الكبرى صاحبة الثقل والنفوذ في الكونجرس .. والتى تهتز الى الاعماق من أى تحديد لاستهلاك البترول .. وبين مصالح شركات البترول الكبرى ولها في الكونجرس نفوذ لا يقل حجما عن السابقة .. وبين مصلحة الشعب الامريكى التى أصبح كارتر ـ أو يريد كارتر أن يكون حارسا عليها .

٣٢ ـ هل ضاع الطريق ؟

والآن ماذا بعد ؟

ان الشارع الاسرائيلى تحرك . ولكن المؤسسات الدستورية الاسرائيلية من مجلس الوزراء والى الكينسيت تقف في صف بيجين . وجمعيات الارهاب القديم التى حملت اسماء احزاب عصرية تدعهما الديمقراطية . والجماعات الدينية المتطرفة . وفريق كبير من اليهود الأمريكيين . ويهود اوربا يؤيدون بيجين .

الآن ماذا بعد هذا الصراع ؟ . من يغلب ؟ من يقهر من ؟

وهل سنظل في انتظار ما يسفر عنه الصراع . وتدخل مبادرة السادات ثلاجة اسرائيلية . ويعود الموقف الى ماكان عليه قبل ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ . اى لاحرب ولاسلم . ولاجنيف ولا امم متحدة ؟ . ما البديل ؟ وكيف النظرة للمستقبل ؟

اقول ان البديل لدبلوماسية السلام هو الحرب .. هي آخر الطريق . ونهاية المطاف والشر الذى لابد منه بعد ان فشلت كل نوايا السلام مع

ارهابى القرن العشرين .. هتلر اسرائيل .. مناحم بيجين !

ولكن مصر التى تريد السلام حقيقة تعلن بلسان بطل السلام انور السادات : لقد عقدت العزم على المثابرة . ولدى استعداد لمنح التجربة كل فرصة ممكنة حتى اصل الى نتيجة مؤداها ان وقتا كافيا قد انقضى دون احراز تقدم ملموس . ونحن جنبا الى جنب مع الرأى العام العالمى نحمل الحكومة الاسرائيلية مسئولية تعريض احتمالات السلام للخطر .

فماذا يمكن أن نفعل في هذه المدة ؟ هل يمكن ان ندفع الامم المتحدة وهى الشاهد على تعنت اسرائيل في شخص سيلاسفيو .. من تابع مؤتمر القاهرة والقدس . وفي شخص كورت فالدهايم سكرتيرها العام الذى كان في وقت ما في وضع استعداد لدعوة اطراف التفاوض الى نيويورك .. والذى تابع مباحثات السلام في كل فصولها .. اقول هل يمكن ان ندفع الامم المتحدة الى تحريك العقوبات المنصوص عليها في ميثاقها .. وجعلها عقوبات اقتصادية .. من منطلق ان اسرائيل ترفض تنفيذ القرار ٢٤٢ والذى يقضى بالانسحاب من أراضى احتلت بعد ٥ يونيه ١٩٦٧ ؟ ان في الامم المتحدة سابقة .. فقد طبقت المقاطعة الاقتصادية على جنوب افريقيا بنظامها العنصرى .. وفي الامم المتحدة ادانه لاسرائيل بالعنصرية . فمعاملة المثل .. او تطبيق السابقة ليس موضع جدل قانونى . ان مخالفة اسرائيل واضحة وضوح الشمس . وعدم تسليم اسرائيل للفلسطينين بحقهم في دولتهم عنصرية تبلغ الذروة .. والعالم شاهد ؟ .

ولكن الواقع ان تطبيق العقوبات يتوقف على الدولتين الكبريين .. الولايات المتحدة الامريكية . والاتحاد السوفيتى . انا اعتقد ان الولايات المتحدة الامريكية . رغم مواقفها التى تزخر بالنوايا الحسنة - لا يمكن ان تقدم على توقيع العقوبات الاقتصادية على اسرائيل .. وابادر الى القول ان الاتحاد السوفيتى نفسه وان لم تربطه علاقات اقتصادية مع اسرائيل

فانه لا يملك مقاطعتها في اهم سلعة تصل اليها .. غير مقومة بمال ، غير مذكورة في ميزان مدفوعات ـ هذه السلعة هى الرجال والنساء .. هذه السلعة هى المهاجرين اليهود . ان الاتحاد السوفيتى يصدرهم الى اسرائيل نتيجة لسياسة الوفاق مع الولايات المتحدة ، مقابل القمح الذى يفرج به الاتحاد السوفيتى ازمته . الاتحاد السوفيتى يمكن ان يصدر لنا الف تصريح حماسى ، ويمكن ان يرصع التصريحات بعبارات الامبريالية والصهيونية .. ولكنه لا يتعداهما باجراء من عنده . والمهاجرون بالنسبة لاسرائيل هم شريان الحياة المتجددة ، وامل التوسع الكامن في الصدور ، هم الحراس الجدد الذين يذودون عن ارض اغتصبها الصقور والحرس القديم .. اذكرك بان اكثر سكان المستوطنات ـ وهذه المستوطنات صخرة اصطدام في المفاوضات الاسرائيلية المصرية ـ من المهاجرين الجدد ..

فاذا لم يكن الاتحاد السوفيتى ايجابيا في تطبيق هذه عقوبة منع الهجرة اليهودية لاسرائيل وهى في نظرى لاتقل خطرا عن السلاح الذى ترسله الولايات المتحدة لاسرائيل . فكيف نتصور ان تسطع الولايات المتحدة تطبيق العقوبات وهى التى كتب عنها د . محمد المهدى ـ استاذ العلوم السياسية في الجامعات الامريكية بأنها « أمة من الاسود المكبلة » !

ادفع دولارا واقتل عربيا !

ان النفوذ الصهيونى في الولايات المتحدة سوف يتصدى لاى عقوبات من هذا النوع !

ان اليهود في امريكا ستة ملايين نسمة .. ولهم ٣٠٠ جمعية صهيونية تمارس نشاطاتها في كل اتجاه .. من الاتحادات النسائية الى الأحزاب السياسة الى الكشافة والاصطياف او الندوات العلمية واقامة شعائر الصلاة .

قد تحولت هذه الجمعيات الى جماعات ضغط ، وببراعة تغلغل اليهود في المواقع التى يتحكمون بها في المصائر ! لهم في امريكا ١٧٥ الف محام يمثلون ٥٠ ٪ من مجموع المحامين . ولهم في المحكمة الدستورية العليا مندوب .. وربما مندوبان . ولهم ٢٧ الف طبيب وهم اكثر بكثير من عدد الاطباء في اسرائيل ذاتها . ولهم ٥٠ الف استاذ جامعة يسيطرون على عقول الملايين من طلابهم كل عام . وهم يملكون اكثر من نصف الصحافة والتليفزيون - وسطوتهم على وسائل الاعلام عبر الثلاثين عاما الماضية سطوة معروفة .. نجحت في تصوير العربى على انه وحش كاسر . واقنعت المواطن الامريكى السريع الانفعال بان من يدفع دولارا ليقتل عربيا يدخل الجنة ! ولم يستطع اليهود المعتدون في الولايات المتحدة ان يفتحوا ثغرة في هذا الحائط الفولاذى .. وهى قصة معروفة عندما كتب الفريد ليلينتال - صاحب كتاب « الى اين يا اسرائيل ؟ » - مقالا بعنوان « علم اسرائيل ليس علمى » . وطاف به على دور النشر فلم يجد صحيفة تقبل نشر مقاله . فاتجه الى الريدرز دايجست - اى المختار - لأنه يعلم أنها مجلة تصدر بلا اعلانات . وبالتالى فليس للقوى الصهونية تأثير عليها . وقد قبلوا منه المقال .. وصدر العدد من المجلة وفيه مقال آخر لحاخام متعصب اسمه اباهيليل سيلفر عنوانه - وهذه هى وجهة نظر الصهيونية - !

وقد كتب دافيد نيس وكان قائما بالاعمال في السفارة الامريكية في القاهرة . كتب بعدما عاش احداث الشرق الاوسط شريحة من الزمن : لا يستطيع أحد ان يجد صورة للحقيقة في الشرق الاوسط .. في الصحف الامريكية - كان هذا في الماضى .. وقد فتح الرئيس السادات بزياراته . وبمبادرة السلام ثغرة كبيرة في هذا الجدار الصلب . واستقطب كثيرا من الاقلام الشريفة لصالح القضية ..

والسينما .. الفن السابع المزدهر في امريكا كان مطية صهيونية . فبدءا بافلام الكارتون التى تضع العربى في صورة مزرية الى افلام الفخامة

والضخامة مثل الخروج وأبت الصهيونية على ضرب العرب تحت الحزام ·
وصحيح ان رجل الشارع الامريكى بدأ يحس ظلم الصهيونية للعرب .
وصحيح ان صورة العربى الحضارى قد بدأتتحتل مكانا في اذهان
الامريكيين منذ خطا الرئيس السادات من طائرته على ارض القدس في
مبادرته المبهرة ·· الا أن السطوة الصهيونية تعيش هناك · اهتزت ··
نعم ·· ولكن بقاياها باقية ··

وجماعات اللوبى الصهيونية نشيطة ! ان اكثرها من المحافظين .
ومنهم اعضاء كونجرس سابقون . وهم يقدمون لاعضاء الكونجرس
الحاليين الدراسات . وأحيانا مشروعات القرارات التى يقترحون على
الكونجرس اصدارها ـ كذا ! ·· وهم ينفقون حوالى خمسة ملايين دولار
على هذا العمل سنويا · والوكالة اليهودية مسجلة بصورة قانونية ·· مثلها
مثل منظمة البناى بريث ·· والمعروف ان البناى بريث تنفق سبعة
ملايين دولار على اغراضها ·· واكثرها اغراض سياسية ! ·

الولايات المتحدة الامريكية بسياستها التقليدية لاتستطيع ان تفرض
العقوبات الاقتصادية او العسكرية على اسرائيل ··

ولكن الولايات المتحدة الامريكية بسياستها القوية · سياسة مواجهة
اخطر مشكلة تهدد العالم يمكن ان تفرض العقوبات . وترى اسرائيل
العين الحمراء . وعندما سئل الرئيس انور السادات وكم هى المدة التى
تراها مناسبة للانسحاب من سيناء قال : ستة اشهر فترة مناسبة ·· من
قبل كان قرار ايزنهاور ان يتم الانسحاب من سيناء في شهرين !

كارتر ·· بيت القصيد !

فشخصية الرئيس الامريكى هى بيت القصيد ··

هى بيت القصيد اولا في الوصول الى حل . وهى بيت القصيد في
الاسراع بهذا الحل ، او في فرض البديل مثل العقوبات ! وكارتر بعد في
الامتحان · في قلب قلب الامتحان ·· لست ادرى كم بقى له من الزمن
قبل انفلات الاعصاب ·· ولكنى ادرى انه يريد ان يفعل شيئا ·

وفي اتجاهات كثيرة يمكن ان يتحرك كارتر ..

الشاهنشاه محمد رضا بهلوى . في ايران .. صديق كبير للعرب وقد سئل . هل تقبل قطع البترول عن اسرائيل ؟ .. فقال : اذا قررت الامم المتحدة تطبيق العقوبات الاقتصادية فان ايران لن تتردد ! والمعروف ان اسرائيل تعتمد على بترول ايران اعتمادا يكاد يكون كليا . واوربا .. كل اوربا يمكن ان تتحرك بالعقوبات الاقتصادية ضد اسرائيل . ولكن اوربا في هذه النقطة ـ المصيرية لابد ان تتشاور مع الولايات المتحدة .. لان مظلة الولايات المتحدة النووية تحمى اوربا .. كما ان رخاء القارتين يتساند ومصيرهما ضد الدب الأحمر مصير واحد ..ومهما بداعلى السطح من حماية اوربا لاصدار قرارات الادانة لاسرائيل .. الا ان فرض العقوبات الاقتصادية على اسرائيل حكاية أخرى ..

ومن المعلقين السياسيين من يعذرون كارتر ، ويقولون ان العرب يظلمونه وهم يتصورون ان مشكلة الشرق الاوسط هى القضية الوحيدة التى يجب ان تشغل باله ـ فالواقع ان كارتر يحمل هموم الامريكيين وهم ٢٥٠ مليون نسمة . اى ضعف حجم العرب . ويواجه مشاكل حادة مثل اتفاقية بناما والطاقة والضرائب والتضخم وانخفاض سعر الدولار . وكل مشكلة توازى في الحجم عنده مشكلة الشرق الاوسط . وتفوق عند رجل الشارع الامريكى مشكلة الشرق الاوسط .. لان الشعوب تجتر همومها قبل ان تجتر هموم الآخرين !

هل تحس بالاحباط مما اكتب هل يزحف اليأس الى صدرك فتقول ان المبادرة بدأت تلتف في الصمت .. أن اعظم طاقة على الأمل بدأت تنسد وتنغلق فيعود الجدار الحجرى يسد طريق السلام ؟

هل تثور في وجهى إذا قلت لك أن من قتلوا برنادوت ومن قبله موين ومن قتلوا الالوف في دير ياسين وكفر قاسم وعلى الحدود الاربعة في سيناء والجولان والضفة الغربية ولبنان يستطيعون ان يقتلوا كارتر مثلما

قتلوا كنيدى .. حين بدأ كنيدى يمد جسرا للحوار مع الراحل الرئيس جمال عبد الناصر ؟

تعال نشد ابتسامنا الى شفاهنا .. تعال نتفاءل !

قلت لك ان جماعات الضغط الصهيونية تمكنت من الشعب الامريكى .. ازف لك خبرا هنيا .. ان جماعات الضغط العربية قد بدأت في الظهور . واصبح لها صوت في الساحة الامريكية .. واليك حكايتها !

العرب في امريكا يتجاوزون المليونى نسمة . وقد نشرت مجلة الكونجرس الامريكى دراسة عنهم في بحث عنوانه « بحث الابواب المغلقة » قالت فيه :

- امضى العرب في الشرق الاوسط وابناء عمومتهم العرب الامريكيون نحو ربع قرن على الهامش . بينما لعبت جماعات الضغط الصهيونية دورها الذى اسهم في دفع الولايات المتحدة الى لعبة خطرة هى لعبة السياسة في الشرق الاوسط . وكان التورط الامريكى لصالح اسرائيل في المنطقة .. ولكن منذ حرب عيد الغفران - اكتوبر ١٩٧٣ - بدأ مؤيدو القضية العربية من الامريكيين يحسون انهم اخيرا قد دخلوا الى اللعبة - وقال ريتشارد - وهو محام امريكى من اصل عربى - وكان من قبل رئيسا للاتحاد القدمى للامريكيين العرب : لقد جاء يوم الامريكيين العرب .. والسبب في هذا هو البترول - ولخص توماس رافن المدير التنفيذى السابق لاتحاد الامريكيين العرب اهداف جماعات الضغط العربية في الولايات المتحدة بقوله : اننا لانطلب الى الولايات المتحدة ان تتخذ موقفا مؤيدا للعرب ومعاديا لاسرائيل وانما نحن نطالب ببحث كافة جوانب الشرق الاوسط .. ثم باتخاذ موقف متوازن وعادل في سياستها الخارجية . والى حرب ١٩٧٣ كان مؤيدو العرب في السياسة الامريكية تماثلا مع السياسة السوفيتيه . ويرون انها تعمل على المحافظة

على الوضع القائم في الشرق الاوسط .. الأمر الذى يعنى بالنسبة لهم ان الولايات المتحدة لاتفعل اى شىء حتى يتم انسحاب اسرائيل من المناطق العربية التي إحتلتها ١٩٦٧ .ويتم بجاد تسوية عادلة للقضية الفلسطينية ولكن كيسنجر بعد هذا قام بجهود للوساطة اسفرت عن توقيع اتفاقية للفصل بين القوات بين مصر واسرائيل . واتفاقية للفصل بين القوات بين سوريا واسرائيل . وفي ربيع عام ١٩٧٥ حاول كيسنجر التوصل الى اتفاقيات اخرى بين الاطراف المتحاربة . وباءت هذه المهمة بالفشل . وعلق الرئيس فورد على هذا في غضب واضح بقوله : « لو كان الاسرائيليون اكثر مرونة لكان هذا في اعتقادى - افضل ضمان للسلام في المدى البعيد . واعلن البيت الابيض عن اعادة تقييم شاملة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . وقيل ان اعادة التقييم ستتناول جميع الدول .. »

ويستطرد المقال قائلا :

- ولقد كان هذا نغمة غير مألوفة بالنسبة لمؤيدى العرب في امريكا .. وكان له وقع الموسيقى في آذانهم . وايد كثير من العرب الامريكيين جيرالد فورد في انتخابات الرئاسة عام ١٩٧٦ على اساس من التحول في سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط .. خاصة على ضوء ما كان واضحا من انحياز اسرائيل الذى كان يستهدف جذب اصوات اليهود . وهم اكثر عددا من اصوات العرب . ومؤيدى العرب .. ولكن ما ان جاء منتصف عام ١٩٧٧ حتى كانت آراء كارتر ازاء الشرق الاوسط تلقى ترحيبا من الامريكيين العرب . وربما يكون جوزيف بارودى رئيس الاتحاد القومى للامريكيين العرب قد عبر عن هذا الاتجاه العام حين قال عقب انتخابه لرياسة الاتحاد « نحن في الوقت الحاضر مستعدون لاعطاء كارتر مزية تفسير شكوكنا لصالحه . وسوف نفترض أنه يتخذ موقفا عادلا الى ان يعطينا مبررا قويا لاعتقاد انه عادل فعلا .

وهو ما تحقق فعلا بعد ذلك في اعقاب زيارة بيجين الخائبة الى امريكا في ١٩٧٨ .. وهى نقطة للامريكيين العرب ان الكونجرس رقم ٩٥ من سبعة اعضاء من اصل عربى بعد ان كان في الكونجرس رقم ٩٤ عضو واحد هو جيمس ابو رزق .. وعلى هذا يعلق بارودى بقوله: اننا حالما نقر ان عربيا في امريكا يريد الدخول في انتخابات مجلس المدينة أو أى شىء من هذا القبيل فاننا نشجعه ونهرع لمساندته أينما كان .

ثم يقول بارودى : إن المصدر الرئيسى لتأييدنا هو الامريكيين العرب . وتوجد في الولايات المتحدة ما بين ١١٠٠ و ١٢٠٠ منطقة امريكية عربية تكاد كلها تكون منظمات ثقافية ودينية واجتماعية . ولكن كثيرا منها قررت الانتساب الينا لاسباب سياسية ..

إتحاد للعرب ..

ويبلغ عدد اعضاء الاتحاد اربعة آلاف يدفعون اشتراكات تتراوح بين الف وخمسة الآلف دولار سنويا . ولا يقبلون أموالا من اى دولة عربية حتى لا يتهمون بالتحيز لها . ويعمل بارودى رئيس الاتحاد ومستشارا لهيئة فاجن وبارودى بواشنطن . وهو ينتمى الى اسرة بارودى التى تعتبر من عمد الأسر العربية في امريكا .. وهى اسرة تنتمى للحزب الجمهورى ومنصمه او الاتحاد لا يعارض وجود اسرائيل . ولكن يرى ان تأييد اسرائيل لا يعنى بالضرورة تأييد كثير من سياسات اسرائيل . او الاستسلام لضغوط جماعات الضغط الاسرائيلية اليهودية . وقد قال رافين منذ سنين : ان هدفنا هو اشاعة العدالة والموضوعية في المواقف الامريكية ازاء الشرق الاوسط . ونحن نقدم للكونجرس بديلا لم يكن متاحا من قبل ! ! . وذكر رافين رحلتين قام بهما السناتور جورج ما كحفرن السناتور تشارلز بيرس وعادا منهما ولديهما رغبة في اتخاذ مواقف اكثر اتزانا ازاء الشرق الاوسط ..

وقد التقى اعضاء الاتحاد بالرئيسين المتعاقبين فورد ـ وكارتر

قال رافين سكرتير عام الاتحاد في لقاء مع فورد :«اننا لا نتحدث بلسان أى دولة عربية أو أى زعيم عربى . وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية فاننا اولا وقبل كل شىء أمريكيون . ولا يمكن ان نكون مؤيدين للعرب اذا كان هذا سيضر الولايات المتحدة .. والسبب في وقوفنا ضد السياسة الموالية لإسرائيل هو أنها تسىء الى الاحوال الاقتصادية والاجتماعية في الولايات المتحدة » ..

وفي اللقاء مع كارتر بدا اعضاء الاتحاد اكثر قوة مما بدوا امام فورد . ولكنهم تفسخوا عندما خرجوا من البيت الابيض وتجمع حولهم الصحفيون .فان كل واحد منهم ارادأن يكون زعيما يلقى التصريحات بعد ان فشلوا في الاتفاق على من يدلى ببيان للصحفيين . فالسورى يريد ان يتزعم كقلب العروبة النابض ! ـ والليبى يريد ان يقول كلمته .. لأنه مال العروبة السائل .. و .. الخ !

وهنا تبدو سلبية الاتحاد او ثغراتة .. ومن اعضائه من يعتبر اصله العربى نقطة في غير صالحه . وقد قيل ان جيمس ابو رزق لن يرشح نفسه في الانتخابات القادمة يأسا من ضم الصفوف العربية داخل امريكا .. كما نهش فيه البعض قائلين انه طلب من كارتر منع السلاح عن اسرائيل لأنها استخدمت القنابل المدمرة ضد المدنيين في جنوبى لبنان مع ان الاصل والاصول ألا تستخدم الا ضد الاهداف العسكرية . قالوا ان نوبة من الشجاعة تواتيه هذه الايام .. فقط لأنه لن يرشح نفسه مرة اخرى ..

ولكن الواقع ان جهد جيمس ابو رزق لا يمكن ان ينكر . انه كان يقف وحيدا في الكونجرس الرابع والتسعين كصوت صارخ في البرية .

وقد عقد صداقات حميمة مع شيوخ امريكيين اخبروه بصفة شخصية أنهم يتعرضون لضغوط شديدة ليجددوا تأييدهم لاسرائيل - وعقد صداقات حميمة مع شيوخ آخرين قالوا إنهم سيرشحون انفسهم للدفاع عن فلسطين وقضايا العرب بعد ان يترك جيمس ابو رزق مقعده !

واعضاء الكونجرس الباقون هم جيمس عبد النور وادم بنيامين وإبراهام خازن وتومى موفيت ومارى روزأوكار وميك رحال . وكلهم في مجلس النواب . وقد برز بينهم توبى موفيت الذى قال : على الرغم من امكانية حدوث تحول في السياسة الامريكية في الشرق الاوسط . فان الامريكيين العرب لن يستطيعوا كسب التأييد لقضاياهم بين يوم وليلة . لقد حصلت الجالية اليهودية الامريكية على الاحترام الذى تحظى به منذ السنوات نتيجة لتاريخها الطويل من النشاط في مجالات مثل الحقوق المدنية والحركة المناهضة للحرب . والحق ان الامريكيين العرب ليست لهم وجهة نظر تقدمية فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية .

فعندما جاء معظمهم الى امريكا سارعوا الى تكوين ثروة .. والانضمام الى الحزب الجمهورى .

والمعروف ان اليهود يدفعون نصف الاموال التى ينفقها الحزب الديمقراطى في حملاته . ولهذا يتحكمون في رئاساته - كارتر ديمقراطى ولهذا يستطيع اليهود ان يذهبوا الى المعبد يصلون لارض الميعاد .. ويتحدثون عن طائرات ف ١٥ ! وهم يشددون الضغط على الكونجرس ليكونوا قادرين في اى لحظة على تجميع ٧٦ توقيعا من اعضاء الكونجرس يعارضون به اى قرار امريكى . حدث هذا في الخطاب المشهور الذى وجهوه لفورد قبل ساعات من طيرانه الى سالز بورج - مايو ١٩٧٥ - للقاء السادات في إطار اعادة تقييم السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ..

جماعات الضغط العربية امامها وقت طويل لتستطيع التصدى لبعض النشاط الصهيونى .. ليس بين يوم وليلة يمكن ان تكسب التأييد للقضايا العربية . كما قال موفيت - ولعل موفيت هذه اصلها العربى مفيد !

السلام أو الحرب

و .. وهناك عدا الاتحاد القومى للامريكيين العرب رابطة خريجى الجامعات الامريكية العرب . وهذه الرابطة لم تجذب اهتمام الصحفيين والسياسيين لأنها لا تقوم بنشاط ملحوظ في واشنطن . ولكنها رغم هذا اصبحت ذات نفوذ . انها مجموعة من الدارسين والأكاديميين اكثر منها منظمة سياسية .. وقيل عنها ايضا انها اكثر اهتماما بالسياسات العربية الداخلية . وهناك مراكز الاعلام للجامعة العربية .. وهى محدودة النشاط نتيجة لقلة الامكانيات وافتقارها الى العناصر الفعالة . ولهذا تكتمل رسالتها بالمحاضرين المتجولين . وهناك السفارات العربية وابرزها سفاره مصر .. ونشاط السفير الذكى خريج هارفارد .. الذى يتحدث الى الامريكيين بلغتهم .. الدكتور أشرف غربال حين يحاضر في امريكا شرقا وغربا .. ويعاونه مكتبه الصحفى وفيه محمد حقى الوزير المفوض . واحمد ابو شادى المستشار الصحفى .. وفي نيويورك استاذ القانون ومندوب مصر في الامم المتحدة الدكتور عصمت عبد المجيد الذى كشف كل المغالطات القانونية فيما يقوله الوفد الاسرائيلى في المباحثات .. حتى أن بيجين أطلق عليه وصف «المفاوض الشرير» ومحمود عمر وايمن الامير بجولاتهما ومقالاتهما في القارة . كل هؤلاء يجتهدون اجتهادهم .. والقارة شاسعة . والمنظمات الصهيونية ثلاثة الآف .. تنفق مئات الملايين .. فهل يمكن ان يحكم يهود امريكا على كارتر بالشلل فلا يتحرك . وبالجمود فلا يذيب الجليد الذى بدأ يتراكم حول مبادرة السلام ؟

أن الرئيس السادات قام بجهده •• وأبلغ الرسالة • فالسلام رسالة الأنبياء •• وأشهد العالم كله على أن العرب للسلام واسرائيل لا تريده ، وأثبت للعالم كله أن اسرائيل تخالف اجماع الدنيا ، وتريد أن تحتفظ بالأرض •• وتطلب الأمن • ؟

اذا كان البديل بعد اجهاض المبادرة •• وبعد ان تسد كل الطرق إذا كان البديل هو الحرب فان اجماع العرب ضرورة تسبق الحرب •• ويمكن ان يسفر الاجماع العربى عن انذار بقطع العلاقات العربية مع امريكا • كل العرب يقاطعون امريكا •• لأننا قدمنا حسن النية فلم تتقدم اسرائيل الى ساحه النية الطيبة ، وقدمنا امارات السلام •• فلم تنهض امريكا الى دورها المأمول • أقول •• اذا تهددت مصالح امريكا بمقاطعة عربية شاملة . واذا أحس رجل الشارع الامريكى ان البترول سوف يجف من خزاناته . وأن الصقيع سيحاصره شتاء .. والحر يقتله صيفا .. اذا أحس رجل الشارع الأمريكى ان اسرائيل تأخذ امريكا الى الهاوية ساعتها سوف يتظاهر في الشوارع . ويسمع الكونجرس صوته . ويقول رجل البيت الأبيض :

ـ قف للاسرائيليين يا رجل .. علمهم ان من يعطى السلاح يستطيع ان يعطى النصيحة . بل من حقه أن يفرض الحل ..

ومثلما نجح الشارع الامريكى في ان يوقف حرب فيتنام فان الشارع الامريكى يستطع ان يوقف الحرب الخامسة في الشرق الاوسط • يوقفها قبل ان تندلع •• قبل ان ينفجر برميل البارود . وقنبلة الذرة •• قبل ان يلحق طائر الشؤم فوق العالم كله •

ان معهد لويس هاريس يقول ان تغيرا حدث في العقلية الامريكية في الاعوام الثلاثة الماضية :

١ ـ ان قوة اليهود في امريكا يمكن ان تتعرض للتآكل الذى قد يمتد الى اسرائيل ذاتها

٢ ـ لم يعد ممكنا احتمال تعنت اسرائيل التقليدى

٣ ـ مع تناقص التعاطف مع اسرائيل ـ وتزايد قوة العرب فربما تجتاح العالم الغربى موجة من معاداة السامية !

وتقرير معهد هارى لويس هذا كان قبل انتخاب بيجين !

اما بيجين فقد زاد الطين بلة .. ومزق اليهود في اسرائيل .. ومزق اليهود في امريكا .. واصبح العالم كله في موقف لا يستطيع ان يتنبأ فيه بالغد ..

هل هو السلام .. بعد ان افسح له السادات صدره . واعطى المزيد من حلمه ؟

هل هى الحرب ؟ هل يجتمع العرب لخطة واحدة ؟

وقد قال الامير فهد .. على ما رويت قبلا : لست ادرى لماذا يختلف العرب اذا لاح السلام .

وشيمون بيريز قال عندما كان وزيرا للدفاع في حكومة رابين : ان العرب ٢١ دولة في السلام .. ولكنهم دولة واحدة في الحرب ..

ونحن عند مفترق طرق :

اما ان تنحل عقدة السلام الصعب ..

واما الحرب ..

والقصة هكذا لم تتم فصولا

٣٣ ـ المفاوضات هى الأمل الباقى

• اجتاز مناحم بيجين امتحانا صعباً وهو يجيب على سؤالين محددين طرحهما فانس على ديان أثناء زيارته الأخيرة لواشنطون ·

والسؤالان هما :

ـ هل تستطيع اسرائيل أن تضمن بعد خمس سنوات من الادارة الذاتية .التى تقترحها للضفة انها ستكون على استعداد لتقرير مستقبل شعبها ؟

ـ ما هو تصور اسرائيل لاشتراك الفلسطينيين في تحديد مستقبلهم ·· اذا رفضت اجراء الاستفتاء ؟

وقد قالت صحيفة ها أرتس الاسرائيلية ان بيجين يعد مقترحات جديدة تكفل قدرا اكبر من الحكم الذاتى في الضفة الغربية . وهو قدر يتجاوز في حجمه كل ما عرض من قبل ·· ولكن مع استبعاد الاستقلال ··

وتقول الصحافة الاسرائيلية ان الولايات المتحدة تسدد هذين السؤالين بايحاء من مصر . وتقول هذه الصحافة ايضا ان الولايات المتحدة سددت الى مصر سؤالين هما :

ـ هل تقبل مصر عقد صلح منفرد اذا ما قدمت اسرائيل ما يمكن الاتفاق عليه ؟

ـ هل تقبل مصر التفاوض باسم الفلسطينيين ؟

واسرائيل تعرف سلفا رد مصر . انه جاء منذ فجر المبادرة ... سطورا في خطاب الرئيس السادات الى الكنيسيت .. لا صلح منفرد .. وكل طرف من اطراف النزاع يفاوض لنفسه ..

وما تقدمه اسرائيل اسئلة استهلاكية تضيع بها الوقت . وهى أسئلة لا تضيف جديدا للموقف ما دامت تعرف اجابتها قبل ان تصدرها .

ولكن في نبرة الصحافة العالمية بداية لتفاؤل ! ان من أخبار اسرائيل ما يشير الى ان الضغط على بيجين يتزايد بصورة لم تحدث من قبل . ان الطلبة وضباط الاحتياط قد اجتذبا الى حركة السلام الآن ٣٥٠ أستاذا جامعيا . وهذه الحركة تمتد الى يهود الشتات بسرعة كبيرة .. وأصبح شعار الحركة الأول هو « مستقبل أولادنا أهم من قبور أجدادنا » .. ومعناه أن الحدود التوراتية التى يتحدث عنها بيجين لا تهم .. انما الذى يهم هو الارض التى يمكن ان تعيش فيها اسرائيل الغد في أمان ..

وقد التقى « اوجرى باذان » طالب الاقتصاد واحد الزعماء البارزين لحركة السلام الآن مع ايجال يادين وقال له :

ـ ان حزبك استمد قوته من انه يردد مبادىء تشبه مبادئنا .. اننى اطالبك بترك الحكومة وتكريس حركة التغيير لمقاومتها .

وفي نفس الوقت أرسل ٤٠٠ من العمال من حزب الحركة الديمقراطية للتعيير برقية لايجال يادين يقولون له فيها :

« انك تمنح بيجين الشرعية . انك تغريه بالتشدد . وأنت شريك له في كل خطواته التى تسبب الكارثة » .

والشقاق الآن واضح في حزب التغيير ! جناح منه يؤيد خط بيجين وجناح يويد المعارضة .. ويكاد الحزب يتمزق فينضم بعضه الى الليكود .. ويذهب البعض الآخر الى حزب العمل . وقد بدأت صورة ايجال يادين تفقد جاذبيتها القديمة عند الاسرائيلى الذى انتخبه بأمل أن يكون يادين هذا رجل المستقبل .. فهو رجل السيف والعلم . كان أحد رؤساء الاركان السابقين ثم تفرغ للاثار ـ والآثار تلهب خيال الاسرائيليين لانهم يعتبرونها تحقيقا للتوراة على الطبيعة سطحا وعمقا ـ بدأت صورة ايجال يادين تفقد جاذبيتها لانه في نظر الاسرائيليين متكالبٌ على منصبه الوزارى . كما انه الرجل الذى لم يقل لبيجين لا .. مع انه الوحيد في داخل مجلس الوزارة الذى يستطيع ان يقول لا لبيجين فيهتز بيجين !

وقد خاف يادين على احلامه وهى تنهار أمام عينيه . انه يعتقد انه البديل لبيجين اذا ذهب بيجين ـ تتعدد لذلك الاسباب ـ ولهذا ارتدى في الايام الماضية ثوب اسد وصاح في رفائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيلى الجديد :

ـ ان ما صرحت به من أنه لا يمكننا الدفاع عن اسرائيل بدون اليهودية والسامرة عمل سياسى لا يدخل في اختصاصك ؟

وقد أعطى مجلس الوزراء الاسرائيلى نصف ساعات اجتماعه لهذه القضية .. قضية هل يحق لقائد عسكرى أن يدلى بتصريحات « سياسية » .. وقد دافع بيجين عن ايتان .. وخرج ايجال يادين مدحورا !

على أن هذا لا يعنى أن ايتان رئيس هيئة أركان جيش الدفاع الاسرائيلى يتولى قيادة جيش بلا متاعب ! ان جيش اسرائيل يعانى لأول مرة منذ انشائه من تدهور الضبط والربط فيه . ان بوادر العصيان ظهرت في صفوفه في مجال تنفيذ الأوامر في حملة الجيش الاسرائيلى على جنوب لبنان . وقد قال طيار اشترك في غارات جنوب لبنان : « اننى منهك

القوى ومتعب . متعب من رؤية المذابح والمنازل التى دمرت » . وقال طيار آخر : « اننى لو نجحت في اصابة الأهداف . وحطمت مراكز القيادة أو المعسكرات فاننى لا أكون سعيدا في ذلك » !

هذه نغمة جديدة .. يضاف اليها نغمة ضباط الاحتياط حلفاء الطلبة الجامعيين في حركة السلام الآن . وقد قلت لك ماذا قال طالب الاقتصاد بادان لايجال يادين . ولم أقل لك ماذا قال مناحم بيجين . انه شدد الحملة عليه فقال بيجين :

ـ اننا لم نتول الحكم الا منذ عشرة أشهر فقط . فلا تتعجلونا .

فرد عليه بادان قائلا :

ـ أن الضرر الذى الحقته بصورة اسرائيل في هذه الشهور أسوأ مما فعله سابقوك في عشرين سنة .. فسدد بيجين الى بادان نظرة نارية ـ كما في الأفلام البوليسية ـ وقال له :

ـ أيها الشاب .. لا تلق على محاضرة !

وفي جيش اسرائيل مظهر جديد من مظاهر القسوة الذاتية ! أن الجاويشية والضباط بدأوا يسيئون معاملة الجنود مع أن هذا الجيش كان يباهى دائما بأنه يجرى في هذه العلاقة نموذج الجيش الأمريكى . ان جنديا يدعى باكوف ليفى انتحر بسبب هذه القسوة . وقد وجهت قيادة الجيش اللوم الى قائد الفصيلة . وأحيل الجاويش للمحاكمة .. وهاجمت الصحف ما يجرى داخل الجيش . وقالت ان هذه المعاملة للجنود وحشية مثل تلك التى عاملنا بها اعداء السامية !

وقد هجمت قوات من الجيش الاسرائيلى على مدرسة ثانوية عربية كانت تعلن احتجاجها على بناء المستوطنات الجديدة . وحاصرت القوات الطلبة في الفصول وأطلقت عليهم الغازات الخانقة . وقد قفز عدد من الطلبة من نوافذ المدرسة .. ولقى بعضهم حتفه .. وتدخل وايزمان فقدم قواد الحملة الى المحاكمة !

الجيش الاسرائيلى يعانى من انفلات الاعصاب . لعل السبب النفسى هو أنه يرى فرصة السلام تكاد تضيع من يده . أنه ممنوع من العمل في السياسة .. لكنه ليس معزولا عن الاحساس بالخطر . والأحساس بأن ساسته يحفرون له قبرا جديدا في معركة جديدة .

مستوطنات هل هذا معقول ؟

وقد قلت ان حركة السلام الآن تجد لها أنصارا في يهود الشتات .. فالحاخام جرونوالد كتب في مجلة « تريبونا » التى تصدر في أمريكا يقول : « ليس هناك من سبب يرغم يهود الشتات على الموافقة بصورة عشوائية على سياسة يمكن طرحها على بساط المناقشة والبحث . واذا كانت اسرائيل قد انسحبت من جانبها عن بعض الأراضى لتحاشت حرب عيد الغفران . غير أن مناحم بيجين لم يرغب في التحرر مما تبقى في الذاكرة من جراح . ولضمان السلام حاول بيجين أن يقيم على أراضى اليهودية والسامرة هذا الخط الغريب لماجينو .. والذى اقامه على أساس اقصاء تطبيق قرار ٢٤٢ على هذه المنطقة .

أما « ازى ستون » مؤلف كتاب اعترافات يهودى منشق فقد كتب يقول : « ان أى نقاش بصدد الشرق الاوسط يتحول بصورة لا يمكن تحاشيها الى مأساة نفسية حقيقية . وكل من يحاول الألتزام بأدنى قدر من التحفظ . أو لديه الجرأة على الحديث عن معاناة اللاجئين الفلسطينيين وحقوقهم فلا مفر من أن يعامل معاملة المعادى للسامية . أو على أنه يهودى يحمل في داخله كراهية وحقدا لذاته . ان الخطأ الفاحش الذى وقع فيه يهود الشتات هو تخليهم عن تقاليد الاربعة الآف عام .. وعندما ذهب السادات الى القدس وجه فلاديمير رابى نداء الى اليهود في العالم كله .. دعاهم الى مساندة ودعم أول محاولة هائلة لاقرار السلام . وهو النداء الذى تطابق ونتائج الاستطلاع الذى أفاد بأن شعب اسرائيل على أتم الاستعداد للتنازل عن جميع الأراضى المحتلة أو المحررة في مقابل السلام » .

وقال البروفسير سيجور مارتن الاستاذ في جامعة ستانفورد ـ وهو صهيونى متعصب ـ : « ان أملى الشخصى أن يجبر بيجين على الاستقالة . انه عمل ولا يزال يعمل ضد مصلحة اسرائيل . وتقديرى أن الاسرائيليين الذين يعلمون على أن بقاءهم يعتمد على تأييد أمريكا سيختصرون في مدة بقائه في الحكم .. أن عاجلا أو أجلا » .

ولكن هل كل هذا يجدى شيئا مع بيجين ؟

مصارحة النفس تقتضى ان أقول لك !

ـ لا .. ان بيجين يمضى على خط العناد الى المنتهى . بل لعله يزداد عنادا كلما ضاقت الحلقة حوله .. ان فشله في منع صفقة الطائرات التى اعتبرت أكبر نجاح لكارتر في سياسته الخارجية أورثه عنادا يكاد يشبه الجنون . ان حركة بناء المستوطنات نشطت عن ذى قبل . وتعددت الأمثلة خلال الأيام الماضية على شهيته المفتوحة لالتهام المزيد من الحقوق الثابتة للفلسطينيين .. وغرس المزيد من بذور الشر في المستوطنات .

● ففى القدس بدأت حركة الاعداد ـ بأسباب قانونية يدبجها المستشارون القانونيون لوزارة الدفاع ـ للاستيلاء على أملاك الفلسطينيين الذين هاجروا الى الولايات المتحدة الأمريكية . وعدد من الدول الاوربية في السنوات الأخيرة . بدعوى أن هذه الأملاك أصبحت بغير مالك ! وهذا أمر وجه الريف فيه ساطع .. لأن المواثيق الدولية لا تجيز هذا الاستيلاء اذ أن لكل مالك هاجر وكيلا يدير أملاكه . وأمل العودة باق في جوانح كل من ترك فلسطين حين تحل القضية .. عدد هذه البيوت لا يقل عن أحد عشر ألف مسكن .. تصوروا !

● وفي صحراء النقب .. عند بلدة ديمونة ـ حيث المفاعل الذرى الاسرائيلي ـ هجمت عربات النقل الاسرائيلية على بيوت البدو الفلسطينيين فاقتلعتها . وحملتها لتلقى بها في واد بعيد . وشكا البدو

فقيل لهم أن هذه الأرض ملك الدولة الاسرائيلية وليس عندهم ـ أى عند البدو ـ أى سند للملكية ، وأن الدولة تريد هذه الأرض لبناء مصنع جديد !

• وقد بدأ تدعيم المستوطنات الصغيرة التى أقامتها جماعة جوش اميونيم حتى تتحول الى مدن ..

• وفي خطة المدن بدأ التفكير في بناء ست مدن فوق التلال التى ورد ذكرها في التوارة .. مدينة فوق كل تل وليس مصادفة أن كل هذه التلال في الضفة الغربية .

سيكووتاونسند .. ونافون !

والعالم شاهد على هذا التعنت الاسرائيلى . يدينه . يشجبه . يتصدى له . يطلق عليه أوصافه المناسبة .. وقد توقفت عند تصريحين يستمدان أهميتهما من شخصى قائلهما .. الأول لتونسند هوبز وكان وكيلا لوزارة الدفاع الامريكية السابق ، والثانى لجوزيف سيسكو ـ من كان وكيلا لوزارة الخارجية السابق أيام روجرز وكسنجر ..

قال تونسند هوبز :

ـ على الجميع في الولايات المتحدة أن يشاركوا في دعم الصداقة مع كل من مصر والسعودية ، واذا كان هناك شك في اللحظة الراهنة حول مسألة كيف تعى اسرائيل مصالحها فان هناك دليلا متزايدا على أن الرأى العام الأمريكى يتفهم الحاجة لرعاية بلاده في الشرق الاوسط . ان مبادرة السادات التى لم يسبق لها مثيل من أجل السلام قد نقلت الموقف في الشرق الاوسط الى نقطة تحول حاسمة ، وأسفرت المخاطرة التى تثير الأعجاب عن انتصار كبير للغاية للسادات . والعالم قد أدرك بعد ذلك حقيقة أخرى في نزاع الشرق الاوسط وهى وصول زعيم من العهد القديم في اسرائيل الى السلطة . وهو رجل يصر بالحاح على المطالب الدينية

التى لا يمكن التفاهم بشأنها في مقابل قطعة من الأرض. لن الأمر الذى يمثل لب الموضوع هو ما اذا كان يمكن أن تكون هناك تسوية حقيقية لنزاع الشرق الاوسط.

أما جوزيف سيسكو ففى حديث طويل أدلى به لمجلة الميدل ايست البريطانية سألوه:

ـ هل أدى وجود بيجين باعتباره ممثلا للصهيونية المتطورة الى تفاقم أو توتر في العلاقات .. أم ان هذا التوتر كان واقعا لا محالة ؟

فأجاب سيسكو ـ وهو يشغل الآن منصب مدير الجامعة الامريكية في واشنطن ـ قائلا:

ـ أعتقد أنه يكفى القول بأن الخلافات الأمريكية الاسرائيلية تتركز حول قضيتين: المستوطنات والانسحاب من الضفة الغربية. واقتراح بيجين الخاص بالحكم الذاتى للفلسطينيين يجعل من المستحيل اعادة أى من الأرض المحتلة الى سيادة الأردن. وحيث أن حكومة كارتر ترى موقف اسرائيل ازاء هاتين المسألتين تراجعا عن المواقف التى اتخذتها الحكومة الاسرائيلية السابقة فمن الواضح أن علينا أن نحدد مساهمة كل طرف في التوتر الحالى في العلاقات الأمريكية الاسرائيلية. وبعد أن قضيت ٢٥ عاما في وزارة الخارجية. ولمعرفتى بمدى صعوبة اتخاذ مثل هذه القرارات في الأوقات الحرجة فإننى لست ميالا الى توجيه النقد الى صانعى السياسة. ان الخلافات بين أمريكا واسرائيل بسيطة. اننى أود أن أرى الحكومة الاسرائيلية تغير موقفها من المستوطنات ومن القرار ٢٤٢. اننى أعتقد أن هذا مطلوب من أجل استمرار المفاوضات وجها لوجه. وأولئك الذين عاشوا منا أحداث المنطقة وراودتهم الأحلام عنها يعرفون أن تاريخها سلسلة من الفرص الضائعة. ولا أريد الآن أن أرى أفضل الفرص على الأطلاق وهى تضيع ! »

وفي الكنيسيت .. بعد صفقة الأسلحة وقف موسى شاهال يقول :

ـ ان بيجين تبنى سياسة خارجية متعثرة .. لقد فشل بيجين في الصراع من أجل كسب تأييد الرأى العام الأمريكى وللمرة الأولى أصبح للرئيس السادات السيطرة كاملة !

وعندما وقف اسحق نافون رئيس اسرائيل الخامس يلقى كلمة في حفل تسلمه مهام منصبه في الكنيسيت قال :

ـ ان طول الطريق الذى بقى علينا أن نقطعه أقصر من الطريق الذى قطعناه فعلا بزيارة الرئيس السادات الى القدس ان شعوبنا تعلق آمالا عريضة علينا لتحقيق السلام . وعلينا الا نخيب هذه الآمال . ان الوقت قد حان للمصالحة الكبرى بين العرب واسرائيل !

وذكرتنى هذه العبارات بحوار دار بينى وبين اسحق نافون في بار فندق هيلتون القدس أثناء انعقاد اللجنة السياسية فيها .. وكان اسحق نافون يتحدث باللغة العربية . ويقول لى انه من «قراء» المصور» منذ سنوات طويلة . وانه يحرص على قراءته ..

واسحق نافون أول رئيس اسرائيلى من بلد عربى . ولعل هذه نقطة للسلام . وقد بدأ حياته السياسية سكرتيرا لبن جوريون . .. وهو من علم بن جوريون الاسبانية لما أراد الاخير أن يقرأ دون كيشوت لسرفانتس في لغتها الاصلية . وكان تلميذا لبن جوريون ورغم هذا فقد شهدوا له بأنه من القلائل الذين كانوا يستطيعون أن يقولوا لا لبن جوريون . وكانت له جملة مشهورة يقولها لبن جوريون حين يخالفه في الرأى . كان يقول له : « من الافضل أن تعرف جميع وجهات النظر .. لان فضول الرجل المسن ليس له حدود » .

وقد كرس اسحق نافون نفسه لمحو أمية العائلات الشرقية ـ أى يهود الشرق ـ وتخصص في الدراسات العربية والحضارة الاسلامية .. وكان زعيم

المعارضة في حزب العمل . أما جولدا مائير فكانت دائما ضد أن يتقلد أى منصب . ولهذا حاول في عام ١٩٧٢ أن يكون رئيس الكنيسيت ولكن المرأة الحديدية أسقطته . في عام ١٩٧٨ لم يستطع بيجين أن يسقطه حين تقدم مرشحا لمنصب رئيس الجمهورية الاسرائيلية ...

وقد تزوج اسحق نافون متأخرا .. تزوج بعد أن ترك بن جوريون رئاسة الوزارة عام ١٩٦٣ . ولهذا فاولاده صغار .. ويقولون انه أول رئيس يدفع بأولاد صغار الى البيت الابيض الاسرائيلى .. اننى أتمنى على اسحق نافون أن يستمع لنداء « السلام الان » مستقبل أولادنا أهم من قبور أجدادنا .. وأتمنى أن يقول للاعبين بالنار .. السادرين في غيهم .. من يبنون المستوطنات . من يضيفون اليها فيقتلون أمل السلام .. يقول لهم :

ـ كفى عبثا ...

جولدمان يقول

● « بيجن رجل مهذب للغاية . وهو مشغول بمهمة . ومجنون باسرائيل كبرى في حدود التوراة . والناس ذات المهام غالبا ما تكون أكثر خطورة في التاريخ من المجرمين . وبيجين يتصور انه سوف يحل كل شىء عن طريق عقائده غير المزعزعة .. لذلك لن يتنازل عن شىء ! » .

هذا ليس كلامى ... انه كلام ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق . قاله لمجلة شتيرن أوسع المجلات الالمانية انتشارا . وسأله محرر شتيرن :

ـ هل يعنى هذا انه يتعين على بيجين ان يترك السلطة اذا ما تحتم وجود سلام فأجاب ناحوم جولدمان قائلا :

ـ لقد صرح لى احد وزراء بيجين بقوله « اذا مارس الامريكيون ضغطا لدرجة تمنعنا من وضع الزبد على الخبز فسوف نظل واقفين وراء

بيجين من منطلق العزة القومية . أما اذا أدى الضغط الى اننا لا نجد الخبز فعندئذ سوف نخذل بيجين .

وسأله المحرر :

ـ هل تعتقد ان كارتر سوف يمارس مثل هذا الضغط ؟

فأجاب شيخ الصهيونية قائلا :

ـ اعتقد انه سيكون هناك تحول هذا العام . والا ما كان كارتر قد سمح بتوريد اسلحة للسعودية ولمصر واسرائيل في آن واحد . جيمى كارتر هذا لديه كافة الامكانات لكى يصبح رئيسا عظيما . ولكن عليه ان يخلق مستشارين عقلاء . فهو في الوقت الحالى يتعاون مع مستشارين غير صالحين .. ومن بينهم يهود .. يستمع اليهم !

وحاصره المحرر بهذا السؤال :

ـ ما الذى يمكنك عمله حتى لا يستمع كارتر الى مثل هؤلاء المستشارين اليهود . ويستمع اليك ؟

فقال جولدمان بحسم وقطع :

ـ قلت ذات مرة لكارتر ونحن على مأدبة غذاء في واشنطن إذا كنت تعتقد أن مصر وسوريا والاردن يعترفون بالدولة اليهودية فعندئذ ارغم اسرائيل على الانسحاب من جميع المناطق المحتلة دون مراعاة لحملة الضغط اليهودية في الولايات المتحدة . ففى اسرائيل نفسها توجد في هذه الأيام حركة قوية نشأت تلقائيا وشعارهاان مستقبل اولادنا أهم بالنسبة لنا من مقابر أجدادنا .

انتهى حديث جولدمان ..

واعتقد ان جولدمان يعبر عن الشارع الاسرائيلى اكثر مما تعبر عنه حكومة بيجين . بدليل أن بيجين ووزراءه يستشيطون غضبا كلما فتح جولدمان فمه بتصريح . ويقولون انه بعد ان كان معطف فراء حول اسرائيل اصبح سطح صفيح ساخنا تقف عليه اسرائيل !

وقد قدم نائب الكنيسيت أريه الياف دعوة بعدم الثقة بحكومة بيجين . واريه الياف هو رئيس حركة السلام مع العرب - حروفها الأولى بالعبرية « شيلى » وهو من ادار الحوار المشهور مع الفلسطينيين في باريس - وفي جلسة صاخبة رفضت الدعوى . غير ان بيجين خرج منها بانطباع هام هو أن في اسرائيل حالة من الضجر الحقيقى .. والاستياء الواضح . وقد التقى بعد هجوم اريه الياف مع جماعة ليكود وفجر قنبلة اكاذيب جديدة حين قال : ان هذه الحالة من الضجر والاستياء التى تخيم على الدولة ليست نابعة من الوضع السياسى . ولكنها ناجمة عن عدم موافقة الرئيس السادات على مشروع السلام الاسرائيلى » . وبيجين يعنى مشروع السلام الذى عرضه على كارتر في ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٧ .. وعرضه على الرئيس السادات بعد ذلك في الاسماعيلية .. في ٢٥ ديسمبر ..

أصوات السلام .. مدبرة !

ولم تعد تصريحات بيجين تصلح حتى « للاستهلاك الداخلى » . ولهذا بدأت سلسلة من التصريحات لتخفيف وطأة اللوم للحكومة .. وتخيف حدة الهجوم على بيجين .

فقد صرح عزرا وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى بان مصر اذا قبلت الجلوس الى مائدة المفاوضات فانها ستجد عند اسرائيل اشياء جديدة .. ومن أجل ان يصدق الناس عزرا امر بوقف انشاء مستوطنة اسرائيلية .. وكأنه يقدم عربونا على نواياه في تصريحه ! حتى ديان .. التقى ببيجين وفاتحه في شأن المرونة التى يجب ان تسيطر على الموقف .. لان التشدد قد يفقد اسرائيل اقوى واعز واغنى الاصدقاء .. وهو الولايات المتحدة . ولم يقف شارون مكتوف اليدين .. انه الرجل الذى يؤيد جماعة جوش اميونيم في بناء المستوطنات .. ولكنه رغم هذا قال : اذا

كان لى ان ادعو الرئيس السادات لعمل شيء . فاعتقد ان ذلك سيكون استئناف المفاوضات المباشرة . واعتقد اننا سنتوصل الى قرار سلام . ولا اعتقد ان المستوطنات في سيناء يمكن ان تعرقل السلام !

فكل من وقف وراء بيجين ، وكل من مجد تعنت بيجين يتحول الان الى التفاؤل .. ولكن ليس من منطلق حلول عملية تتجه بالقضية الى الامام بل بمناشدة الرئيس السادات ان يستأنف المفاوضات . وكأنهم يقولون للشعب الاسرائيلى « نحن جاهزون .. والرئيس السادات هو الذى يتعنت » .

وحتى الكسندر شاندلر الرئيس الجديد للمنظمة الصهيونية العالمية ـ خلفا لجولدمان ـ التقى ببيجين ليبحث معه الاثار المترتبة على قرار صفقة الاسلحة ، وخرج من عنده ليقول للصحفيين : « هناك أمل في التوصل الى تسوية بين مصر واسرائيل . لست متفائلا . ولكنى بالتأكيد آمل ان يكون هناك اتفاق وشيك بين مصر واسرائيل يكون حجر زاوية في التسوية الشاملة في الشرق الاوسط . ان حكومة كارتر تنتظر ردودا ايجابية عن الاسئلة الحيوية حتى تتمكن من حث السادات على العودة الى مائدة المفاوضات .

فمائدة المفاوضات هى أمل حكومة اسرائيل .. لانها الشيء الوحيد الذى ينقذها من الانهيار . ان صحافة اسرائيل لم تعد ترحم بيجين . ان هاآرتس . اكثر الصحف الاسرائيلية نفوذا دعت الحكومة الاسرائيلية للرد باسرع ما يمكن على التساؤلات الامريكية اذا ما كانت ترغب في عدم رؤية مبادرة السادات تحتضر . واذا ما كانت ترغب في تحاشى ان تواجه بخطة سلام امريكية تكون ـ على سبيل اليقين ـ قريبة من الافكار المصرية أكثر من قربها من الافكار الاسرائيلية ..

فهل ناقشت حكومة بيجين سؤالى أمريكا عن مستقبل الضفة الغربية بعد الاعوام الخمسة المحددة كفترة انتقال . وعن دور الفلسطينيين ؟

الواقع ان الحكومة الاسرائيلية سوفت أربعين يوما قبل ان تطرح الموضوع للمناقشة . وتذرعت للتسويف بأسباب ملفقة من مرض بيجين . وغياب يادين . وقرف موشى ديان من المريض ! وكان غضب الحركة الديمقراطية للتغيير يتصاعد . وعقدت مؤتمرا قال فيه ما يلى: « على الحركة ان تكون معارضة معارضة فعالة . ان حكم بيجين متشكك ومخيف .. فبيجين يشك في كل انواع الاعداء . وكل انواع النوايا . ومعنى هذا ان حكمه لا يستمع الى نبض الجماهير ولا يعتنى بها . ولا يقبل منها الاشارة . وحكم على هذه الشاكلة .. حكم ليست له قوة تنفيذية وقوة استيعابية يستحق معارضة قوية » ووقف الدكتور ادريال ريدخمان ليقول ان حركة التغيير خسرت ٧٥ ٪ من انصارها في عشرة أشهر .. وهى أعلى نسبة يخسرها حزب في مثل هذه المدة . وذلك لانها لم تلتزم بالمبادىء السبعة التى أعلنتها للناخبين . وقال ان رئيس الوزراء يخالف مبادئنا تماما ولهذا لا يمكن التغطية على الفجوة بين مبادىء الحركة ومبادىء بيجين . واذا لم يصبح بيجين مستعدا لاتخاذ مواقف مرنة فعلى الحركة ان تستلخص النتائج . ان استمرار صمت حركة التغيير الديمقراطى تحت قيادة بيجين تمنحه تأييدا برلمانيا وشكلا شرعيا لا تستحقهما . ولا يجب السماح لزعماء حركة التغيير بالتملص من مبادىء الحركة . ويجب الضغط على هؤلاء الزعماء حتى يستطيعوا تغيير ما يجرى حقيقة » !

السؤالان الحائران ؟

وأعود الى سؤال : هل ناقشت حكومة بيجين سؤالى كارتر ؟!

وأقول : بعد التسويف بدأ اناس حول بيجين يسربون كلاما فيه تفاؤل .. قال متحدث وصف نفسه بأنه غير رسمى أن الحكومة

الاسرائيلية تميل الى المرونة في الرد على السؤالين الامريكيين ، كالاتى :

- تؤيد اسرائيل وضع حل دائم لمستقبل الضفة الغربية وغزة بعد انتهاء فترة مؤقتة مدتها خمس سنوات .

- تؤيد اسرائيل اشراك الفلسطينيين المقيمين في هذه الأراضى في وضع هذا الحل الدائم .

وقد ضاقت الحلقة حول اسرائيل بعد التسويفات المتعاقبة في مناقشة السؤالين ، ولهذا استسلمت في النهاية وناقشت ، ولكنها لم تتوصل الى اتفاق على الاجابات التى يتعين عليها تقديمها الى الولايات المتحدة . وقد استغرقت المناقشات اربع ساعات ، عارض فيها عدد من الوزراء وجهة نظر بيجن التى قدمها حاييم لاندو وزير الدولة وصديق بيجين في مشروعه .

ومن بين هؤلاء المعارضين عزرا وايزمان وزير دفاعه .. وموشى ديان وزير خارجيته .. وكان لكل منهما مشروعه المستقل .

وملامح المشروعات الثلاثة هى :

- مشروع لاندو يعتنق وجهة نظر توارتية تعتبر الضفة الغربية جزءا من التراث الدينى والتاريخى لاسرائيل .

- مشروع وايزمان يتركز على ضرورة عودة المفاوضات .. التى لا يمكن ان تعود الا برد مقبول عند مصر .

- مشروع ديان ويقوم على ضرورة اشتراك الاردن في المفاوضات .. باعطائها دورا في مستقبل الضفة الغربية .

وقد اعلن شيمون بيريز زعيم حزب العمل المعارض انه أعد مشروع سلام يقوم على تنازلات في كل من سيناء والجولان والضفة الغربية . وقد وصف بيريز مشروعه بأنه قد يحظى بتأييد واشنطن وموافقة أغلبية الكنيسيت ، وأنه قد يكون اساسا معقولا لاستئناف المفاوضات » .

ومشروع بيريز وان بدأ من الوصف الاجمالى له متسما بالمرونة . الا انه « مسمم » بأفكار من نوع « قيام قدس موحدة » و « حتمية الوجود العسكرى الاسرائيلى عند نهر الاردن » و « نزع سلاح الضفة الغربية » .

وحزب العمل يقيم الدنيا ويقعدها على بيجين . فهذا الحزب يعتقد ان بيجين لم يحل مشكلة اسرائيل الاقتصادية وهى مبرر انتخابه . ولم ينتهز مبادرة السادات التاريخية .. وهى فرصة لم تتح لحزب العمل خلال ٢٩ عاما كان فيها حاكما اوحد لاسرائيل ! وهو يعتقد ان الضغط على بيجين يمكن ان يسقطه . وان الانتخابات الجديدة لا بد ستعيد حزب العمل الى الحكم .. خاصة وانه ابدى المرونة منذ اللحظة الاولى من مبادرة السادات .. عندما لقى خطاب بيريز في الكنيسيت قبولا اكثر مما لقيه خطاب بيجين !

---

٣٤ ـ فرصة .. فهل تضيع ؟

● عندما أجاب بيجن على سؤالى أمريكا جاء جوابه مخيبا لأملها ، وأمل العالم وأمل السلام. تمخض الجبل فولد فأرا. وانقسمت الحكومة الاسرائيلية ولكنها لم تسقط لان بيجين يمسك بأعناق الوزراء بقبضة من حديد . وقد عارض قراره أو رده على السؤالين الامريكيين خمسة من الوزراء هم عزرا وايزمان وأربعة وزراء من حزب حركة التغيير فلا عزرا استقال بل قال أنه يقوم بتجهيز الجيش الاسرائيلى للحرب القادمة . كأن رد بيجين سوف يقود للحرب، ولا وزراء داش استقالوا لان من جاءوا لتغيير جمود اسرائيل أصروا على الاستسلام لجمود بيجين ..

والبيان الرسمى الصادر عن اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى يقول :

« ان الحكومة الاسرائيلية تعتبر استمرار عملية صنع السلام بينها وبين جيرانها أمرا حيويا · أن الحكومة الاسرائيلية توافق بعد خمس سنوات . من تاريخ تطبيق الحكم الذاتى الادارى فى يهودا والسامرة

ومقاطعة غزة ـ وهو الحكم الذاتى الذى سيبدأ العمل به مع اقرار السلام ـ على أن يتم النظر في طبيعة مستقبل العلاقات بين الاطراف . والموافقة عليها بناء على اقتراح أى من الاطراف · ومن اجل الوصول الى اتفاق ستقوم الاطراف بالتفاوض فيما بينها . وذلك باشتراك ممثلين من يهودا والسامرة ومقاطعة غزة . يتم انتخابهم طبقا لأحكام الحكم الذاتى الادارى » ·

وليس في البيان رد واضح على السؤالين الأمريكيين . اللذين طال انتظار الرد عليهما · والبيان يدل على أن بيجين يصر على أن يتناول الأمور بطريقته . وبفهمه . فهو يقول مثلا أن الحكومة توافق بعد خمس سنوات من تاريخ تطبيق الحكم الذاتى الادارى ـ وهو الحكم الذى سيبدأ العمل به مع اقرار السلام ـ على أن يتم النظر في طبيعة العلاقات بين الأطراف !· فمن قال لبيجين أن رده هذا يوصل الى اقرار سلام · انه يغلق الباب ويتصور أنه يستطيع أن يقنع العالم بأنه فتح الباب · وهو في رده يستعمل كلمات التوراة القديمة ·· يهودا والسامرة . وهذا يدل على أن اطماعه فيهما باقية . وانه يرفض قرار ٢٤٢ وهو نقطة الخلاف الاخير بينه وبين الولايات المتحدة . وهو يرجىء الحديث في موضوع مستقبل الضفة بين خمس سنوات الى ما بعد اقرار السلام . فهو يضع العربة أمام الحصان . وهو يفترض انه قادر على التغرير بالولايات المتحدة ·· وبمصر ·· وبالعالم كله حين يقبلون منه الحكم الذاتى ·· وينتظرون بعد ذلك رحمته في بدء مفاوضات حول مستقبل الضفة وغزة مع مندوبين في ادارة الحكم الذاتى ··

البيان طلسم ساذج · يظن بيجين أنه يحتكر لنفسه حق الفهم والتأويل . سيقول لليهود في أمريكا خذوا ·· بيعوا هذا الكلام للأمريكيين · وسوف يرد عليه يهود أمريكا المزقون جسدا والمزقون ألما من تصرفات بيجين أن هذا الكلام لا يصلح سلعة للبيع لأنه لا يحمل

أى خطوة الى الامام . تماما مثل مشروعه للسلام الذى أراد أن يسوقه في أمريكا فوجد كسادا ..

وقد هاجمت الصحف الأسرائيلية البيان · اجمعت على الهجوم عليه ، وتراوحت اوصافها له بين حقيقة أنه يتجاهل أنه يضيع فرصة السلام المتاحة .. وبين كارثة أنه محنة على اسرائيل !

المخابرات مع السلام !

فبيجين لم يخيب أمل أمريكا والعالم والسلام فقط .. أنه أولا خيب أمل شعب اسرائيل . ان هذا الشعب رفض كل عناد بيجين . وحرك المظاهرات احتجاجا . وقد انضم لحركة السلام الآن الجنرال يهوشفياط هيركابى ! الذى كان مديرا للمخابرات الاسرائيلية في الفترة من عام ١٩٥٥ الى عام ١٩٥٩ . ثم تحول الى أستاذ في الجامعة العبرية وتخصص في الشئون العربية والعلاقات الدولية . ولم يفقد هيركابى حيويته .. ولا اهتمامه بالقضايا الساخنة . فهو مستشار المخابرات لرابين ولبيجين من بعده . وهو يعتبر احد « صناع » الرأى العام في اسرائيل من خلال كتبه وبحوثه · واليه يرجع السبب في تشدد الرأى العام الاسرائيلى في شأن اتخاذ مواقف بالغة التعنت بالنسبة للاراضى التى احتلت عام ١٩٦٧ ! قد انضم هيركابى لحركة السلام الآن .. وألقى هيركابى محاضرة يفسر فيها ما طرأ من تغيير وقال في هذه المحاضرة انه بعد حرب ٦٧ أصبح لبعض العرب هدف وسط وهو انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية .. ثم بدأوا يفكرون فيما هو اكثر من مجرد ذلك . ومازال البعض منهم متمسكا بفكرة القضاء على الدولة اليهودية . أما فيما يتعلق بالسادات وحسين فقد أصبح الهدف الوسط بالنسبة لهما هدفا نهائيا . لأنهما على استعداد في مقابل الانسحاب من الاراضى المحتلة للاعتراف باسرائيل . وقد اتضح هذا من مبادرة السلام التى قام بها السادات · وحذر هيركابى شعب اسرائيل من العواقب المروعة التى قد تترتب على فشل مبادرة

السادات لأنه ـ على حد قوله ـ : اذا باءت المفاوضات بالفشل فستيصبح النزاع العربى الاسرائيلى أكثر خطورة .. اذ سيعود السادات الى اخوانه العرب . وسوف نجد أنفسنا معرضين للمزيد من الحرب .

هذا هو احساس رجل المخابرات العجوز . ولعل رجل المخابرات يتمتع عادة بوضوح الرؤية . كما أنه يصنع تقدير الموقف من دراسة عميقة لعوامل كثيرة . ومن عجب أن رئيس المخابرات السابق اهارون ياريف يفكر بنفس طريقة هيركابى . وقد قال أهارون ياريف بعد صدور بيان مجلس الوزراء الاسرائيلي : لو كنت مكان الرئيس السادات لما قدمت تنازلات لاسرائيل طالما أن اسرائيل والولايات المتحدة غير قادرتين على التوصل الى اتفاق حول سياسة اسرائيل ازاء الضفة الغربية . وذكر هارون شعب اسرائيل بالحرب بطريقة ملتوية حين قال ـ ان تزايد حجم القوة العسكرية لكل من اسرائيل ومصر ربما يكون في حد ذاته حافزا لاقرار السلام . حيث ان كل سنة تمر تزيد من الدمار الذى يمكن ان تلحقه الحرب بكل منها .

وبيجين رجل اسرائيل المريض هو رجلها العنيد . ولاشك ان حالته المرضية تجعله يتنكب السبيل الى التفكير في السلام . ومن ثم الى القرار الصحيح . وقد تراوحت حالته الصحية بين الامراض السياسية وأمراض القلب . ولكن البيان الأخير يضيف امراض العقل ايضا لان الذى يلعب بالنار لا يمكن ان يقود دولة في مناخ ينادى بالسلام .

إن موقف بيجين أصبح حقيقة قنبلة تحت مائدة المفاوضات التى تنتظر أنه في رده على السؤالين الأمريكيين ثبت القنبلة وأعدها . فهل تستطيع الولايات المتحدة حرصا على مصالحها ـ أن تبطل مفعول القنبلة الزمنية ؟ إن بيجين ببيانه القى الكرة في الملعب الأمريكى . وهذه الكرة تلتهب في هذه المرة بالنار .. فماذا يفعل كارتر ؟

ان ما قاله الفريد اثرتون في لوس انجيلوس - أمام ممثلى ٥٠ جمعية للعلاقات الدولية في يوم الشرق الأوسط .. يؤكد أن الولايات المتحدة قد وضعت خطا بمفاهيمها النهائية للسلام في الشرق الاوسط . في أن المستوطنات تعرقل السلام . في أن القرار ٢٤٢ يؤكد على ضرورة الانسحاب من كل الجبهات - مع تعديل طفيف يحقق الحدود الآمنة - وفي أن شعب فلسطين يجب أن تكون له هوية ما .. كيان ما . وقد قال اثرتون ان مصالح الولايات المتحدة صارت عند الطرفين : اسرائيل والعرب . واذا كانت الولايات المتحدة تنفذ ميثاقا اخلاقيا عمره ٣٠ عاما بضمان الوجود الاسرائيلى .. فانها بالمثل لا يمكن أن تتنحى عن أصدقائها من العرب المعتدلين . ولا يمكن أن تتخلى عن مصالحها في البترول . ومكافحة الشيوعية . وفرض الامن في منطقة الحساسية .. واشد مناطق العالم قبولا لاندلاع حرب . واشد انواع الحروب قبولا للتصعيد الى حرب عالمية !

فكيف تترجم الولايات المتحدة نواياها « الطيبة » نحو العرب ؟

أو بسؤال اكثر دقة : « كيف تحافظ الولايات المتحدة على مصالحها في الشرق الاوسط وهى ترى بيجين يقذف بالطوب والوحل لوحة المستقبل الزاهية ؟

الى متى « لا ضغط » ؟!

ان مصر بلسان محمد ابراهيم كامل وزير خارجيتها قد ابلغت الولايات المتحدة ان رد اسرائيل لا يمكن ان يصلح اساسا لاستئناف المفاوضات . والولايات المتحدة كانت تنتظر رد اسرائيل - لستة أسابيع متعاقبة - لكى تتخذ الخطوة التالية بناء على هذا الرد ؟

فكيف تكون الخطوة التالية الامريكية ؟

ان صحف اسرائيل كانت تناشد بيجين الا يتعنت حتى لا يدع للحكومة الامريكية فرصة للتقدم بمشروع للسلام من عندها . فهذه

صحف تعرف أن الخلاف بين وجهتى النظر الأمريكية والاسرائيلية خلاف واسع ! وان وجهة النظر الامريكية اكثر اقترابا الى وجهة النظر المصرية . وان الرئيس كارتر أعلن عن أشياء ولن يعدل عنها . وانه يحس الان قوة « خاصة » بعد أن تخطى في الكونجرس الامريكى حاجزين هما اتفاقية قناة بنما .. وصفقة الأسلحة .. قد نتأت له عضلات بعد أن كسب جولتين من بين انياب الأسد . والنجاح يغرى بالنجاح . والتفوق بالتحدى يدفع الى المزيد من التفوق بالتحدى ..

فماذا ستفعل امريكا ؟

وهل يمكن أن تنتظر شيئا اخر من جعبة الرجل المريض ؟ أو هل يمكن أن تتوقع أن يستسلم فجأة وهو الذى اقنع مجلس الوزراء برده المفرغ من كل مضمون . واقنع الكنيسيت بعبارات البيان الملتوية ؟

وقد كانت الحكومة الامريكية على طول الاشهر الماضية تتحاشى عبارة الضغط على اسرائيل . أو اجبار اسرائيل على اعلان المبادىء . أو ارغام اسرائيل على أن تفهم مبادرة السادات كما ينبغى . وتنهى سنوات الفرص الضائعة بتلبية الفرصة السانحة .. كانت تتحاشى هذا خوفا من « اللوبى الصهيونى » القوى . ولكن الظرف الان تغير .. وقد اثبت هذا التغير هذه الانقسامات بين اقطاب الصهيونية في أمريكا . ولو أراد كارتر أن يحقق نجاح العمر لنفسه . ويسجل انجازا تاريخيا يحسب للولايات المتحدة فان عليه أن يقدم مشروعه للسلام .. متمشيا مع مبادىء أسوان . ومبادىء البيت الأبيض التى اعلنها في ٨ فبراير ١٩٧٨ عقب زيارة الرئيس السادات له . انه بالقطع يعنى ما جاء في هاتين الوثيقتين . ولم يبق الا أن يحول ما جاء فيها الى عمل .. ان كارتر يتعامل برقة مع بيجين وفي هذا يبدو أن كارتر يجد من يضلله من رجال حوله .. ان بيجين العنيد يحتاج الى معاملة أخرى ليست الرقة من سماتها .

ولكن يبدو أن كارتر يحسب حسابات كثيرة قبل أن يخطو خطوته الثانية ..

وفي هذه الفترة .. التى يحسب فيها حساباته تتجمع عليه القوى الصهيونية محاولة بث الخوف في قلبه بشتى الوسائل التى تجيدها الصهيونية .. وفي هذه الفترة أيضا يجب أن تتجمع عليه القوى العربية محاولة شد ازره . وشارحة له أن مصلحة امريكا هى في أن يقول كلمة الحق .. ويلتزم مبادئه . ويضع نصب عينيه أن قضية شعب فلسطين هى الأولى والاولى بالرعاية . وأن تحرير الارض العربية هو الشىء الذى لن يقبل العرب ما هو دونه . وان سلام الشرق الاوسط حجر زاوية في سلام العالم . وفي استقرار الولايات المتحدة ذاتها !

وانا اعتقد ان اللوبى العربى يجب أن يمضى في اتجاهين :

أولا .. في داخل أمريكا . وهنا أستطيع القول أن الساحة الأمريكية لم تكن في يوم من الايام مفتوحة لتقبل ما هو عربى مثلما هى مفتوحة الأن . مبادرة السادات أحدثت انقلابا في الرأى العام الامريكى . وقد فقد اليهود الامريكيون كل الحجج التى كانوا يتذرعون بها لاخذ الرأى العام الأمريكى الى صفهم . كان ريتشاردسون مدير الشئون العامة بالاتحاد القومى للامريكيين العرب يقول انه في الماضى كان اذا فكر في مقابلة أحد أعضاء الكونجرس الامريكى فإنه يتسلل اليه من باب خلفى حتى لا يراه أحد .. لان معنى ان يراه أحد هو أن يقضى على عضو الكونجرى الذى يقابله ! اما الان فان ريتشاردسون يقول أنه يستطيع ان يدخل من الابواب الامامية .. لان السادات فتح هذه الابواب الامامية .

وريتشاردسون عمل في وكالة غوث اللاجئين في بيروت . وأقتناعه بالقضية العربية صادر من قلب لمسته مشاهد البؤس في المخيمات الفلسطينية . ولانه من أصل أمريكى فان هذا يفيده في عمله داخل الاتحاد القومى للامريكيين العرب لانه لن يخضع لضغط سورى أو ليبى

أو عراقى · وهو يمضى على المفاهيم التى تجتذب الامريكيين ، ومشكلة الاتحاد القومى للامريكيين العرب هى هذه المشكلة الاخيرة .. ان اختلاف جنسيات الاعضاء تنسيهم أحيانا أن أمهم واحدة وهى العروبة .. وقد قال جوزيف بارودى رئيس الاتحاد : « من المستحيل أن يكون الاتحاد مكونا من ١٦٠ جماعة .. اجتماعية وثقافية .. وأن يركز فى نفس الوقت جهوده على قضية معينة مثلما تفعل لجنة الشئون العامة الامريكيةالاسرائيلية بتمثيلها لمصالح اسرائيل · فكيف يمكن لنا أن نمثل العرب من القذافى الى حكام السعودية المعتدلين ؟ ..

ويقول توبى موفيت (وهو عضو كونجرس من أصل عربى) : انه على الرغم من امكانية حدوث تحول فى السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط فان الامريكيين العرب لن يستطيعوا كسب التأييد لقضاياهم بين يوم وليلة ، لقد حققت الجالية اليهودية الامريكية الاحترام الذى تحظى به نتيجة لسنوات طويلة من النشاط فى مجالات الحقوق المدنية ، ومناهضة الحرب ، .. أما الامريكيون العرب فليست لهم وجهات نظر تقدمية فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية ، فعندما جاء معظمهم الى امريكا سارعوا الى ، تكوين ثروة والانضمام الى الحزب الجمهورى » ·

ولكن هذا كله ليس معناه أن الاتحاد القومى للامريكيين العرب عاجز عن أن يفعل شيئا ، انه التقى بكارتر مرة وبفانس عدة مرات .. ولعله يتحرك الان و بسرعة لعمل شىء ما ..

واجب عربى !

وهناك فئة من الامريكيين الذين يعملون مع العرب ـ من سعوديين وخليجيين وكويتيين ـ وهذه الفئة لها قيمة عند رجل الشارع الامريكى ، وما تقوله لصالح العرب سوف يلقى التصديق · خذ مثلا فريد داتون وهو الذى عمل مع اسرائيل طويلا وهو يجيد اللوبى و التحرك الذكى · وقد قالت عنه مجلة « اتلانتك » انه منذ خمس سنوات لم يكن يستطيع

تحديد مواقع الامارات العربية على الخريطة أما الأن فانه يتحدث عنها كما يتحدث عن غرف بيته وحديقته ! وخذ مثلا كلارك كليفورد وزير الدفاع السابق .. ووليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى السابق . ولينوود هولتون حاكم فرجينيا السابق . هؤلاء وعشرات غيرهم يتعرضون الان لحملة صهيونية تقول انهم يرتشون من العرب ـ ذلك لأنهم يتقاضون مبالغ خرافية ـ حتى يؤيدوا العرب . والحملة الصهيونية تتناسى ان ميزانية لجنة الشئون الاسرائيلية الامريكية ستة ملايين دولار تنفقها على أعضاء الكونجرس .. بينما تشهر بمرتبات يأخذها مستشارون مرموقون يعملون لحساب رأس المال العربى .. والحملة الصهيونية تتربص بأى عضو كونجرس يتصل بسفارة عربية غنية لتقول عنه أنه يرتشى . وتقول عن العرب أنهم يفسدون الأخلاق الامريكية .. ويدمرون الذمم الامريكية ..

ويمكن للحكومات العربية الغنية أن تحرك هؤلاء الاذكياء للصالح العربى . مادام الاتهام يلاحقهم ويطاردهم سواء تحركوا ام بقوا في أماكنهم ..

ويمكن أن يتحرك الأثنان معا : الاتحاد القومى للامريكيين العرب وهو يمثل مليونى نسمة من العرب في أمريكا . والمستشارون الامريكيون . وهم يستطيعون مخاطبة ٢٥٠ مليون أمريكى اذا اتاح لهم العرب هذه الوسائل !

والوسائل في أمريكا هى التليفزيون والصحف ..

وقد أعتنى العرب بشراء العمارات . وناطحات السحاب . واعتنوا بشراء المزارع العصرية والبنوك والشركات . ولكنهم لم يعتنوا مرة واحدة بشراء صحيفة أو محطة تليفزيون .. والتفكير الاخير فضلا عن أنه تفكير

حضارى فانه تفكير « تجارى » أيضا .. وهو في النهاية أو في الاساس تفكير وطني ..

ويمكن ان يتضافر مع كل هؤلاء وفود المتحدثين الى الشعب الامريكى من مصر . وقد طالبت من قبل بأن تسافر هذه الوفود تباعا . ولعل وفد السيد سيد مرعى رئيس مجلس الشعب لن يكون أول واخر الوفود . ان الساحة الامريكية شاسعة . والشمس ساطعة .. ويجب ان نخاطب هؤلاء الناس في هذا الدفء « العاطفى » القائم الان بينهم وبين مبادرة السادات ..

هذا على صعيد الداخل في أمريكا ..

أما صعيد الخارج عنها فهو الصعيد العربى !

واستطيع ان اقول ان العرب اذا لم يتحدوا في هذه الآونة . ويشكلوا قوة ضغط هائلة على حكومة كارتر . وعلى كل الحكومات الاوروبية .. فانهم ـ أى العرب ـ يضيعون فرصة العمر تماما مثلما تفعل اسرائيل . ان الولايات المتحدة لم تكن في يوم من الايام على استعداد « لقبول » الضغط العربى مثلما هى على استعداد لقبوله الآن ان التلويح بالبترول بل قبل هذا مجرد الذهاب الى قمة عربية تتلاقى فيها الارادات على الخطوة التالية سوف يعطى لكارتر أمام شعبه حجة يفرض بها حلا على اسرائيل .بل سوف تحرك الشارع الامريكى لكى يحث كارتر على عمل شيء ما لصالح العرب . قبل أن تجتمع صفوفهم .. ويخوضوا القتال الخامس الذى سوف يكون قتالا فريدا في نوعه .. رهيبا في نتائجه . يضع أمريكا في أقصى الحرج .. لأنها ستوضع أمام سؤال :

ـ هل تدير ظهرها لكل ما أعلنت من مبادىء وتساند اسرائيل ؟ أم تساند مبادئها وتترك اسرائيل للمغامرة المجنونة ؟

أقول : ان واجب العرب في ان يجتمعوا الان واجب حاسم . وهو رد الفعل العربى الوحيد الذى يجب أن يتجلى . ان اسرائيل تكسب من التفكك . واذا كانت المبادرة قد لقيت اعتراضا من بعض العرب فها هى تحقق منجزات ما كانت تتحقق لولاها .. انها اقنعت امريكا بأن اسرائيل اذا تحدثت عن السلام فهى تعنى الاستعداد للحرب . واذا تحدثت عن العلاقات الطبيعية فانها تريد ان تعبر عن العلاقات الاستعمارية بين من جاء ليستعمر . ومن طرد من أرضه ليناضل ..

انها ـ أى المبادرة ـ كشفت من اسرائيل في ثمانية أشهر ما كشف نواياها بشكل حاسم . وقطع عليها طريق جنيف الذى كان يمكن أن تراوغ فيه لسنين متعاقبة تحقق فيها الامر الواقع . وتنتظر للعرب أن ينشقوا في داخل جنيف لتلعب على التناقضات . وتكسب من الخلافات ..

اذا كان على كارتر ان يتحرك .. فعلى العرب ايضا ان يتحركوا . عليهم ان يتحركوا داخل أمريكا .. وعليهم ان يتحركوا في الوطن العربى . عليهم أن يشددوا على كارتر حتى يمنح للقضية قبضة قوية . عليهم أن يعيدوا البنيان المرصوص ـ بنيان أكتوبر ـ حتى لا تنفذ منه اسرائيل ..

٣٥ ـ والشمعة لم تنطفيء !

السلام صعب . ولكن العجلة تدور . ويكسب موقف مصر مع كل دورة للعجلة انصارا . وتضيق الحلقة حول اسرائيل . ويزداد حرج الحكومة الامريكية التى مازالت تعالج الموقف وهى ترتدى قفازا من حرير !

ولا شك أن مبادرة السادات .. مبادرة السلام تمضى الان الى فصلها الثالث . وفي التقسيم الكلاسيكى يكون الفصل الثالث فصل الختام .. فاذا أردت أن أستجمع لك الفصلين السابقين .. فان الفصل الاول بدأ مساء ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ حين هبطت طائرة السادات في القدس محدثة ذاك الزلزال العالمى الذى هز الدنيا شرقا وغربا . وأسقط أقنعة كثيرة كانت اسرائيل تختفى وراءها . وأكدت أن العربى انسان حضارى يمد يده للسلام . وان الفرصة متاحة لزعيم اسرائيلى هو مناحم بيجين أن يجلس الى مائدة المفاوضات . وخطاب السادات في الكنيست يتسلل الى ضمائر

الشرفاء وانصار العدل والحق . ورد بيجين حصة فى التاريخ لا يفهمها الا ذوو القلنسوات البيضاء من اليهود المتطرفين • واجتماعات القاهرة ولقاء الاسماعيلية وصدام القدس بين سقطة لسان بيجين ورد الفعل الشجاع عند محمد ابراهيم كامل •• وانقطاع المفاوضات بين مصر واسرائيل •• كل هذه أحداث الفصل الاول مثيرة تضعك على حافة المقعد فضولا لو رأيتها شريطا سينمائيا !

والفصل الثانى يبدأ بمحاولة الولايات المتحدة تجميع المتفاوضين المتفرقين الى مائدة واحدة •• يذهب بيجين الى أمريكا . ويجىء كارتر الى أسوان . ويطير السادات الى واشنطن . ويحدث لقاء مصرى أمريكى على المبادىء التى اعلنت مصر ضرورة توافرها كنقطة انطلاق للمفاوضات • أما اسرائيل فتجند كل قواها لتهز مقعد كارتر • وتسخر كل يهود العالم لمناصرتها • ولكنها تفاجأ بأن المقعد لا يهتز كثيرا •• وأن يهود العالم قد دبت بينهم الخلافات • لان منهم المتعصب الاعمى . ومنهم المتعصب المبصر . والاخير يرى أن فرصة السلام التى اتاحها السادات لاسرائيل فرصة عمر . قد لا يجود التاريخ بمثلها . وان المستوطنات •• والأرض كل هذا يجب أن يتضاءل أمام السلام المتاح • وظهر الخلاف حادا حتى بين أعضاء الكونجرس الأمريكى •• فمن الأعضاء اليهود من صوت لصالح صفقة الأسلحة الأمريكية لمصر والسعودية واسرائيل ـ مثل ابراهام ريبكوف ـ وكانت هذه الصفقة كسبا عربيا وصفعة لاسرائيل . وحاولت اسرائيل أن تكسب الرأى العام الأمريكى الذى تبعثر منها . فلجأت إلى استدرار الدموع على شهداء الهولوكوست أيام النازية . وانتهزت فرصة الاحتفال بعيد ميلادها الثلاثين لتستعيد وقفة الكنيسة الأمريكية إلى جانبها . ودفعت ثمن الصفحات الكبيرة في الصحف الكبرى لتهاجم السادات وتتهمه بتدمير

فرصة السلام .. ولكنها نسيت أن الرأى العام الأمريكى أصبح يرى وجهى العملة !

وفي نهاية الفصل الثانى كان على بيجين أن يجيب على سؤالين عن مستقبل الضفة الغربية وغزة ودور الفلسطينيين في المشاركة في تقرير مصيرهم بعد فترة الانتقال. وقد أجاب بيجين بعد تسويف ممل اجابة رفضتها مصر. ولم تقبلها أمريكا. وثارت ضدها المظاهرات الاسرائيلية ... وانقسم حولها وزراء بيجين ! ووصف شيمون بيريز زعيم حزب العمل وزعيم المعارضة هذه الاجابة بقوله : ما جدوى تقديم رد لن يقبله أحد. ومن الذى بحاجة الى قرار يعتبر في حد ذاته ردا سلبيا ؟ » وهاج وماج .. السناتور جاكوب جافيتس .. وكان اكثر اعضاء الكونجرس اليهود تطرفا. وقال جافيتس ان الرد الاسرائيلى علامة خاطئة في وقت غير مناسب، وحذر اسرائيل من مواجهة خطر حقيقى اذا فشلت في التقدم برد مباشر على نحو أكبر.

ولم تفقد مصر أعصابها ! انها تعلم أن السياسة الاسرائيلية تحترف الاستفزاز. ولهذا قال السادات : « على الرغم من ان موقف اسرائيل تجاه الاراضى المحتلة لا يعد موقفا ايجابيا على الاطلاق فان مصر مازالت على استعداد لاستئناف المفاوضات التى يخيم عليها الجمود .. وذلك في حالة اذا ما تقدمت اسرائيل بعناصر جديدة من شأنها كسر الجمود ».

ولكن تبهر مصر العالم مرة أخرى فقد قدمت تصورها بشأن ما طرحته أمريكا عن مستقبل الضفة وغزة .. قالت انها توافق على أن تعود الضفة الغربية الى الاردن .. وغزة الى مصر. ويمارس الشعب الفلسطينى بعد ذلك حق تقرير مصيره .. فيختار ما يشاء في فترة الانتقال.

ورفض بيجين الرد المصرى قبل أن تبلغه الولايات المتحدة اياه .. ولكنه قبل ما دعت اليه امريكا من لقاء في لندن بين سايروس فانس

وابراهيم كامل وموشى ديان لاستئناف المفاوضات .. هذه هى نهاية الفصل الثانى تعطى مؤشرا للفصل الثالث !

الرجال .. في جدول الاعمال !

ولكن الرئيس السادات فاجأ العالم مفاجأة قبل أن ترتفع الستار عن الفصل الثالث في لندن .

طار الرئيس السادات الى النمسا .. ومهمة السادات تتحدد بنوع الرجال الذين التقى بهم .. وأوزانهم الدولية . أول الرجال برونو كرايسكى وهذا المتعاطف القديم مع القضية الفلسطينية . اشتراكى العقيدة . يهودى الديانة . انسانى النظرة .

وبرونو قطب في الاشتراكية الدوليه . وقد أراد لمصر ان تنضم بحزب مصر .. على أساس انه حزب أشتراكى الى هذه المجموعة التى تقوم على أساس حزبى . وزار بعض اعضاء الحزب النمسا لبحث هذا الامر . ولكننى لا أدرى لماذا لم يتحقق ذلك رغم مرور ثلاث سنوات منذ طرحت الفكرة . والاشتراكية الدولية ذات تأثير أدبى كبير على أعضائها .. وحزب العمل الاسرائيلى عضو فيها . وقد ظل يقنع هذه المجموعة بوجهة النظر الاسرائيلية .. و .. ولكن بعد حرب أكتوبر بدأت الاشتراكية الدولية تسمع وجهة النظر الاخرى . ويلى برانت زعيم الاشتراكية الدولية الأن . وشيمون بيريز رئيس حزب العمل الاسرائيلى يمثل حزبه في لقاءاته . تدور الايام فيقوم بيريز الان بشرح وجهة النظر الاخرى في داخل اسرائيل الاشتراكية الدولية .. يشرح ان حزب العمل الاسرائيلى لا يوافق على مواقف بيجين ..

بعد برونو في جدول أعمال المهمة لقاء السادات وويلى برانت ..

وويلى هو مستشار المانيا الاتحادية السابق الذى ذاب في عهده الجليد بين المانيا ومصر بعد قطيعة دامت سبعة أعوام . وفوق المياه الدافئة أبحرت سفينته الى القاهرة في أولى زيارة لرئيس ألمانى لمصر ..

واستشاطت اسرائيل غضبا . رفحر ـ حادث الجاسوس لحساب المانيا الشرقية من مكتب ويلى برانت . فاستقال الرجل .

ولكنه لم يعد الى الظل .. ان حزبه القوى يبقى على مسرح السياسة . هلموت شميت يخلفه .. فاذا هو بخصوص الشرق الاوسط خير خلف لخير سلف . ففى خطبه وداع القاها شميت امام الامير فهد ولى عهد السعودية قال شميت ان من حق الفلسطينيين الاستقرار في دولة .. قالها بحدة تجاوزت التأييد المعتدل الذى يصدر عن السوق الاوروبية . وأكد شميت حرص ألمانيا على استمرار فعالية مبادرة السادات . وعلى حث جميع المشتركين لبذل جهود مضاعفة لوضع تسوية للمشكلة .. وويلى برانت على اتفاق كامل مع شميت . وهو كزعيم للاشتراكية الدولية التقى بالسادات ..

وفي القائمة بعد ويلى .. شيمون بيريز الذى قلت عنه انه خطف الاضواء من بيجين في الكنيست ـ ليلة ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ ـ فقد تحدث موضوعية . وظل على هذه الموضوعية .. والتقى به الرئيس السادات في ـ ـ ـ قبل بضعة أشهر . ولقاؤهما الثانى استطرد للحوار الاول . ان شيمون بيريز رئيس حكومة الظل .

وناحوم جولد مان شيخ الصهيونية .. ورئيس مؤتمرها الذى ترك منصبه قبل عام ـ عن ٨١ عاما ـ انه الان فيلسوف معتدل . طرح جانبا سنوات الطيش الفكرى . ونسق ذكرياته في كتاب . واستخرج من تجاربه الدروس المستفادة . وراح يقدمها لكارتر فاوصاه بان يحطم اللوبى الصهيونى اذا كان حقيقة يحب اسرائيل وأن هذا اللوبى هو الذى يغرى اسرائيل بالعناد والتسلط . والوقت ـ عند ناحوم ـ ليس في صالح اسرائيل .

وبعد ناحوم يجىء كورت فالدهايم .. سكرتير عام منظمة الامم المتحدة ..

يالها من تشكيلة رجال .. في اسرع جدول أعمال !

وقفـة مـع بيـان الاشتـراكيين !

وبالترتيب نمضى مع السادات من لقاء الى لقاء ..

النمسا الدولة المضيفة .. فندق الامبريال العريق يفرد طابقه الاخير للرئيس السادات . برونو كرايسكى صديق قديم قال : اننى شخصيا أحد هؤلاء الذين شاركوا في عملية استمرار الحوار . وانهاء الطريق المدود الذى وصلت اليه المحادثات المصرية الاسرائيلية ان لقائى مع الرئيس السادات مفيد للغاية . وسأقوم أنا ومستر برانت باصدار بيان نكتبه الان . يتضمن نتائج هذه المباحثات . وسوف نقدم هذا البيان الى مكتب الاشتراكية الدولية في سبتمبر القادم ـ ١٩٧٨ ! وسنكون مسئولين عن هذا البيان . ونعطى الاطراف الاخرى حق التعليق عليه .

وقبل أن يصدر البيان قال عنه كرايسكى : « حين يصدر البيان تستطيعون ان تقارنوه بصيغة أسوان . والدولية الاشتراكية في جهودها تقوم بهذا العمل دون اعتماد على الدور الامريكى .. ولكنها تعمل بالتوازى معه » .

وقال البيان ما يلى :

١ ـ ان اقرار السلام في الشرق الاوسط ينبغى ان يتم عن طريق المفاوضات المخلصة والمستمرة فقط . ويتعين على مصر وأسرائيل استئناف عملية المفاوضات . ويجب استمرار مبادرة السادات التى تم بمقتضاها بدء المباحثات المباشرة لا قرار السلام الى ان يتم عقد وتوقيع معاهدات سلام .

٢ ـ يجب ان يرتكز السلام في المنطقة على علاقات طبيعية وودية بين دول الشرق الاوسط بما في ذلك اقامة نظام اقليمى جديد للعلاقات يرتكز على التعاون الوثيق ·

٣ ـ يتعين اقامة حدود أمنة في المنطقة تبعا لقرارى مجلس الامن (٢٤٢ و ٣٣٨) مع انسحاب اسرائيل في كل قطاع الى الحدود الآمنة التى يتم الاتفاق عليها خلال المفاوضات . ويجب النص في الاتفاقات على وجود مناطق منزوعة السلاح . وعلى ضمانات أمن لأسرائيل حينما يقتضى الامر ذلك ·

٤ ـ يتطلب اقرار السلام في المنطقة حل المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها بما في ذلك الاعتراف بحق الفلسطينيين في المشاركة في تقرير مستقبلهم عن طريق مفاوضات يشترك فيها ممثلون منتخبون عنهم ·

والواقع أن هذا البيان يضيف جديدا الى الموقف الدولى فيما يتعلق بمبادرة السلام ·· فهو :

١ ـ لأول مرة تخرج بيانات الاشتراكية الدولية من مرحلة العبارات العامة الى وضع تصور شامل للقضية يكاد يرضى كل الاطراف ·· هذا اذا التزم بيجين العقل وفتح عينيه على حقيقة أن الفصل الثالث فصل حاسم !

٢ ـ الاحزاب الاشتراكية في اوربا ·· التى تعتبر هذا البيان التزاما ادبيا لها ذات تأثير في كل أوربا . وذات تأثير في دول السوق المعروفة بتأييدها لموقف السادات ·· وسوف يحث هذا البيان دول السوق على ان تكون ايجابية في قضية الشرق الاوسط · ويكون لها دورها المستقل الذى لا ينتظر ماذا تفعله أمريكا ليمشى وراءها . فان المأمول من دول السوق والاحزاب الاشتراكية هو أن تجعل الولايات المتحدة تحس انها اذا أبطأت في القيام بدورها فان غيرها يسبقها . وانها تتخلى عن دور يحتمه

عليها حجمها .. وانها معزولة مثل اسرائيل ان لم تمارس دورا فعالا وحاسما لاقناع اسرائيل ..

٣ ـ ان بيان الاشتراكية الدولية يتجاوز الحل الى رسم صورة للمستقبل .. فيلمح الى العلاقات الطبيعية التى يجب أن تقوم بين دول الشرق الاوسط بما في ذلك اقامة نظام اقليمى جديد للعلاقات يرتكز على التعاون الوثيق .. كأنها تريد أن تقول للعرب ولاسرائيل أمامكم فرصة لسوق مشتركة ..

وهو ما يعتبر في الوقت الحاضر قفزا الى المستقبل ..

٤ ـ والبيان وان لم يذكر الضفة الغربية وغزة ـ حتى لا يثير الارتكاريا عند بيجين ـ الا انه أدى اليهما في موضعين .. في النقطة الثالثة حين نص على انسحاب اسرائيل في كل قطاع الى الحدود الآمنة .. وكل قطاع هى بيت القصيد . وفي النقطة الرابعة من البيان نص على ـ حل المشكلة الفلسطينية ـ من جميع جوانبها بما في ذلك الاعتراف بحق الفلسطينيين في المشاركة في تقرير مستقبلهم ..

و .. ويبقى للرئيس أنور السادات أنه صاحب الفضل « التاريخى » في تحريك هذه المجموعة الى صف العرب . بعد ان ظلت على مدى عشرين عاما في صف اسرائيل . وسوف تبقى هذه الوثيقة . مهما كانت لنا ملاحظات على بعض نقاطها .. انجازا هاما يلمع فيه تحت سماء العدل الدولي اسما ويلى برانت وبرونو كرايسكى ..

شاهد من أهلها

والرئيس السادات في فندق امبريال .. واللقاءات ليست فردية . فأعضاء الاشتراكية الدولية يعتبرون أنفسهم أبناء أسرة واحدة . قد استمع ويلى وبرونو الى الحوار الذى دار بين السادات وبيريز . وبيريز صاحب فكر في عملية السلام وقد تقدم به للكنيست حين كان لبيجين مشروعه للرد على سؤالى أمريكا .. وهو المشروع الذى تقدم به مستشاره لاندو ..

وكان لديان مشروع .. وكان لعزرا وايزمان مشروع . انتصر مشروع بيجين لانه بعد صاحب القبضة . وفي يده الزمام . من المتنبئين من يقول ان بيجين شاخ فكريا وانه « يلعب » في الوقت الضائع . وأن قبضته بسبب علة قلبه توشك أن تفلت الوزارة . موقف شيمون بيريز هو ان يؤيد حزب العمل عزرا وايزمان .. لأنه - أى وايزمان - أقرب أعضاء الليكود الحاكم لفكر العمل المعارض . ولوايزمان منذ انسحب من مجلس الوزراء غاضبا . مؤكدا أن رد بيجين على أسئلة أمريكا سوف يؤدى لحرب خامسة وانه يجب ان يذهب لاعداد الجيش بهذه الحرب .. لوايزمان منذ انسحب غاضبا شعبية هائلة تتجاوز شعبية بيجين وديان معا تتجاوزهما بنسبة ١٢ ٪ . اما اذا حدث وحل الكنيسيت وأجريت انتخابات جديدة فان بيريز سيكون رئيس الوزراء المقبل . ان بيجين انتخب ليصلح فسادا استشرى في الحكم في الدورة الاخيرة لحزب العمل . ولكن بيجين لم يصلح الفساد .. وقد اتيح لبيجين أن يحقق السلام فلوى رقبته بعيدا . ولوى معها رقبة حمامة السلام .. شباب اسرائيل ساخط عليه بدليل أن الذين هاجروا من اسرائيل من الشباب المتخصصين تجاوزوا ١٧ ألفا .. ومعهم ٢٠ ألفا من العجائز .. لو أحسوا الاستقرار لما هاجروا . وأستوردت اسرائيل أقل من نصف العدد فكيف يراهن بيجين على أن الضفة الغربية وغزة اذا بقيتا ضمن حدود اسرائيل فانه لا يخشى على اسرائيل من الانفجار السكانى الذى يتمتع به العرب . والذى سيحول اليهود في اسرائيل الى أقلية . رهان بيجين أن الهجرة الى اسرائيل ستصل الى ٢٠٠ ألف يهودى في العام مما يضمن للعنصر المختار أن يبقى أغلبية !

بيريز آذن له أهميته ..

وقد صرح بأنه التقى ببيجين قبل أن يطير الى فيينا . وقال ان مستقبل اسرائيل ملك للجميع .. للحكومة والمعارضة وهو يقوم بدور

يتمنى أن يكلل بالنجاح . مندوب الجيروزاليم بوست قال إن بيريز يأمل في الوصول الى اتفاق غير رسمى على اعلان المبادىء من أجل اتفاقية السلام في الشرق الأوسط . وأضاف ان بيريز يعتقد أن اجتماع وزراء الخارجية في لندن لن يؤدى الى شيء ولكن أى اتفاق سرى على اعلان المبادىء يقوم على اساس صيغة اسوان ـ التى يقبلها حزب العمل الاسرائيلى بصفة عامة ستكون له نتائج ذات تأثيرات عنيفة في المسرح السياسى في اسرائيل ..

ثم اسمع ما قاله بيريز بعد لقائه بالسادات :

ـ لقد كانت لزيارة الرئيس السادات للقدس آثار عظيمة . ولا تزال أثار هذه الزيارة ممتدة . انني لم أحضر هنا للتفاوض . وانما جئت لمواصلة الحوار مع الرئيس السادات . وقد استفدت كثيرا من الرئيس السادات . واننى اعترف ان هناك مشكلة فلسطينية وان هذه المشكلة يجب أن تجد حلا لها بطريقة مقبولة . وأعتقد أن أحسن حل للمشكلة الفلسطينية أن يتم في أطار كيان أردنى !

.. و .. اذا كان بيريز يمثل المستقبل في اسرائيل فان الرجل الذى مثل ماضى اسرائيل منذ انشائها . بل يمتد تمثيله لها وهى حلم في رأس قبائل التيه اليهودية . الرجل ناحوم جولدمان أكثر صدقا مع نفسه . أنه ضمير كل اسرائيلى استخلص من التجربة « عقار » السلامة . وأخذ من التاريخ عبرته ليبقى لا خيالات شمشون فيفنى !

التقى الرئيس السادات بناحوم جولدمان ..

جولد مان ضمير اليهود !

وهذه قراءات في كتاب جولد مان « نحو عالم يهودى شجاع » .. والقراءة مقتطفات تخص الموقف في الشرق الاوسط .. يقول ناحوم جولد مان :

● ما ينبغى أن يتعلمه المفاوض الاسرائيلى أنه ليس هناك فرد على

حق تماما . ان المواقف المطلقة ليست موجودة الان لان الاطلاق نفسه مستحيل البلوغ . وحينما يتفاوض الاسرائيليون فانهم يكونون على يقين كبير من حقوقهم لدرجة انهم ينسون حقوق العرب . ومن ثم يعملون على اضعاف مواقفهم في نظر العالم .

● لدى البريطانيين موهبة النسيان . ففى فترة جيل فقدوا أعظم امبراطورية . وبرغم هذا فهم سعداء جدا . ولبعض الوقت كان شغلهم الشاغل يدور حول من سوف يتزوج الاميرة مرجريت . هل يمكن ان تتصوروا اليهود في هذا الموقف ؟ ان المعبد في القدس دمر منذ ٢٠٠٠ سنة غير اننا نشهد اليهود يصومون يوما كل عام تخليدا لهذه الذكرى . واذا كنا فقدنا أمبراطورية تعادل الامبراطورية البريطانية لكنا قد صمنا مرتين في الاسبوع طوال هذه القرون . وخذوا بالكم فان العرب يشبهوننا تماما . ومن البساطة المطلقة ان نتصور انهم سوف ينسون في النهاية وجودنا في فلسطين . وان يتعايشوا مع احتلالنا للجولان أو سيناء . لقد اثبتوا انهم سوف يطيلون أمد الحرب حتى يتسنى لهم استعادة اراضيهم . وعلى هذا فان سياسة الامر الواقع التى تتبعها اسرائيل في الاحتلال لا تمثل سوى مضيعة كبرى ! كم مائة مليون انفقتها اسرائيل على خط بارليف على طول قناة السويس .. ذلك الخط الذى دمره المصريون في ساعات ؟ . وكم من القرى جرى تشييدها الان . وسوف تمحى من على الخريطة ؟

● ان علينا ان نضحى بنصف فلسطين ليكون لنا دولة !

● والى أولئك الذين يعارضوننى . ويصورونني على اننى من مدمنى احلام اليقظة حين أدعو لتلك الخطة .. الى اولئك اقول انهم اذا لم يعتقدوا بأن عداء العرب لهم سوف لا تخف حدته . فانه أحرى بنا تصفية اسرائيل على التو لكى ننقذ ملايين اليهود الذين يعيشون هناك . وفي هذه النقطة أرانى قاطعا .. فليس هناك أى أمل لدولة يهودية يكون مكتوبا عليها أن تواجه خمسين سنة أخرى من النضال ضد أعدائها العرب .. كم يكون عددهم بعد ٥٠ سنة .

● في اعتقادى أن المفاوضات مطلوبة الان بصفة عاجلة . وأنا لا أحب عبارات اخر فرصة . والفرصة الوحيدة غير أنه وبالصدق كله فاننا نعيش الان لحظة حاسمة في التاريخ اليهودى ·

● اليهود يبالغون في تقدير أهمية الدعاية والعلاقات العامة · ان المنظمة الصهيونية العالمية قد انفقت ملايين الدولارات على الدعاية . ويؤسفنى هذا لان هذا كله لا يساوى شيئا . ان العامل الحاسم في التأثير على الرأى العام هو شخصية أو طابع السياسات الاسرائيلية . فاذا ما تم نقد هذه السياسات من جانب الدول فان اعظم الدعاية لا تغنى شيئا . لقد ورث الاسرائيليون سوء الحكم وهذا الزاد السيىء من الشعارات من الامريكيين ! ففى الولايات المتحدة كل شىء يجرى بيعه عن طريق أسلوب « ماديسون افينو » حيث تتركز شركات الاعلان الكبرى ·· وهذا الفن ربما كان مدهشا في تقديم نوع من الصابون أو معجون الاسنان . أو حتى في تقديم صحيفة جديدة . وليس الامر كذلك حين يتعلق الامر بنشر فكرة سياسية بتشويهها . فقد قال الرئيس ابراهام لنكولن : انك تستطيع ان تضحك على كل الناس بعض الوقت . وربما استطعت ان تضحك على بعض الناس بعض الوقت . ولكنك لن تستطيع ان تضحك على كل الناس كل الوقت ··

وعلى هذه القاعدة يجب أن يمضى خبراؤنا في الدعاية !

● اننى أعارض بشدة محاولة اسرائيل استعمار أراض تمتد بين غزة وسيناء . وكذلك الخطط الرامية الى بناء مدينة ياميت . ان هذه الخطة ينبغى نبذها اذا ما تم التوصل الى سلام ·

والمعروف ان تصريحات ناحوم جولد مان أصبحت تؤرق بيجين . وهى تجد صدى رائعا عند أنصار « حركة السلام الان » التى يتعاطف معها جولد مان ··

وقد صرح جولدمان بعد اجتماعه بالرئيس السادات بأنه عرض على

الرئيس نتائج جولته في الولايات المتحدة . ولقاءاته مع المسئولين هناك . ونتائج رحلة استطلاعية قام بها لأسرائيل طوال ٤٥ يوما .. وطرح بعد ذلك تصوره للمرحلة القادمة وفرص السلام .

والتقى الرئيس بعد ذلك بالمليونير النمساوى اليهودى كارل كاهان الذى قال للرئيس أن مبادرة السلام ليست موجهة الى اسرائيل وحدها بل موجهة الى كل يهودى في العالم .. ولهذا فعلى كل يهودى ان يمارس مسئولياته في اتجاه السلام ..

جنيف .. كيف ومتى !

و .. وقفة لا لتقاط الانفاس !

سالزبورج مدينة الموسيقى .. حفيف الاشجار فيها سيمفونية . واندفاع الماء من ذوب الجليد نغم .. أمضى فيها السادات بضعة أيام بداها بلقاء مع كورت فالدهايم .

بمناسبة كورت فالدهايم قد ثار الحديث عن مؤتمر جنيف في المؤتمر الصحفى .. ينعقد أو لا ينعقد .. وكيف ينعقد وعلى أى اساس ..

وفالدهايم لم يبتعد عن ساحة الشرق الاوسط منذ مبادرة السادات ! انه اختار انزيو سيلاسفيو قائد قوات الطوارىء في الشرق الاوسط ليشارك في اجتماعات القاهرة التمهيدية لمؤتمر جنيف . فقد كانت تلك مهمة تلك الاجتماعات منذ البداية . والعودة الى الحديث عن جنيف ليس مفاجأة .. انما هو استمرار لما بدأ في ١٤ ديسمبر عام ١٩٧٧ ..

وقال الرئيس السادات لكورت فالدهايم ان مصر تعمل دائما على أن تتحمل الامم المتحدة مسئولياتها الكاملة في المرحلة القادمة . كما أنها لا تمانع في استئناف مؤتمر جنيف . وليس لديها أى اعتراض أو شروط للذهاب الى المؤتمر .. وشرح له المقترحات المصرية التى وصفها السكرتير

العام بأنها تتفق مع مبادىء القرار ٢٤٢ .. واقترح فالدهايم أن تعيد الامم المتحدة تأكيد اقتراحها باشتراك جميع الاطراف في اجتماع يتم في الامم المتحدة أو في أى مكان اخر وذلك بعد أن تظهر نتائج مؤتمر لندن وقال كورت فالدهايم للصحفيين بعد انتهاء مقابلته مع الرئيس السادات بأن *الرئيس له موقف ثابت* في مقترحاته . وهو يطالب دائما بضرورة حل المشكلة الفلسطينية .. ولقد نص على ذلك في مقترحاته وهو يكرر دائما أن حل المشكلة الفلسطينية هو المفتاح لحل المشكلة ..

ولعل الوصف المركز للفصل الثالث الذى يرتفع عنه الستار في لندن يوم ١٧ يوليه ١٩٧٨ .. هو انه فصل المشكلة .. ومفتاح الحل .. أو فلسطين .. فهى المشكلة وهى مفتاح الحل . على هذا ركز السادات في مشروعه الذى أرسله لكارتر والذى اثنى عليه كارتر ..بتحفظاته .في لقاء لندن تدور العجلة حين يجتمع الرجال حول مائدة المفاوضات من جديد .

وعلى المائدة :

- رد اسرائيلى رفضته مصر ..
- مقترحات مصرية رفضتها اسرائيل .

غير أن الرد الاسرائيلى مرفوض من أمريكا .. والمقترحات المصرية قريبة جدا من صيغة أسوان .. ومن بيان البيت الابيض الصادر في فبراير ١٩٧٨ .. في نهاية زيارة السادات لواشنطن والمعتقد ان أمريكا سوف تطرح اقتراحاتها التى يدرسها خبراء في الشرق الاوسط لكى تجمع بين النقاط المشتركة فتخلق منها أرضية مشتركة . وتمضى امريكا بذلك قدما الى دورها المأمول ! حلبة الصراع لندن . فهل يضفى البرود الانجليزى هدوءا على أعصاب ديان فلا يشعل الموقف بتصريحاته الصحفية مثلما فعل في القدس قبل أن تبدأ مفاوضات اللجنة السياسية في ١٥ يناير ١٩٧٨ ! وهل يسرى البرود لتلك العضلة النشيطة جدا في فم

يجين .. لسانه السريع الطلقات .. وينصحه الاطباء والمخلصون لبلدهم أن يكف عن التصريحات حتى لا يسدل الستار على الفصل الثالث قبل أن يتمكن كل الشرفاء ، في أوربا الغربية . في الاشتراكية الدولية . في الولايات المتحدة الامريكية . في الامم المتحدة من أن يقوموا بأدوارهم . ويسعوا سعيهم . ويبذلوا قصارى جهدهم ..

أنا لا أتفاءل ولا أتشاءم .. فالطريق كما قلت طويل .. والسلام صعب ..

واذا كانت جنيف قد لاحت في الافق فليس هناك جنيف قبل أعلان المبادىء . لن نذهب لنتفاوض ٢٥ عاما .. هل تذكر ما قاله السادات من أننا لن تقبل أن نفعل مثلما يفعلون في محادثات نزع السلاح ! ان مبادرة السادات أرادت وضوحا من أجل جنيف . لان المبادرة تؤمن بالحل الشامل . من يغمض عينيه عن هذه الحقيقة فهو مغالط مغرض .. أراد أن يهدم كل شيء ولم يفعل شيئا . ومبادرة السادات أرادت أن تضع اسرائيل في امتحان عسير .. وحتى كتابة هذه السطور فشلت اسرائيل .. سقطت امام العالم .. تمزقت في داخلها . وتمزق اليهود خارجها . وكسبت المبادرة هذه النقطة .. انها كشفت اسرائيل .. ولهذا فاسرائيل محاصرة . اسرائيل معزولة . اسرائيل في مصيدة .. ولولا المبادرة لظلت تنادى بأن العرب لا يريدون السلام . وانهم قتلة يتربصون بها . وانها واحة سلام وادعة في أرض طغيان وحقد وكراهية ..

●

والفصل الثالث قد لا يكون الاخير ..

والفصل الثالث قد يكون البشير ..

أنت لا تعلم .. وانا لا أعلم .. الله يعلم . لان الطريق طويل طويل . والسلام صعب .. وعسير !

٣٦ـ في كامب ديفيد والسلام هو الأمل

● عندما كان مناحم بيجين سجينا في الاتحاد السوفييتى عام ١٩٤١ اقترب من حارسه وراح يحدثه في ضرورة أن يطلق سراحه. وأنه يريد أن يتفرغ لمهمة مقدسة هى حرب التحرير في فلسطين · واستخدم بيجين عبارات من التوراة تؤيد ما يقول ··

وبعد أن انتهى من حديثه الطويل. سأله الحارس: ماذا تريد بالضبط؟ فقال بيجين: ان تعطينى فرصة لأفر من هنا. وقد شرحت لك غايتى · فقال له الحارس بغضب: أنت مجنون ·

فنظر اليه بيجين بلوم وقال: أذكرك بأن القانون السوفييتى يمنع هذه اللهجة في الحديث ·

وكامب ديفيد ليست السجن السوفييتى. ولا كارتر حارس السجن · ولكن بيجين بارع في طلب المستحيل. وتصور أن هذا المستحيل حق له. وأسلوبه في غاية البساطة. فهو يكرر نفس الشىء

دون سأم الى أن يمل خصومه الاستماع اليه . ومع ذلك فهو يعتبر نفسه شديد المرونة . ولو كان يؤمن بالسلام الآن لسعى جاهدا اليه . ولكنه يؤمن بالحرب أسفا على السلام . ولا يريد أن يفقد مكسبا . لانه لا يؤمن بالسلام بالنسبة لهذا الجيل . وكثيرا ما كرر للمقربين اليه « ان قدر جيلنا والجيل الثانى أن يعيش حاملا سلاحه في اقامة دولتنا والعمل على فرض وجودها » .

وبيجين يؤمن الان أن الرأى العام يريد السلام . ولهذا قبل الذهاب الى كامب ديفيد . ويتعين عليه أن يتوصل الى مناورة بارعة لكيلا يبدو مسئولا عن الفشل السابع . ففى احصاءات اللقاء : أنه التقى بالرئيس السادات مرتين . واحدة بالقدس يوم المبادرة . والثانية في الاسماعيلية يوم عيد الميلاد . والتقى وزير خارجيته ديان مع ابراهيم كامل وزير خارجية مصر مرتين .. في القدس . وفي قلعة ليدز . والتقى وزير دفاعه عيزرا وايزمان مع الفريق اول الجمسى مرتين على أن أعنف وصف لبيجين لم يقله عربى . بل قاله صهيونى مثله . وصقر من جيله .. بن جوريون الذى قال : « ان بيجين ذو شخصية هتلرية . وعنصرى على استعداد لان يبيد كل العرب من أجل الحصول على أرض الميعاد . انه يجرد كل الوسائل من أجل هذا الهدف . اننى أرى فيه خطرا يهدد كيان اسرائيل من الداخل والخارج . اننى لا أستطيع أن أنسى أعماله ذات المفهوم الواضح كقتل العشرات من اليهود والعرب والانجليز . ونسف فندق الملك داود . ومذبحة دير ياسين . وقتل النساء والاطفال العرب . ومشكلة السفينة ألطينا التى كانت تهدف الى السيطرة على الحكم في البلاد بالقوة . وتحريض الرعاع على قذف الكنيسيت بالحجارة . وقوله : لقد اختارنا

الله لان نحكم . ان هذه الاعمال ليست أعمالا منعزلة عنه . انها تعبر عن مخطط وطريقة عمل وعن شخصية وعن هدف » .

وأكثر من هذا يتصور بن جوريون اسرائيل اذا حكمها بيجين ، يتصورها في رسالة بعث بها عام ١٩٦٤ الى حاييم جور . يقول فيها : سوف يغير بيجين قيادة الجيش والشرطة . ويعطيها للرعاع من اتباعه . وسوف يحكم كما كان يحكم هتلر في دولته . اننى واثق من أن بيجين يكره هتلر . ولكن هذه الكراهية لا تعنى أنه يختلف عنه كثيرا . اننى عندما سمعت خطاب بيجين لاول مرة في حياتى تخيلت أننى أسمع صوت وصراخ هتلر » .

ومن عجب أن تتحقق نبوءة بن جوريون .

وعند بيجين عقدة الاضطهاد نتيجة لمشاهد دموية في حياته من معسكرات الاعتقال ومن أيام كان على رأس قائمة المطلوب القبض عليهم من قبل الانجليز . ثم أيام كان بعض اليهود في اسرائيل يطلبون رأسه . ولهذا فهو يتصرف دائما من منطلق الخوف المستقر في أعماقه . وعندما طالب السادات بعودة اسرائيل الى حدود عام ١٩٦٧ قال بيجين : « هذه ميونيخ أخرى » .

وبيجين يصحو في السابعة صباحا . يقرأ الصحف البريطانية كعادة قديمة . وينصرف لعمله . وعلى النقيض من هذا كله رجلنا الذى يجلس على الطرف الآخر من مائدة المفاوضات . فرجلنا الرئيس السادات رجل سلام . لانه ابن قرية يتبادل فيها الناس السلام بعدد دقائق النهار . وهو ابن الحرية . ضاق ذرعا من الاستعمار البريطانى فشارك مع المناضلين لكى يجعل الارض جحيما تحت قدمى المحتل . ويكره الفساد . ولهذا التقى الضباط ليصنعوا الثورة . ويكره الظلم

ولهذا ثار على الثورة وصحح أخطاءها . وهو يصحو في الثامنة ويفطر بملعقة من العسل . ولا ينام قبل منتصف الليل . وفي ملفه أشياء تجعل نفسه منبسطة بالرضا كنصر اكتوبر ومبادرة السلام . والحياة الديمقراطية . وتحرير الناس من الخوف . وهو قد مد في رقعة هذا التحرير من الخوف حين ذهب الى اسرائيل ليحرر شعبها من الخوف . لان الخوف هو السبب الحقيقى لازمة اسرائيل . ولكن بيجين المعقد بخوفه ليست لديه أجهزة استقبال تستقبل السلام . ولهذا مضى حوالى ٣٠٠ يوم على الفرصة النادرة التى اتاحها السادات لبيجين وللسلام . ولان الطريق أصبح مسدودا . ولان مصر أعلنت بعد لقاء ليدز أنها لن تجتمع ببيجين قبل أن يعلن المبادىء المطلوبة . لهذا كله كتب كارتر دعوة بخط يده للسادات . ودعوة بخط يده لبيجين .. وارسل بهما فانس الى الشرق الاوسط . وحين التقى فانس بمساعده اثرتون في تل أبيب لم يثق في غرفة اثرتون في فندق الملك داود لان عادة الاسرائيليين ان يبثوا في غرف ضيوفهم أجهزة التسمع الموصلة « للموساد » ـ المخابرات الاسرائيلية ـ فأخذه الى السفارة الامريكية في تل أبيب ليحدثه في الدعوة . ضمانا للسرية .

وقبل بيجين الدعوة فقال له فانس : ان الرئيس كارتر يرجوك الا تتحدث عنها الا بعد أن يقبلها الرئيس السادات .

وقرأ فانس خطاب كارتر على الرئيس السادات على شاطىء الاسكندرية . فأجاب الرئيس بعد دقائق من التفكير :

ـ أقبل الدعوة .

وكان كارتر مع عدد من الصحفيين عندما تلقى مكالمة من فانس في القاهرة يزف اليه خبر قبول السادات للدعوة . فعاد الى ضيوفه والبهجة تغمر وجهه .. وقال ما معناه « كله تمام » .. ولكنه لم يعلن

لهم شيئا .. لان الاعلان عن قمة كامب ديفيد يليق به بيان معد ..

وقد سئل الدكتور بطرس غالى :

ـ كانت مصر قد قررت الا تلتقى ببيجين قبل أن يعلن عن المبادىء المطلوبة . فكيف قبلتم الدعوة لكامب ديفيد دون أن يتحقق شرطكم ؟! ..

أجاب الدكتور بطرس غالى قائلا :

ـ مصر شريك كامل ولها مشروع سلام . واسرائيل كذلك . والولايات المتحدة أصبحت الان شريكا كاملا . وهذا ظرف جديد يدعونا للاشتراك في لقاء كامب ديفيد

وأسئلة كثيرة !

في ٢٠ فبراير ١٩٥٧ خطب الرئيس الامريكى أيزنهاور قائلا :

« اذا سلمت الامم المتحدة مرة بأن الخلافات الدولية يمكن أن تحل باستعمال القوة . فاننا بذلك نهدم المنظمة من الاساس . مع أن أملنا هو بناء نظام دولى » .

وفي مارس ١٩٥٧ تم جلاء القوات الاسرائيلية من سيناء وغزة .

وقد كان كل رؤساء الولايات المتحدة بعد أيزنهاور وسطاء لا محكمين . ولهذا حدثت حربان . وقطع البترول العربى . ووضعت القوات الامريكية النووية حول العالم في حالة الاستعداد القصوى . فان الوسيط يقول الكلمة الطيبة . أما الحكم فهو يطلب التنفيذ ويفرضه .

وقبل هذا التاريخ بنصف قرن في عام ١٩٠٥ كان تيودور روزفلت حكما بين اليابان وروسيا أيام حرب منشوريا . وقد وفق في مهمته التى انتهت بعقد معاهدة « بورتسموث » ولهذا استحق جائزة نوبل .

والان هل ينتقل كارتر من دور الوسيط الى دور الحكم .. أو دور الشريك ؟

أسئلة كثيرة يجب أن نجيب عنها قبل هذا السؤال ·

السؤال الاول ، لماذا وجه كارتر الدعوة مع أنه لا يضمن النجاح ؟

الجواب : كارتر وجه الدعوة لانه يخاف من الأسوا . فالشرق الاوسط يغلى بعد لقاء ليدز · وكل تعنت اسرائيلى ينعكس على الفور في العنف العربى . حتى ولو كان عنفا من العرب ضد العرب · وهناك الموقف المتفجر في لبنان · والسوريون يحصدون اللبنانيين حصدا بمدافعهم · وبيجين يقول مستغلا الصورة الدامية : « لو تركت العرب يعودون الى حدودهم حولنا فسوف تكون اسرائيل على مرمى مدافعهم التى يحصدون بها بعضهم البعض ·· اذا كان هذا يحدث فيما بينهم . فما الذى يمكن أن يفعلوه بنا ؟ » ·

ان مخاطر الحروب قائمة . ومن جانب اسرائيل تتضاعف هذه المخاطر . وفي تقدير المراقبين ·· أن اسرائيل لن تنتظر حتى تصل الاسلحة الامريكية للمنطقة العربية . ان اسرائيل تعتقد أن مخازن الاسلحة الامريكية في ساحات التدريب . وأسرار القتال متاحة الان للعرب . للمصريين والسعوديين الذين ذهبوا ليتدربوا على السلاح . بل لا تستبعد اسرائيل أن يعرف العرب من الامريكيين الذين عملوا في اسرائيل أسرار اسرائيل · فاسرائيل قد تقدم على جنون الحرب . خاصة وأن بيجين مجنون بالحرب · وقد عبر كارتر عن الموقف قائلا : « ان المخاطرة شديدة . ولكن عدم فعل شيء يعتبر أكثر خطورة . فالفشل في بدء محادثات جديدة . يمكن أن يؤدى الى نشوب حرب اخرى لا يريدها أحد . ولن يكسبها أحد » ·

والسؤال الثانى هو :

ـ لقد كان موقف كارتر واضحا في تصريحاته الخاصة بالفلسطينيين . ثم في بيان اسوان الذى اقترب فيه كثيرا من التفكير

المصرى . ثم أكد هذا الوضوح في البيان الصادر عن البيت الابيض بعد زيارة السادات لواشنطون في فبراير الماضى · واسرائيل رفضت هذا كله ، فهل من موقف جديد من جانب اسرائيل يعرفه كارتر ؟

الجواب هو : من ناحية اسرائيل قال موشى ديان : « لا يجب علينا أن نضم الضفة الغربية وقطاع غزة . ولا يجب علينا أن نطالب مليون عربى بأن يصبحوا اسرائيليين · اننى أدعو الى منح الحكم الذاتى للعرب · وفي أوربا وأمريكا ينظرون على اننا قمنا باحتلال هذه المناطق . ومع ذلك يجب التشبث بموقفنا الاساسى من مسألة الامن . واصرارنا على ذلك قد يكلفنا الكثير · وقد يكون علينا أن نتحمل تبعة ذلك » ·

كارتر والسادات وبيجين والسلام هو الأمل

أما مناحم بيجين فقد صرح بقوله ان مشروعه القديم للسلام لم يناقش . وقد آن الاوان لكى يطرح من جديد · وموقفه هو موقف اليهودى الذى أفلس فقلب في دفاتره القديمة والمشروع المكون من ٢٦ نقطة وضع بيجين أكثرها بنفسه مرفوض من مصر ·· وقد أدعى بيجين أن كارتر قبله . فكذب البيت الابيض هذا الكلام · وفي قاعة والدورف استوريا أقام زعماء الصهيونية في أمريكا حفلة لبيجين بعد لقائه الصاخب مع كارتر في الربيع الماضى ووقف بيجين يقدم المشروع ويقول لهم : خذوه واطرحوه على الشعب الامريكى . ولكن الجالسين همهموا قائلين : « انه سلعة لا تصلح للبيع » ·

وتلقى بيجين الصدى الرافض . فاخترع قبل أن يذهب الى كامب ديفيد حكاية الحلول الجزئية الدائمة · والوصف الاول للحلول بانها جزئية يناقض وصفها الثانى بانها دائمة · ولكن بيجين يعتقد دائما

انه على صواب · وقد رد الدكتور بطرس غالى على حكاية الحلول الجزئية الدائمة بقوله لمندوب الجارديان البريطانية :

« ان هدف القاهرة لا يزال تحقيق سلام شامل دائم . ولا يمكن أن نوافق على سلام ثنائى أو سلام محزا . وليس لدينا اعتراض على التوصل الى تسوية شاملة عن طريق اتباع منهج من نوع مختلف . واذا كان ذلك سيكون مجرد خطوة نحو أسلوب ثنائى . فسوف نرفضه . ومهما كانت عناصر الاتفاق الجزئى . فان مصر ستحتاج الى اعلان مبادىء بشأن القضية الفلسطينية » ·

مصير كارتر !

والسؤال الثالث هو :

ـ كيف يجسر كارتر على عقد اجتماع خطر كهذا قبل جولة انتخابية بعد شهرين وهو يعرف أن فشله في كامب ديفيد قد يحطم مستقبله السياسى ؟

والجواب :

ـ رغم حملة الارهاب المنظمة الذكية التى تشنها أجهزة الاعلام الصهيونى على كارتر فانه يثق بأن الرأى العام الامريكى معه ·· وقد أخرجت قضية الشرق الاوسط رجل الشارع الامريكى عن سلبيته المعروفة تجاه ما يجرى بعيدا عن بلاده · فالامريكى لا يهتز الا لما يهزه فعلا في رزقه أو في بيته أو في مستقبله · حرب ١٩٧٣ والبترول هزت الامريكى العادى ·· أروى لك في هذا المقام حكاية طريفة عن الرئيس السابق فورد عندما ذهب الى « ايداهو » ونزل من سيارته عند بيت فلاح أمريكى . فقال له تيودور :

ـ هاللو ·· أنا فورد ·

فلم يتحرك الفلاح من مكانه . وقال لفورد ببساطة :

ـ هذه مشكلتك أنت ..

وفي ايداهو .. كان كارتر يقول تصريحاته المتفائلة عن كامب ديفيد . فيسمعه كل الناس بشغف وانصات شديد . وفي لقاء المحافظين الامريكيين في بوسطن كان اجتماع كامب ديفيد بندا في جدول الاعمال . وخرج المحافظون يتحدثون للصحفيين عن كامب ديفيد واملهم في نجاحه ..

وجهاز الاعلام الصهيونى يتحرك الان ومنذ دعوة كارتر لقمة كامب ديفيد في اتجاهين :

الاول ، هو تخويف كارتر . والحط من قدره عند شعبه . حين يصورونه غير قادر على السباحة في المياه العميقة . أو يقولون عنه أنه رجل بوجهين « بوشين » .. فهو مرة مع العرب ومرة مع اسرائيل . ويرمونه بأنه يحطم تقاليد أمريكية جذرية عن العلاقة بين أمريكا واسرائيل اذا فكر في فرض حل على بيجين . ويقولون ان امريكا لن يبقى لها صديق يثق بها اذا تخلت عن اسرائيل .

ولكن كارتر يتمتع بثقة الشعب الامريكى في معالجته لقضية الشرق الاوسط .. لانه في نظر الشعب ونتيجة لاستفتاء معهد « جالوب » كان يحاول أن يكون عادلا معتدلا .. وهذا يحسب له . وقد حاول جاهدا استمرار المفاوضات .. وهذا شيء يستحق الثناء عليه . ويمكن لكارتر أن يحرز نجاحا اذا اسفر اجتماع كامب ديفيد عن انطلاق لجان المفاوضات الى مناقشة التفاصيل بعد الاتفاق على النقاط الرئيسية . وقد اخذ كارتر ٣٩ صوتا يرجحون نجاحه في مهمته مقابل ٣٦ لا يتوقعون له النجاح . ومن بين كل خمسة ظفر بثلاثة أصوات تقول انه ايجابى فيما يتعلق بالازمة . وانه يؤكد بتوجيه

الدعوة لكامب ديفيد أنه يقدم على تصرفات رئاسية يستحق من أجلها مرتبه ·

واذا كان هذا هو موقف رجل الشارع ·· فان كارتر يحسب حساب الكونجرس . وقد واجه كارتر المارد المسمى « اللوبى » الصهيونى في الكونجرس وأعاده الى زجاجته في صفقة الطائرات المعروفة . ومنذ هذا الانتصار والعلاقات بين كارتر والكونجرس علاقات طيبة فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط . بل لعلها اول مرة تتفق فيها السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في تناول قضية ما ·

وجافيتس سناتور نيويورك الذى كان حامى حمى اسرائيل على مدى ٢٢ عاما قال : « الشرق الاوسط بالنسبة لكارتر يمكن أن يكون كالصين بالنسبة لنيكسون · ان معلوماتى أن بيجين مستعد لبعض التنازلات . وهناك احتمال كبير أن تحقق قمة كامب ديفيد خطوات على طريق السلام » ·

فكارتر لا يكترث للحملة الصهيونية التى يتعرض لها لان النتائج لو كانت ايجابية فسوف تكشف ظلم الحملة · وقد اصبح الشعب الامريكى يتعاطف معه . وهو يحس الحملات المغرضة عليه . ان مبادرة السادات لم تفقد وهجها وعظمتها عند الشعب الامريكى . ولهذا فكلما تحدث كارتر عن السلام . لقى ترحيبا من شعبه وتأييدا من الكونجرس ·

والاتجاه الثانى هو اتجاه تيئيس كارتر من ان يصل الى حل . وبث روح الهزيمة فيما يكتبون عن نتائج كامب ديفيد المحتملة ·

فلسطين حجر الزاوية !

السؤال الرابع :

ـ هل هذا كلام مطلق . أى هل معناه أن كارتر سوف يقدم

مشروعه على ما نرجو خاصة وانه فيما يقول اقرب الينا من قربه من اسرائيل ؟

الجواب هو :

ـ الصحف هنا تتحدث عن دور الوسيط ودور الحكم ودور الشريك · والاقلام الصهيونية تحبذ الدور الاول وتهاجم الدور الاخير · والمسئولون الامريكيون أصبحوا لا يفصحون عن البطاقة التى دخل بها كارتر لقاء كامب ديفيد · ولكن المعروف أن كارتر ان لم يكن في ملفه مشروع سلام ففيه تصورات وبدائل . وفيه أفكار مرنة · وقد اقول أن كارتر لا يخاف الصهيونية لانه لم يفكر بعد في ترشيح نفسه مرة أخرى · وقد اقول انه يعرف أنه لو حقق السلام في الشرق الاوسط فان شعبه سوف يلتف حوله ·· سيعيد انتخابه مهما تآمرت عليه القوى الصهيونية · أيزنهاور حدث له هذا ، فلماذا لا يعيد التاريخ نفسه ؟

واذا قلبت في ملف كارتر فاننى اتصور عبارات تقريب الشقة وسد الفجوة وتضييق الخلاف هى الغالبة · ومعنى هذا أن المجتمعين الان في كامب ديفيد لن يوقعوا في أحسن الفروض معاهدة السلام · فالحكاية ليست بهذه البساطة · والمنتظر هو أن يشق كارتر طريقا وسط الارض الوعرة في الشرق الاوسط . أى يضىء شمعة بعد أن ساد الظلام · وعلى هذا الضوء سوف تستمر المفاوضات · وهناك من يقولون ان وزراء الخارجية قد لا يتركون كامب ديفيد قبل الوصول لاتفاق ·

وفي الاساس ، صرح المسئولون الامريكيون بان قرار ٢٤٢ هو الاطار الذى تجرى فيه المباحثات : وهذا الاطار في صالحنا اذا تمسك كارتر بتفسيره له . فهو يحتوى على الانسحاب من جميع الجبهات .

وكارتر هو الرئيس الامريكى الوحيد الذى أضاف الى الموقف ، أن حل القضية الفلسطينية ضرورة . لان القضية الفلسطينية هى حجر الزاوية في أزمة الشرق الاوسط .

وتقول الصحافة الامريكية ان فانس ومجموعة مساعديه في الشرق الاوسط وبريزنسكى ومجموعة مستشاريه قد سهروا الليالى من أجل اعداد الاقتراحات أو البدائل . ومن هذه الاقتراحات مثلا . احلال قوات أمريكية محل القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة ، ووضع المطار الذى تطالب به اسرائيل في سيناء في أيد أمريكية .. ففى هذا وذاك أمان لاسرائيل وسوف يرفض ذلك بيجين لان اسرائيل لا تعتمد في أمنها على جندى من خارج حدودها . وبيجين قال ، « اننا لا نريد أمريكيا واحدا يقاتل معركتنا » .. ونسى بهذا ما حدث في عام ١٩٧٣ حين أنقذتهم أمريكا . وتمضى هذه الصحف الى القول بأن السادات يفضل أن توقع أمريكا معاهدة دفاع مع اسرائيل ، تضمن اسرائيل بها أمنها . وتؤكد هذه الصحف أن معاهدة من هذا النوع موجودة فعلا في ملف كارتر .

ومن البدائل المطروحة ـ صحفيا ـ كيفية تمكين الفلسطينيين من المشاركة في تقرير مصيرهم . وتنتهى الاقلام الصهيونية الى تحليل كل بديل أو تصور الى أن بيجين سوف يرفضه .

على أن هناك مفهوما عاما عند الامريكيين يتلخص في الاتى :

١ ـ ان على كارتر أن يضغط على بيجين مهما قيل أن الضغط عليه سوف يؤدى الى نتيجة عكسية . اذ يمكن أن ينسحب ويعود الى شعبه فتصفق الغالبية له . رغم مظاهرات حركة السلام التى ودعته الى المطار وهو في طريقه الى كامب ديفيد .

٢ ـ أن على كارتر وهو يقدر للسادات حبه للسلام أن يخاطبه في

شأن جملة الجلاء عن كل شبر من الارض المحتلة . لان هذه هى نقطة الخلاف بين الموقف المصرى والموقف الامريكى . اذ يرى الامريكيون أن الجلاء عن كل شبر لا يتفق مع قرار ٢٤٢ الذى يتحدث عن الحدود الآمنة ٠

٣ ـ أن على كارتر أن يعطى لقرار ٢٤٢ صيغة تنفيذية . فهو ليس مطالبا باعادة صياغته . ولكنه مطالب٠ بأن يجد طرقا لتنفيذ ما جاء فيه . والاجتماع تحت مظلة كارتر يمكن أن يحقق نجاحا في أمر فشلت فيه كل الجهود منذ ١١ عاما ٠

والسؤال الخامس هو :

ـ ما رأى الامريكيين الكبار حكام الماضى . الذين شغلتهم القضية . ما رأيهم في كامب ديفيد ؟

الجواب هو :

ـ فورد الذى يستعد لخوض انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ هاجم تردد كارتر وتناقض تصريحاته حول الشرق الاوسط . وقال ان المؤتمر ان لم يسفر عن شيء فان مخاطرة كبيرة تواجه أمريكا ٠ فان العرب سوف يقتربون من السوفييت بعد أن كان اقصاء السوفيت معجزة ٠ ان غلطة كارتر أنه يحاول حل المشاكل كلها دفعة واحدة . ولا يستطيع أحد أن يبتلع الطعام اذا ألقى بالطبق كله في فمه ٠٠ ولو انتهى المؤتمر إلى الفشل فسوف يفرح السوفييت ويشمتوا ويشمت معهم حلفاؤهم في المنطقة ٠

هنرى كسينجر : يتعين على أن أفترض أن الرئيس كارتر يعرف ماذا يفعل . فهذا يعنى أن لقاء كامب ديفيد أمر مبرر ٠٠ كما أن نتائج حرب جديدة في الشرق الاوسط قد تكون جسيمة بالنسبة لواشنطن من الناحية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية . ولتجنيب

الفشل فانه يتعين على الرئيس كارتر أن يتغاضى عن حله الشامل ، ويتعين عليه أن يكون « فنانا » سياسيا بين الخصمين ·

جوزيف سيسكو ـ مساعد كسينجر سابقا وعميد الجامعة الامريكية في واشنطون الان ـ يقول ، « لقد وضع كارتر نفسه في قلب الدوامة . ولابد أن يقدم اقتراحات عن طبيعة السلام والانسحاب والامن والقضية الفلسطينية » · ثم تساءل كيف يمكن أن يكون كارتر شريكا ووسيطا ، انه في موقف صعب فلا الحل الشامل مستطاع ولا الحل الجزئى مقبول . وعلى كارتر أن يركز على اطار للمفاوضات ودفع العجلة ·

والسؤال السادس ، ماذا يقول رجل الشارع الامريكى ؟

من تتبعى للتليفزيون أن السادات يريد السلام وبيجين يريد الارض . وعلى بيجين أن يسمع قول السادات « لا يمكن أن تأخذ الارض والسلام معا » ·

● على كارتر أن يكف عن دور ساعى البريد الذى يحمل الرسائل بين خصمين . فيتدخل بما له من نفوذ اقتصادى وسياسى ليقول كلمة مسموعة ·

● كارتر يرتدى قفازا من حرير وهو يتعامل مع اسرائيل ·

● سائق يهودى في مطار كنيدى بنيويورك . قال ، « لو وقع السادات معاهدة سلام فسوف أقتصد ٣٣ ٪ من دخلى تذهب الى اسرائيل . أولادى يدعون للسادات بالتوفيق » ·

● أمريكى من أصل أفغانستانى . قال ، ان السادات يحمى المنطقة من الشيوعية والامريكيون لا يفهمون هذا . ان بلدى وقعت في قبضة الشيوعية ولا أعلم شيئا عن مصير أهلى . لو أراد الامريكيون حماية مصالحهم لجعلوا مصر موضع عنايتهم قبل اسرائيل ·

● عجوز في السبعين : اننى أصلى من أجل كامب ديفيد ٠

● راهب معمدانى في كنيسة المعمدانيين الاولى المجاورة للبيت الابيض ، قال وهو يرى كارتر يصلى صباح الاحد ، بين حاخام يهودى وشيخ مسلم هو الشيخ محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى بواشنطن . قال الراهب بين دموعه : « ان السلام رسالة كل الاديان ، فلماذا نتجاهل السلام ٠ ان كارتر قاد بلادنا من أجل السلام .. ولعله ينجح وهو يلتقى بالسادات وبيجين من أجل السلام » ٠

الاديان في كامب ديفيد !

والذى حدث في كنيسة المعمدانيين ربما كان « بروفة » قبل كامب ديفيد ، ففى كامب ديفيد سوف يلتقى أبناء الاديان الثلاثة ، وهم على ذات المستوى من التدين وان اختلفت دروب التفسير ٠

● كارتر الذى جاء الى الرئاسة الامريكية حاملا انجيله ٠ انه يعود بأمريكا الى حظيرة الدين . وقد خصص قناة تليفزيونية لتقديم مادة دينية طوال ٢٤ ساعة ٠

● الرئيس السادات حفظ القرآن وتشبع به ٠ آياته البينات على لسانه استشهادا ، وفي تصرفاته سلوكا ، وفي ضميره سياسة وأسلوب حكم ٠ قد عرض له التليفزيون الامريكى حوارا مع قس بروتستانتى ، فأضاف الى رصيد الاعجاب به عند الامريكيين أسهما أخرى ٠

● مناحم بيجين ابن معلم التلمود الذى أصبح بدوره تلموديا متشددا ٠ عيبه أنه يتجاهل الاديان الاخرى لانه يؤمن بأن كل ما بعد اليهودية باطل ٠ يحمل التوراة وهو يطوف بالقرى

الاسرائيلية والمستوطنات · لو فهم بيجين التوراة بروح الله لاستقامت أمور كامب ديفيد ·

وأخيرا لماذا المؤتمر في كامب ديفيد ؟

١ ـ لان الرئيس كارتر يعتبره خلوة هادئة تعطى فرصة للقاءات لا تمتد اليها عين ولا أذن ·· أو كما قالت صحيفة هنا : يستطيع السادات وبيجين في كامب ديفيد أن يتحدثا دون أن تقتحم عليهما بربارا والتر الجلسة وتسخنها بأسئلة فضولية ومثيرة · ويستطيع فيها الاثنان التوقف عند نقطة خلاف والعودة في اليوم التالى اليها دون خوف مما سيكتب في الصحف الامريكية أو في صحف الوطن ·· مكان فيه مناخ عائلى يحطم الحاجز النفسى ·· ويروى أن خروشوف عندما زار الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٩ وعرف أنه سيذهب الى كامب ديفيد . أصيب بالذهول ·· ولكنه أدرك فيما بعد أن كامب ديفيد يعادل عند الروس الداتشا أو البيت الريفى · وقد أسفرت محادثاته الودية مع أيزنهاور حول نزع السلاح وبرلين الغربية . الى اتفاق كامل وصف بأن روح كامب ديفيد سيطرت عليه · بالفأل والنظير هل يمكن أن تسيطر روح كامب ديفيد على المجتمعين هذه المرة ؟

٢ ـ لأنه ـ أى كامب ديفيد ـ يعطى فرصة للتأمل . فقد كان جونسون يسميه شانجرى لا · وهو مكان مرتفع على قمم الجبال . يتعبد فيه رهبان بوذا في التبت ·· والموقف في الشرق الأوسط يحتاج الى تأمل الرهبان ·· أو ليس كذلك ؟

٣ ـ أن حراسته سهلة فهناك مائة من رجال البحرية الامريكية يحرسونه ·· وأعين الصحفيين بعيدة . ومواقعهم في مركزهم الصحفى

على مسيرة عشرة كيلو مترات .. وهذا لم يرض الصحفيين الامريكيين . وقد صاح أحدهم في جودى باول المتحدث الرسمى للبيت الأبيض :

« لماذا يمنعنا كارتر من دخول كامب ديفيد .. إنه ملك للحكومة الإتحادية . وليس ملكية شخصية له » ؟

ولكن لهجته الغاضبة كانت تريد أن تقول : « وليس بيت أبيه » ..

كامب ديفيد استراحة الرؤساء الامريكيين منذ عهد روزفلت . وقد كرهه ترومان فاختار استراحة أخرى . وعشقه أيزنهاور فأطلق عليه اسم حفيده ديفيد . وذهب اليه نيكسون ليعد دفاعه في فضيحة ووتر جيت .. ومارس فيه فورد رياضته . أما كارتر فانه وضع اسم كامب ديفيد في كل الآذان في العالم حين اختاره مكان لقاء أبناء الاديان الثلاثة وهم يلتقون ليحلوا معضلة الشرق الأوسط .

واستكمالا للسرية طلب كارتر ألا تنشب حرب التصريحات قبل لقاء كامب ديفيد . ولكن بيجين لم يلتزم باتفاق الجنتلمان . فراح كل يوم يصرح تصريحا لأنه يريد أن يشغل الرأى العام الامريكى ويستعيد أرضا فقدها .. انتزعها منه السادات هناك .. وآخر ما قاله وهو يصل الى نيويورك : « انه جاء ليبسط يده بالسلام للسادات . كأنما يغالط الشعب الامريكى . ويقول له أنه هو - أى بيجين - الذى يقوم بمبادرة السلام .

فقد قرر كارتر أن يكتفى بأن يلتقى المتحدث الرسمى بالبيت الأبيض بالصحفيين مرة كل يوم ويقرأ عليهم بياناً مكتوبا ولا يشى بشىء من التفاصيل عما يدور في الداخل . لأن كارتر يعتقد أن السباق الاعلامى خطر يهدد كامب ديفيد . وأن التحرر من هذا

الخطر . كفيل بخلق مناخ عمل هادىء لا مجال فيه للعتاب أو التشنج أو المزايدة .

واعترضت اسرائيل على هذا وطلبت عقد مؤتمر صحفى فيه متحدثون عن الأطراف الثلاثة يلقون أضواء على الموقف . فاسرائيل تعرف أن لها سطوة اعلامية في امريكا . وهى تريد أن تستثمر هذه السطوة . ولكن جودى باول قال . لدان باتير :

ـ كارتر قال كلمته .. فكارتر هو المضيف ولهذا سوف ينفذ ما قاله ..

●

ولكننى أقول .. ان الخطر على المؤتمر ليست الصحافة ولا الاعلام ..

الخطر عليه من بيجين وحده ..

ولهذه لا أحد يستطيع أن يتنبأ بشىء .. ولا أحد يستطيع أن يمضى إلى التخمين بشىء مهما تجمعت عنده أسباب التفاؤل أو حيثيات التشاؤم .

وقد وصل الرئيس السادات الى قاعدة اندروز الجوية يوم الثلاثاء ٥ سبتمبر ١٩٧٨ واستقبله والتر مونديل نائب الرئيس الامريكى وعدد هائل من الدارسين والجالية العربية في واشنطون وما حولها من المدن . وكانوا يدعون له بالتوفيق . واستقل الرئيس طائرة الى كامب ديفيد صحبه فيها سيروس فانس . وفي كامب ديفيد بدأت الأربعاء أخطر اجتماعات قضية الشرق الأوسط .. اجتماعات قال كارتر عنها : ان المؤتمر مغامرة سياسية . واذا فشلنا في كامب ديفيد فاننى اتحمل جانبا من اللوم . ولكنى لا أرى شيئا آخر يمكن عمله في هذه

الظروف غير هذا .. لأن الباب المغلق في الشرق الأوسط قد يؤدى الى الحرب ..

ولكن المعلقين السياسيين يقولون :

ـ ان السادات جاء الى كامب ديفيد وهو لا يفصح عن تفاؤل ولا يورى عن تشاؤم ولكنه اذا نجح المؤتمر فسوف يكسب السادات . لان المؤتمر احدى ثمرات مبادرته واذا فشل المؤتمر فان كارتر هو الذى سيخسر .

٢٧ ـ من فندق كنج ديفيد إلى معسكر كامب ديفيد

ان قمة كامب ديفيد من أعقد اللقاءات التى عرفها تاريخ المؤتمرات . اذ ان البداية فيها من موقف خلاف وليس من منطلق تقبل أو اتفاق ٠ الرئيس انور السادات اذ يعلن المبادىء العربية عنده يسنده من قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ٠ فهو يذهب الى قمة كامب ديفيد وفي يده وثيقة حق وصك شرعية وسند قضية رابحة ٠ ومناحم بيجين يذهب وليس في يده الا عبارات قديمة من التلمود .. معلق امريكى تصور ان بيجين سوف يبدأ الحديث في التاريخ بأن الضفة الغربية وغزة هبة الله للشعب المختار الذى يملك تاريخا عمره ثلاثة آلاف عام فيرد عليه السادات بأنه يملك تاريخا عمره سبعة آلاف عام ٠

اصف لك كيف نعيش في ثيرمونت الراقدة عند سفح جبل كاثوكتين في ولاية ميرى لاند والمتطلعة الى قمة الجبل حيث يختفى

كامب ديفيد وراء اشجار الغابات والاسلاك الشائكة . حيث نعيش على اعصابنا وسط ظلام دامس رغم شمس الصيف الذهبية . يرطب حرارتها نسيم الجبل المعطر بأريج الزهور في أرض شاسعة تمتد حولنا والفلاحون الأمريكيون يمارسون الحياة اليومية كما نراها في الافلام الامريكية يزرعون الارض او يسقون الحدائق .

قد اصبحت بيننا وبينهم الفة . اما المركز الصحفى فانت تسمع أزيز الات التيكرز كموسيقى تصويرية لتلك الحوارات التى تدور بين الصحفيين الذين يحضرون بالمئات ويهدأ الضجيج عندما يقبل جودى باول المتحدث الرسمى باسم البيت الأبيض ان جودى لم يجابه في حياته موقفا مثل هذا الموقف لانه يعرف ان مهمته الا يقول شيئا : فكيف يبيع الصمت للصحفيين ؟!

ولكن الصحفيين لم يستسلموا لهذا الانذار فراح كل واحد منهم يضىء لنفسه شمعة . يجمع دليلا من هنا وظاهرة من هناك . وكل من في كامب ديفيد يقدم تحليلا أو تصورا وكل ما يكتب أو يذاع او يبث على الشاشات التليفزيونية عن كامب ديفيد يلقى اهتماما كبيرا . لان الشرق الاوسط يكاد يبلغ قضية فيتنام في الاهتمام عند الشعب الامريكى .. منذ زلزالى السادات في حرب اكتوبر ومبادرة السلام .

من أكثر التصورات التى استوقفتنى ما كتبه مدير عام الخارجية الاسرائيلية السابق وممثلها . في الامم المتحدة عام ١٩٦٧ جدعون روفائيل . الذى قال :

« ان منح الحكم الذاتى مهما كان يعنى من الناحية العملية . فليس هو الحل ولا الاجابة . لان الشعوب العربية التى تقطن من المحيط الى الخليج لن يروق لها الحكم الذاتى وهى على استعداد لقبول

حكومات مستبدة يكون حكامها من عشيرتها وانسابها . فهيكل السلام جاهز الآن ولكن الاطراف تبدده على نحو يتسم بالفوضى . أو تشده على أرض وعرة وشاسعة . وفي الهيكل ثلاثة قوالب :

● الاول مسائل يتفق عليها الجانبان فوريا وفي هذه النقطة . يقول جدعون ان وجهات نظر مصر واسرائيل . تتماثل في عدد من النقاط :

١ ـ اقامة علاقات جوار طبيعية وسلمية تدرج في اتفاقية سلام .

٢ ـ التعهد بعدم شن المزيد من الحروب .

٣ ـ عودة سيادة مصر الى سيناء .

٤ ـ الاعتراف بحق اسرائيل في الامن الاقليمى .

٥ ـ انهاء الحكم العسكرى الاسرائيلى على الضفة الغربية وغزة .

٦ ـ اشتراك الممثلين الشرعيين للفلسطينيين العرب في المناقشات الخاصة بمستقبل تلك الأراضى .

٧ ـ اقامة مناطق منزوعة السلاح في المناطق التى تجلو عنها اسرائيل .

٨ ـ منح حرية الملاحة خلال الممرات المائية .

٩ ـ اهمية وجود فترة انتقالية تمتد الى خمس سنوات .

ويرى جدعون ان القالب الثانى هو الموضوعات التى تتطلب المزيد من البحث

مثل طبيعة ومدى وضع اسرائيل في الضفة الغربية وغزة لحماية امنها ثم ترتيبات الامن وتحديد جدول زمنى للانسحاب التدريجى للقوات الاسرائيلية من الاراضى المصرية ومرحلة الانتقال من الحكم العسكرى إلى الادارة المحلية المدنية وطبيعة الضمانات التى تحفظ أمن إسرائيل .

وتصور جدعون لما سيطرحه كامب ديفيد عن القالب الثالث وفيه تلك المجموعة من المسائل ذات الطبيعة الايديولوجية فالسادات يصر على عودة اسرائيل الى حدود ٦٧ وبيجين يرفض لايمانه بالحق الالهى الذى يمنح الارض لشعب اسرائيل . وهو في نظره حق لا يقبل التفاوض . وهذا خلاف ايديولوجى والتخلص منه هو النجاح في مفاوضات السلام ·

في ملفات القضية !

وقد دخل كل من الثلاثة الكبار الى كامب ديفيد وتحت ابطه ملف القضية من وجهة نظره ·

في ملف كارتر تصورات وبدائل ضمنها مستشاروه مجلدين كبيرين « في حجم اللوزليف »

وفي ملف السادات مراحل المبادرة ومشروع لحل القضية حلا شاملا وصولا الى السلام الدائم ·

وفي ملف بيجين ٧٠ صفحة فيها مشروعه من ٢٦ نقطة ·

واستطيع ان أقرأ في ملف كارتر . اذكره لانني عاصرته فالدور الامريكى هو الدور المطلوب للسلام · وملف كارتر ليس وحده بل مواقف امريكية من قبل ·· جديرة بان تذكر ـ فموقف ايزنهاور عام ٥٧ حين اجبر القوات الاسرائيلية على الانسحاب من سيناء وغزة ومواقف جونسون من محاولة مد جسر الى مصر . ومبادرة روجرز التى قبلتها مصر ولكن الادارة الامريكية لم تستطع ان تنفذها لان روجرز لم يكن يناصره رئيسه . فلما جاء كيسنجر وزير الخارجية الذى يناصره فورد بعد نيكسون توصل الى اتفاقيتى فك الاشتباك .

ولامريكا فيهما دور ايجابى وعملى وتواجد في شكل خبراء في محطات ·

عندما جاء كارتر قلنا أن الأمور ستبلغ قمتها « ولعل قمة كامب ديفيد تسفر عن ذلك » ·· قلنا ان الأمور ستبلغ قمتها لأن كارتر هو أول من أضفى على الموقف سياسة أخلاقية انسانية حين ذكر حقوق الشعب الفلسطينى وقلنا أن التحرك الأمريكى سوف يكون من أعلى وكل من هم دون الرئيس فرق تنفيذ لأنه بيد رئاسية مفروض فيها أن تكون قبضة قوية ·

وقام كارتر بدوره منذ قام السادات بمبادرة السلام · فقد فوجىء بها كارتر لكنه آثر أن يلاحقها ويتعهدها · وعندما تعثرت المبادرة بعد لقاء الاسماعيلية توقف كارتر في أسوان ـ وما كانت أسوان في جدوله ـ وأذاع بيانا مكتوبا بوجهة النظر الأمريكية ذلك الذى حمله فانس الى القدس في المحادثات السياسية في منتصف يناير الماضى . ولكن بيجين نسف لقاءات اللجنة السياسية بخطبة ساحقة في العشاء الأخير ·· وأبقى كارتر على الخيط حين كلف فانس بأن يزور القاهرة ويتحرك خلفه أثرتون يحاول ترميم الجسر الذى نسفه بيجين ·

والواقع أن الدبلوماسية المصرية بلغت حافة فقدان الأمل في أن يعتدل بيجين أو ينتهز فرصة السلام المتاحة له . ولكن كارتر كان يدفع الى اللقاء بكل الصور ومشهورة هى مشادته مع بيجين في مارس الماضى ومعروف هو تكذيبه لما صدر عن بيجين من أن أمريكا لم تعترض على انشاء المستعمرات أو أنها وافقت على مشروعه ذى الست والعشرين نقطة الذى يحمله في جعبته هذه المرة ـ وكارتر هو من حرك الأطراف الى ليدز . وبعد مراوغة الاسرائيليين في ليدز أنهى

السادات وجود اللجنة العسكرية في مصر . وأعلن أنه لن يجلس الى بيجين الا اذا سلم بالمبادىء وكارتر هو الذى أرسل فانس بدعوة القمة الى السادات وبيجين لأنه رأى بعد موقف السادات الأخير أن الأمر أصبح خطيرا .

فماذا يفعل كارتر في القمة ؟!

من جودى باول المتحدث الرسمى للبيت الأبيض لا تسمع الكثير .. ولا القليل . حاصره الصحفيون فيما يفعله كارتر .. هل يتحدث . هل ينصت ؟! هل يجلس في مقعد خلفى ؟!

قال ان كارتر لا يتحدث وينصت .. وأنه عندما يختلف الاثنان يمكن أن يشق لهما طريقا معقولا أو يقدم اقتراحا للمناقشة ثم ينبه جودى باول الى أن كارتر لم يقدم مشروعا أمريكيا ولكنه يقدم النصائح أو البدائل أو وجهات النظر المتطورة .

وكارتر يجلس بين السادات وبيجين ويسجل النقاط التى تقال .. يقولون هنا انه بعد انتهاء المؤتمر سوف يعد خطابا يوجهه الى الشعب الأمريكى والخطاب من هذه النقاط . وأنه بعد ذلك قد يتحرك في خط من عنده بعد أن يشهد شعبه عل ما حدث .

وكارتر يخلو الى نفسه بعد كل جلسة ويراجع ما كتب . وقد بلغت عدد ساعات اجتماعاته الثلاثة سبع ساعات في الأيام الثلاثة الأولى . وفي احصاء الساعات حتى كتابة هذه السطور التقى ببيجين ١٣ ساعة وبالسادات ١٠ ساعات ومعنى هذا أن الحوار يطول مع بيجين بهدف تقليل عناده ولكن حتى الآن ـ كتابة هذه السطور ـ لم تلتق الوفود الثلاثة بكامل هيئتها وهذه علامة ليست في صالح الموقف .. الوفدان المصرى والاسرائيلى لايحضران القمة الثلاثية ولهذا كان كارتر يشرح كل ما حدث لفانس فيذهب فانس الى الوفد

المصرى مرة والى الوفد الاسرائيلى مرة .. يقوم بدور المكوك ولكن دون طائلة .. مجتمعون في صومعة التأملات التى يتطلع اليها العالم بالأمل . وتدق لها أجراس الكنائس . ويجعلها المسلمون دعاء كل صلاة . ويؤلف لها الموسيقى الأمريكى رالف هاريسون أغنية تمجد كارتر الانسان لأنه دعا السادات وبيجين الى لقاء السلام .

والرئيس السادات يجتمع بوفده كل يوم تقريبا . ويخلو لنفسه مع أوراقه بالساعات .

ولكن لا شيء يخرج من كامب ديفيد يشفى غليل الصحفيين وهم يتطلعون الى سماء كامب ديفيد فلا يرون فيها دخانا أبيض مثل ذلك الذى يعلن للالوف في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان عن انتخاب البابا الجديد . لقد شبهوا القمة المغلقة بما يحدث في كنيسة سيستين حيث يلتقى الكرادلة فيما يسمى بالكونكليف لانتخاب البابا ولا يتصلون بالعالم الخارجى الا بعد الوصول الى بابا جديد . وقد نصب كارتر الكونكليف في كامب ديفيد . حدد اقامة ضيوفه ولكنه لم يمنعهم من الكلام . فقط منع الصحفيين من الاقتراب من المكان . وقد كتبت الواشنطن بوست تقول « هناك فارق واحد بين الكرادلة وأعضاء القمة في كامب ديفيد . فكنيسة الكرادلة ليس بها تكييف هواء . فهى حارة جدا أو باردة جدا . ومن سقفها يطل على المجتمعين لوحة مايكل أنجلو الرهيبة يوم القيامة كانها تذكرهم بما يمكن أن يحدث لهم اذا لم ينتخبوا البابا الصالح . أما كامب ديفيد فهى مكيفة الهواء . والطبيعة فيها ساحرة . وكل ما يمكن عمله لدفع من دخلوا الى الكامب الى مغادرته هو شل المطبخ المفتوح لاربع وعشرين ساعة حتى يجوع أعضاء الوفود فيجدون حلا وينصرفون » .

قل لى ماذا يمكن أن يكتب الصحفيون اذا جاء جودى باول من كامب ديفيد الى المركز الصحفى ووجدوا دخوله مثل خروجه والنتيجة صفر ..

اختراعات صحفية !

فى قناة تليفزيون أمريكية . انبثق أمل كبير عندما قالت نشرة الأخبار المسائية أن المحادثات قطعت شوطا .

وأن لجان الصياغة الثلاث تشكلت . وواحدة من هذه اللجان سوف تتناول اعلان المبادىء فهللنا وزغردنا .

وبعد ساعات بدد جودى باول هذا كله حين قال « ان المحادثات حققت تقدما في بعض النقاط لكن الخلافات ما زالت قائمة في النقاط الجوهرية » .

وهكذا أثبت جودى أن الأمل الذى انبثق من شاشة التليفزيون اختراع تليفزيونى وليس حصيلة من كامب ديفيد .

وفي أيام الأديان الثلاثة .. الجمعة والسبت والأحد لم تنقطع اللقاءات وانتهزها بيجين فرصة لكى يسرق الأضواء . فقد دعا الرئيس كارتر مع زوجته روزالين لتناول عشاء السبت معه . وسرب أحد اعضاء الوفد الاسرائيلى الخبر الى الصحافة الصهيونية في أمريكا التى تعمل مع الصحف الاسرائيلية بتعاون مطلق . وتضمن الخبر أن كارتر مع زوجته لبسا الطواقى المعروفة وأنهما غنيا أغنيات السبت بالايديشية . وتسريب الأخبار من جانب الوفد الاسرائيلى كان عادة يومية لعب بيجين الشطرنج مع بيرزنسكى . مستشار الأمن القومى للرئيس كارتر وهما من بلد واحد هى بولندا . ولكن الكراهية بينهما معروفة . ومع هذا سرب الاسرائيليون الخبر بالصورة الآتية :

انتصر بيرزنسكى على بيجين في الشطرنج فقال بيجين على عادة اللاعبين حين ينهزمون ، « اننى منذ عام ١٩٤٠ لم ألعب الشطرنج وفي تلك الليلة في آخر مرة لعبت فيها الشطرنج كنت في لاتفيا حين هاجمتنا النازية لكى تعتقلنا » فبيجين يحشر حكاية وقعت منذ ٣٨ عاما ليذكر الامريكيين بمأساة اليهود مع النازية . حتى وهو في قمة تنشد السلام لا ينسى الدعاية الصهيونية !

واذا كانت أخبار التليفزيون الأمريكى قد وضعت أملا فان هذا الأمل لم يكن يستمر أكثر من ١٢ ساعة وأقبل التشاؤم ووشت الأخبار ان الموقف يقترب من الطريق المسدود لأن بيجين يعاند . أما الرئيس السادات فهو في وضع الانتظار ليرى ماذا تسفر عنه لقاءات كارتر وبيجين .

والسؤال هو :

هل يمكن لكارتر أن يضغط على بيجين حقيقة ؟!

الأمريكيون يؤكدون أنه لن يضغط . نقول اذن ما الجدوى من قمة كامب ديفيد ان لم يضغط فيقول الأمريكيون ـ الحوار بيننا على المستوى الصحفى مستمر ـ يقول الأمريكيون :

ـ لأن بيجين استفاد من كل ضغط عليه . لان كل ضغط عليه يجمع حوله شعبه ولا يفرقه وحين قال كارتر في أعقاب صدامه مع بيجين في مارس ٧٨ « اننى أترك بيجين لشعبه عبر المحيط يسأله ماذا تفعل بالسلام » استغل بيجين هذه العبارة وقال ان سيادة اسرائيل في خطر وكرامة الشعب الاسرائيلى تداس بالقدم الأمريكية . وهبت الصحف الاسرائيلية ـ حتى ما كان منها متعاطفا مع مبادرة السلام ـ في وجه كارتر تهاجمه بالاجماع .

ويقول الامريكيون :

ـ ان بيجين قد يغريه الاقتناع ·

ولكن هذا القول سذاجة مطلقة بالنسبة لرجل وصفوه بأن أقوى أعضاء جسده لسانه لأنه يستطيع أن يتكلم بالساعات ويتصور أنه قادر على الاقناع وعصى على الاقتناع ـ بل هم بأنفسهم عددوا آثامه اللسانية التى وضعت الأحجار في طريق السلام بدءا بخطبة غير لائقة في العشاء الأخير الى احاديثه المستفزة كلما وقف أمام عدسة التليفزيون ·

وأسأل فهل يعقل أن يخرج الثلاثة من مؤتمر كامب ديفيد وليس في أيديهم حصيلة ؟! ·· هل يعقل أن تخيب خيمة التأملات آمال مئات الملايين من البشر المتطلعين الى السلام ؟!

وأقول :

ـ يحسبون هنا الحسابات على أن اسرائيل تريد أن تكسب وقتا تصل به الى تثبيت الأمر الواقع على ما حدث في زحفها من حدود تقسيم ١٩٤٧ الى حدود ١٩٦٧ · بيجين قال قبل أن يصل الى كامب ديفيد انها لن تكون المرة الأخيرة لأن مفاوضات اتفاقية بنما استمرت ١٤ عاما . وهو يريد شهورا أخرى . فقط شهور أخرى ·

ويقولون ان الرئيس السادات يدخر لشهر أكتوبر مفاجآت كثيرة داخلية وخارجية ومن أعقد المسائل أن ينهى اتفاقية سيناء ·· اذ ماذا يمكن أن يحدث لو حدث هذا؟!

ولكن الامريكيين وهم يضعون أمامهم احتمالات الخطر وتوقعاته يقولون إن السادات لايقبل أنصاف الحلول ولا يقبل أن يعود باتفاقية منفردة فقد أصبحوا يعلمون من دراستهم له أنه جاد فيما يعلن من المبادىء وأنه لا يساوم على هذه المبادىء ·

بين التفاؤل والتشاؤم :

ومن المتفائلين من إعتبر إستمرار المحادثات الى أسبوع قد يزيد دليلا على أن حصيلة ما سوف تخرج من كامب ديفيد · ومن المتفائلين من يقولون بأن كارتر دعا الى هذه القمة وهو يملك حدا أدنى يتقدم بالسلام خطوة . ولكن المتشائمين يرون أن ما أعلنه جودى باول يوم السبت الحزين هو البيان الموضوعى الوحيد الصادر عن كامب ديفيد حتى كتابة هذه السطور . ما أعلنه جودى لا يدل على ان الاتفاق على بعض النقاط يمكن اذاعته لأن السادات يربط كل شيء بكل شيء . ومادام باقى النقاط لم يحل فما جدوى الاعلان أو التبشير بأنصاف الاشياء أو بأجزاء الأشياء ·

صحفى اسرائيلى قال لى :

- مبادرة السلام لم تحل عقدة الخوف عند الشعب الاسرائيلى وهذا هو السبب في تعثر كامب ديفيد الى الآن ·

قلت :

لقد قدمنا الدليل على صدق النية في السلام بالمبادرة وبالحضور إلى كامب ديفيد .. فماذا قدمتم ..؟

وكتب أحد المعلقين الموضوعيين يقول :

« إن مبادرة السلام تضع على عاتق أمريكا واجبا أن تضع المبادرة موضوع الاقناع والتنفيذ معا فتنسحب اسرائيل مع تعديلات طفيفة في الحدود وعليها أن تنهى بناء المستوطنات والاتفاق على وضع ما بنى فعلا مع الأطراف . وعليها كفالة ضمانات الأمن لحماية حدود اسرائيل . ومنها نزع السلاح واتخاذ اجراءات ضد الإرهاب وتوفير قوات أجنبية لمراقبة السلام . وعليها أن تسعى الى اقامة علاقات طبيعية بين اسرائيل وجاراتها وتحل مشاكل اللاجئين وتنفذ حق

تقرير المصير لهم ويمكن أن توقع معاهدة أمن مع اسرائيل قد تتضمن وضع قوات أمريكية في المنطقة حتى تنتهى فترة الانتقال » .

ثم يقول :

« وعليها أن تبذل جهدا مضاعفا في كامب ديفيد . لأنها لم تبذل هذا الجهد عندما كانت الظروف مواتية وشهية السادات مفتوحة في الفترة من ديسمبر ٧٧ إلى فبراير ٧٨ . الان وقد نفذ صبره وبدأ موقنا أن بيجين يلعب بالموقف ويريد قتل المبادرة » .

وقد حذر من فشل المؤتمر قائلا :

« إن أحتمالات فشل أمريكا في المنطقة تزايدت ولها فيها أصدقاء مثل السعودية والأردن ودول أخرى تحاول الظهور بمظهر آخر . ومن مصلحة أمريكا أن توثق علاقاتها مع هذه الدول في مناخ السلام .. ولكنى أرى عناد اسرائيل يضيع كل شيء » .

وقد كتب وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكى سابقاً يقول :

« منذ ثمانى سنوات قال ناحوم جولدمان أحد الاباء المؤسسين لاسرائيل أنها مهما بلغت من القوة ومهما كدست من الأسلحة فلن تستطيع تحقيق حلم الصهيونية في إنشاء الدولة المثالية لأن ميزان القوى على المدى الطويل سيكون لصالح العرب بأعدادهم الضخمة وثرواتهم الهائلة . وأحسن ما يمكن أن تفعله اسرائيل لضمان مستقبلها هو أن تصبح دولة حياد تضمن حيادها الدول العظمى وتعيش في حياد بين جيرانها العرب .

ويحبذ فولبرايت لكارتر أن يكون حازما فيقول له :

ـ اذا أصرت اسرائيل على الأرض والأمن فيجب أن تعلم أن الأرض ملك العرب وأن الأمن يمكن توفيره بمعاهدة مع أمريكا تضمن

لاسرائيل السلام ثم تضمنه لها الجيوش الأمريكية . وقد رفضت اسرائيل في الماضى الضمانات الدولية ولكن لم يعد أمامها مفر من قبولها لانها تعتمد على أمريكا في كل شىء .. حتى في الأمن نفسه . والشرق الأوسط هو أهم قضية بين أمريكا والإتحاد السوفييتى منذ الحرب العالمية الثانية ويجب على كارتر أن يقوم بدوره المنتظر .

الخروج من الصومعة !

خرج الرؤساء من كامب ديفيد مرتين

● مرة لمشاهدة المهرجان البحرى . فالمنطقة أصلا ملك للبحرية الأمريكية ولم يقدم مثل هذا المهرجان من قبل لأى ضيف . وتصورنا أننا سنقترب من وفدنا ونتحدث اليه . ولكن كل الذى استطعناه وقد حوصرنا في موقع بعيد هو أن نلمحه ونحاول قراءة التعبيرات على وجوه أعضائه .

● ومرة لمشاهدة أرض معركة جتسبرج وهى أرض تقع عند نقطة تلاقى ولايتى فرجينيا وبنسلفانيا . وكنت ضمن القرعة التى وضعتنا في سيارات تلاحق موكب الرؤساء الثلاثة .

كان كارتر والسادات وبيجين يجلسون متجاورين في سيارة الأول وهى سيارة مصفحة . وكان الخبر سريا . وأعطاه جودى باول للصحفيين قبل جولة اليوم أى يوم السبت وحين كان الأحد نشر الخبر بعد أن تمت الزيارة لدواعى الأمن . وقد إستقبل أهل مدينة جتسبرج الرؤساء بالتصفيق والتلويح وتنقل الرؤساء بين أربعة مواقع للمعركة الفاصلة بين القوات الاتحادية والقوات الجنوبية والتى انتهت لصالح الأولى سنة ١٨٦٣ . وكان الدليل الذى يشرح على أرض المعركة وتماثيلها الرمزية وقبور شهدائها يشرح دور المدفعية في المعركة ويقول إنها التى حققت النصر .

قال كارتر كجنوبى :

ـ لو كان الجنوبيون يملكون الدبابة لانتصروا ·

وقال بيجين :

ـ لو كان عندهم موشى ديان لانتصروا ·

فصده كارتر بلطف قائلا :

ـ لو كان عندهم ديان أو السادات أو عزرا وايزمان ·

أرأيت الى بيجين وهو يريد أن يستغل أى موقف للدعاية . وكتلة الصحافة الصهيونية تعطيه أكثر مما يستحق ·· وهناك عبارات قالها الرئيس السادات وهو يدرس مدفعا ميدانيا فسارعت إحدى الإذاعات بنسبة هذه العبارات الى بيجين مع أننا سمعنا من السادات بآذاننا ·· اقتربنا من الوفود كثيرا · ولم يحقق هذا الإقتراب غير حصيلة لا تكاد تذكر ·

عزراوايزمان أجاب عن سؤال عن الموقف باللغة العربية : اننا نحتاج ليومين أو ثلاثة ·

وقال بالمصرية الدارجة ··· « لسه »

● وسألوا كارتر :

ـ كيف تمضى الأمور ؟

فأشار كارتر لضيوفه من حوله وهم يمشون في موكب واحد وقال :

ـ كما ترون ·

وأجاب الدكتور بطرس غالى عن سؤال لنا عن الموقف بحركات من يديه وضعها على عينيه « لايرى » ووضعها على اذنيه « لايسمع » ··· ووضعها عل فمه « لا يتكلم » ·

وتبدد حلمنا في فتح ثغرة في الظلام الدامس حول المؤتمر فلا أحد

من وفدنا يصرح بشيء إحتراما لما جرى الاتفاق عليه بالكتمان والسرية . الاسرائيليون يخرقون حاجز الصمت ويقولون ما يدور وراء الأبواب · سائقتنا الحسناء من مكتب التحقيقات الفيدرالى « مدربة على الكاراتيه » قالت ونحن نعود من جولة الساعات الثلاث والنصف في أرض المعركة :

ـ يا الهى من الذى أشار بأن يزور أرض القتال من يبحثون عن السلام ؛

علمت أنه أقتراح بيجينى بحت ·

ايران تطرق الابواب !

والأيام تمضى ولا حس ولا خبر وفجأة ينفجر الموقف في ايران وتخرج مظاهرات تهتف أمام البيت الأبيض بسقوط الشاه ، ولكن أمريكا تعتبر الشاه خط الدفاع الشرقى ضد الشيوعية خاصة بعد سقوط افغانستان . ويقول الصحفيون :

ـ أخيرا وجد الرؤساء شيئا يتفقون عليه · أن السادات تحدث الى الشاه من كامب ديفيد · وبيجين ضد ما يحدث في ايران ، وكارتر أعلن وقفة أمريكا مع الشاه ولكن ادجارد روفمان رئيس فرع أمريكا الشمالية للكونجرس اليهودى كتب أن الاسرائيليين والمصريين والسعوديين والأردنيين واللبنانيين بل والسوريين لهم مصلحة مشتركة في ابعاد السوفييت عن المنطقة . ولهذا يمكن ادخالهم في حلف · وهذا يسهل على اسرائيل قبول استقلال الضفة الغربية · وأنا أقول إن من الصهاينة من ينامون في العسل ويحلمون · ومرة أخرى أقول وأنا أرى أبواب كامب ديفيد المغلقة : لا احد يستطيع أن يتنبأ بشيء فلا أحد عنده المبرر الكامل للتفاؤل ولا أحد عنده المبرر الكامل للتشاؤم ·

إن الاحاديث في المعسكر المغلق صراع بين الحق والباطل وبينهما حكم · وعلى الحكم أن يقول كلمته لأنه الذى أدخل نفسه الى لجنة الامتحان الصعب في حكاية السلام الصعب ·

وأنا تغلبنى عوامل التشاؤم ولكنى لم أفقد الأمل في أنه لا بد أن يحقق المؤتمر شيئا ··· لا بد · والا فلماذا كانت كامب ديفيد · إن هناك من يقول إن كامب ديفيد مثل لقاء فندق كنج ديفيد في نوفمبر ١٩٧٧ كلاهما بلا جدول أعمال ولهذا فسوف يخفق كامب ديفيد . ولكنى أقول إن جدول أعمال كامب ديفيد واضحة في الملف المصرى وقريب منه الملف الأمريكى . واذا إستطاع كارتر الضغط ـ وأقول الضغط واضغط عليها ـ فهنا ينجح . أما الاقناع فان السيد المسيح قالها عن شعب اسرائيل منذ ألفى سنة شعب مقاوم وعنيد وغليظ الرقبة ·

وسوف يذكر العالم لمصر أنها أرادت السلام وكرست له طاقتها . وأن السادات ذهب الى القدس وذهب الى كامب ديفيد . ذهب الى القدس فأحدث زلزالا وأضاء طريقا الى السلام . وذهب الى كامب ديفيد حتى لا يضيع للسلام فرصة أو يسد أمامه نافذة . فهل يسجل التاريخ لكامب ديفيد أنه أرض زيتون وحمام طائر أم أنه مثل جارته أرض جتسبرج ··

··· ان غدا لناظره قريب ·

٣٨ ـ ونجحت قمة كامب ديفيد

الزمان : مساء الأحد ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

المكان : القاعة الشرقية في البيت الأبيض . أقوى البيوت تأثيرا في القضايا العالمية منذ الحرب العالمية الثانية . والأضواء تغمر المكان والبشر : صفوة البشر في الادارة الأمريكية والكونجرس الأمريكى والوفد المصرى والوفد الإسرائيلى في مباحثات كامب ديفيد وفرقة الصحفيين التى وقفت وراء اسوار الكامب المنيعة تتصيد الأخبار ولا تجد .. الليلة تجد وليمتها الكبرى .

المناسبة : توقيع وثائق مستقبل الشرق الأوسط الشهيرة بوثائق كامب ديفيد التى ترسم غد السلام العادل في المنطقة على أساس من تحرير الأرض والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

يدخل .كارتر والسادات وبيجين الى القاعة فيختلط التصفيق بازيز آلات التصوير التى إصطفت كفرقة مدفعية بالاضواء

في مهرجان أو عيد . ويستمر التصفيق حتى يرتج على الثلاثة فيناشدون المصفقين أن يجلسوا .

ويلقى الرئيس الأمريكى كارتر كلمته فيقول فيها عندما جئنا الى كامب ديفيد كان أول ما اتفقنا عليه أن نتوجه الى شعوب العالم لتصلى من أجل نجاح مباحثاتنا . وقد استجابت السماء لهذه الصلوات فحققنا أكثر من كل ما كنا نتصور وسوف نعيش الليلة شهودا على انجاز ذى مغزى كبير في قضية السلام . انجاز لم يكن أحد يتخيله ممكنا منذ عام واحد أو حتى منذ شهور . انجاز يعكس شجاعة وحكمة القائدين السادات وبيجين خلال ثلاثة عشر يوما طويلة في كامب ديفيد .

وألقى الرئيس السادات كلمة حيا فيها كارتر قائلا :

« ان الرئيس كارتر كرس نفسه للمهمة كشريك كامل في المباحثات ولهذا اعبر عن امتنانى لروحه الطيبة . واتمنى أن تكون روح كامب ديفيد بداية عهد جديد في تاريخ الشرق الأوسط » .

وقال مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل غير مضيع فرصة للدعاية وهو أمام كاميرات التليفزيون : « ان الرئيس كارتر عمل أكثر مما عمل أجدادنا في بناء الأهرامات في مصر إنه كسب هذا اليوم . ويحتفل السلام اليوم بانتصار عظيم لمصر ولاسرائيل وللعالم كله » .

وخاطب بيجين شعبه بالعبرية قائلا : « اننا نغتنم أعظم الفرص المتاحة لنا في تاريخنا لنحقق سلامنا مع جيراننا » .

ووقع الثلاثة وثيقتى كامب ديفيد الأولى لاطار العمل من أجل لسلام في الشرق الأوسط والثانية اطار العمل لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

واطار العمل تعبير التزمته الادارة الأمريكية قبل أن يبدأ كامب ديفيد تحاشيا لتعبير المبادىء الذى اثار خلافا طويلا بين مصر واسرائيل . واطار العمل أشمل من المبادىء لأن اطار العمل خطوة أوسع الى التفاصيل ودخول في الموضوع .

وما أن انتهى التوقيع حتى دوت القاعة الشرقية بالتصفيق .. وتصافح الرؤساء الثلاثة بالفرحة الغامرة والعناق والشد على الأيدى وراح التصفيق يتزايد وكأنه موج يتدافع وفي العيون ندى التأثر بالموقف المهيب .

شبيه بهذا مشاعر إجتاحتنى ونحن في القدس منذ عشرة أشهر ! ياه .. كان الطريق طويلا وعرا : تحصى مرات اللقاء على أصابع اليد الواحدة ولكن تحصى عشرات المواقف التباعدية والخلافات التى أوصدت الأبواب والنوافذ وطوت الرجاء والأمل حتى لما بدأ كامب ديفيد لم تكن نسبة المنى فيه تتجاوز رقعة اليأس . ومضت الأيام في الموقع المختفى وراء الغابة وأيدينا على قلوبنا لأن الذى بدا في أيام العناد الأولى أن الجبل سوف يتمخض فيلد فأرا وينجب فشلا .. ها هو جيل كاكوتين يسفر عن حصاد رائع يصفه سايروس فانس وزير الخارجية الامريكى في مؤتمره الصحفى الذى عقده صباح الإثنين الماضى قائلا :

١ ـ عن الانسحاب من الأراضى المحتله : وافقت اسرائيل على أن يتم هذا الانسحاب من الضفة الغربية وغزة وسيناء . وأنا أقول : إن بيجين لم يسلم بهذا الحق من قبل للعرب . وكان يردد دائما أن الضفة الغربية وغزة هما يهودا والسامره التى تنص عليهما التوراة . وان الاحتفاظ بهما أساسه دينى فلسفى وليس فقط مطلبا أمنيا .

لأنه على الأساس الأول لا يفاوض ولا يتنازل . أما على الأساس الثاني فكفالة الأمن قد تجبره على الإنسحاب ! وقد كان الانسحاب من الأراضي في كل الجبهات نقطة الخلاف . ليس بين مصر واسرائيل فقط بل بين اسرائيل والولايات المتحدة أيضا لأن الأخيرة كانت تتمسك بالقرار ٢٤٢ بينما كان بيجين يهز كتفيه إستخفافا .

والذين سبقوا بيجين في حكومات اسرائيل سلموا بالإنسحاب ولكنهم لم ينفذوه . بدليل أنه لما جاء مشروع روجرز الذى وافق عليه الرئيس جمال عبد الناصر بمباركة سوفيتية أحبطوه وعرقلوا روجرز وأقتلعوه .

٢ ـ اقامة الحكم الذاتى للفلسطينيين .. وفي اعتقادنا أن هذا يتطلب شهرين أو ثلاثة أشهر . واقامة الحكم الذاتى في فترة انتقال يقرر بعدها الشعب الفلسطينى مصيره هو اعتراف من جانب اسرائيل بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين .. هذا هو صلب القضية الذى قدمته مصر دائما على كل ما عداه . وأنا أقول : ان الاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين كان موضع التجاهل الكامل من جانب اسرائيل .. ولوعدت بك الى سنوات مضت لسمعت معى صيحة جولدا مائير : « أين هو شـعب فلسطين ؟ » أما بيجين فقد كانت نظرته أنه ليس هناك ما يسمى بشعب فلسطين انما هناك الاسرائيلى اليهودى والاسرائيلى المسلم ولا شىء غير هذا . وبيجين ردد لنا ونحن في مكتبه بعد اندلاع الأزمة بينه وبين محمد ابراهيم كامل في يناير الماضى : ردد لنا أن شعب فلسطين لم يعرف الاستقلال أبدا لأنه كان تحت الحكم العثمانى ثم تحت الانتداب البريطانى .. وهذه مغالطة لأن شعب فلسطين سيد هذه الأرض من ألوف السنين والاحتلال عارض

يزول ولكن وجهة نظر بيجين كانت هكذا ولهذا فتسليمه بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني مسألة هامة .

المنظمة : الاعتدال الآن !

٣ ـ وقال فانس أن الفلسطينين سيكونون طرفا في المحادثات بين مصر واسرائيل والأردن وينتخبون لهذا الحكم الذاتي ويجلسون الى موائد المفاوضات لتقرير مستقبلهم .

وأنا أقول ، إن اسرائيل رفضت هذا في كل العهود وبيجين شدد على الرفض ، وعلى هذه الصخرة كانت تتحطم كل الجهود التي تبذل من أجل جنيف . كان أقصى ما أمكن التوصل اليه هو أن يذوب الوفد الفلسطيني في وفد أردني .. الان من حق من اختارهم الشعب الفلسطيني أن يفاوضوا ويتحدثوا باسم الشعب الفلسطيني . وسوف ينصب غضب الرافضين وبعض الفلسطينيين على هذه النقطة باعتبار أن المتفق عليه هو أن المنظمة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . وقد أجاب الرئيس أنور السادات في حديث له مع بربارا والترز مذيعة التليفزيون في واشنطن عن سؤال اين المنظمة في موضوع الضفة الغربية فقال إن من حق الشعب الفلسطيني أن يختار أعضاء المنظمة من سكان الضفة الغربية وغزة لأن المنظمة جزء من شعب فلسطين .

والواقع أن المنظمة تستطيع بالمرونة التي إتسمت بها قبل أن تقع تحت الضغوط السوفييتية والبعثية أن تطرق الحديد وهو ساخن فتنظم جهودها لكي تستفيد من الحد الأقصى بالفرصة المتاحة . وهي فرصة متاحة لأن السوفييت الذين يضللون المنظمة تجاهلوها في البيان السوفيتي الأمريكي الذي كان وثيقة لعقد مؤتمر جنيف وقبلوا ـ أي

السوفييت وجهة النظر الأمريكية للتعامل مع سكان الضفة الغربية وغزه لأنها وجهة النظر الوحيدة التى يمكن أن تقبلها اسرائيل ، فالتهجم والقدح من جانب المنظمة لايجدى والعقل يقول إن التنظيم للمستقبل خير من التآمر عليه . والاعداد له خير من تضييع فرصة تاريخية يمكن بالذكاء استثمارها حتى يتمكن المشردون من سكان الخيام والمطحونون الحقيقيون من العودة الى أراضيهم وبلدهم . قد أعلنت جبهة الصمود والتحدى صمودها وتصديها منذ عشرة أشهر فماذا فعلت للمنظمة غير الصمت عند التنكيل بها . أو تحريك المؤامرات عليها وتأليب بعض فرقها على البعض الآخر فيما يسماه المعلقون الغربيون عملية الافناء الذاتى التى تغنى اسرائيل عن التفكير في أى حل للقضية .

عند صخرة التمثيل الفلسطينى في جنيف كان القطار الى جنيف يتوقف فاذا ازال السادات الصخرة وانفتح الطريق فانها شجاعة المواجهة أن تمضى المنظمة على الطريق المفتوح وتمثل الشعب الفلسطينى عن طريق أعضائها في الضفة الغربية ومن لهم حق التمثيل لهذا الشعب حتى ولو لم يكونوا أعضاء في المنظمة ما داموا يحوزون ثقة هذا الشعب .

ان القول بأن شعب الضفة وغزة لم يناضل قول باطل . فلولا هذا المليون وربع من الفلسطينيين الذين صمدوا لتبددت فلسطين تماما . لو فروا .. لو هربوا .. لو أطلقوا سيقانهم للريح لصفت اسرائيل القضية الى الأبد .. هؤلاء هم الذين ذاقوا عذاب الاحتلال وشربوا مره . وما انقطعت صلتهم بالمناضلين في الخارج اننا في هذه اللحظات التاريخية لانريد أن يتمزق شعب فلسطين مرة أخرى بين مهاجر ومقيم .. فلا فضل لمهاجر على مقيم الا بتوفير المستقبل لمن عذبهم الماضى ولدغهم الحاضر .

٤ ـ وقال فانس ان كل ما سيتم الاتفاق عليه بين اسرائيل ومصر والأردن وممثلي الشعب الفلسطيني عن المصير الفلسطيني سوف يخضع للتصديق عليه من الشعب الفلسطيني عن طريق الاستفتاء .

وأنا أقول : هذا رد حاسم على من سوف يرددون أن لإسرائيل في الضفة عملاء . وان للملك حسين مثلهم وان الانتخابات ستزيف لاقصاء هؤلاء . فلست أسديها شهادة لاسرائيل اذا قلت ان انتخابات البلديات في الضفة الغربية « وكانت اسرائيل تعلق عليها أهمية كبيرة » كان يظفر بها مرشحو المنظمة دون سواهم ولكن اسرائيل كانت تقبل هذا لانها ترفع شعار الديمقراطية أمام الغرب مهما كان في أحشاء الديمقراطية من تنكيل بشعب فلسطين أو تبديد لمقدساته وإهدار لثرواته وتراثه .

وأقول أيضا إن الساحة مفتوحة للفكر الفلسطيني الرشيد الهادىء .. تتلاشى مرارة الاذاعات الفلسطينية التى كانت تتحدث بلسان الغضب والدم وتبدأ مرة أخرى تلقن الشعب كيف يتجمع وكيف يملك زمام نفسه وكيف يجعل الحب عمله التعامل وكيف يعد لمستقبله في استفتاء مصيره .

٥ ـ وقال فانس حول المستوطنات : اختلفت مصر واسرائيل فعند السادات أن ازالة المستوطنات شرط لتوقيع اتفاقية السلام وهذا تحفظ وارد في مواثيق كامب ديفيد . وبيجين لكى يفر من الموقف أحال الموضوع على الكنيست لأن المستوطنات تثير حساسية خاصة على المستوى الشعبى في اسرائيل .

وأنا أقول : هل نسينا موقف اسرائيل من المستوطنات ؟ كيف كانت تتشبث بها على أساس أنها مواقع أمن في أطراف العدو أو في صميمه ؟ وكيف نعتبرها قد بنيت لتبقى . هل نسينا أن المستوطنات

كانت سبب المعركة بين كارتر وبيجين حين أصر بيجين على أن كارتر وافق اسرائيل على الاحتفاظ بها فثار كارتر وفانس ومتحدث البيت الأبيض وأعلنوا على التوالى أن أمريكا ترى أن المستوطنات عقبة في سبيل السلام . حتى يهود أمريكا قالوا لبيجين إن عليه أن يلتزم المنطق وأنه اذا خير بين السلام أو الاحتفاظ بالمستوطنات فعليه أن يختار السلام ؟ هل نسينا أنه بعد كل وقفة غضب كان بيجين يفتح الباب لإنشاء المزيد من المستعمرات تحديا وإغاظة واستعراضا للعضلات ؟

أقول هذا لأننى سمعت وايزمان يقول في التليفزيون الامريكى إنه يعرف أن الكنيست سوف يوافق على ازالة المستوطنات من أجل معاهدة السلام .. وبعد أن سمعت اسحق رابين رئيس الوزراء السابق يقول إن حزب العمل لن يعترض على ازالة المستوطنات فوايزمان يمثل كتلة الحكم . ورابين يمثل كتلة المعارضة . واذا اتفقا فلن تبقى الا الأحزاب الدينية المتطرفة التى بدأت تسير مظاهرات « الجوش امونيم » في شوارع القدس وتل أبيب تهتف ضد بيجين الخائن الذى يفرط في المستعمرات .

كل هذا شاهدته على شاشات التليفزيون في امريكا . نقلته الأقمار الصناعية إنطباعا من اسرائيل . وتصويت الكنيست على المستوطنات في سيناء سيتم خلال خمسة عشر يوما من توقيع وثائق كامب ديفيد . أى بعد عشرة أيام من الآن .

هذا عن المستوطنات في سيناء .. أما المستوطنات في الضفة الغربية وغزة فسوف تتوقف أثناء المفاوضات التى ستدور بروح كامب ديفيد والتى سوف تجد حلا نهائيا وعادلا للشعب الفلسطينى في أرضه .

للتاريخ أسجل !

٦ ـ ويقول فانس إن وثائق كامب ديفيد تجد حلا لمشكلة اللاجئين ، فالمتفق عليه أن لجان المفاوضات ستحدد من يعود من الذين هاجروا من الضفة وغزة في عام ٦٧ وما بعده . والممثلون للشعب الفلسطيني في لجنة المفاوضات سيكونون هناك .

ولن تتحدث الوثائق عن عدد الذين سيعودون ، ولكن هل تظن أن بابا يمكن أن يغلق في وجه من يريد حقيقة وفعلا العودة الى وطنه ؟ .

٧ ـ الأطراف العربية من جيران اسرائيل مدعوون للتفاوض من أجل السلام هكذا قال فانس . وأستطرد ، وهذا كله على أساس من وثائق كامب ديفيد المؤسسة على قرار ٢٤٢ الذى أصدره المجتمع الدولى .

وأنا أقول إن كل الذين يتحسرون على جنيف لا يتجاوزون في التمنى أكثر من تطبيق القرار ٢٤٢ ، فهو منذ أحد عشر عاما لم ينفذ . السادات في كامب ديفيد وجد له طريقا للتنفيذ . ولهذا فهو أول قرار من قرارات الأمم المتحدة تنفذه اسرائيل . قولوا لى أين قرار التقسيم أو أين القرارات بالعشرات التى صدرت بادانة اسرائيل فيما تهدم من أملاك الفلسطينيين أو فيما تبنى فوق أرض لا تملكها ؟ من كامب ديفيد قدم السادات للعرب هذه الحقيقة ، حقيقة أن اسرائيل تنفذ لأول مرة قرارا من قرارات الأمم المتحدة يمكن للعرب من جيران اسرائيل أن يفاوضوا على مقتضاه . هذه هى الفوائد التى عددها فانس وقال إن الرئيس حققها للعرب في قمة كامب ديفيد .

والتاريخ يسجل هذا كله كحصاد لمبادرة السادات في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ والتاريخ يسجله قسرا على من هاجموا المبادرة وتنبأوا لها

بالفشل فلولا المبادرة ما كانت كامب ديفيد .

وللتاريخ أسجل أو أذكر بأشياء كثيرة لعل فيها الرد على صياح المزمجرين ضد كامب ديفيد .

١ ـ أسجل أن الأرض العربية ستعود بدون إراقة دماء . ستعود وتنصرف سواعد أبنائنا الى تعويض ما فات جيلنا . تعود ونفقات السلاح أو بعضها تصلح الشارع والزراعة . وترمم المرافق والصناعة أو تقدم لمسة الحنان لمن ضاقت في أعينهم الدنيا من طول المعاناة فأصبحوا فريسة لمن يهمس بالسموم أو يهتف للتخريب . تحقن الدماء وتبنى وهذا لا يتاح الا تحت مظلة السلام .

٢ ـ إن البديل عن السلام مخيف .. مخيف .. السبيل هو الحرب وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم . ولست من القائلين بأن الحرب لو قامت فان اسرائيل سوف تنتصر علينا بفضل ترسانة السلاح التى اتاحتها لها امريكا . إننى مؤمن بالمقاتل المصرى إلى حد الهوس بطولاته . ولكن أذكر أننا في عز صداقة السوفييت فقدناهم كمصدر لسلاح هجومى . ولما وقفنا معهم وقفة حساب وقفوا معنا في الحرب بعدها وقفة غدر فمن يضمنهم بعد اليوم في الحرب ؟ ستقول لى أنهم يسلحون دولا أخرى .. أقول لك : وهل هذه الدول قادرة على خوض الحرب ؟

وبصرف النظر عن السلاح ومصدره أقول ان قواتنا المسلحة قادرة على النصر ، ولكن قل لى كم سيكون ثمن النصر .

٣ ـ السوفييت غاضبون لأن الولايات المتحدة إنفردت بحل القضية . من حقهم أن يغضبوا لأنهم في لعبة القوى الكبرى حشروا . ولكن ألا يذكرون أننا أعطيناهم الوصاية علينا ليتحدثوا باسمنا

ويفاوضوا عنا طوال ستة أعوام في لجان الأربعة الكبار فما بلغوا بنا شاطئا ولا بلوا ريقنا بحل ؟ .

كانوا الأوصياء ولم يفعلوا شيئا . فلماذا يغضبون اذا دخلنا كامب ديفيد ونحن سادة أنفسنا . وأخذنا الحقوق بشدة المراس وروعة الأداء والقدرة والقدوة في ضبط الذات عند السادات الذى يسلخ العمر في البحث عن الذات . بحثا عن مصر .

٤ ـ لمن يتمسكون بالشكل ويتجاهلون الموضوع . لعبدة المراسم وأسرى الشعارات أقول إدرسوا وثائق كامب ديفيد إقرأوها بعزم . وإفهموها بأناة . ستجدون الباب المفتوح للسلام الشامل اذا واتتكم شجاعة واتت مصر فمضت الى السلام . اقرأوها بالعربية لا باللغة السوفييتية وستجدون فيها فجر السلام وريح الغد المشرق لشعوبنا التى حاربت على مدى ثلاثين عاما . فسبقها من كان دونها وتخلفت هى .

٥ ـ مصر تحملت الكثير فشعبها تجرع الهوان وأجيالها شهيدة في ساحات القتال أو ساحات الحرمان : إفتقرت وغيرها أثرى وولى من أثرى ظهره لمن قاتل . ومطلوب إليها أن تحارب . تجوع وتحارب . كفى .. أكاد أسمع من هنا في واشنطن شعب مصر وهو يقولها كفى .. أردنا السلام القائم على الحق والعدل وقد جاء . أردنا الأرض تعود والشعب الفلسطينى يقرر مصيره وقد آذن كل هذا بالتحقيق ! ان هى الا شهور ويتحقق .

أهلا بوثائق كامب ديفيد .

أيام العناء !

وقد كانت وثائق كامب ديفيد حصيلة أيام العناء والجهد المتواصل في ساحة الأرض التى لا تتجاوز مائتى فدان تتخللها أشجار

الغابة وكابينات شهدت لقاءات تاريخية سوف تبقى للأجيال .

وقد رويت عن ذلك الصمت المفروض على القمة المكممة الأفواه . وقلت إن جرعات الأخبار أو بمعنى أصح (اللا أخبار) التى كان يعطينا إياها جودى باول المتحدث الرسمى للبيت الأبيض لم تكن تشفى الغليل . فاخترع الصحفيون من عندهم حكايات واشاعات تشبه المؤثرات السينمائية في أفلام الفريد هتشكوك أو أفلام فيتوريودى سيكا .. الأولى تسلمك للرهبة والتشاؤم والثانية تفتح لك أبواب التفاؤل أو تطبع على شفتيك ابتسامة وقلت أننى تغلبنى عوامل التشاؤم ولكنى لم أفقد الأمل في أنه لا بد أن يحقق الموتمر شيئا .. لا بد والا فلماذا كان كامب ديفيد ؟ .

ومضت الأيام فغلبت عوامل التشاؤم ! وقد حلق هذا التشاؤم على سماء كامب ديفيد وثيرمونت حيث مركزنا الصحفى وواشنطن حيث نرتد بعد نهار العناء للنوم . حلق حتى قبل الاعلان عن الوصول الى اتفاق بساعة واحدة . وقد قال الرئيس السادات في حديثه لبربارا وولتر ، كدت أترك المؤتمر . ولكن كارتر أقنعنى بالبقاء بعد ١٥ دقيقة من لقائنا وقد نشر أن الرئيس السادات ينوى الذهاب الى واشنطن لبعض مقابلاته . فأعتبر الصحفيون هذا الخبر إنسحابا من جانب واحد . ولكن جودى باول كذب الخبر في أول مؤتمر صحفى مثلما كذب عشرات القصص الأخرى التى قلت أنها كالمؤثرات السينمائية هدفها الا يترك الصحفى قارئه في فراغ ولعل هذه هى المزية الأولى لجودى باول إنه منع اخبارا ملفقة بسوء نية أو بحسن نية من أن تستشرى فتؤثر على مناخ المؤتمر وقطع الطريق على أكاذيب كثيرة هدفها اللعب بأعصاب المتفاوضين .

وقد قال جودى باول في لهجة حزينة « وأحيانا كنا نستشف

الموقف من نبرات جودى مهما حاول أن يجعلها عادية أو محايدة »
قال :

« لقد حققق كامب ديفيد نجاحا ومرونة ! ولكننا بعد .. بعيدون عن الوصول الى اطار العمل من أجل السلام وهو الهدف الذى من أجله إنعقد المؤتمر » .

ان المزيد من النجاح مازال مطلوبا . والمزيد من المرونة مازال ضروريا .

وفي يوم الخميس السابق كان المؤتمر يجتاز عنق الزجاجة . ولهذا الغى الرئيس كارتر موعده مع حفلة في البيت الأبيض لابطال السيارات من جورجيا تغنى فيها مطربة جورجيا ولى نلسن . ورغم أن كارتر متعصب لكل ما هو من فرجينيا فانه أناب روزالين سيدة البيت الأبيض في استقبال ضيوفه .

وفي تلك الليلة « والشىء بالشىء يذكر » كانت فرقة فولكلورية فلسطينية تقدم عروضها في كنيدى سنتر عندما تلقى بوليس المركز أن قنبلة قد وضعت في القاعة فأخرج البوليس كل المتفرجين واستخدم أجهزة الكشف عن القنابل واكتشف أن القاعة ليس بها شىء . فأدخل المتفرجين مرة أخرى .

الغى كارتر هذا الموعد والغى موعدين في نيفادا وكاليفورنيا .. والموعدان لهما أهمية قصوى لأنهما في اطار الانتخابات الدائـرة في الولايات المتحدة . واستدعى كارتر مونديل نائبه الذى الغى بدوره ارتباطات إنتخابية في ولايتين أخريين . وتساءل الصحفيون من يدير الشئون الأمريكية اذا كان كارتر ونائبه ومستشاره هنا في كامب

ديفيد؟ والواقع أن كارتر أراد أن يبقى مونديل بجانبه في المرحلة النهائية للقمة وقد قام مونديل بمهمتين في الأيام الأخيرة. كان يتردد بين السادات وبيجين لما يربطه بهما من علاقات طيبة خاصة بعد أن جمعهما على الموافقة على استئناف المفاوضات في لندن أثناء رحلته في الشرق الأوسط. وكان مونديل يجمع اليهود الأمريكيين من أعضاء الكونجرس أصحاب المواقف الشجاعة في مواجهة بيجين لكى يقولوا لبيجين أنه بعناده يضيع فرصة السلام. قد قالوا هذا من قبل ولكن قوله في الساعة الحاسمة كان ضرورة ملحة. وكان كارتر يعمل بطاقة خارقة للعادة. قد أحصوا عدد الساعات التى التقى فيها بالسادات وبيجين أو مساعديهما فوجدوها ٦٠ ساعه. ولا يدخل في هذه الساعات ساعات اجتماعاته مع مساعديه الذين كانوا على استعداد دائما لكل استفساراته. مرة أيقظ كارتر أحد مساعديه في الرابعة والنصف فجرا وقال له:

- أريد مراجعة بعض الأوراق عندك. إننى مؤرق بسبب هذا الخاطر.

واستغرق كارتر في هذه المهمة ساعة ثم نام ساعتين وخرج في السابعة والنصف ليتجول على عادته فوق دراجه. وقد بدأ كارتر الاجتماعات الثنائية اجتمع الى السادات ثم الى بيجين. ثم جمعهما في لقاءات ثلاثية. ولكن هذه اللقاءات لم تطل لأنه لاحظ أن الفجوة بين الرئيس السادات وبيجين كبيرة. وأن التحفظ يبدو عليهما نتيجة لما وقع بعد لقاء الاسماعيلية من جفاء. ولهذا آثر أن يعود الى اللقاءات الثنائية. وقد قدم السادات مشروع مصر وقدم بيجين مشروع اسرائيل. وكلف كارتر مساعديه باستخراج نقاط اللقاء، ثم قدم

المشروع الامريكى واعترضت مصر على بعض ما جاء فيه ـ فالتقى الرئيس كارتر بالسادات مرتين . وفي ذاك اليوم أحست إسرائيل أن الخناق يضيق عليها لأن كارتر يؤيد وجهة نظر مصر فبدأت حملة مدبرة تقول إن الكرة الآن في ملعب مصر ! فهل يفسد السادات المفاوضات ؟ وصحبت هذا اعلانات في الصحف تقول إن السادات قطع مفاوضات القدس . وانهى مهمة اللجنة العسكرية الاسرائيلية في القاهرة فهل يقطع أحاديث السلام مرة أخرى ؟ وفي هذا الوقت نشر ذاك الخبر عن ذهابه الى واشنطن فلم يتحروا صدق الخبر بل عمدوا الى القول بأن السادات يهدم كامب ديفيد وأكثر من هذا بدأت تلوح حملة صحفية مستترة تتحدث عن التمسك بالضفة الغربية وغزة على أساس دينى وليس أمنى .

للحقيقة أقول أن جودى باول كان يتصدى لكل هذا ويكذبه فيما عدا الاعلانات فانها صفحات مدفوعة الثمن .

في حرب الأعصاب !

وكان كارتر يواصل اجتماعاته مع السادات أو بيجين وكانت المشروعات المتعاقبة والمعدلة التى جرى حولها الحديث وهى « ٢٣ مشروعا كما قال فانس » تخضع لمراجعة دقيقة من كارتر الذى يلتقى بالعضوين القانونيين في الوفدين ، اسامه الباز الذى قالت عنه الصحف الامريكية إنه شقيق الدكتور فاروق الباز وإنه « أى اسامه » رجل قانون من هارفارد ومناور ذكى في كواليس المباحثات . أما « باراك » فهو المدعى العام الإسرائيلى الذى رقى الى رئيس لإحدى المحاكم العليا ولم يتسلم عمله لأنه طار الى كامب ديفيد قبل ذلك . وكانت الخلافات كثيرة ، يبدأ خلاف ولا يكاد ينتهى حتى يظهر خلاف آخر .. القضية الواحدة كل حلقة فيها تمسك بالأخرى . ولهذا كان

الخلاف حول نقطة واحدة يهدد بانهيار ما جرى عليه الاتفاق من نقاط أخرى ونتيجة لهذا لم يكن النجاح متوقعا وارتبكت المجلات الأسبوعية الأمريكية وهى بالعشرات لأنها لاتستطيع التنبؤ بشىء، فالأخبار كانت بنت الساعه واللحظة. الاجتهاد قد يسفر عن توقعات تصبح أمام القـراء مضحكة.

شيئان جعلا قمة كامب ديفيد تتخطى الحواجز وتتغلب على العقبات.

أولا، ضبط النفس الذى يتمتع به الرئيس السادات فلم يحقق للاسرائيليين أمنيتهم في أن ينسحب فيكسبوا عليه جولة أعدوا لها الساحة الأمريكية بالاعلام المكثف وينتزعوا منه أرضا هنا وقف عليها بثبات عند الشعب الأمريكي منذ زيارته للقدس.

ثانيا، شخصية الرئيس كارتر الذى قال عنه جيمس رستون شيخ المعلقين الأمريكيين «لولا ايمان كارتر لما دعا الى قمة كامب دافيد، انه صاحب احساس قوى بقدرته على خوض المواقف الصعبة والانتصار فيها. وقد حذره أكثر مستشاريه من اجتماع كهذا لأنه مغامرة كبرى. ولكن كارتر خاض المغامرة الكبرى مثلما خاض مغامرات أخرى من قبل. لقد خاض مغامرة الانتخابات الامريكية وكانت غير مضمونة ونادى بحقوق الانسان وهو يعرف كيف يسبح في بحار خطره. وخاض قضية بنما التى تعثرت لثلاثة عشر عاما. وأوقف انتاج قاذفة القنابل وحاملة الطائرات النووية. ووقف في وجه اللوبى العمالى في قضية اضرابات عمال المناجم ووقف في وجه اللوبى الصهيونى في قضية صفقة الأسلحة للسعودية ومصر وإسرائيل.

هذا هو كارتر. ومن الصحفيين من قال عنه إنه رجل أمريكا الضعيف. وان كامب ديفيد آخر فرصة له لممارسة القيادة ودخل

هنرى كيسنجر ساحة التقديرات فقال اننى لا أعتقد أن كارتر دعا الى الاجتماع دون أن يتصور النجاح .

وقد عرض التليفزيون الاسرائيلى حلقات الهولوكوست في إسرائيل أثناء مباحثات كامب دافيد وسجلت الاحصاءات أن الذين رأوها يتجاوزون ٥٠ ٪ من عدد السكان . والهدف من عرض الهولوكوست في هذا الوقت بالذات هو ايقاظ ذكريات عذاب الشعب اليهودى على يد النازية وقد قال الدكتور كلاين هليل مدير مستشفى الامراض العصبية بجوار القدس إنه يقترح فتح باب الحوار حول مدى ارتباط وشائج جيل ما بعد الهولوكوست من يهود أمريكا مقارنة بجيل ما بعد الهولوكوست في اسرائيل .

أى هو يريد شغل الصحافة الأمريكية بعذاب اليهود وتحريك الضمير الأمريكى لصالحهم أثناء كامب ديفيد .

وكانت النزهة في غابات كامب ديفيد مراحا للجميع . والذين كانوا لا يستطيعون المشى يستقلون دراجات كهربائية تشبه السيارات الصيفيه المكشوفة . وقد كان الدكتور كوينت مساعد بريزنسكى على عجل في اليوم الأخير في كامب دافيد وكان يحمل أوراقا للتوقيع ينتظرها كارتر فقفز كوينت الى دراجة بخارية وراه وايزمان فقفز خلفه ليسأله « هل كل شيء على ما يرام »

وكان التليفزيون تسلية زبائن كامب ديفيد وقد تفرج السادات وكارتر وونديل على مباراة الملاكمة التى إنتصر فيها محمد على كلاى . وقام مونديل ليتحدث اليه تلفونيا ويهنئه باسترداد اللقب .

والحقيقة التى اؤكد عليها أن أحدا لم يكن يعرف مصير مباحثات كامب ديفيد قبل أربع ساعات قبل التوقيع على وثائقه وكانت الرحلة الأخيرة في جولات كارتر حين حمل أوراقه ومضى الى كابينة الرئيس

السادات وقال لأعوانه الذين إنتظروه في الخارج :
ـ اذا وافق السادات فسوف الوح لكم من النافذة
وأمضى كارتر حوالى الساعة مع الرئيس السادات . وأعوانه في الخارج يدعون له بالنجاح لأن فشل المؤتمر بعد كل هذا الجهد لن يكون فشلا لهم ولكارتر ! بل سيكون فشلا أمريكيا وفشلا تاريخيا .
وأخيرا إستدار كارتر الى النافذة والسادات أمامه ولوح لأعوانه بيده وأصبعه الابهام الى أعلى كما يفعل الطيارون . وتبادل أعوانه التهنئة . وعندما هبط كارتر والسادات وبيجين من هليوكبتر الرئاسة الأمريكية في حديقة البيت الأبيض كانت ملايين البشر يثبتون أعينهم على شاشات التليفزيون والقمر الصناعى يسبح في الفضاء البعيد وينقل لهم أنباء السلام الزاحف الى الأفق من القاعة الشرقية بالبيت الأبيض . وهى ساعة لا أنساها . في العاشرة والنصف من الأحد السعيد حين منحت السماء صفحة لفجر السلام فدقت أجراس الكنائس في واشنطن وتمتم بالدعاء كل عشاق السلام في كل مكان على الأرض وهى دعوات ضرورية لأن المبادىء وضعت فوق الأوراق . ويبقى التنفيذ ! والتنفيذ حكاية أخرى .

٣٩ ـ الدور الامريكى بعد كامب ديفيد

● عندما قرأت وثيقتى كامب ديفيد التى وقعها الرئيس أنور السادات عن الجانب المصرى ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل عن الجانب الاسرائيلى رأيت توقيع الرئيس الامريكى جيمى كارتر عن الوثيقتين كشاهد .

والشاهد يقول الحق .. ويترك للاطراف ان يأخذوا به أو لا يأخذوا .. ولكن نوع الشاهد في وثيقتى كامب ديفيد يختلف عن نوع الشاهد أمام محكمة مدنية أو جنائية . فالقضية أخطر قضايا العصر والانفعال الامريكى بها وصل الى حد « الانغماس الكامل » الذى عبر عنه الرئيس كارتر لمجلسى الكونجرس المجتمعين لسماع خطابه بعد « خطبة » كامب ديفيد قائلا :

ـ ان شعبنا اعتاد أسماء مثل سيناء وشرم الشيخ والعقبة وغزة والضفة الغربية . انها أسماء ذات مغزى ومدلول في رفاهيتنا كدولة .

وفي أملنا في الاستقرار في عالم يسوده السلام . ولهذا لا تستطيع الولايات المتحدة أن تقف مكتوفة اليدين .. ولهذا تقدمنا كشركاء كاملين في البحث عن السلام الذى وضعنا خطوطه في كامب ديفيد » .

واستطرد الرئيس كارتر قائلا :

ـ ان على الشعب المصرى والشعب الاسرائيلى أن يعرفا الفوائد الكبيرة التى يحققها السلام . ولهذا يجب أن يؤيدا القرارات التى وقعت . والتى تحقق هذا السلام .. أما الشعب الامريكى .. وأنا .. فان علينا أن تقدم المساندة الكاملة لهؤلاء الذين اتخذوا القرارات الصعبة . والذين أمامهم قرارات أخرى صعبة يجب أن يتخذوها .

فالرئيس كارتر يعرف دوره المقبل : كان منذ تصريح كلينتون في مارس ١٩٧٧ ـ وهو التصريح الذى طالب فيه للشعب الفلسطينى بالحق في أن ينهى تشرده ويعود إلى وطنه يتعامل على استحياء مع القضية . يثور يهود أمريكا عليه . ويشتد ضغط « اللوبى » الصهيونى فيخفف تصريحاته . وقد يسترضى اسرائيل بتصريح يغضب العرب . حزم كارتر أمره منذ مبادرة الرئيس السادات في نوفمبر ١٩٧٧ . وقرر أن يلاحقها حتى لا يدع الفرصة السانحة للسلام تضيع . وكان اثرتون أو فانس أو مونديل وسطاء يعرفون حقيقة التماثل الشديد بين وجهة النظر الامريكية ووجهة النظر المصرية . ولكنهم لا يتجاوزون دور الوسيط .. وخلال تسعة أشهر بدا أن اسرائيل تدمر مبادرة السادات التى وضعتها أمام الرأى العام في قفص . وتتنكر للقرار ٢٤٢ .. وقرر كارتر أن يواجه الأمر بنفسه . لقد التقى ببيجين ثلاث مرات . وبالسادات ثلاثا مثلها . ولكن بقى أن

يلتقى الثلاثة معا : كارتر والسادات وبيجين . ووجه كارتر الدعوة لهما .. وفي كامب ديفيد كان لقاء . ورغم أن الادارة الامريكية تحاشت التصريح بأنها ستقدم مشروعا لان المشروع يثير دائما غضب اسرائيل وتتصوره ضغطا ماسا بسيادتها . فان الحاجة إلى المشروع الامريكى بدت ضرورة بعد اليوم الثانى من المفاوضات التى استغرقت ثلاثة عشر يوما ..

ـ فما معنى المشروع الامريكى .. ما معنى أنه المشروع الذى كان أساسا لوثيقتى كامب ديفيد ؟

ـ معناه أن الرئيس كارتر يعرف كل معنى فيه . يعرف كل سطر . وكل كلمة وكل حرف كما قال بيجين وهو يقرظ كارتر في القاعة الشرقية للبيت الأبيض ليلة توقيع الوثيقتين ومعناه أيضا إذا حدث خلاف في التفسير .. إذا رأت مصر أن نصا معينا يعنى شيئا معينا . ورأت فيه اسرائيل معنى آخر فان الذى يستطيع أن يكون مرجعا في التفسير هو كارتر . لانه شريك في كل سطر وكلمة وحرف

وقد أصيب بيجين « بنوبة » التصريحات التى تنتابه كلما واجه عدسات التليفزيون . سأله المعلقون في قنوات التليفزيون الامريكى عن وقف بناء المستوطنات في الضفة الغربية حتى تنتهى المفاوضات فقال : بل الوقف لثلاثة أشهر فقط هى المدة المحددة لتوقيع اتفاقية السلام مع مصر ! وفي مساء ذلك اليوم ـ الاثنين ـ خاطب كارتر مجلسى الكونجرس قائلا :

« وبنص الاتفاقية فان اسرائيل وافقت على الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . وانه لن تقام مستوطنات جديدة في المنطقة أثناء المفاوضات » .

والمفاوضات هنا تنصب على المفاوضات بين اسرائيل من جانب ومصر والاردن وممثلى الشعب الفلسطينى من جانب آخر .. فوجهة النظر الامريكية واضحة ، يتوقف بناء المستوطنات ويترك موضوعها للمفاوضات بين اسرائيل ومصر والاردن والفلسطينيين . ويضيف الرئيس أنور السادات في لقائه مع كبار الصحفيين والمعلقين الامريكيين الى ذلك قوله ، وأكثر من هذا فمهما حدث من مصر واسرائيل والاردن والفلسطينيين المفاوضين فمن حق الشعب الفلسطينى أن يقول في الاستفتاء العام الذى يجرى بعد انتهاء فترة الانتقال .. من حقه أن يقول فيتو !

هذا مثل من أمثلة المغالطات البيجينية التى امتلأت بها الساحة الامريكية هنا في الايام الاربعة التى قضاها بيجين بين واشنطن ونيويورك لم يغلق فيها فمه .. وكأنما يعوض ما فاته من صمت أيام العزلة في كامب ديفيد ..

قال مثلا ان القوات الاسرائيلية لن تنسحب من الضفة الغربية لان هذه هى الارض المقدسة التى والتى والتى .. الى آخر ما يقوله في أسطوانة يهودا والسامرة ! ووجهة النظر الامريكية طبقا للفهم الامريكى لوثيقة كامب ديفيد الأولى الخاصة بالضفة الغربية وغزة جاءت واضحة على لسان برزينسكى في المؤتمر الصحفى الذى عقده قبل توقيع الوثيقتين بساعة .. ثم على لسان فانس في مؤتمره الصحفى الذى عقده بعد ١٢ ساعة من توقيع الاتفاقية .. أى في الحادية عشرة من صباح الاثنين الاسبق . ثم تأكدت وجهة النظر هذه فيما قاله كارتر لمجلسى الكونجرس مساء الاثنين .. أى بعد ٢٢ ساعة من توقيع الاتفاقية .

● برزنيسكى .. وكان في المطبخ السياسى الذى أعد الوثيقتين قال :

ـ الوثيقة تعترف بحق الفلسطينيين الشرعى . وبحق اسرائيل في الامن . وفيما يختص بالفلسطينيين يصبح من حقهم أن يختاروا طريقة حكمهم بواسطة ممثليهم المنتخبين الذين يوقعون الاتفاقية النهائية .

● فانس .. وكان من الطهاة الرئيسيين في مطبخ كامب ديفيد السياسى قال :

ـ اعترف الاسرائيليون بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى . وكان هذا مرفوضا منهم على طول المدى .. وهذا الاعتراف هام جدا للعالم العربى وكسب عظيم حققه السادات . والفلسطينيون طرف في المفاوضات بين اسرائيل ومصر والاردن . وكل ما يتم الاتفاق عليه بين هؤلاء يخضع للاستفتاء ..

● كارتر .. وكان مايسترو العملية السياسية في كامب ديفيد قال لمجلسى الكونجرس ان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى أصبحت حقيقة واقعة ..

وتجاوز بيجين في مغالطاته أجهزة الاعلام فذهب الى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ليقول :

ـ ان اسرائيل لها حق على الضفة الغربية .. وسوف تبقى لنا قوات هناك الى ما لا نهاية .

وقال في حديث صحفى :

ـ « ان عبارة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى كتبت ليكسب بها السادات العالم العربى . وهى جملة ليس لها معنى . وأنا قبلتها

لارضى كارتر والسادات . ولانها لا تغير الحقيقة فقد قبلناها .. ولكل واحد منا تفسيره الخاص لها » ٠

القدس ودبلوماسية الخطابات !

أكثر من هذا .. تعرفون أن « القدس » موضوع معلق بالخطابات المتبادلة بين مصر واسرائيل وأمريكا . وان نصا حول القدس كتب في المسودة رقم ٢٢ ورفع منها في الصياغة الأخيرة - رقم ٢٣ - لان خلافا حول الصياغة نشب . وكان الوقت المحدد لانهاء المؤتمر قد أزف ، وافق الاطراف على هذا ٠ وأبدى الرئيس السادات وجهة نظر اعتبرها كارتر معقولة تماما .. لان كارتر - بأخلاقياته - يحترم قرارات الأمم المتحدة التى أدانت ضم القدس العربية لاسرائيل . ويحترم المدينة المقدسة التى خطى المسيح بقدميه في دروبها وفوق رباها ٠ أرجئت القضية حتى لا تعرقل « باقة » الموضوعات التى تم الاتفاق عليها . وتنسف جهد ثلاثة عشر يوما من العرق والضنى . فماذا قال بيجين ؟ ذهب الى كونجرس اليهود الامريكى في نيويورك . وخطب فيهم قائلا :

- ان القدس ليست في قلب اسرائيل فقط بل هى قلب الشعب الاسرائيلى ٠ اذهبوا إلى الشعب الامريكى .. اذهبوا إلى كارتر وقولوا له إن القدس عاصمة اسرائيل وعليه أن ينقل سفارته اليها ٠

والمعروف أن الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الغربية تعتبر تل أبيب عاصمة اسرائيل .. وتبقى سفاراتها في تل أبيب

هذه نماذج من الاحاديث الهستيرية التى أصيب بها « بيجين » بعد توقيع الاتفاقية ٠

وقد ذهب المعلقون مذاهب شتى في تفسير هذه الظاهرة الكلامية :

● قال البعض : هذا هو بيجين .. ألا تعرفونه ؟ متعصب حتى النخاع .. حصل على التصفيق والاضواء ثم عاد الى طبعه الأول .

● وقال البعض الآخر : ان بيجين صدر هذه التصريحات للاستهلاك المحلى . انه يخشى المتطرفين في اسرائيل الذين وصفوه بأنه خائن لانه يفرط في الأرض ويطرح ازالة المستوطنات على الكنيسيت . وهذا البعض يطالب بأن نتلمس عذرا لبيجين الذى قال : « انني أعتقد أنني سأجد مقاومة كبيرة في اسرائيل . ولكنى أعتقد أكثر أننى مضيت على الدرب السليم » . قال مخاطبا الشعب الاسرائيلى في حديث تليفزيونى سجل في واشنطن :

ـ إذا استقبلتمونى بالطوب فهذا جزء من كفاحى . وهو فصل من حياتى أن أجد من أصدقائى من يعارضون فأناقشهم .. وإذا تظاهر ضدى جماعة الجوش اميونيم فسوف أظل على احترامى لهم لانهم رواد حقيقيون » .

● وقال البعض الثالث : ان بيجين يرسل هذه التصريحات كقذائف تسبق جلسات المفاوضات المقبلة . انه يقدم التشدد على السماحة ويريد أن يكسب شيئا بالتشدد ..

وأنا أقول إن سخط الشعب الامريكى على تصريحات بيجين جاوز الحد . وسخط الاعلام عليه . ورغم صهيونيته في مواقع كثيرة ، ورغم تعاطفه معه أثناء كامب ديفيد . سخط لم يعرفه تاريخ الاعلام من قبل . رأيت معلقا في محطة الايه بى سى يفند أقوال بيجين ويقول ان بيجين يناقض نفسه . لانه وقع على كلام غير هذا منذ ٤٨ ساعة .. وبث المعلق نصا من الاتفاقية حول وقف انشاء المستوطنات

يخالف تماما ما قاله بيجين قبل أن يجف مداد الاتفاقية . واعتقد أن النبرة العاقلة التى تحدث بها الرئيس أنور السادات إلى رجال الاعلام وإلى أعضاء لجنتى العلاقات الخارجية في مجلسى الشيوخ والنواب الامريكيين جعلت التصفيق له مظاهرة رائعة . والتقدير لمواقفه قاعدة متينة ..

قال السادات في لجنة النواب التى يرأسها زابلوكى .. الشديد الحب لمصر :

ـ عندما دعانى الرئيس كارتر إلى كامب ديفيد ليعطى لعملية السلام دفعة لبيت . فاننا جميعا نعرف أن كارتر كان يغامر بكل شىء .. ولكنه بفضل صبره وقوة احتماله تغلبنا على الكثير من الصعاب التى واجهتنا . وأنا سعيد بأننى وفيت وعدى للشعب الامريكى عندما قلت في زيارتى لواشنطن في فبراير الماضى اننى لن أخذل هذا الشعب الذى وقف منى مواقف التأييد الكريمة في كل مبادرات السلام » .

وحين خرج تحلق حوله الصحفيون ومندوبو محطات التليفزيون . وحاولوا استدراجه إلى قول رأى حاد في شأن مستعمرة بدأت جماعة جوش أميونيم تبنيها في صباح اليوم التالى لتوقيع الاتفاقية فقال :

ـ كل شىء خاضع للمفاوضات المقبلة .

وضحك وقال :

ـ لا تحاولوا أن تجروا رجلى !

وسئل :

ـ إذا لم يوافق الكنيسيت على ازالة المستوطنات .. ماذا تفعل ؟

فقال :

ـ ان أساس كامب ديفيد هو السيادة واحترام الأراضى . وبدون هذا المبدأ لن يكون هناك أى اتفاق ·

وسئل عن الاتفاق هل هو صلح منفرد ··

فقال :

ـ مشروع معاهدة السلام مع اسرائيل ليس اتفاقا منفصلا ·· لان هذا الاتفاق تال في وجوده للاتفاق الأول أى لولا وجود الاطار الشامل ·· الهيكل الشامل لعملية السلام لما كان الاتفاق على مشروع معاهدة السلام ممكنا ·· استطيع أن أقول : الوثيقتان اثنتان ·· ولكنهما معا صلب واحد ·

وفي مؤتمره الصحفى مع كبار المعلقين السياسيين قال :

ـ لاتدقوا على ما يثار حول المستوطنات أو الضفة . سوف نجلس إلى مائدة المفاوضات لنناقش . وأنا مقتنع بالموقف الامريكى الذى يقول إن المستوطنات غير شرعية . وهناك عامل مساعد · هو أننا سنأخذ الامريكيين معنا كشريك كامل في تنفيذ الوثيقتين ·

وقال السادات انه سيمضى في الاتفاق حتى لو لم ينضم اليه الملك حسين . وانه لن يحس العزلة لو تركه بعض العرب لان عنده شعبه . وعنده الشعب السودانى وعنده الشعب المغربى ·· وعنده شعوب السعودية والخليج والامارات وعمان والصومال ·· وعمره ما كان معزولا ·· وقال انه سوف يقابل أى تحد من أى طرف يحاول عرقلة تنفيذ ما جرى الاتفاق عليه في كامب ديفيد

وقال :

ـ أنا اعترف اننا سنواجه متاعب كثيرة . وستكون عندنا مواجهات وتحديات وخلافات ·· ولكن مادمنا اتفقنا على أن نجلس

إلى مائدة المفاوضات فسوف نصل إلى اتفاقيات نهائية !

وعلى هذا المنوال مضى ٠ قال كلاما عفا ومسئولا ٠ وقال كلاما فيه شرف الشريف حين يعطى الكلمة ويصونها ، ويوقع الأوراق ويحترمها ، ويقدر لمن بذلوا الجهد في المفاوضات حقهم فيقول عن كارتر أحلى الكلام ..

السادات ردد النغمة الصحيحة التى لقيت القبول والاستحسان عند الشعب الأمريكى ٠

وبيجين ردد النغمة المزرية الملتاثة التى لقيت الرفض والاستهجان عند الشعب الذى أصبح يتمتع بوضوح الرؤية في قضية الشرق الأوسط .. ولم تعد المغالطات تجوز عليه !

إذن ، السادات كسب الجولة ..

وهذه لعمرى حصيلة من كامب ديفيد ، وامتحان على الهواء وعلى أوراق الصحف أمام جمهور من ٢٤٠ مليون نسمة رأى في السادات رسول السلام الحقيقى الذى يستحق وحده ما قاله كارتر في نهاية خطبته في الكونجرس :

ـ طوبى لصانعى السلام .. لانهم أبناء الله يدعون !

ضميره .. مذكرة تفسيرية !

واعترف بأن ما قاله بيجين في الأيام الاربعة « الاستعراضية » لم يزعزع يقينى في أن كل شيء سيمضى الى غايته لان الموقف بعد كامب ديفيد غير الموقف قبل كامب ديفيد ٠

● قبل كامب ديفيد كانت الولايات المتحدة وسيطا في منتهى الخجل ، ومكوكا يفلت منه الخيط كثيرا !

● بعد كامب ديفيد قالها كارتر بحسم ، ان أمريكا لا تملك الا أن تعطى إهتماما عظيما للشرق الأوسط وليس لنا خيار في ذلك ٠ ان

توقيع اتفاقية السلام في خلال الاشهر الثلاثة القادمة سيكون أعظم هدايا عيد الميلاد للعالم كله .

وليلة توقيع وثيقتى كامب ديفيد قال الرئيس أنور السادات موجها حديثه للرئيس كارتر :

انك التزمت بأن تكون شريكا كاملا .. ولهذا فاستمرار دورك النشيط أمر لا غنى عنه .

وقد أكد بيجين باحاديثه أن دور كارتر أمر لا غنى عنه .. فكارتر ليس الشاهد فقط كما وقع على الوثيقتين بل هو الشريك صاحب المصلحة في حل القضية والوصول الى السلام . وهو شريك ذكى لانه انتزع من الطرف المشاكس أكثر انصاره . وسحب من تحته السجادة التى كان يقف عليها . انه اقنع الكونجرس الامريكى بكل ما حدث .. وفي مرحلة من مراحل المفاوضات كان مونديل على اتصال بزعماء اليهود الامريكيين ليقول لهم إن بيجين يعاند في كل شيء . وانه بعناده يهدم كل شيء . وعندما انتهت صياغة الوثيقتين دعا كارتر عددا من أعضاء الشيوخ المرموقين ليحضروا توقيع الاتفاق . وكأنهم شهود في مجلس التوقيع وان لم يوقعوا . وما أن انتهى من التوقيع حتى أسرع الى المجلسين مجتمعين وألقى خطابه الذى قوبل بتصفيق ليس له مثيل .. وقد حدث شيء طريف .. فقد اتصل توماس اونيل رئيس المجلسين المنضمين وقال للرئيس كارتر ان موعد اذاعة خطابه يتعارض مع موعد اذاعة مباراة في كرة القدم بين فريقى بلتيمور ونيو انجلند . وانه يقترح عليه أن يقدم خطابه ساعة .. فيلقيه في الثامنة مساء فقال كارتر : « بكل سرور » ! كانت مقاطعة الخطاب بالتصفيق « تصويتا » بالقبول الاجماعى له . وبعد الجلسة نثر أعضاء الكونجرس باقات المديح حول كارتر .. اليك بعضها :

● السناتور ستيفن سولارز عضو كونجرس جمهورى ولكل شهادة من جمهورى قيمة لان الجمهوريين حزب المعارضة . وستيفن مؤيد لاسرائيل منذ انشئت وقال : ان ما تحقق في كامب دافيد على يد كارتر أعظم انجازات هذا العصر ..

● وقال السناتور هوارد بيكر وهو يهودى : ان قمة كامب ديفيد أورت عن مواهب خارقة في كارتر .. من مرونة وحذق وقدرة على التمتع بثقة الأطراف . ويجب ان يستمر في هذا الدور . ولو أسفرت المفاوضات المقبلة عن السلام فان كامب ديفيد تعتبر انتصارا عظيما للعالم كله .

● وقال السناتور الجمهورى جون براداماس . هذا نجاح مذهل لكارتر . وهو ينهى فترة تشكك في قدرته على التعامل مع الشئون الخارجية . انه الآن في ذروة قوته ..

● وقال جاكوب جافيتس سناتور نيويورك المتعصب : من حق العالم أن يتنفس الصعداء لان كارتر فتح الطريق الى السلام ..

● وقال ديك ستون وهو سناتور شديد التحيز لاسرائيل : « قد تزداد أعمال الارهاب في الضفة الغربية . وقد يكون من الصعب تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد اذا لم تقنع أمريكا الملك حسين بالانضمام الى موكب المتفاوضين من أجل السلام . ولكن هذا لا يمنعنا من أن نخلع القبعة احتراما لكارتر » .

● وقال إبراهام ريبكوف .. السناتور الذى قاد موجة الاعتدال لصالح مصر في الكونجرس : « رغم الأيام الصعبة والحرجة في كامب ديفيد فان كارتر أصر على أن يلعب دوره كرئيس أمريكى عظيم ويحقق تفاهما بين مصر واسرائيل لأول مرة في التاريخ » .

● وقال ادوارد كنيرى وهو المنافس الأول لكارتر داخل الحزب

الديمقراطى بالنسبة لانتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ « ان كارتر دخل التاريخ » !.

● وقال هنرى كسنجر وزير الخارجية السابق : « ان كارتر حقق معجزة . انه اقنع بيجين . وأنا أعرف من هو بيجين . اقنعه بان يوقف بناء المستعمرات . ويفاوض على مستقبل الضفة الغربية . وهذان أمران كان بيجين يرفضهما تماما » .

● وقال ايفان دوبل : « اذا لم تكن الاتفاقية سرابا فان كارتر سيقفز بها الى الرئاسة الامريكية مرة أخرى » .

كارتر الجديد !

ومن المعلقين من يقول عن كارتر بعد كامب ديفيد أنه « كارتر الجديد » .. الذى طالب له . البعض بجائزة نوبل . فكيف يبخل عليه الحزب الديمقراطى بترشيحه لانتخابات عام ١٩٨٠ .

وقال ايفان وهو رئيس لجنة تمويل الحزب الديمقراطى : اننى تلقيت مكالمات تليفونية من عشرات من كبار المولين اليهود للحزب الديمقراطى يقولون انهم سيدفعون بلا حدود لان كارتر نشر خطة السلام على الشرق الأوسط ..

فما معنى كل هذا ؟

معناه ان كارتر الجديد لن يقبل التخلى عن مسئولياته في تنفيذ الاتفاقية التى انقذت سمعته السياسية . ووضعته في الاطار اللائق به أمام شعبه .. اطار الرجل القوى الشجاع القادر على اللعب ببراعة بأوراق السياسة الدولية .

معناه ان كارتر يحظى بتأييد الكونجرس . وانه سحب الكونجرس من جانب اسرائيل إلى جانبه . وأيما تمنت . من بيجين فان كارتر لن يتردد في مواجهته وفرض الاعتدال عليه . فرض

التفسيرات الصحيحة للوثيقتين وقبل هذا فرض روح كامب ديفيد ٠

ومعناه ثالثا ان كارتر لو اخفق في تنفيذ ما بدأ فسوف يفقد ثقة شعبه به . وسوف يعيد أعضاء الكونجرس وحزبه النظر في تقييمه .. لان هؤلاء الناس يقيمون الرجال بالمواقف لا بالعواطف ٠

ومعناه رابعا اننا اذا كان المفروض طبقا لنصوص الوثيقتين ان نتفاوض مع بيجين . فان كارتر موجود بالفعل وموجود بالمندوب . أو حتى موجود بالعدل السياسى . فنحن لن ندخل معارك كلامية مع بيجين .. يكفى ان يصدر البيت الأبيض تصويبا لما يقوله بيجين . ونحن لن ندخل حرب الكلام التى افسدت كل شىء من قبل . هل تذكر ليلة العشاء الاخير في القدس حين قال بيجين وقد شحذ لسانه على وفدنا ؟ ـ نحن لن ندخل معارك الكلام بل ندخل معارك الفكر القانونى الذى يناقش بالمنطق . والهوامش من كامب ديفيد . والمذكرة التفسيرية ضمير كارتر !

كارتر شاهد .. وضامن متضامن ٠ كارتر اصيل وشريك وطرف ثالث في قضية اتضحت في كامب ديفيد معالمها ! وهو بفضل شجاعته ومغامرته وضع العالم على طريق السلام . ولا يستطيع ان يترك السلام ينزلق .. أو يتبدد !..

فليقل بيجين ما يريد .. ان كامب ديفيد حاصرته فسلم بالكثير : يرد سيناء . يسلم بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين . يوقف بناء المستوطنات على الضفة ويزيل ما في سيناء .. ويقدم المطارات التى تمسك بها .. ولهذا افاق بعد كامب ديفيد .. كأنه ندم ٠ كأنه استهول ما أعطى . كأنه يقول بلغة التاجر اليهودى : بيعة لا ربح فيها .. يفتح الله !

مع أنه الرابح أمنه وأمن شعبه . وعمره وعمر شعبه .. وحسن الجوار اذا صدقت النية ! ان ما وقعه الثلاثة القمم بعد كامب ديفيد حبر عظيم على ورق عظيم .. ولكن لا قيمة له الا بحسن النوايا .. ودور كارتر بعد كامب ديفيد !

---

٤٠ ـ وبدأت محادثات بليرهاوس

● يوم الخميس ١٢ أكتوبر بدأت محادثات مصر واسرائيل من أجل السلام ! وفي البيت الأبيض الذى شاهد توقيع اتفاقية كامب دافيد عقدت الجلسة الإفتتاحية التى يرأسها الرئيس الأمريكى جيمى كارتر والقى فيها الكلمة الافتتاحية ·

ولموقع الجلسة الاولى ·· ولترتيب الكلمات فيها دلالات لا تخفى :

● فلم يحدث في التاريخ أن كان البيت الأبيض مكانا لمفاوضات بين دولتين ليست الولايات المتحدة واحدة منهما · ولهذا فالمعنى الواضح في اختيار الموقع هو أن البيت الأبيض يحتضن الاجتماع . ينشر فوقه مظلته ·· وهذا المعنى نتيجة طبيعية للدور الامريكى بعد كامب دافيد · دور الشريك الكامل في المحادثات ·· دور الضامن لتنفيذ ما جاء في نصوص كامب دافيد . دور الحكم اذا شجر الخلاف . والمفسر اذا تفرقت وجهات النظر . والحاسم على من يراوغ ·

● ومستوى اللقاء ، مستوى الوزراء · ولكن كارتر حين يلقى خطابه يعطى للمؤتمر دفعة وترقية ، ويعلن على الملأ أنه متواجد منذ اللحظة الأولى ، وأنه حكم المباراة حتى لو إنتقلت الجلسات بعد ذلك إلى بلير هاوس ··

● وليس بلير هاوس بعيدا عن البيت الأبيض · إن الذى يفصلهما شارع ·· بلير هاوس في مواجهة البيت الأبيض ، ولعل هذا الموقع له دلالته أيضا ·· فإن يوحى حتى بالقاء النظر بأن كارتر ليس بعيدا عما يجرى بين الوفدين · إن وفد الولايات المتحدة له مقعد حول المائدة المستديرة ، ولكن اطلالة كارتر تبقى ضرورة ··

ومعنى هذا أن كارتر سوف يظل كمانعة الصواعق بالنسبة للمحادثات ·· فإذا تعثرت فهو هناك · وفريقه من القانونيين وخبراء الشرق الاوسط قد أعد ملفا بتفسيرات أوراق كامب دافيد ، وايما التواء في التفسير فسوف يقومه ·· وايما تنكب عن السبيل فسوف يضع كل شيء في قنواته ·

وأنا لا أعلق الأهمية على وجود كارتر بكلمة الافتتاح أو بجيرة المكان اعتباطا ·· إن كارتر بعد كامب دافيد يحظى بتأييد ساحق من يهود أمريكا ، وقد قال سوندرز ·· مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط في مؤتمر صحفى إن كارتر سوف يحظى بتأييد المناصرين اليهود للحزب الديمقراطى في انتخابات عام ١٩٨٠ ·· ويستطيع أن يسجل رقما عاليا في الفوز لو جرت الانتخابات هذه الأيام ! وكارتر يحظى بتأييد الكونجرس الذى اعتبر نجاحه في اتفاقية كامب دافيد خبطة سياسية رائعة ترفع اسم الولايات المتحدة ، وتعد بالسلام المتاح في الشرق الأوسط لحصار المد

الشيوعى الذى يحاصر منابع البترول ويهدد دوله . وكارتر يحظى بتأييد دول الغرب من دول السوق الأوربية أو من الدول الساعية إليها .. فقد كانت هذه الدول تأخذ عليه ليونته أمام تعنت اسرائيل . فإذا به في كامب دافيد يحدد اقامة الأطراف حتى ينقل الليونة فتصبح عند بيجين ..

هذا التأييد لكارتر من يهود أمريكا وشعبه . من الكونجرس وحلفائه يجعله يتصرف من مركز قوة . وهذه ضمانة للمفاوضات .. وفأل بنجاحها .

ورغم هذا أقول إن رحلة الوفد المصرى إلى واشنطن ليست رحلة شاعرية .. إن التعامل مع المفاوض الإسرائيلى أمر صعب . لأن المفاوض الإسرائيلى مساوم في المقام الأول . مراوغ من المقام الأول . وهو يريد أن يحصل على أى كسب حتى ولو باثارة ملل الطرف الآخر على المائدة ..

والوفد المصرى يرأسه وزير الدفاع الفريق كمال حسن على . وفيه الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية . والسفير أسامة الباز وكيل الخارجية . والدكتور عبد الله العريان سفير مصر بسويسرا . واللواء طه المجدوب وعدد آخر من المستشارين العسكريين . والتشكيل بهذه الصورة يقابله تشكيل مماثل على الجانب الآخر حيث يوجد عزرا وايزمان وزير الدفاع وموشى ديان وزير الخارجية .. ومعنى هذا أن المفاوضات تمضى في اتجاهيها السياسى والعسكرى معا . وهو أمر يختلف عن الأسلوب الأول في التفاوض بين مصر واسرائيل حين قسمت الموضوعات بين سياسة تتولاها لجنة سياسية وعسكرية . ولا أربط بين اجتماع هذه وتلك . والميلاد للمعاهدة يتم دفعة واحدة .

وقد كانت توجيهات الرئيس أنور السادات للوفد المصرى واضحة . قال : « إن تعليماتى المحددة هى أن يكون أساس المفاوضات الحفاظ على السيادة واستعادة الأرض . وأن تكون الاتفاقية نموذجا لاتفاقيات أخرى تؤدى إلى السلام العادل والدائم ..

وتليت في جلسة الرئيس مع الوفد بنود الاتفاقية التى أعدها الجانب المصرى . وبحث الرئيس خرائط الإنسحاب وجدوله · وأبدى ملاحظاته ·

قد دارت العجلة .. لنهر السلام هدير يجرف ما أمامه · كارتر الضامن موجود وهو ضمير الاتفاقية .. نية السلام عند الطرفين قائمة .. ولهذا لن تتوقف العجلة التى بدأت الدوران ..

المؤتمر المالى للتصدى !

والنظرة على الساحة العربية تجعل الريق يتحلب مرارة .. وتضع في الحلق غصة ! ·

في الفيجارو الفرنسية قرأت : « كانت لمبادرة السادات أبعاد لا تقدر بثمن في الغرب . سواء في الدوائر المسيحية أو في المجتمع اليهودى الذى يكفل لاسرائيل بقاءها خاصة في الجالية اليهودية في أمريكا .. فمنذ هذه الزيارة لم تعد المشكلة الاسرائيلية تطرح بنفس الطريقة في الضمير الغربى وفي الرأى العام الأمريكى . ولم تدرك الأمة العربية كم هى مدينة لهذه المبادرة التى لم يسبق لها مثيل في التاريخ » ..

حقا لم تدرك الأمة العربية كم هى مدينة لهذه المبادرة · فقد تفرقت بين دول صديقة لا تتردد في اعلان مواقفها مع مصر مثل السودان والمغرب والصومال وعمان . ودول معتدلة كالسعودية والكويت واليمن الشمالية والامارات وقطر والبحرين وجيبوتى

وتونس وموريتانيا . ودول مترددة كالأردن ولبنان .. ثم دول العداء والغدر وهى ليبيا وسوريا والجزائر واليمن الجنوبية .. ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وأول اتهام ساقه هؤلاء الأعداء لمصر أنها بمبادرة السادات مزقت العرب . وبنظرة على الساحة العربية تجد أن التمزيق جاء منهم ، وأنهم هم الأخوة الأعداء فيما بينهم . لأن احنهم مزقت الصف العربى قبل المبادرة بزمن . وزادته تمزيقا بعد المبادرة . ولم تستطع جهود الإتحاد السوفييتى تجميعهم في عصبة واحدة .. أو عصابة واحدة ضد مصر أو أن تنهى الخلافات فيما بينهم . ومن هذه الخلافات ما طفح فوق السطح عندما التقوا في دمشق بعد توقيع اتفاقية كامب دافيد . فقد كشفت سوريا عن دورها التقليدى .. دور المرابى الذى يستثمر ما يسميه وقفته وحده أمام اسرائيل ليجمع النقود من أثرياء العرب . فقد رفض القذافى طلبات سوريا وقال بحدة لحافظ الأسد :

ـ لقد دفعنا الكثير ولكن المال يضيع سدى . وأنت يا أسد ألم تعد بأن تجعل في لبنان مائدة نظيفة . وأن تخليها من تلك المجموعات الفاشية والمليشيا المسيحية .. ولا تزال هذه المجموعات موجودة ؟

وطلب ياسر عرفات مزيدا من الدعم .. فانبرى له القذافى قائلا :

ـ لقد اعطيناكم ١٥٠ مليون دولار فماذا فعلتم بها .. لسنا بنكا .. إننا لا نزود الأمراء السوريين . ولا الفنادق والعمارات التى تبنيها منظمة التحرير .. ومع ذلك فأنت تطالب بـ ٢٢٠ مليون دولار . وتقول لنا أن دول الخليج الرجعية والسعودية تدفع أكثر من ذلك » ..

وحتى عندما جرى الإتفاق على اقامة جبهة صمود مسلحة وافقت الجزائر على دفع ٣٠٠ مليون دولار لكل من سوريا والمنظمة سنويا .

ووافقت ليبيا على دفع ٦٠٠ مليون دولار لكل منهما ..

ولكن علق بومدين والقذافى موافقتيهما على موافقة المجالس الشعبية والثورية في دوليتهما ..

وهذا تعليق على شرط مضحك . لأن بومدين يحكم الجزائر بسلطان مطلق . وفي ليبيا ليس ثمة صوت غير صوت القذافي !

مؤتمر الصمود في دمشق كان مؤتمرا « ماليا » بحتا . أرادت منه سوريا الإثراء على حساب كامب دافيد !

الصراعات من صنعهم !

وقد قلت إن التمزق العربى من صنع دول الصمود والرفض وليس من صنع مصر ..

● فالصراع في الصحراء المغربية مؤامرة جزائرية . وقد حاولت الجزائر عدوانا على المغرب في الأيام الأخيرة كأنها تؤكد إنها صانعة التمزق في المغرب العربى .

● والصراع بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية صراع من صنع الأخيرة التى أصبحت دمية سوفييتية تهدد بها منابع البترول في الجزيرة العربية .. وقد اتخذ هذا الصراع شكلا داميا لم تعرفه الساحة العربية من قبل .. حين قتلت اليمن الجنوبية رئيس اليمن الشمالية .

● والصراع بين العراق وسوريا أخذ صورة دموية . ومحاولة الصلح بينهما على يد جلود باءت بالفشل . ولهذا كان مزايدة رخيصة ما أعلنته العراق من استعدادها لوضع قواتها على الحدود السورية في مواجهة العراق لأن سوريا تخاف بعث العراق بنفس المقدار الذى يخيفها جيش اسرائيل !

● والصراع في لبنان سورى .. قد بلغ حد المذابح وحمامات الدم . وأصبح لبنان مرثية لا يكفيها دمع . ومأساة لا يجدى فيها عذاب ..

سوريا ملوثة اليد بدماء الابرياء في لبنان · سوريا التى تطمع في امبراطورية بعثية تبدأ بنيانها على أشلاء شعب لبنان الذى تشرد في أوربا وفي الدول العربية مثلما تشرد الفلسطينيون عندما داهمهم الاسرائيليون ·· تماما ·· تماما ·· فلا فرق بين تشرد وتشرد ·· مادام الهدف هو الهروب من الموت ··

وقد أصمت سوريا اذينها عن نداءات وقف اطلاق النار ·· تستأسد على لبنان ، وتجثو على قدميها عندما هاجمت اسرائيل جنوب لبنان !

● والصراع الفلسطينى يدمر القضية الفلسطينية ·· ووراء هذا الصراع ليس فقط أيديولوجيات تحرك بعض المنظمات كالدمى ، بل العراق مرة ·· وسوريا مرة أخرى ·· وليبيا مرة ثالثة ، فهذه الدول مزقت منظمة فلسطين ·· مزقتها حتى جعلت أسلحتها تتحول إلى الصدور الفلسطينية ·

مصر ليست شريكة في أى من هذه الصراعات ·· مصر بذلت وتبذل كل جهدها للوساطة في كل صراع حين كانت الوساطة متاحة ، مصر لم تلوث يدها بدم ، ولاورطت نفسها في مذبحة ·· من يدعون صداقة الفلسطينيين والحرص عليهم كانوا الجلادين لهم هذا تاريخ معروف ·· ومن عجب أن الفلسطينيين ينسون إساءة المسىء ·· ينسون رصاصة الغدر ولا يتذكرون يد الرحمة ولمسة الحنان ·

في ابريل ١٩٧٨ التقيت في واشنطن بمجاهد فلسطينى أعتز بصداقة قديمة تربطنى به · وأعرف أنه أحد مستشارى ياسر عرفات ، وقد أوفده ياسر ليحاول لقاء مع كارتر ·· أو مع فانس ·· ولكن أحدا في الولايات المتحدة لم يمكنه من ذلك ·· لأن أزمة الثقة بين كارتر والمنظمة كانت مستحكمة بعد أن وسط ياسر أحد رجال

الكونجرس عند كارتر من أجل بدء المفاوضات مع المنظمة . ووعد كارتر بأن يفعل .. إذا اعترفت المنظمة بقرار ٢٤٢ لأنه أساس التسوية شرعا وعدلا . وإذا عدلت ميثاقها وحذفت مسألة افناء اسرائيل .. وفي الوقت الذى بدأت فيه الادارة الأمريكية تعد العدة للقاء أمريكى فلسطينى خرج ياسر عرفات بهجوم عنيف على كارتر ..

صديقى الفلسطينى كان في واشنطن . وكان حزينا لأنه وجد كل الأبواب مغلقة في وجهه .. وقد أتصل بعدد من الأمريكيين القريبين من البيت الأبيض .. ودار حواره معهم حول الدولة الفلسطينية .. فسمع ما لم يتصوره . سمع أن أول من يعترض على اقامة هذه الدولة .. سوريا .. وتليها الأردن ..

وكتب هذا في تقرير لعرفات ..

وهكذا جبهة الجحود والتعدى . تعلن ما لا تبطن . وتزيف على شعوبها .. ولكن أحدا لا يستطيع أن يزيف على التاريخ ..

ومن الأمور التى علمتها وأنا في واشنطن أن سوريا لم تقطع اتصالاتها بالولايات المتحدة . وهى اتصالات سرية . وقد زادت هذه الاتصالات كثافة بعد كامب ديفيد . وكل ما تريده سوريا أن تحصل على شىء أكثر مما حصلت عليه مصر .. وهى تتصور أن اتصالاتها ستبقى في طى الكتمان إلى الأبد . لا تعرف أن للحوائط أذانا .. ولا تعرف أن الدول الكبرى تقول لبعضها البعض .. وتتصارح .. لأنها تعيش في ظل وفاق يهم شعوبها أكثر مماتهمهمسوريا ..

متى ينهون ضياعهم ؟

إن دول الجحود والتعدى تريد أن تجمع قمة عربية .. حبذا لو فعلت .. وحبذا لو وضعوا في جدول الأعمال دراسة أوراق كامب ديفيد دراسة موضوعية .. بلا مزايدة .. إنهم لو فعلوا فسوف يجدون طريقا

إلى المستقبل . وجسرا إلى السلام القائم على العدل . وسبيلا إلى فلسطين والعودة مهما طالت بالطريق فترات الانتقال .. أو موائد المفاوضات ..

والمنظمة الفلسطينية مطالبة بأن تستمع إلى أصوات العقلاء في داخلها . العقلاء الذين يتهامسون بأن في اتفاقية كامب ديفيد بداية طيبة وأول طريق .. الذين يقولون كما قال الكاتب الامريكى جورج كرافت : « لقد حصلت أغلبية الدول على استقلالها انطلاقا من قاعدة أقل من ذلك بكثير » .. أما أموس ايلون فهو كاتب اسرائيلى يحب العرب . ويؤيد الحق الفلسطينى . ولكنه يرى أن العرب عاطفيون شديدو الإنفعال ، ويحبون الرفض . ولهذا كتب يقول :

ـ « لو لم يكن العرب قد رفضوا المقترحات البريطانية بتشكيل مجلس تشريعى فلسطينى لأصبح اليهود في أفضل الأحوال أقلية في اطار عربى عام شأنهم في ذلك شأن المارونيين في لبنان . ولو كان العرب قد وافقوا عام ١٩٣٧ على تقرير لجنة بيل الذى كان يقترح تقسيم فلسطين إلى دويلة يهودية صغيرة من طراز دانزيج ودول عربية كبيرة لربما تمكنوا من دمج المنطقة اليهودية المستقلة ذاتيا خلال جيل واحد . ولو كان العرب قد قبلوا اقتراح لجنة وودهيد عام ١٩٣٨ الذى ينص على استقلال ذاتى يهودى محدود .. أو الكتاب الأبيض في عام ١٩٣٩ . أو مشروع عام ١٩٤٦ الذى يقضى بعدم قبول أكثر من ١٠٠ ألف مهاجر يهودى . أو مشروع التقسيم الذى قدمته منظمة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ .. أو خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ . أو حتى الوضع الذى كان قائما عام ١٩٦٦ .. لو .. ولو .. ولو .. ومن رفض إلى رفض تدعمت اسرائيل واتسعت » ..

وأنا أقول إن السادات يقدم للفلسطينيين فرصة ذهبية .. لاستعادة الأرض والعودة .. ولو رفضوها .. كما يقول أموس ايلون فإنهم يضيعون أغلى الفرص جميعا .. إن موائد المفاوضات في بلير هاوس ينقصها الوفد الفلسطينى .. فهل ينصلح حال الجاحدين والمارقين ويتركون الفلسطينيين يتدبرون أمورهم . ويستعيدون أرضهم .. وينهون ضياعهم ؟ .

١٤ـ السلام معركة بين الولايات المتحدة واسرائيل

● في ١٢ اكتوبر وقف الرئيس الامريكى جيمى كارتر في القاعة الشرقية من البيت الابيض يقول للوفدين المصرى والاسرائيلى اللذين دعاهما الى واشنطون للتفاوض من اجل انجاز اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل ·

ـ « منذ أقل من شهر ·· في هذه القاعة بالذات خلق السادات وبيجين فرصة لاقامة السلام الحقيقى . وسوف تكون محادثات بلير هاوس التى تجرى بينكما الخطوة الحيوية لترجمة وثيقة كامب ديفيد الى سلم حقيقى · اننا لم نحل كل المشاكل . ولا أزلنا كل العقبات . ولكن المبادىء والاجراءات قد وضعت لحل مشاكل المفاوضات الصعبة » ·

وهكذا بدأ فصل آخر في ملحمة « السلام الصعب » بين مصر واسرائيل ـ في البداية كان كل شىء يوحى بأن الامور تسير على ما

يرام . مشكلة هنا أو مشكلة هناك لا تهم فارادة السلام قائمة عند كل الاطراف . واقول الاطراف لان الطرف الامريكى كان ممثلا في المفاوضات منذ الاجتماع الاول . لان وثيقة كامب ديفيد وجهود الرئيس أنور السادات انهت سنوات التردد الأمريكى في شأن الدور الذى تلعبه أمريكا في القضية وأصبحت امريكا هى الشريك الكامل في المفاوضات . وهذا ـ على حد تعبير شولومو سلومين في مجلة تصدرها مجموعة من الاساتذة الامريكيين اليهود عن قضية السلام في الشرق الاوسط ـ هو الصلب الحقيقى لسياسة السادات عند مدرسة من الفكر الصهيونى تعتقد ان السادات لكى يجرد اسرائيل من اهم اسباب قوتها سعى الى تحييد امريكا وقد نجح .

وقد بدأت المفاوضات في « بلير هاوس » على طريقة كامب ديفيد قدم كل طرف من الطرفين مشروعه ولم يكن من سبيل لان توافق اسرائيل على مشروع مصر . ولا كانت من وسيلة لاقناع مصر بمشروع اسرائيل . وقد ثارت أول ازمة عندما طلبت مصر ربط معاهدة السلام بالوضع في الضفة الغربية وغزة وبالحل الشامل لان مصر تعالج قضية السلام ككل وطلبت مصر الا يكون التمثيل الدبلوماسى بينها وبين اسرائيل على مستوى السفير لانه يمكن ان يحقق اغراضه على مستوى اقل .

وقد جرى ديان الى كارتر يشكو اليه الفريق كمال حسن وزير الدفاع والدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية وكان باب كارتر مفتوحا لانه قال منذ البداية انه مستعد للتدخل لحل اى خلاف وبينما اراد أن يوهم الصحفيين بأن المتاعب بدات أصر كارتر على ان ما يجرى امور روتينية . وبأنه ليس في الموقف أزمة حتى لو صور ديان الموقف على أنه كذلك .

وقد كان تصريح كارتر هذا في الطريق .. عندما حاصره الصحفيون وهو يعبر شارع بنسلفانيا الذى يقع البيت الأبيض على ضفة منه ويقع بلير هاوس قصر الضيافة الامريكى الرسمى على الضفة الاخرى وكان كارتر قد ذهب الى القصر لكى يتناول طعام الغذاء مع الوفود الثلاثة مجتمعة ·

وفي هذا اللقاء قال ديان لكارتر :

- ان الموقف في مباحثات الوزراء ليس مثل الموقف في كامب ديفيد حيث القمة تستطيع التفاوض وهى متحررة من القيود ·

وكان ديان يفرش طريقا للمستقبل .. ليقول بعد ذلك انه غير قادر على الاستمرار لان صلاحيته دون الامور الجسيمة التى تعالجها المفاوضات ·

المتشائمون والمتفائلون !

وفي يوم الخميس ١٩ اكتوبر بعد اسبوع من بدء المفاوضات قدمت الولايات المتحدة مشروع معاهدة سلام لوضعه في الاعتبار . وهو بالضبط مثل الذى حدث في كامب ديفيد · وقد وصف جورج شيرمان المتحدث باسم الوفود الثلاثة والذى كان يعقد مؤتمرا صحفيا يوميا في الخارجية الامريكية وصف مشروع المعاهدة الامريكية بانه يغطى كل المسائل الرئيسية للمعاهدة المقترحة . وتضمن نقاطا اخرى جرى الاتفاق عليها كمبدأ ولكن صياغتها لم يتفق عليها ·

وبدا كل من الطرفين المصرى والاسرائيلى في دراسة المشروع الامريكى · وقد التقى كارتر بالجانب الاسرائيلى مساء الجمعة ٢٠ اكتوبر وعاد ليلتقى بالجانب المصرى صباح السبت التالى · وفي هذا اليوم بالذات اجتمعت الوفود الثلاثة لمدة أربع ساعات ونصف الساعة . وقال جورج شيرمان بعد الاجتماع أن الاطراف وافقت على النقطتين

الرئيسينين في الخلاف .. وهما الربط بين المعاهدة والضفة والحل الشامل . واقامة علاقات دبلوماسية على مستوى السفارة ٠

وبعد هذا التصريح تنفس المتفائلون الصعداء وقالوا :

ـ كسبنا الرهان ٠ ان مشروع معاهدة السلام اصبح قاب قوسين او ادنى من الميلاد ٠

ولكن الوفد الاسرائيلى قام بعملية درامية جعلت المتشائمين يقولون :

ـ هكذا ديان ـ لم يخيب ظننا فيه ٠ فقد اعلن موشى ديان انه سوف يطير الى القدس لكى يقنع الحكومة الاسرائيلية بالموافقة على الاتفاقية ولم يكن هذا في حسبان الوفدين الامريكى والمصرى فقد وفرت امريكا خطا ساخنا بين واشنطون والقاهرة وخطا ساخنا بين واشنطون والقدس وكان الوفد المصرى على اتصال يومى بالرئيس انور السادات وحين تطلب الامر اخذ رأى الرئيس السادات في مشروع الاتفاقية الذى اعد فعلا طار اسامة الباز الى لندن ليقدم للسيد حسنى مشروع الاتفاقية لكى يعرضه على الرئيس السادات وبقى الوفد بكامل هيئته في فندق ماديسون في انتظار رد الرئيس المصرى اما كارتر فقد قدم لموشى ديان وعيزرا وايزمان طائرته الخاصة لكى يطيرا بها الى القدس فيضمن عودتهما عليها ٠

وبدا التدرج في تصريح ديان وهذه هى اوراقه القديمة التى لعب بها في مفاوضات القدس في يناير ١٩٧٨ فافسد كل شىء قال ديان حينما وصل للقدس :

ـ ان اكثر المسائل حلت ولكن هناك مسائل جوهرية لم تحل ... ان معاهدة السلام ليست جاهزة للتوقيع ٠

ثم قال :

ـ ان المعاهدة المصرية الاسرائيلية تقف على قدميها بعيدا عن الضفة الغربية وغزة ولكن مصر واسرائيل ملتزمتان بمقتضى وثيقة كامب ديفيد باجراء مفاوضات عليهما ٠

وهكذا اوحى ديان للشعب الاسرائيلى بان قضية الربط لم تحل والواقع كان غير ذلك بشهادة المتحدث الرسمى باسم الوفود الثلاثة وبشهادة الاوراق المكتوبة بعد لقاء السبت الطويل وقد ادرجت تصريحات ديان في القدس على انها للاستهلاك المحلى ولتفادى المعارضة في مجلس الوزراء ٠

وقد احس كارتر بالخطر حين طار الوفد الاسرائيلى الى القدس ولهذا ارسل خطابا الى بيجين ليقبل المشروع الامريكى كما جرى الاتفاق عليه بين الاطراف ٠

ولم تقل الصحف الامريكية ـ واكثرها يمشى في فلك الفكر الصهيونى ... ان سفر الوفد الاسرائيلى بفتح الا بواب للمتاعب ويخرق سرية ما دار في بلير هاوس ويقود الى التصريحات العلنية المتشددة وحرب الكلام الصحف الامريكية الموالية لاسرائيل واشهرها « الواشنطون بوست » التى صورت الرحلة على انها شىء عادى ونفس الصحيفة الفت الشكوك حول رحلة من نفس النوع جرى التفكير فيها يعود بها بعض الوفد المصرى الى القاهرة للتشاور بعد التصريحات الطائشة من كل الافواه المسئولة في اسرائيل فماذا حدث في اسرائيل ؟ ماذا حدث ؟

المعارضة والغضب !

جنون التعصب الاسرائيلى ثار مرة اخرى ٠ ريح صرصر عاتية هبت من القدس وارادت ان تحطم بلير هاوس وتدق البيت الابيض وتقتل حمامة السلام التى بدأت رحلتها المامولة في الشرق الاوسط ٠

الحكاية ان معاهدة كامب ديفيد ـ كما يقول المعلقون هنا ـ كانت فخا وقعت فيه اسرائيل وقد احس بيجين بالفخ بعد عشر ساعات من التوقيع على الاتفاقية فقال لبربارا والترز فى أول حديث له صباح الاثنين ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ومداد توقيعه على وثيقة كامب ديفيد لم يجف ان فترة تجميد المستوطنات في الضفة الغربية وغزة هى ثلاثة اشهر وهى مدة المفاوضات بين مصر واسرائيل من اجل التوصل الى معاهدة سلام بينهما . وكانت هذه مغالطة بحجم كل مغالطات بيجين السابقة مجتمعة لانه قذفها والزمن قصير لا يترك لذاكرة الناس ان تنسى وتفسيرات كامب ديفيد واضحة في الاذهان لم تضع بعد في تلافيف الزمن ثم ان النص موجود وفي حالة الخلاف بين الكلام المرسل والنص يغلب النص .

وقام كارتر بدوره خير قيام في ذلك الوقت حين اعلن ان معاهدة كامب ديفيد تنص على وقف المستوطنات لمدة خمس سنوات هى الفترة الانتقالية التى تجرى خلالها اقامة الحكومة الذاتية في الضفة الغربية وغزة ثم يجرى التفاوض على مستقبلهما وما عليهما من مستوطنات وسكان مستوطنات .

وأرغى بيجين وازبد واطلق الف تصريح وقيل وقتها ان هدفه الاول هو امتصاص غضب المتطرفين في داخل إسرائيل .. الذين يعتبرون وثيقة كامب ديفيد شركا وقع فيه بيجين .. وانشغل بيجين بعد ذلك بتقديم الوثيقة الى الكنيست وقد لقى من الاقلية معارضة كادت تبرر له تصريحات الاستهلاك المحلى التى اطلقها غداة التوقيع على الوثيقة وحصلت الوثيقة على تأييد الكنيست باغلبية كبيرة فاسترخت اعصاب بيجين واحس بانه يخرج لسانه لعدوه القديم بن

جوريون الذى حقق انتصار الحرب فان بيجين حقق انتصارا اهم وهو انتصار السلام ٠

وتجمد الحديث حول المستوطنات في الضفة وغزة ٠

ولكنه بعد ان عاد ديان ووايزمان الى القدس انطلق الحديث عنها بعصف محموم ٠ وكان السبب الظاهر ان في مجلس الوزراء ثمانية من بين تسعة عشر وزيرا يعارضون مشروع معاهدة السلام او على وجه التحديد يعارضون ربط معاهدة السلام بالضفة الغربية وغزة بالحل الشامل ٠

ولهذا تصبح الاغلبية التى يعتمد عليها بيجين في مجلس وزرائه هشة ولان كل وزير في مجلس الوزراء ينتمى لحزب ما أو كتلة ما في الكنيست ولان الكنيست هو في النهاية جهة التصديق النهائى على الاتفاقية فان الاغلبية الهشة قد لا تستمر اغلبية اذا وصل الامر للكنيست والمعروف ان الكنيست اذا رفض المعاهدة فان معنى هذا ان يطرح الثقة ببيجين ٠٠ فيسقط بيجين ٠

من اجل هذا ٠٠ من اجل ان يصون بيجين موقفه قاد مظاهرة التشدد ٠٠

وقد نوقشت بنود مشروع اتفاقية السلام التسعة في ثلاث جلسات لمجلس الوزراء الاسرائيلى استغرقت في مجموعها سبع عشرة ساعة من ايام الاحد والاثنين والثلاثاء ٠

وقد وصف احد الوزراء هذه المناقشات بانها اخطر ما واجهه الوزراء منذ تشكيل حكومة بيجين وقال سمحا ارليخ وزير المالية الاسرائيلى ، ان مسئولية جسيمة تقع على عاتق الحكومة وكل عضو في مجلس الوزراء بهذه الاتفاقية وقال ايجال يادين نائب رئيس الوزراء انها معاهدة سلام تجيء بعد ثلاثين عاما من الحروب ونحن لا نوقع

كل يوم على معاهدة سلام وقال ايضا وليست هناك مشكلة رئيسية لاننا ابقينا على روح كامب ديفيد وقال بيجين ان المناقشة طويلة ولا بأس من أن تكون كذلك فاننا نقرر مصير اسرائيل وقال اعضاء اللجنة الخارجية ولجنة الدفاع في الكنيست الاسرائيلى وقد عرض عليهم مشـروع الاتفاقية « أن صخرة الاصطدام فى المعاهـدة هى موضـوع الربط بينها وبين الضفة وغزة » .. أما يهودا بن مائير عضو الحزب القومى الدينى فقد قال : « اننا دفعنا ثمنا غاليا من اجل السلام مع مصر . ان الربط بين الضفة الغربية وغزة والمعاهدة يهددنا تماما » .

وكان ان ادخل مناحم بيجين تعديلات بخط يده على مشروع معاهدة السلام وجرى التصويت عليها بعد ذلك فظفرت بسبعة عشر صوتا من تسعة عشر صوتا .

ارفعوا ايديكم عن سوندرز !

ليست هذه هى الطامة .. فان ما يدخل مطبخ المفاوضات قابل للتفاوض ولكن الطامة كانت حين صرح بيجين بان اسرائيل سوف تمضى في توسيع المستوطنات فتبنى ٤٠٠ وحدة جديدة تتكلف ١٦ مليون دولار وتاوى الف اسرائيلى فيزيد عدد المستوطنين من سبعة آلاف الى ثمانية آلاف وقال بيجين ايضا انه مع ديان سوف ينقلان مكتبيهما الى القدس الشرقية تدعيما لحقهما في القدس الشرقية وتأكيدا لمفهوم التوراة من ان القدس قلب اسرائيل والقلب لا يتجزا .

وكانت هذه التصريحات الاخيرة مبالغة لا يحتملها الموقف ومفاجأة لم تكن في الحسبان

فقد ذهب ديان ووايزمان الى القدس من اجل مراجعة نصوص مشروع المعاهدة وكان كل ما دار في واشنطون يوحى بان الريح

رخاء والسفينة تمضى الى شاطىء السلام الحقيقى . فماذا حدث في اسرائيل ؟ ماذا حدث ؟

اقول لك :

زار هارولد سوندرز مساعد الخارجية الامريكية للشرق الاوسط الملك حسين في عمان ليقدم له الردود الامريكية على اربعة عشر سؤالا وجهها الملك حسين لكارتر حتى يقرر بعدها اذا كان سيدخل ساحة المفاوضات على مبادىء كامب ديفيد او لا يدخل .

وانهى سوندرز هذه المهمة في يومين فعبر جسر اللنبى الى القدس وفوق هذا الجسر استوقفه الصحفيون ليسألوه عن طبيعة مهمته فقال : - ان هذه هى ايام الفرصة الطيبة لكى يشارك كل طرف في القضية وعلى كل واحد ان يفهم جيدا ان من الفرص مالا يترك لمجرد التعلل بسوء الفهم أو نقص المعلومات وكان سوندرز يعنى مايقول لان الاربع عشرة اجابة التى يحملها في حقيبته كانت مذكرة تفسيرية لموقف وثيقة كامب ديفيد من الضفة الغربية وغزة بل وبين سوريا واسرائيل وبين لبنان واسرائيل .

وفضلا عن هذا فان الاجابات تحدد الموقف الامريكى من كل هذه المسائل .

وفي القدس التقى سوندرز باعيان الضفة الغربية وغزة وقد اعتمد فى طلب اللقاء على ان له مأثره قديمة فهو اول من كتب وثيقة في الخارجية الامريكية تطالب امريكا بسياسة واقعية مؤداها انه لا لاحل لقضية الشرق الاوسط اذا اصرت الولايات المتحدة على تجاهل قضية الشعب الفلسطينى .

وقد أثارت هذه الوثيقة حملة صهيونية ضارية على سوندرز . ويقال أن هذه الوثيقة كانت احد اعمدة تقرير معهد بروكنجز . ذلك

التقرير الذى قال أن على الولايات المتحدة أن تتدخل بين مصر واسرائيل بشكل جدى لحل القضية . وأن قضية الشعب الفلسطينى يجب أن تكون محل الاعتبار الأول .. والمعروف أن بريزنسكى مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى كان أحد خمسة عشر كتبوا هذا التقرير وأنه اقنع كارتر باعتناق التقرير أساسا لسياسته الخارجية ولهذا تعرض بريزنسكى مثل سوندرز لحملة صهيونية ضارية .

وقد لمس سوندرز موضع الجراح الصهيونية القديمة حين ألتقى بأعيان الضفة الغربية وغزة وشرح لهم وثيقة كامب ديفيد مؤكدا أنها تجمد أنشاء المستوطنات لخمس سنوات هى فترة الأنتقال وأن القدس الشرقية عربية لانها جزء من الضفة الغربية حين احتلتها اسرائيل سنة ١٩٦٧ . وأن مصير المستوطنات في الضفة الغربية وغزة سيكون موضع التفاوض .

قال هذا سوندرز بالجملة ..

وبدا الهجوم على سوندرز وكانت تصريحات بيجين ردا على ما قاله سوندرز وتصدى فانس لهذا الهجوم فصرح بأن سوندرز ذهب الى القدس وألتقى بأعيان الضفة الغربية وغزة في إطار كامب ديفيد وفي حدود مهمة رسمية ناب فيها عن فانس شخصيا .

وقال فانس وهو يضغط على مخارج الحروف :

ـ أن سوندرز رجل خارجية متميز ومرموق . وقد أمضى عشر سنوات تمرس فيها بكل مشاكل الشرق الأوسط وكسب خبرة كبيرة وأنا أثق فيه ثقة مطلقة .

من « يلوى » ذراع كارتر ؟!

عاد ديان ووايزمان الى واشنطون وصرح ديان وهو يهبط في

قاعدة أندروز الجوية بأن التصريحات الأسرائيلية حول توسيع المستوطنات « أمور مما لا يجرى الاعتذار عنها » وأصدر فانس بيانا يندد فيه بالتصريحات الاسرائيلية وأرسل كارتر خطابا شديد اللهجة إلى بيجين يؤكد له فيه أن التصريحات عن توسيع مستوطنات الضفة الغربية وغزة تشكل عقبة في طريق السلام .

وفي هذه الاثناء وبهدوء كامل وثقة بالنفس مطلقة كان الرئيس أنور السادات قد راجع مع الدكتور مصطفى خليل والسيد حسن التهامى والدكتورة آمال عثمان مشروع الأتفاقية الذى جاء به السيد حسنى مبارك وابدى عليه الرئيس ملاحظاته . فطلب أن تكون صياغة الربط بين المعاهدة والضفة الغربية وغزة والحل الشامل أكثر وضوحا وحسما .. بينما أرادا مجلس الوزراء الاسرائيلى الا تكون البته أو أن تكون باهتة متوارية يمكن لاسرائيل أن تغالط فيها أو تزيف عليها .

ولكن عندما أشتد سعار التصريحات الاسرائيلية حول توسيع مستوطنات الضفة الغربية وغزة بدأ الكلام من القاهرة حول طلب الفريق كمال حسن والدكتور بطرس غالى للتشاور .. ساقه التليفزيون الأمريكى على شكل حوار مع الدكتور مصطفى خليل الذى كان حريصا عندما قال :

« أننا سندعوهم للتشاور وليس للانسحاب »

ورغم هذا الوضوح فقد قلت قبلا أن صحيفة الواشنطون بوست صورت التشاور على أنه بداية انسحاب رسمى من المفاوضات وأشهدى يا دنيا واشهدوا يا يهود العالم وأشهد يا كونجرس على أن مصر هى التى تعد لنسف مسيرة السلام .

وكنت في أعماقى احس أن هذه العودة للمشاورات لن تتم فأننى أعرف أن مصر محددة المطالب . وعندها وضوح رؤية . وعندها التزام بشرف الكلمة أو بشرف ما وقعته في كامب ديڤيد ٠

والذى حدث أن كارتر سمع بنبأ عودة الوزيرين المصريين للقاهرة للتشاور وكان خارج واشنطون في جولة انتخابية وقد أتصل بفانس يسأله عن صحة الخبر . وكان فانس في اجتماع مع الجانب المصرى مساء الجمعة ٢٧ أكتوبر بعد أجتماع الصباح الصاخب الذى عقده مع الجانب الاسرائيلى العائد من القدس بأعصاره وعفاره . وقد سأل فانس الفريق كمال حسن والدكتور بطرس غالى :

ـ هل تلقيتما من القاهرة توجيها بالعودة ؟

فأكدا « الفريق والدكتور » أنهما لم يتلقيا بعد شيئا . وهنا قال فانس لكارتر الذى كان ينتظر على الخط :

ـ أرجوك أن تفعل شيئا فهذا شيء خطير

ففانس يعرف أن السادات اذا خطا خطوة فأنه يعنيها وفانس كان في الاجتماع حين تحدث مصطفى خليل في التليفزيون الأمريكى وشرح الفرق المطمئن بين الدعوة للتشاور والعودة أنسحابا ٠

ولم يكن كارتر كما قلت في البيت الأبيض ولا كان في واشنطون ٠ كان في جولة أنتخابية في ولايات الشمال الأمريكى يدعو لمرشحى الحزب الديمقراطى وعلى اثر مكالمته مع فانس كتب الرئيس كارتر خطابا عاجلا للرئيس السادات يناشده فيه الا يطلب الوزيرين المصريين الى القاهرة ٠ وقد رأيت كارتر على شاشة التليفزيون الأمريكى مساء السبت أى بعد ٢٤ ساعة من خطابه الى

السادات يقول للجمهور الأمريكى المحتشد لاستقباله :

ـ أننى خاطبت الرئيس السادات ليبقى وفده في واشنطون .. وقد قبل .

وسرت موجة عالية من التصفيق . لا بد أن تعرف أن نجاح كارتر في كامب ديفيد احد عناصر النجاح المرتقب للحزب الديمقراطى . بل هو صلب النجاح المنتظر اذا تقدم لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام ١٩٨٠ .

وحكاية الأنتخابات مصيدة يتصور الأسرائيليون أنهم يستطيعون أرهاب كارتر بها أو « لوى » ذراعه .

فالانتخابات الأمريكية تجرى يوم ٦ نوفمبر الحالى . ولا شك أن رصيد الحزب الديمقراطى يرتفع بالنجاح في التوصل الى معاهدة السلام بين مصر واسرائيل لانها الترجمة الحقيقية أو الخطوة العملية لتنفيذ وثيقة كامب ديفيد . ومن هنا فمن المعلقين السياسيين من يقول أن اسرائيل ليست سعيدة باستدراج كارتر لها الى كامب ديفيد وهى تريد أن تنتقم منه بتبديد رصيده الذى يتقدم به للانتخابات بعرقلة مسيرة السلام حتى يفقد كارتر أهم أوراقه . أو حتى ينتهى كارتر كسياسى فتعود اسرائيل الى التحلل من التزامات كامب ديفيد التى أصبحت بها كمن أنحشر في حلقه موسى لا هو قادر على إخراجه ولا هو قادر على ابتلاعه .

اسرائيل تساوم !

ولاشك أن كارتر حريص على ان تنتهى الاطراف من معاهدة السلام والتوقيع عليها بالاحرف الأولى قبل ان تبدأ الانتخابات الامريكية . هذه حقيقة تدركها اسرائيل ولهذا بدأت شيئا اخر لابتزاز امريكا وابتزاز كارتر .

هذا الشيء هو المقابل المادى للسلام . أو ثمن السلام مترجما بالدولار . والذى حدث في كامب ديفيد عندما قام بيجين تسليم مطاريه في سيناء بدعوة ان انشاء المطارات الجديدة يتكلف الملايين .
حدث ان كارتر قال :
ـ ستتولى الولايات المتحدة بناء مطارين جديدين في صحراء النقب . وقد حدد الجانب الاسرائيلى في كامب ديفيد تكلفة المطارين بمليارين من الدولارات وقال الجانب الامريكى :
ـ نحن سنبنى المطارين بالمواصفات القائمة الان ولا عليكم من التكلفة نحن نتحملها تماما .
وهنا قال الجانب الاسرائيلى .. اعنى اليهود :
ـ بل نحن نأخذ المليارين ونبنى المطارين .
واصبح الاتفاق نهائيا فقد كان كارتر لا يريد للسفينة ان تصطدم بشيء .
وفي بلير هاوس حدث شيء شبيه . فحين بدأ الحديث عن الجدول الزمنى للإنسحاب قال الجانب الاسرائيلى : ان اعادة تسكينهم في قلب اسرائيل يتطلب تكلفة لا تقل عن مليارى دولار .
وشهق الجانب الامريكى .. هل أصبح ثمن كل لقاء مليارى دولار ؟

وأوضح الجانب الاسرئيلى ان هذين المليارين يلزمان لانشاء مساكن جديدة وطرق جديدة ومحطات انذار بدل التى ستنتهى مهمتها في سيناء . وكانت مسألة المليارات الأربعة ثمن السلام معلقة .
ويقولون ان بيجين لم يعجبه هذا التردد الامريكى . ويقولون أيضا أن تصريحاته المتشددة عن توسيع المستوطنات في الضفة الغربية وغزة

ان كان هدفها هو الاستهلاك المحلى مرحليا فهدفها الثانى هو ابتزاز كارتر ·

وقد قالت الدوائر الهامة ضاحكة أن كارتر قرر أن يعاقب بيجين على مواقفه هذه فيحدد المساعدة الامريكية بثلاث مليارات من الدولارات فقط ·

هكذا في الوقت الحرج قبل الانتخابات الامريكية · هكذا في الأيام الصعبة والاعصاب مشدودة تتقدم اسرائيل بمطالبها المالية · كل هذا والمعركة دائرة حول تصريحات بيجين والخطاب الشديد اللهجة الذى أرسله كارتر له ورفضه مجلس الوزراء الاسرائيلى وأعلن هذا المجلس أنه سيمضى الى ما قرره أى سيمضى في بناء مستوطنات جديدة ·· الخ ·

ووضح للشعب الامريكى الفرق الجلى بين السادات ومواقفه التى تعبر عن المبادىء في غير شغب وتتمسك بالحقوق دون لجوء للمهاترة · ومواقف بيجين التى تعتمد على « المبالغ » والتى تثير الزوابع والعواصف وتزكم الانوف ·

وكسبت مصر نقاطا جديدة تضاف الى رصيدها عند الشعب الامريكى والكونجرس الامريكى ·

ان وفد المفاوضات المصرى استمر في واشنطون ·· وكان الاسلوب الجديد الذى اتبعه الجانب الامريكى وهو اللقاء مع وفد على حدة تحاشيا للصدام بينها . حتى اذا ما توصل الجانب الامريكى لصيغة ترضى الطرفين في صياغة الديباجة والبنود التسعة والملاحق ·· بدأت الاجتماعات الثلاثية · ولكن طبيعة وجود الوفدين المصرى والاسرائيلى في فندق واحد هو فندق الماديسون يحتل الوفد المصرى طابقه التاسع

ويحتل الوفد الاسرائيلى طابقه العاشر ،هذا الجوار جعل لقاء أعضاء الوفود في الفندق عملية تلقائية تماما مثل الذى حدث في كامب ديفيد ·

واذا كان الجانب المصرى حريصا على السلام فانه حريص على كل ما ذهب به من مبادىء . وحريص على كل معطيات وثيقة كامب ديفيد ·

الجائزة من السماء

غير أن ريح التشاؤم هبت على الفندق الكبير وقصر بلير هاوس في شارع بنسلفانيا . لان بيجين استطرد في تصريحاته وكأنه عامد متعمد يريد أن يهدم المعبد ·· ولكن كما في الأفلام المثيرة استجد ظرف جعل المتفرجين يرون بيجين وهو يضحك على شاشات التليفزيون وكانه يؤكد أن كل انفعالاته كانت فكاهة ·

حدث ان اعلنت لجنة جائزة نوبل للسلام عن منح « ١٦٥ الف دولار » للرئيس أنور السادات الذى ذهب الى اسرائيل وحطم جدار خوف عمره ثلاثون عاما ولمناحم بيجين الذى تجاوب مع السادات فتوصل الى وثيقة كامب ديفيد ·· ووجهت آزى ليونايسى عضو البرلمان النرويجى ورئيسة اللجنة الشكر للرئيس كارتر على دوره في كامب ديفيد واعتذرت بأن هذا الدور كان في سبتمبر بينما اخر موعد للترشيح لجائزة نوبل هو فبراير من كل عام وقد اعتبر تقديم الجائزة للرئيس السادات . ومناصفتها مع بيجين . انتصارا عربيا كبيرا لان ليونايسى هذه شديدة التطرف في كراهية العرب وكل من يناصرهم حتى قيل انها حجبت الجائزة عامين متواليين عن أشخاص يستحقونها حجبتها لمجرد أنهم يتعاطفون مع العرب ·

وأرسل كارتر يهنىء السادات وبيجين . وفي الوقت الذى كان

فانس يصدر فيه تصريحاته التى يدين فيها بيجين كان يهنىء بيجين بجائزة السلام .. هذه حكاية وتلك حكاية اخرى .

وعرض التليفزيون الامريكى محادثة تليفزيونية بين السادات وبيجين حين طلب الثانى الاول لتهنئته بالجائزة ـ يفسد بيجين الاشياء ولكنه يتعلل بمواقف سريعة يريد ان يسترد بها ما فقده وهو يفسد الاشياء .

قال للرئيس أنور السادات ان الجائزة الحقيقية هى تحقيق السلام فقال لى صديق امريكى كان يتفرج على التليفزيون معى :

ـ هذا الداهية العجوز هل يعنى حقا ما يقوله ؟

كان جائزة السلام هبة نسيم ساقتها السماء لتخفف حدة الموقف. كانها رشة مطر على أرض شهدت عاصفة فأسكتت الرشة حماقة العاصفة .. وبدأ الحديث عن موعد توقيع معاهدة السلام التى يقول البعض انها ستتم حتما وتتم طبعا وتتم قطعا .. وبدأ الحديث عن موعد ذهاب السادات وبيجين الى أوسلو لتسلم الجائزة من لجنة نوبل في ١٠ ديسمبر ١٩٧٨ .

فهل يتم التوقيع قبل هذا الموعد ؟ وهل يتم في القاهرة ؟

هل يتم في سيناء مادام السادات دعا البابا جون بول الى دير سانت كاترين ؟

بيجين لا يفوته موقف كهذا . اراد ان يخطف الاضواء من دعوة مصر لكارتر ليوقع الاتفاقية وهى الدعوة التى قدمها اليه الرئيس السادات على منبر مجلس الشعب . أراد بيجين أن يخطف الأضواء فصرح للصحافة الاسرائيلية بقوله :

ـ سأدعو الرئيس السادات لتوقيع النص العبرى في القدس وأذهب

لتوقيع النص العربى في القاهرة ثم نوقع نحن الثلاثة كارتر والسادات وانا النص الانجليزى بعد ذلك ·

ماذا يبيع هذه المرة !

ان الذى يسمع تصريحات بيجين يقول ان القيامة قد قامت ولكن من يرى وايزمان وهو يتحدث بهدوء وعلى شفتيه ابتسامة يقول ان الامر غير ذلك · وعند وفد مصر الخطوط الدقيقة لما يجب ان تتضمنه معاهدة السلام من منطلق المبادىء الثابتة تربط بين المعاهدة وبقية القضية في الضفة وغزة . الجولان ولبنان . ولا تتنازل عن الحل الشامل ووفد اسرائيل يحاول التملص من هذا النص أو يحاول ان يوافق على صياغة الرد يمكن أن تنفتح · في معارك الصياغة أصبحت لنا خبرة · لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين · اننا منذ احد عشر عاما توقفنا امام قرار ٢٤٢ حين اختلفت فيه التفسيرات على الأرض شاملة أو أراض تحتمل التحديد · ان كارتر قال انه من الصعب تتبع كل بند واحكام كل سطر والسيطرة على كل كلمة وموقع كل فصلة ونقطة ولكن اذا كان هذا من أجل السلام فاننى سأفعله · ولا أستطيع ان اقول ماذا يمكن ان يحدده . ان التفاؤل قائم ولكن التعمية الاعلامية بدأت بعد أن ادى كشف اسرائيل ما دار في « بلير هاوس » الى تجميد المباحثات اسبوعا كاملا ان العودة الى السرية في نظر الحكومة الامريكية هى الشىء الكفيل بانجاز المهمة في هدوء · ولكن السرية اذا كانت مكفولة في القاعات المغلقة فان بيجين هناك في القدس يغذى بتصريحاته الغضب الامريكى . ويريد ان يستثير كارتر وهو في زنقة الانتخابات . ويريد أن يستثمر كارتر وهو في قمة الرغبة في انهاء المفاوضات · الاعيبة الكثيرة اصابت

الامريكيين شعبا وحكومة بالغثيان · وقد وصل بيجين الى نيويورك ليتسلم ليلة الخميس ٢ نوفمبر جائزة من مجلس الكنائس العالمى واوفد الرئيس السادات السيد ممدوح سالم ليتسلم الجائزة التى اعطيت للرئيس · ولبيجين في نيويورك لقاء تقليدى يقدم فيه لزعماء الجالية اليهودية في كل مرة شيئا يبيعونه للشعب الامريكى ·

وعجلة السلام دارت لا خوف عليها من المزايدة أو المتاجرة . فان وثيقة كامب ديفيد أصبحت حقيقة تاريخية تلتزم بها الولايات المتحدة قبل اسرائيل في مواجهة الولايات المتحدة ·

أرايت الى معلق امريكى قال :

ـ أنظروا ماذا فعل السادات ·· اشعلها نارا بين كارتر وبيجين وأخذ جائزة السلام وهو يتفرج على المعـــركة بين الحليفين القديمين

٤٢ ـ في مفاوضات السـلام
ليس هناك طريق مسدود

كانت بطاقات تسجيل نزلاء فندق الماديسون بواشنطن تخفى على الصحافة الامريكية سرا ! ففى يوم ١٢ أكتوبر الماضي عندما بدأت المفاوضات بين الوفدين المصرى والإسرائيلي .. ومعهما الوفد الامريكى للتوصل إلى معاهدة السلام ذهب الصحفيون يسألون ادارة الفندق عن المدة التى كتبتهاالوفود في خانة أيام الاقامة .. ورفضت ادارة الفندق ـ بتعليمات من مكتب الأمن الفيدرالى في واشنطن ـ أن تجيب على هذا السؤال ..

في الأيام الأولى رفضت .. ولكنها بعد عشرين يوما من اقامة الوفدين في فندق الماديسون قالت :

ـ ان الوفد المصرى والوفد الإسرائيلى حجزا الطابقين التاسع والعاشر إلى يوم ٣١ أكتوبر ! وضربت مفاوضات بلير هاوس وفندق الماديسون عددا من الايام أطول مما سجل كامب ديفيد . وإذا كان

كامب ديفيد قد بدأ بغير جدول أعماله .. ولهذا كان يتهدده الخطر فان مفاوضات واشنطن بين قصر الضيافة الرسمى والفندق الشهير بفندق نجوم السينما قد بدأت بأساس متين هو وثيقتا كامب ديفيد اللتين تعتبران في حد ذاتهما جدول أعمال . ومع هذا فان الطريق كان يبدو مسدودا في أيام كثيرة . والقتامة تغلف الوجوه بعد اجتماعات كثيرة . وقد مضت المفاوضات إلى شهر كامل . وهى مفاوضات وصفها لى الفريق كمال حسن على وزير الدفاع ورئيس وفد المفاوضات المصرى بقوله :

ـ هذه أول تجربة لى في المفاوضات .. فإذا كانت كل المفاوضات بهذا الشكل فاننى أؤكد لك أن المعارك الحربية ليست أصعب من معارك السلام !

والفريق مع وفد المفاوضات المصرى قد لا يحضرون عيد الأضحى المبارك في القاهرة .. سوف يمضونه هناك على « جبهة » المفاوضات . والعيد عند الفريق كمال حسن « أن نحقق لمصر شيئا .. أن نقدم لشعبها البطل هدية العيد سلاما .. لا أذكر أننى امضيت عيدا في بيتى منذ عام ١٩٦٧ لاننى باستمرار في مواقع بعيدة عن بيتى » ..

التقى فانس بالوفد الإسرائيلى بعد عودته .. ثم التقى بالوفد المصرى . ثم التقى بالوفدين معا .. وكان ذلك صباح الثلاثاء ٣١ أكتوبر . وفي هذا الاجتماع الثلاثى قدم فانس مشروعا أمريكيا سماه « المسودة النظيفة » ركز فيها على نقاط الاتفاق . ونقاط الخلاف .. وحين تحدث ديان اعترض على بعض نقاط الاتفاق . وهنا لم يتمالك فانس أعصابه فقال لديان :

ـ ماذا تفعلون .. أنتم وافقتم على هذا من قبل .. فما الذى حدث ؟

وقال ديان :

ـ أنا وكيل أعود للموكل .. والموكل في طريقه إلى نيويورك .. اذهبوا وحلوا معه كل المشاكل !

وفي هذه الاثناء حدث شيئان كانت لهما دلالتهما :

● الأول : ان البنتاجون ـ أى وزارة الدفاع الامريكية ـ أعلنت عن تأجيل رحلة دافيد ماك جريفيث مساعد وزير الدفاع وعضو البنتاجون إلى إسرائيل . والمعروف ان دافيد هذا كان سيناقش قضية الاربعة مليارات دولار التى طلبتها إسرائيل كنفقات للانسحاب من سيناء . وتوطين أهل المستوطنات الإسرائيلية فيها .. توطينهم داخل إسرائيل .. وسارع الصحفيون يسألون المتحدثين باسم البنتاجون : « هل يعتبر هذا الاجراء ضغطا على إسرائيل وهى تتفاوض » .. فرفض المتحدث أن يدخل في التفاصيل . ولكنه قال : « سيذهب خبراء اخصائيون لعمل دراسة اقتصادية على بناء المطارين .

● الثانى : ان جودى باول المتحدث باسم البيت الابيض عندما سئل : « هل سيلتقى كارتر ببيجين عندما يزور الاخير الولايات المتحدة ؟ » قال : « لا أظن ذلك . فبيجين لم يطلب هذا . وكارتر مشغول بجولاته الانتخابية . وليس هناك ما يدعو لهذا اللقاء » .

كان كارتر يرفض مقابلة بيجين ! وقبل هذا بيوم واحد ألغى كارتر مؤتمرا صحفيا حتى لا يخوض في أنباء الخلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل حول تصريحات بيجين . أما بيجين فليس هو الذى يفلت فرصة كهذه لا يغتنمها .. انه قال بدهاء : « لا أدرى لماذا لا يقابلنى كارتر .. نحن أصدقاء » !

ويبدو أن لقاء فانس وبيجين كان طيبا . فعلى اثره صرح فانس بأن الطريق أصبح مفتوحا للوصول إلى النهاية . وعلى أثره أيضا

التقى بيجين وكارتر في نيويورك فقد كان كارتر يدعو لكارى حاكما لولاية نيوريوك . وكارى ديمقراطى . وأغلبية اليهود من الديمقراطيين . ومنهم من يسيطرون على تمويل الانتخابات وبالتالى التأثير فيها ..

تمثيلية أم ماذا ؟

وإذا كان الحدثان الاولان قد انتهيا إلى ما يخدم المباحثات .. فان حدثين آخرين وقعا بعد ذلك جعلا كلمة السلام واسم السادات على كل لسان . وعلى كل شاشة تليفزيون ونهر صحيفة . ففى ديترويت قدمت جوائز لكل من السادات وكارتر وبيجين . فذهب الدكتور أشرف غربال ووليم كراوفورد السفير بالخارجية الامريكية وسمحا دينتز السفير الإسرائيلى في الولايات المتحدة لتسلم جوائز السلام لمن وقعوا وثيقة كامب ديفيد وقد سئل أشرف غربال عن الموقف في المفاوضات فقال : « أمامنا طريق طويل ولكنا وصلنا إلى نقطة اللاعودة » .. وحشر الصحفيون كلاما في فمه حين نشروا انه قال انه لا يستبعد أن يوقع السادات وبيجين وكارتر معاهدة السلام في أوسلو يوم ١٠ ديسمبر .. حين يذهب الأولان لتسلم الجائزة . ويلبى الثالث الدعوة التى وجهتها اليه لجنة جائزة نوبل ..

ولكن بيجين صرح بهذا القول وهو يتجه إلى نيويورك بعد ذلك بيوم واحد ..

وفي نيويورك احتفل مجلس الكنائس العالمى بالسلام .. وقدمت « أسرة الانسان » في الكنيسة المثيودية جائزة للرئيس أنور السادات تسلمها السيد ممدوح سالم الذى ألقى كلمته في الاحتفال المهيب في

فندق هيلتون نيويورك . وألقى كلمة الرئيس السادات التى ركزت على عقدة الموقف في المفاوضات وهو أن قضية السلام وحدة لا تتجزأ . ولهذا فمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل مرتبطة بالضفة الغربية وغزة وبالحل الشامل .. فهذا هو السلام في مفهومه الكبير ..

وقد تحدث في هذا الاحتفال رئيس أسرة الانسان . وكبار العلماء اللاهوتيين ورجال الأعمال ممن نالوا جوائز أسرة الانسان السنوية . وكارى محافظ نيويورك .. وكلهم .. بالاجماع غير المسبق .. بتوارد الخواطر يضع الانسان في مكانه .. بالحق والانصاف قالوا ان السادات صانع السلام من أجل الانسان . ولهذا يستحق التكريم .

وخطب بيجين ..

يجب أن أقول لك ان القاعة كانت تضم الفين من ذوى الياقات العالية أ ستقراطية نيويورك وما حولها وأكثرهم يهود ! ولكن من هذه الموائد الارستقراطية هبت هتافات كطلقات الرصاص تقول : « سيناء صهيونية .. بيجين خائن » .. ودربكة لدقائق . ورجال أشداء حملوا المتعصبين من وفود الجوش اومونيم إلى الخارج ..

تمثيلية .. لا أدرى ربما .. وربما كانت حقيقية ..

تمالك بيجين اعصابه .. وتحدث عن السلام . ولكنه تملكته النوبة « الميكروفونية » فتغزل في القدس بالانجليزية واليادیشية ولبس الطاقية وقرأ من التوراة فصلا . ثم قرأ من سطور التيكرز تهديداً من مؤتمر بغداد الذى كان يلتقى في جلسة الافتتاح في تلك الليلة .

و ... ولم يكن مناخ حفل أسرة الانسان لتوزيع جائزة السلام يسمح بهذا الكلام !

على أن هذين الحدثين ، توزيع جوائز ديترويت . وتوزيع جوائز

نيويورك أبقيا المفاوضات في أعمدة الصحف حتى ولو توقفت الجلسات في انتظار عودة فانس من نيويورك إلى واشنطن !

والمعاهدة كل لا يتجزأ !

وعاد فانس..

بدا واضحا أن الولايات المتحدة تلتزم في الحديث عن المفاوضات أسلوب كامب ديفيد ..

وبدا واضحا أن مصر لا تقول للصحافة الامريكية قليلا أو كثيرا .. فالمفوض بهذا متحدث رسمى هو جورج شيرمان .

وبدا واضحا أيضا أن ديان أصبح المتحدث الوحيد من فندق الماديسون . وكأنه يعطى للرأى العام الامريكى كل صباح جرعة اقناع بالموقف الإسرائيلى .. وقد وصف الامور قائلا :

« هناك تقدم معتبر . ولكن من المسائل ما بقى كل طرف من الاطراف مصرا على موقفه منها .. ولكنى في النهاية اقول ان هناك تقدما !

وكان الوقت يمضى .. والإسرائيليون يلعبون لعبة « الوقت » .. انهم يعرفون أن كارتر يريد أن يتفرغ للانتخابات التكميلية ـ وهى هامة جدا لمستقبله السياسى ـ ويعرفون انه في هذه الانتخابات يحتاج ليس للاصوات اليهودية بل لمراكز القوى اليهودية . فإذا كان يريد من هذه كلها أن تقف معه فلا بد أن يدفع الثمن .. والثمن عند الإسرائيليين أن يكف عن الانحياز لمصر .

فبيجين قالها .. ان كارتر ينحاز لمصر .. وديان في احدى الجلسات قال لفانس : « أنتم تفكرون دائما في موقف مصر .. ولا تفكرون مرة واحدة في موقف إسرائيل » .

وإذا كانت الادارة الامريكية قد أرادت أن تنهى المفاوضات إلى النجاح لتستفيد بهذا النجاح في حملتها الانتخابية .. وتستثمر كامب ديفيد وملحقاته كنقطة تحول في شخصية كارتر السياسية ، ونقطة انطلاق في السياسة الخارجية فانها أحست أن الجانب المصرى لا يتعجلها شيئا . وان المفاوض المصرى يتصرف بثبات ، ويتحاشى المهاترات ، ويدرس بجدية فان الولايات المتحدة تفوت على إسرائيل لعبة اللعب بالوقت ، وتخرج من عنق الزجاجة وهى تأخذ الاضواء من احتفالات تسليم الجوائز تشيد بكارتر .. وتشيد بالسادات .. وتشيد ببيجين .. وبانتهاء الانتخابات يفقد سلاح لعبة الوقت أهميته .. ولكن حتى وهو في قمة أهميته أستطيع أن أقول انه لم يؤثر على الموقف الامريكى الذى ظل كما وصفه الدكتور بطرس غالى « إذا صار الاحتكام اليه فانه يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

وقد حوصرت نقاط الخلاف ، ولكن المعاهدة كل لا يتجزأ ، حلقات متماسكة متداخلة تجذب واحدة فتنجذب كلها .. وإذا كانت المفاوضات قد غطت تسع حلقات من عشر فان الحلقة العاشرة قد تعيد كل شيء على المائدة من جديد .. ولهذا طار الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للخارجية والدكتور اسامة الباز وكيل الخارجية إلى القاهرة .. ليقدما للرئيس أنور السادات آخر ما اسفرت عنه الصياغات .. والمواقف .. ولقاءات واشنطن .

واستطيع أن أقول أن عقدة المفاوضات هى الربط بين المعاهدة والضفة وغزة والحل الشامل . هذه اخذت من المفاوض المصرى جهداً يسجله له التاريخ . انه جهد من يتمسك بالحق ، ويقارع الحجة بالحجة .. ويواجه الصياغة بالصياغة .. ويثبت أن في السويداء عمالقة حرية وقانون ودبلوماسية .

الفريق قال لى !

وطفت بالطابق التاسع في فندق الماديسون ..

حراسه الامريكيون يعرفوننى من كثرة التردد على طابق الوفد المصرى ولكنهم يهمسون في آلاتهم الدقيقة اننى دخلت الجناح رقم ٩٠٧ .. جناح الفريق كمال حسن على ..

وقال لى الفريق :

ـ استطيع أن أقول لك اننا توصلنا للاتفاق على نقاط كثيرة .. وهناك قاعدة لم نحد عنها منذ بدأنا .. هى أن نقاط المبدأ لا مساومة عليها . ما يتعلق بالسيادة والحل الشامل ليس محل اخذ وعطاء .. والنقاط التى لم يحدث عليها اتفاق كامل في كامب ديڤيد وكانت محل خلاف حتى بين الولايات المتحدة وإسرائيل هى ما تحاول الآخيرة ابرازه لكى تحقق فيه أى كسب . أو لتبرز مطالبها فيه ..

قلت للفريق كمال حسن على :

ـ مثل ماذا ؟

فقال :

ـ مثل مدة الأشهر الثلاثة أو الأعوام الخمسة التى تكف فيها إسرائيل عن توسيع المستوطنات في الضفة الغربية وغزة . فإسرائيل تتمسك بالمدة الأولى .. ونحن والولايات المتحدة نتمسك بالسنوات الخمس .. وقد كانت تصريحاتهم عن تكثيف المستوطنات الحالية محاولة للحصول على كسب ولكننا تصدينا .. وعطلت هذه القضية مسيرة المباحثات ..

قلت للفريق :

ـ كيف تصف المفاوضات في نواحيها المختلفة ، عسكرية وسياسية واقتصادية ؟

فاجاب قائلا ،

ـ من الناحية العسكرية حققنا تقدما ٠

قلت ،

ـ قرأت في الواشنطن بوست انهم يعترضون على المواقع الجديدة للقوات المصرية بعد الانسحاب ·· فمن هذه المواقع ما يطول الأراضى الإسرائيلية بالصواريخ ··

فقال الفريق كما حسن.،

ـ هذه لا تمثل مشكلة ·· ان المعروف أن الصواريخ المتحركة سام ٦ يمكن تحريكها خلال ساعة . وقد قامت بدور هائل في حرب أكتوبر ٠ والمهم في هذا كله هو حقيقة الرغبة في السلام . واحب ان اضيف انهم اجروا تقديراً مبدئيا للانسحاب في مدد أقل مما جرى عليه الاتفاق في كامب ديفيد. ولكنهم اكدوا ان الصعوبات الفنية لا تمكنهم من هذا وهم لا يريدون الارتباط بموعد لا يستطيعون فيه انجاز ما يلتزمون به لان المواقف كلها حساسة ··

واستطرد الفريق كمال حسن قائلا ،

ـ اما الناحية السياسية فهذه هى المشكلة ·· لو كانت القضية اتفاقية سيناء ·· لانجزناها في الاسبوع الأول . اننا قطعنا الاسبوع الرابع لاننا نصر على مواقفنا بشأن الضفة الغربية وغزة وكيف يجرى التعامل معهما بعد توقيع الاتفاقية . وكيف نربط قضيتهما وقضية الحل الشامل بالمعاهدة التى نتفاوض عليها ·· اما الناحية الاقتصادية فعندنا دراساتنا المعدة لها . ولكننا لم نناقشها بعد مع إسرائيل ٠

والدكتور قال لى !

والتقيت بالدكتور بطرس غالى ، من جهد متواصل ، ومن مناقشات لا تنتهى ، من حوار ونقار بدا مرهقا وسألته :

ـ ما نصيب فلسطين من المفاوضات ؟ فقال الدكتور بطرس غالى :

ـ أكبر المجهود كان لها ، نحن نبحث مستقبل الضفة وغزة ، والخطوات القادمة التى يجب ان تتخذ في سبيل تحقيق الحل الفلسطينى .. حلها من جميع جوانبها .

قلت :

ـ نشرت الصحف الامريكية كلاما عن البترول والطيران وشركات مشتركة مع إسرائيل .. ما حقيقة هذا كله ؟

فقال الدكتور بطرس غالى :

ـ الحقيقة اننا لم نتفق على إنشاء أى شركة .. ولم نبع أى بترول .. وما يتعلق بالطيران والسياحة والطرق أمور تناقش بعد توقيع الاتفاقية وفي مجال تطبيع العلاقات مع إسرائيل .. كل شىء بأوان .. قد جاء خبراء البترول من مصر واجتمعوا مع خبراء إسرائيل .. وعاد خبراؤنا إلى مصر . والموقف الاقتصادى لم يحسم بعد وكل المشروعات التى تتحدث عنها الصحف الامريكية لا يمكن ان تتحقق قبل بدء العلاقات . وبدء العلاقات سيكون بعد الانسحاب الأول الذى يتم في خلال تسعة أشهر .

وسألت وزير الدولة للخارجية :

ـ ما أسلوب التفاوض في الاسبوع الرابع ؟

فقال :

ـ مثل الاسابيع الماضية ، نحن نجتمع بالوفد الإسرائيلى ·· ما يمكن ان نتفق عليه معا نتفق عليه ، عند الخلاف يتدخل فانس ·· يجتمع بنا مرة ، وبهم مرة فإذا توصل للحل نلتقى ثلاثتنا ، وإذا لم يتوصل فقد يتدخل كارتر وقد حدث هذا والحقيقة ان كارتر رغم مشاغله الانتخابية وجولاته بعيدا عن واشنطن فاننا نحس بانه معنا دائما ·· لانه حريص على تتبع الموقف أولا بأول ··

واللواء قال لى !

والتقيت باللواء طه المجدوب رئيس اللجنة العسكرية في المفاوضات التى تضم اللواء لبيب شراب والعميد محسن حمدى ، وسألته :

ـ كيف تصف المفاوض الإسرائيلى ؟

فقال اللواء المجدوب :

ـ أعرفه بالتجربة ·· يحاول وهو يفاوض أن يحصل على أى مكسب حتى لو كان يعرف انه لن يطوله ، يريد دائما ان يشعرك بانه يعطى ، وإذا كانت كامب ديفيد أمراً واقعاً فانهم يتململون من هذا الأمر الواقع ، ويحاولون التنصل منه ، ولهذا ينتهزون أى فرصة لترديد أى كلام يرضى المتطرفين عندهم ، ولكنهم يعرفون في النهاية انه بعد خمسة أعوام سوف تقوم دولة فلسطينية ، وما يحاولونه الآن هو التواجد داخل هذه الدولة أو تقليص حجمها ··

ثم قال اللواء المجدوب :

ـ المفاوض الاسرائيلى مناور ·· يطرح شيئا ويعدل عنه في اليوم التالى معتذراً ، فإذا تمسكت أمامه بما طرح فانه على الفور يطلب المقابل ··

قلت :

ـ هل ما طبق على سيناء سوف يطبق على الجولان ؟

فقال اللواء المجدوب :

ـ الجولان مثل سيناء .. وقد يطلبون تجريدها من السلاح . والواقع انهم الذين كانوا يعتدون على المنطقة المنزوعة السلاح .. وأذكر أنهم في عدوانهم على التوافيق . أثناء الوحدة مع سوريا ان كنت في معسكر قطنة وكنت بسبيل التوجه إلى الموقع بلواء كامل لانهم كانوا معتدين على المنطقة المنزوعة السلاح ـ المهم في المواقف .. المهم في الاتفاقيات النية .. نية السلام ..

قلت :

ـ والضفة الغربية وغزة ..

فقال اللواء المجدوب :

ـ هم يعتبرون الضفة الغربية خطرة على أمنهم عسكريا وسياسيا . كما أن استقلالها خطر على اقتصادهم لان منها عمالتهم الرخيصة نسبيا . وهم يعتقدون ان غزة خنجر من حدين يتجه أولهما إلى تل أبيب والثانى إلى بير سبع . ولهذا يحاولون ان يحصلوا على أى مكاسب .. حتى ولو كانت اتفاقية كامب ديفيد صريحة في شأن فترة الانتقال . ونقل السلطة إلى الحكومة الفلسطينية الذاتية .

وقلت للواء المجدوب :

ـ هل انجزتم خرائط الانسحاب ؟

فقال :

ـ نحن في المراحل النهائية . والمواقف العسكرية في المفاوضات مرتبطة بالموقف الكلى ..

وقلت للدكتور اسامة الباز وكيل الخارجية المصرية :

ـ ما يبدو حتى الان هو ان الشعب الفلسطينى في الضفة وغزة يقاطع هذا كله ؟ .

فقال د . اسامة :

ـ الواقع أن الموقف السلبى القائم الان لا يرجع الى الفلسطينيين بقدر ما يرجع الى التعنت الاسرائيلى الذى وضح من القرارات والاجراءات التى اتخذتها اسرائيل أخيرا بالنسبة للمستوطنات ونقل مقر بعض الوزارات الى القدس العربية .. بالاضافة الى تصريحات بيجين وغيره من المسئولين الاسرائيليين . ولذلك فنحن نكرس جزءا كبيرا من جهودنا للتغلب على هذه السلبية في الموقف الاسرائيلى . وهناك جهود دولية مكثفة تساند هذا التحرك من جانبنا ـ مثل الدول الاوربية وكثير من دول الدولية الاشتراكية ..

وقال الدكتور أسامة :

ـ وسوف تكون الولايات المتحدة طرفا مشارك في المفاوضات الخاصة بالضفة الغربية وغزة بكل معنى الكلمة . ولديها أفكار ومقترحات سوف تطرحها .

ـ وهذه العجلة حين تدور .. محاطة بكل التأييد الدولى لا يمكن أن تتوقف . بل لا بد أن نمضى في خط مستقيم وتزداد قوة كل يوم . وبهذا الشكل نضع اسرائيل في موقف الدفاع ويكون لا سبيل أمامها سوى التسليم ببدء العملية التى تؤدى في النهاية الى حصول الشعب الفلسطينى على حقوقه . والمهم هو الاتفاق على تحديد اختصاصات وسلطات الحكومة الذاتية وكيفية اجراءات الانتخابات . وفي هذين العنصرين ضمان للشعب الفلسطينى انه سيحصل على

حقوقه اذا قرر البدء الان .. فبالبدء الان تبدأ المواجهة الحقيقية بين الشعب الفلسطينى واسرائيل . والبديل لهذا هو الاستمرار في تأجيل هذه المواجهة والمجابهة واعطاء اسرائيل الفرصة لتثبيت أقدامها في الضفة الغربية وغزة بحيث يتضاءل أمل الفلسطينيين في استرداد حقوقهم .

واجبات الشعب الفلسطينى !

وقال أسامة الباز :

ـ من كل هذا أدركت اسرائيل بكل وضوح ودون أى لبس أن السلام الحقيقى في نظر مصر هو السلام الذى يشمل الشعب الفلسطيني .

قلت :

ـ وماذا عن التواجد الاردنى .. هل أصبح وشيكا بعد ايضاحات الحكومة الامريكية للملك حسين ؟

فقال الدكتور أسامة :

ـ اذا تواجدت الاردن فأهلا .. واذا لم تتواجد فالقطار سوف يمضى بالشعب الفلسطينى . ولا بد أثناء هذا من أشياء يعرف بها الشعب الفلسطينى أن ما يجرى جدى وحقيقى . وان الحكم العسكرى سيلغى فعلا ببدء الانسحاب وتقليص الوجود العسكرى دون انتظار قيام الحكومة الفلسطينية . وبرفع المعاناة عن السكان في شكل رفع الحظر عن النشاط السياسى والافراج عن المعتقلين في سجون اسرائيل . وعودة النازحين بعد عام ١٩٦٧ . هذه العرابين هى التى

تتيح جو المفاوضات الجدية التى لا يمكن أن يبقى الفلسطينيون خارج اطارها . والا كان معنى هذا أن الشعب الفلسطينى سيقبل الحكم العسكرى الاسرائيلى والسيطرة الاسرائيلية لاجل غير مسمى من غير أن يكون هناك اسلوب عملى بديل لهذه العملية ·

قلت :

ـ هل تستجيب اسرائيل بسهولة لما تقول ؟

فقال الدكتور أسامة الباز :

ـ وحتى اذا أعاقت اسرائيل هذا وأقدمت على أشياء هستيرية فاننا يجب أن نستمر في ضغطنا لندفعها للبدء على هذا الطريق . ولا يعقل اذن أن يتخلف الشعب الفلسطينى عما يجرى .. أو يتخلف عن التأثير فيه سواء في الفترة الانتقالية أو في نهايتها لان الفترة الانتقالية مفروض أن تؤدى الى ممارسة الشعب الفلسطينى لحقه في تقرير مصيره واقامة كيانه السياسى ..

قلت :

ـ كيف تصف الدور الامريكى في مباحثات بلير هاوس ؟

فقال :

ـ الدور الامريكى ايجابى . وواضح أن اسرائيل متضايقة من هذا الموقف وهى تتهم الولايات المتحدة بالتحيز للموقف المصرى وبرفض الحجج الأسرائيلية التى تقدمها في كل النقاط الرئيسية ·

قلت :

ـ ما قلته عن الشعب الفلسطينى لا يكفينى ... هل من فراغ يمكن أن يقبل الشعب الفلسطينى على المشاركة .. أم أن هناك حوارا بيننا وبينه ؟ ..

فقال الدكتور أسامة :

- ان الاتصال مستمر بيننا وبين الشخصيات القيادية في الضفة الغربية وغزة . وكان الحوار معهم مكثفا .. وحوارنا مع الفلسطينيين يختلف عن حوارهم مع الاطراف الاخرى . فنحن نتعامل معهم من منطلق أننا في خندق واحد .. ونحن نعرف ما يدور في رءوسهم وما يستقر في صدورهم .. وهم رفاقنا على الطريق وشركاؤنا في المصير الواحد . ونحن نعرف بالتحديد ما يحقق آمالهم وحقوقهم .

واستطرد الدكتور أسامة قائلا :

- وقد وافق عدد من هذه الشخصيات على التحرك مع مصر .. على أن هذا البعض يرى وجوب اختيار التوقيت المناسب لهذا التحرك بحيث يتم دون احداث مشاكل لهم ..

مصر قوية بالسلام !

قلت :

- يقول بعض المتشنجين العرب ان مصر سوف تفقد قوتها في الضغط على اسرائيل بمجرد أن توقع على معاهدة السلام .

فأجاب الدكتور أسامة قائلا :

- هذا تصور خاطىء تماما لان قدرة مصر على التأثير على اسرائيل سوف تستمر بل وتتزايد بعد التوقيع على المعاهدة للاسباب الاتية :

١ - ان المساندة الدولية لمصر في موقفها لا بد أن تتضاعف بعد التوقيع على المعاهدة . لان المعاهدة تثبت لجميع دول العالم ان مصر تذهب الى أبعد الطرق لتحقيق السلام .

٢ - ان الولايات المتحدة تشعر بأن عليها مسئولية خاصة لحل المشكلة الفلسطينية . على الاقل لحماية مصالحها في العالم العربى .

وهذا الشعور الامريكى سوف يتزايد ـ ولا يتناقص ـ بعد التوقيع على المعاهدة المصرية ·

٣ ـ ان العناصر الاسرائيلية المنادية بالاعتدال في موضوع الكيان الفلسطينى ينتظر أن تتزايد قوتها ويعلو صوتها ·

٤ ـ ان الاجراءات التى سيكون لزاما على اسرائيل أن تتخذها في الضفة الغربية وغزة في الاسابيع القادمة كفيلة بزيادة فاعلية التأثير المصرى على اسرائيل لانها تقيم أمرا واقعا جديدا في المنطقة يتمشى مع السيناريو المصرى في كيفية الانتقال بالضفة والقطاع من التبعية لاسرائيل الى الهوية السياسية الفلسطينية ·

وقال الدكتور أسامة :

ـ والسؤال الاساسى الذى يمكن أن يطرحه كل عربى مخلص على نفسه هو : « هل سيتخلى الشعب المصرى عن التزامه بالقضية القومية وبقضية الشعب الفلسطينى بالذات أم أنه سيظل متمسكا بهذا الالتزام » ·· هذا هو المحك · والواقع أن التزامنا بالقضية القومية وبقضية فلسطين سوف يتزايد لان مصر القوية التى حررت أرضها تكون قطعا في وضع أحسن للوقوف الى جانب الشعب الفلسطينى وسائر الاشقاء العرب في مواجهتهم العادلة للاحتلال الاسرائيلى والسيطرة الاسرائيلية . ولا يمكن أن يعتبر الشعب المصرى أن أهدافه قد تحققت الا اذا تحرر كل شبر من الأرض العربية المحتلة ·

وسألت الدكتور أسامة :

ـ ما تقييمك لاجابة الولايات المتحدة على أسئلة الملك حسين . وهى الاجابات التى أثارت زوبعة التصريحات الاسرائيلية التى

جمدت المفاوضات أسبوعا ؟ وهل تحقق هذه الاجابات الارضاء للشعب الفلسطيني ؟

فقال الدكتور أسامة الباز :

ـ الاجابات تعطى للشعب الفلسطيني ارضاء نسبيا . وفيها قطعت عناصر ايجابية . وهي على كل حال ليست جديدة علينا . فهي ما قاله الامريكيون لنا في مناسبات مختلفة حين بدأنا الكلام في مؤتمر جديد . وهي تأكيد لمواقف أمريكية سابقة . ولهذا كان من الغريب فعلا أن تثير اسرائيل زوبعة لانها لا تحمل جديدا لا تعرفه اسرائيل عن الموقف . الاجابات هي بمثابة مذكرة تفسيرية لكامب ديفيد . والاغرب من هذا أن تحاول اسرائيل أن تنسب هذا الموقف الامريكي الذى تم اقراره على أعلى مستوى لمسئول في وزارة الخارجية هو هارولد سوندرز مع أنها تعلم جيدا انه كان مجرد حامل رسالة .

قطعنا أكثر المشوار !

قلت :

ـ تبدى اسرائيل في بعض الاحيان عدم الاكتراث للموقف الامريكي ..

فقال الدكتور أسامة الباز :

ـ اسرائيل لا تكترث للموقف الامريكي الا اذا شعرت أن هذا الموقف مؤيد من قطاعات كبيرة من الرأى العام الامريكي ومن الكونجرس بدرجة تمكن الحكومة الامريكية من ترجمة أفكارها الى اجراءات عملية محددة تمس مصالح اسرائيل مباشرة كالمعونات الاقتصادية أو التسليح .

وأردف الدكتور أسامة قائلا :

ـ أستطيع أن أقول ان الطريق ممهد بعد كامب ديفيد .

والتعاطف الذى أظهره الشعب الامريكى مع الموقف العربى أصبح ينعكس على الفلسطينيين .. ويمكن أن تشهد الفترة القادمة تصعيدا لمشاعر الشعب الامريكى تجاه الفلسطينيين . وقد حدث أن عرضت محطة الايه بى سى على شاشة التليفزيون الامريكى فيلما عن الفلسطينيين لم يكن ممكنا أن يعرض من قبل هناك . وقد تلقت المحطة أربعة الاف مكالمة بعد هذا الفيلم حملت تقييم من رأوه - وهم يقدرون بخمسة وأربعين مليون نسمة من الشعب الامريكى - ان نسبة عالية من هذه الملايين أبدت ارتياحها .. وبعض العناصر المتشددة حاولت الهجوم على مقر المحطة في نيويورك .. ولكن هذه العناصر أقلية لا قيمة لها أمام المؤيدين .

قلت لاسامة الباز المتحدث باسم الوفد المصرى في مفاوضات بلير هاوس :

- متى توقع المعاهدة بالاحرف الاولى ؟ فقال :

هذه مسألة لا يمكن البت فيها أو التنبؤ بها الان . والقضية ليست قضية وقت . بل ان المهم هو التوصل الى اتفاقية عادلة تحقق لكل طرف مصالحه المشروعة دون جور أو افتئات على حق الطرف الاخر . وتلك قضية مصيرية لا يمكن ان تقاس بالاسابيع أو الشهور .

« لحظة الحقيقة »

والتقى فانس وبيجين ..

وصرح فانس بأن كافة المسائل على وجة التقريب قد وجدت لها حلول .. ولكن الأيام التى أعقبت ذلك أكدت أن ديان غير قادر على البت في شىء لأن بيجين أرسل إلى المفاوضات وفدأ بلا صلاحيات . فقد توقفت المفاوضات مرة أخرى عند صيغة الربط بين المعاهدة وبين

مستقبل الضفة الغربية وغزة .. وهنا حمل وايزمان أخر التصورات الأمريكية الخاصة بهذا الموقف وطار بها الى القدس في الوقت الذى كان فيه بيجين في زيارة لكندا . واذا بمجلس الوزراء الاسرائيلى لا يحل ولا يربط في غياب بيجين . وضاق وايزمان ذرعا بهذا الذى يجرى . إنه يعرف أن المتشددين في داخل مجلس الوزراء يزايدون ويغالطون الشعب الاسرائيلى ولهذا قال :

ـ آمل أن تكون هذه آخر جولة في تنقلاتنا جيئة وذهابا .. وذلك اذا لم تظهر صعوبات جديدة لأن السلام مع مصر سوف يوقع في النهاية .. ولكن ليس بأى ثمن .. إننا نمر الآن بلحظة الحقيقة . ويتعين على الحكومة أن تقول للأمة ليس فقط الجوانب الإيجابية ولكن الجوانب السلبية في الموقف الجديد الذى سينشأ بعد ابرام معاهدة الصلح . فسوف يبدأ بالنسبة للاسرائيليين عهد جديد . وشكل جديد من الحياة .. وستكون مليئة بالصعوبات .

ولم يترك بيجين ديان في راحة . استدعاه ليعرض ما إستجد .. وقد قالت صحيفة هاآرتس « الاسرائيلية » أن بيجين إستدعى ديان حتى يحول دون الإنطباع بأن المفاوضات فشلت . وقد وصل ديان ومعه نص شبه كامل للمعاهدة .. وقيل أنه سيوصى بالموافقة على الحل الأمريكى بشأن الربط بين الإتفاق الاسرائيلى المصرى ومستقبل الفلسطينيين . والإقتراح الأمريكى بالحل الوسط كما نشرته الصحف الاسرائيلية هو تحديد موعد الإنتخابات في الضفة الغربية وغزة في نهاية ديسمبر عام ١٩٧٩ ..

الصحافة تقول !

وقبل أن أتناول وجهة النظر المصرية أمضى إلى المعركة الداخلية

في اسرائيل •• بين الوزارة ووفد المفاوضات الاسرائيلى . وهى معركة ضاقت بها الصحافة الاسرائيلية ذرعا . فكتبت « هاآرتس » تقول :

ـ يتعين على بيجين أن يقرر الإختبار بين رأى الوزيرين الاسرائيليين اللذين حملا على كتفيهما مسئولية المفاوضات ـ. وهما ديان ووايزمان ـ وتوصلا الى نتائج فيما يمكن الوصول اليه •• وبين أعضاء حكومته الذين يتمنتون ويتحفظون ••

وكتبت « الجيروساليم بوست » تقول :

ـ إن تعثر المفاوضات مسئولية الحكومة الاسرائيلية التى ترفض منح السلطات للوفد الاسرائيلى فتتدخل باستمرار •• وتستخدم حق الفيتو . وتراقب كل فقرة ونقطة وفصلة !

وكتبت الواشنطن بوست عن تعثر المفاوضات فقالت ـ مع أنها المشهورة بمناصرتها لاسرائيل ـ إن اللوم يقع على اسرائيل •• فهى مسئولة عما تتعرض له المحادثات من مشاكل . وعلى بيجين الا يستهلم للعناصر المتطرفة داخل حكومته •• ودعت الواشنطن بوست بيجين لاتخاذ موقف قوى بشأن الموافقة على الحل الوسط الأمريكى •• موقف قوى مثل ذلك الذى اتخذه داخل الكنيسيت عند التصويت على إزالة المستعمرات من سيناء •

وآخر ما في الموقف أن مصر من منطلق المبدأ الذى لا يتغير •• وتأكيدا لما قاله الرئيس السادات في الكنيسيت لا تبحث عن حل منفرد بل تهدف الى حل شامل . وتقدم القضية الفلسطينية على سيناء . ولهذا فالربط بين القضيتين ضرورة في معاهدة السلام . وقد شرح الرئيس أنور السادات في حديثة للتليفزيون الفرنسى أن الهدف من الربط هو أن تبدأ المفاوضات حول إنشاء الحكومة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة بعد شهر واحد من توقيع إتفاقية السلام وهى

مفاوضات اذا بدأت لابد أن تكون لها نهاية .. أى موعد مضروب تنتهى فيه . فلا تستمر لعامين أو ثلاثة أعوام . بل تنتهى مع إنتهاء المرحلة الأولى من الإنسحاب .. أى بعد تسعة أشهر - وهو بذاته الموعد المحدد لبدء العلاقات الطبيعية بين مصر واسرائيل - فالغاية هو أن تتواكب هذه المراحل . وتتلازم .. وتتزامل ..

واسرائيل لا تريد هذا .. تريد أن تترك الأبواب مفتوحة للمراوغة والإفلات ..

والحل الأمريكى الوسط هو أن تبدأ الإنتخابات الفلسطينية في نهاية ديسمبر عام ١٩٧٩ ..

وقد صرح ديان للتليفزيون الاسرائيلى بأن البرنامج الزمنى الذى تطالب به مصر بالنسبة للانتخابات في الضفة الغربية وغزة غير عملى .. ودعا لتنفيذ الحكم الذاتى على مراحل . ودعا زملاءه في مجلس الوزراء إلى تسهيل الطريق أمام استمرار المحادثات مع مصر . وقال أن الإدارة الاسرائيلية العسكرية لا يمكن أن تكون لها فائدة على المدى البعيد .. وقال بحسم « إن الوقت قد حان لا تخاذ قرار »

مصر والمبدأ !

أما مصر فهى في نظر العالم الحريصة على أن يمضى قطار السلام الى غايته دون توقف . من أجل هذا طار السيد حسنى مبارك إلى الولايات المتحدة ليلتقى بالرئيس كارتر .. وهو - أى نائب رئيس الجمهورية - مزود بكل الصلاحيات . وقد عبر عن هذا الدكتور بطرس غالى لوكالة الأنباء الفرنسية حين قال :

- إن المفاوضات تمر بأزمة خطيرة . ولكن يجب التغلب على

المصاعب . وإيفاد حسنى مبارك الى واشنطن يدل على رغبة مصر في التغلب على هذه المصاعب ..

وقال الدكتور بطرس :

ـ أننا نستبعد فكرة السلام المنفصل . إن وضع جدول زمنى لمنح الفلسطينيين الحكم الذاتى في أرضهم سوف ييسر تسوية المشكلة الفلسطينية ويتيح تنفيذا منسقا لمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية . إننا كرسنا ساعات عمل للمشكلة الفلسطينية أكثر مما كرسنا لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل . وحل المشكلات التى ما زالت قائمة حول معاهدة السلام بين مصر واسرائيل أسهل بكثير من مسألة الربط بين الإتفاق المصرى والاسرائيلى وإقامة الحكم الذاتى في الضفة وغزة . وقد طالبنا الاسرائيليين باتخاذ إجراءات ينبغى أن تشجع الفلسطينيين على الإشتراك في عملية السلام التى أرسيت قواعدها في كامب ديفيد ..

ولان موقف مصر موقف مبدأ فان على اسرائيل أن تدرك حقائق الأمور من حولها . وتعيد قراءة وثيقتى كامب ديفيد . وتواجه لحظة الحقيقة كما قال وايزمان ! الحكومة الاسرائيلية تعرف أن كامب ديفيد كانت « معتقلا » عصريا .. سلمت فيه اسرائيل بأشياء كثيرة ولكنها تحاول التنصل منها عندما تصل الى ساعة التنفيذ .. أو ساعة الميلاد . انها تفكر بعقلية مشروع الحكم الذاتى الذى طار به بيجين الى كارتر في ديسمبر عام ١٩٧٧ .. مع أن الفرق كبير بين مشروع بيجين للحكم الذاتى وما جرى عليه الاتفاق في كامب ديفيد . وقد صرح هارولد سوندرز في ٢٧ سبتمبر ١٩٧٨ ـ أى بعد عشرة أيام من توقيع وثيقتى كامب ديفيد ـ عن هذا الفرق بقوله :

ـ هناك عدة فروق لا فرق واحد ! فأولا بدأ الاقتراح الاسرائيلى بمفهوم ينص على بقاء الحاكم العسكرى الاسرائيلى في الضفة الغربية

وقطاع غزة . وسحب الاداريين في المكاتب الحكومية . وما وافقت عليه اسرائيل الآن هو أن الحكومة العسكرية وموظفيها سيسحبون ويستبدلون بهم السلطة الفلسطينية التى تتمتع بالحكم الذاتى .. وكانت الفكرة الاصلية أن تكون الهيئة الفلسطينية التي تتمتع بالحكم الذاتى مشتقة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية . أما الآن فان هذه السلطة ستقام على أساس اتفاقية دولية يشترك فيها الاردن .. اذا انضم الى المفاوضات بين مصر واسرائيل . ثم إن الاقتراح الاسرائيلى أشار في البداية الى قيام القوات الاسرائيلية بتوفير الأمن والمحافظة على النظام العام في الضفة الغربية وقطاع غزة .. لكن اسرائيل توافق الآن على انسحاب قواتها بأعداد معينة . كما أن القوات المتبقية سيعاد توزيعها في مواقع محددة . كما يقع انشاء قوة شرطة محلية قوية تحت رعاية السلطة الفلسطينية التى تتمتع بالحكم الذاتى . وقد تذكر أن الاقتراح الاسرائيلى كما قدم في البداية نص في نهايته على مراجعة الاوضاع السائدة في نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية .. أما الآن فإن إطار كامب ديفيد ينص بالتفصيل على اجراء مفاوضات يشترك فيها الفلسطينيون لحل المسائل المتعلقة بالوضع النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة ضمن فترة السنوات الخمس الانتقالية . وأخيرا .. وبطبيعة الحال سيشترك ممثلو الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة في جميع المفاوضات التى وصفتها . وربما انه لم يكن هناك نص بشأن تلك المفاوضات في الاقتراح الاسرائيلى .. لم يكن هناك نص بشأن الاشتراك الفلسطينى . وبجميع هذه الوسائل . دعم طريق المحادثات المكثفة في كامب ديفيد وأعتقد أننا وجدنا طرقا لضمان اشتراك الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ضمن فترة زمنية محددة » ..

هذا نص ما قاله سوندرز .. أرأيت لماذا يكرهه الاسرائيليون ؟

على أن الحلقة تضيق حول اسرئيل . إن ما أعلنه بيجين يوم الاثنين الماضى حول الاوضاع التى يقبلها في الضفة الغربية وغزة يخالف تماما التفسير الامريكى الوارد في تصريح سوندرز ! ان بيجين قال :

- ان اسرئيل على استعداد للتوقيع على معاهدة السلام والتفاوض بشأن تحقيق الحكم الذاتى في الضفة والقطاع بناء على ثلاثة شروط هى :

١ ـ أن تبقى القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية تبعا لما تم عليه الاتفاق في كامب ديفيد .

٢ ـ ضمان أمن اسرائيل .

٣ ـ استمرار النشاط في المستوطنات الاسرائيلية ..

وأضاف بيجين أن الجيش الاسرائيلى سيبقى الى الابد في الضفة الغربية وغزة . وأن الحكم الذاتى في هاتين المنطقتين يتم قيامه بموافقة اسرائيل فقط !

وتصريحات بيجين كلها تدل على أن الحصار بلغ حد الرقبة . وهى الآن مسئولية الولايات المتحدة أولا .. مسئوليتها في أن تنفذ وثيقتى كامب ديفيد . وفي أن تقول لبيجين إنه سيكون مسئولا عن فشل المفاوضات ..

ان الولايات المتحدة تعرف اسرائيل ولهذا لا تريد أن يترك أى شىء دون تحديد . انها اقترحت كحل وسط أن تكون الانتخابات في نهاية ديسمبر عام ٧٩ .. ومن قبل أجاب سوندرز على السؤال التالى :

- مع احتمال قيام اتفاق سلام مع مصر .. ما هو الدافع لدى الاسرائيليين للسعى نحو سلام شامل مع دول المواجهة الأخرى ؟

قال سوندرز :

ـ الدافع هو السلام . وهو أمر هام جدا بالنسبة لشعب اسرائيل كما هو هام بالنسبة للشعوب العربية التى عانت طويلا .. لقد أدركنا جميعا في كامب ديفيد أننا ما لم نحرز تفهما حول هذه المشاكل المتعلقة بالقضية الفلسطينية فقد لا نتمكن من احراز تقدم فيما يتعلق بالقضايا الرئيسية الأخرى التى يمكن أن تؤدى الى احلال السلام بين اسرائيل وجاراتها .. وعليه .. وطالما كانت المفاوضات جارية بين مصر واسرائيل ستكون هناك في نفس الوقت مفاوضات للبدء في عملية معالجة الابعاد الفلسطينية للمشكلة . بجيث يلتزم كل طرف في هذه الاتفاقية بالسير على هذا النهج . والقيام بأمور معينة ضمن إطار زمنى معين .. فهناك إذن التزام قانونى ومعنوى للمضى في العمل . وأعتقد أن هناك ادراكا سياسيا واسعا بأن السلام في الشرق الأوسط غير ممكن ما لم تحل هذه المشكلة ..

سلام صناعة مصرية !

قال سوندرز هذا .. يوم ٢٧ سبتمبر الماضى . أى قبل أن تبدأ مفاوضات السلام في بلير هاوس بأسبوعين كاملين ...

وشعب اسرائيل .. رجل الشارع العادى أورى عن غضبه من سلوك بيجين في المفاوضات مع مصر . ان هانوح شميت ـ أشهر من يجرون الاستفتاءات واستطلاعات الرأى العام في اسرائيل ـ أجرى في الأيام الماضية استفتاء حول اتجاهات الاصوات الاسرائيلية في أى انتخابات قادمة ! أجرى الاستفتاء بين ٢٠ ألف اسرائيلى كانوا خارجين لتوهم من انتخابات المجالس البلدية في احدى عشرة مدينة اسرائيلية . وقد ظفر حزب العمل بـ ٤٨ مقعدا من ١٢٠ ـ هى عدد مقاعد الكنيسيت ـ

أى بزيادة ١٦ مقعدا على انتخابات عام ١٩٧٧ . ولم يزد عدد مقاعد الليكود الا مقعدا واحدا .. وخسر حزب التغيير الديمقراطى لأنه لم يضغط على بيجين ويغريه بالاعتدال كما أعلن في برامجه وخسرت أحزاب اليمين الدينية . واليسار .. بنفس المقدار .. وقد صرح شيمون بيريز بأن تصرف بيجين في المفاوضات مع مصر من أردأ ما يمكن تصوره ...

فهل يرى بيجين أن السلام بالشروط المصرية سوف يضع اسرائيل أمام لحظة التسليم بما جاء في وثيقتى كامب ديفيد .. أو يرى أن السلام بحار عميقة لا يستطيع السباحة فيها ..

إن حاييم هرتزوج رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق قال في اذاعة اسرائيل « توجد في مصر مدرسة تقول بأن اسرائيل لا يمكن أن تهزم إلا في إطار عملية سلام . وهناك عدد كبير من أعضاء وفد المفاوضات المصرى من أنصار هذه النظرية » .

فهل يراوغ بيجين حتى لا يهزم على أرض السلام ؟

وهل تتركه الولايات المتحدة يفعل هذا بعد أن تحددت مسئوليتها . وأعلنت رأيها وخطها ومفهومها لكامب ديفيد ؟

وهل يتركه العالم يعبث بالمواثيق .. ويوقع ميثاقا وينسى أنه وقع . ويعلن عهدا وينسى أنه أعلن ؟

وهل يتركه شعبه ؟

ولست ادرى ما يحمله الغد . ولا أنا ممن يرجمون بالغيب . الذى ادريه وانا منه على يقين ان السلام صناعة مصرية . وانه آت لا ريب فيه . سلام صعب .. هذه حقيقة . ولكنه يفتح الابواب على الغد المأمول لشعب عظيم هو شعب مصر . مصر العطاء .. مصر الحضارة . مصر المحبة التى باركتها كل الاديان .

الملاحق

● خطاب الرئيس السادات في الكنيست الاسرائيلى

٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٧

السيد الرئيس

أيها السيدات والسادة

السلام عليكم .. ورحمة الله

والسلام لنا جميعا .. باذن الله

السلام لنا جميعا .. على الأرض العربية وفي اسرائيل .. وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية ، المضطرب بتناقضاته الحادة ، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة ، تلك التى يصنعها الانسان ليقضى بها على أخيه الانسان . وفي النهاية ، وبين أنقاض ما بنى الانسان وبين أشلاء الضحايا من بنى الانسان ، فلا غالب ولا مغلوب ، بل ان المغلوب الحقيقى هو الانسان .. أرقى ما خلقه الله .. الانسان الذى خلقه الله ـ كما يقول غاندى قديس السلام « لكى يسعى على قدميه ، يبنى الحياة .. ويعبد الله » .

مسئولية السلام

وقد جئت اليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكى نبنى حياة جديدة لكى نقيم السلام وكلنا على هذه الأرض ، أرض الله ، كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود .. نعبد الله ولا نشرك به أحدا . وتعاليم الله .. ووصاياه .. هى حب وصدق وطهارة وسلام .

واننى التمس العذر لكل من استقبل قرارى عندما أعلنته للعالم كله ، أمام مجلس الشعب المصرى ، بالدهشة ، بل الذهول بل ان

البعض قد صورت له المفاجأة العنيفة أن قرارى ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأى العام العالمى . بل وصفه بعض آخر بأنه تكتيك سياسى لكى أخفى به نواياى في شن حرب جديدة ·

ولا أخفى عليكم أن احد مساعدى في مكتب رئيس الجمهورية إتصل بى في ساعة متأخرة من الليل بعد عودتى الى بيتى من مجلس الشعب . ليسألنى في قلق ، وماذا نفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت اليك اسرائيل الدعوة فعلا ؟ فأجبته بكل هدوء ، سأقبلها على الفور ·

لقد أعلنت أننى سأذهب الى آخر العالم .. سأذهب الى اسرائيل لاننى أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب اسرائيل ·

اننى التمس العذر لكل من أذهله القرار ، أو تشكك في سلامة النوايا وراء اعلان القرار . فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية . تتحمل العبء الأكبر والمسئولية الأولى في قضية الحرب والسلام . في منطقة الشرق الأوسط . يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد الى الذهاب الى أرض الخصم · ونحن لا نزال في حالة حرب . بل نحن جميعا لا نزال نعانى من آثار أربعة حروب قاسية خلال ثلاثين عاما . بل ان أسر ضحايا حرب أكتوبر ١٩٧٣ لا تزال تعيش مآسى الترمل وفقد الابناء واستشهاد الاباء والاخوات ·

كما اننى ـ كما سبق أن أعلنت من قبل ـ لم أتداول في هذا القرار مع أحد من زملائى واخوتى رؤساء الدول العربية . أو دول المواجهة .. ولقد اعترض من اتصل بى منهم بعد اعلان القرار . لأن حالة الشك الكاملة ، وفقدان الثقة الكاملة . بين الدول العربية والشعب الفلسطينى من جهة ، وبين اسرائيل من جهة أخرى ، لا تزال قائمة في كل النفوس . ويكفى أن أشهرا طويلة كان يمكن أن يحل فيها السلام . قد ضاعت سدى . في خلافات ومناقشات

لا طائل منها . حول اجراءات عقد مؤتمر جنيف . وكلها تعبر عن الشك الكامل . وفقدان الثقة الكاملة ٠

المخاطرة الكبرى

ولكننى ـ أصارحكم القول بكل الصدق ـ اننى اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل . وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة . لانه اذا كان الله قد كتب لى قدرى أن اتولى المسئولية عن شعب مصر . وأن اشارك في مسئولية المصير بالنسبة للشعب العربى وشعب فلسطين . فان أول واجبات هذه المسئولية ان استنفذ كل السبل . لكى أجنب شعبى المصرى العربى . وكل الشعب العربى . ويلات حروب أخرى محطمة . مدمرة . لا يعلم مداها الا الله ٠

وقد إقتنعت بعد تفكير طويل . أن أمانة المسئولية أمام الله وأمام الشعب . تفرض على أن أذهب الى آخر مكان في العالم .. بل أن أحضر الى بيت المقدس . لأخاطب أعضاء الكنيست ممثلى شعب اسرائيل بكل الحقائق التى تعتمل في نفسى . وأترككم بعد ذلك لكى تقرروا لانفسكم وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء ٠

أيها السيدات والسادة :

ان في حياة الامم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة أن ينظروا الى ما وراء الماضى بتعقيداته ورواسبه من أجل إنطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة ٠

المسئولية وشجاعة القرار

وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسئولية الملقاه على عاتقنا هم أول من يجب أن تتوفر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التى تتناسب مع جلال الموقف . ويجب أن نرتفع جميعا فوق جميع صور

التعصب وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية . فمن المهم ألا ننسى أبدا أن العصمة لله وحده ٠

واذا قلت اننى أريد أن اجنب كل الشعب العربى ويلات حروب جديدة مفجعة ٠ فاننى أعلن أمامكم ، بكل الصدق ، اننى أحمل نفس المشاعر . وأحمل نفس المسئولية . لكل انسان في العالم وبالتأكيد نحو الشعب الاسرائيلى ٠

ضحية الحرب : الإنسان

ان الروح التى تزهق في الحرب ، هى نفس روح انسان سواء كان عربيا أو اسرائيليا ٠

ان الزوجة التى تترمل ٠٠ هى انسانة من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة ٠٠ سواء كانت عربية أو اسرائيلية ٠

ان الاطفال الابرياء الذين يفقدون رعاية الاباء وعطفهم هم أطفالنا جميعا . على أرض العرب أو في اسرائيل لهم علينا المسئولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانىء ، والغد الجميل ٠

من أجل كل هذا ، ومن أجل أن نحمى حياة أبنائنا واخواتنا جميعا ٠

من أجل أن تنتج مجتمعاتنا ، وهى آمنة مطمئنة ٠٠

من أجل تطور الانسان واسعاده واعطائه حقه في الحياة الكريمة ٠٠

من أجل مسئوليتنا أمام الأجيال المقبلة ٠٠

من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا ٠٠

من أجل كل هذا اتخذت قرارى ان أحضر اليكم ـ رغم كل المحاذير ـ لكى أقول كلمتى ٠٠

مسئولية تاريخية :

ولقد تحملت وأتحمل متطلبات المسئولية التاريخية .

ومن أجل ذلك أعلنت من قبل ومنذ اعوام وبالتحديد في فبراير ١٩٧١ . انني مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل . وكان هذا هو أول اعلان يصدر من مسئول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي الاسرائيلي .

وبكل هذه الدوافع . التي تفرضها مسئولية القيادة اعلنت في السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ وأمام مجلس الشعب المصري . الدعوة الى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم .

ولم أكن في ذلك الوقت في وضع من يستجدي السلام . أو يطلب وقف النار .

وبهذه الدوافع كلها . التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي . وقعنا اتفاق فك الاشتباك الأول . ثم اتفاق فك الاشتباك الثاني في سيناء . ثم سعينا نطرق الابواب المفتوحة والمغلقة . لايجاد طريق معين نحو سلام دائم وعادل وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكي تتفهم دوافعنا . وأهدافنا . ولكي تقتنع فعلا اننا دعاة عدل . وصناع سلام .

وبهذه الدوافع كلها . قررت بأن أحضر اليكم . بعقل مفتوح وقلب مفتوح . وارادة واعية . لكي نقيم السلام الدائم القائم على العدل .

تباشير الامن والامان والسلام

وشاءت المقادير أن تجيء رحلتي اليكم . رحلة السلام في يوم العيد الاسلامي الكبير عيد الأضحى المبارك عيد التضحية والفداء . حين أسلم ابراهيم عليه السلام . جد العرب واليهود . أقول حين أمره

الله . وتوجه اليه بكل جوارحه . لا عن ضعف . بل عن قوة روحية هائلة . وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده . بدافع من ايمانه الراسخ الذى لا يتزعزع بمثل عليا تعطى الحياة مغزى عميقا .

ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدا . في نفوسنا جميعا . لعله يصبح أملا حقيقيا في تباشير الأمن والامان والسلام .

الحقائق الخمس

أيها السيدات والسادة ..

دعونا نتصارح . بالكلمة المستقيمة . والفكرة الواضحة التى لا تحمل أى التواء . ودعونا نتصارح اليوم . والعالم كله بغربه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة . التى يمكن أن تكون نقطة تحول جذرى في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم . إن لم يكن في العالم كله .

دعونا نتصارح ونحن نجيب على السؤال الكبير : كيف يمكن أن نحقق السلام العادل ؟

لقد جئت اليكم أحمل جوابى الواضح الصريح على هذا السؤال الكبير . لكى يسمعه الشعب في اسرائيل . ولكى يسمعه العالم أجمع . ولكى يسمعه أيضا كل أولئك الذين تصل أصوات دعوات أصواتهم المخلصة الى أذنى . أملا في أن تتحقق في النهاية النتائج التى يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخى .

وقبل أن أعلن لكم جوابى . أرجو أن اؤكد لكم . أننى أعتمد في هذا الجواب الواضح الصريح . على عدة حقائق لا مهرب لأحد من الاعتراف بها .

● **الحقيقة الأولى :** أنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين .

● **الحقيقة الثانية** : أننى لم أتحدث . ولن أتحدث بلغتين .
ولم اتعامل ولن أتعامل بسياستين . .
ولست ألتقى بأحد . الا بلغة واحدة . وسياسة واحدة . ووجه واحد .

● **الحقيقة الثالثة** : أن المواجهة المباشرة . وأن الخط المستقيم . هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول الى الهدف الواضح .

● **الحقيقة الرابعة** : ان دعوة السلام الدائم العادل . المبنى على احترام قرارات الأمم المتحدة . أصبحت اليوم دعوة العالم كله . وأصبحت تعبيرا واضحا عن ارادة المجتمع الدولى . سواء في العواصم الرسمية التى تصنع السياسة والقرار . أوعلى مستوى الرأى العام العالمى الشعبى . ذلك الرأى العام الذى يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار .

● **الحقيقة الخامسة** : ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها . ان الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم العادل . من موقع ضعف أو إهتزاز . بل إنها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار . ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام . صادرة عن ادراك حضارى بأنه لكى نتجنب كارثة محققة . علينا وعليكم وعلى العالم كله . فانه لا بديل عن اقرار سلام دائم وعادل . لا تزعزعه الانواء ولا تعبث به الشكوك . ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا .

سلام دائم وعادل

من واقع هذه الحقائق . التى أردت أن أضعكم في صورتها . كما أراها . أرجو أيضا ان احذركم بكل الصدق . احذركم من بعض الخواطر التى يمكن ان تطرأ على اذهانكم .

ان واجب المصارحة يقتضى ان اقول لكم ما يلى :

أولا : اننى لم أجىء اليكم لكى أعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل • ليس هذا واردا في سياسة مصر . فليست المشكلة هى مصر واسرائيل . وأى سلام منفرد بين مصر واسرائيل أو بين أية دول من دول المواجهة واسرائيل فانه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها • بل أكثر من ذلك . فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل . بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية . فان ذلك لن يحقق أبدا السلام الدائم العادل الذى يلح العالم كله اليوم عليه •

ثانيا : إننى لم أجىء اليكم لكى أسعى الى سلام جزئى . بمعنى أن ننهى حالة الحرب في هذه المرحلة . ثم نرجىء المشكلة برمتها الى مرحلة تالية •

فليس هذا هو الحل الجذرى الذى يصل بنا الى السلام الدائم •

ويرتبط بهذا أننى لم أجىء اليكم . لكى نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء . أو في سيناء والجولان والضفة الغربية . فان هذا يعنى أننا نؤجل فقط إشتعال الفتيل الى أى وقت مقبل •

بل هو يعنى . أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام . وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسئوليات السلام الدائم العادل •

لماذا جئت اليكم ؟

لقد جئت اليكم . لكى نبنى معا . السلام الدائم العادل . حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربى أو اسرائيلى •

ومن أجل هذا اعلنت أننى مستعد أن أذهب الى آخر العالم •

وهنا . أعود الى الاجابة على السؤال الكبير :

كيف نحقق السلام الدائم العادل ؟

في رأيي .. وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله ، أن الاجابة ليست مستحيلة ولا هي بالعسيرة ، على الرغم من مرور أعوام طويلة ، من ثأر الدم ، والأحقاد والكراهية ، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحكم .

الاجابة ليست عسيرة ولا هي مستحيلة ، اذا طرقنا سبيل الخط المستقيم ، بكل الصدق والايمان .

العيش معـــا

أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم .

وأنا أقول لكم بكل الاخلاص ، إننا نرحب بكم بيننا بكل الأمن والأمان .

إن هذا في حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة ، من علامات تحول تاريخي حاسم .

لقد كنا نرفضكم ، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا ..

نعـــم .

لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة ...

نعـــم

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية ، وكان ممثلونا ، ولا يزالون ، لا يتبادلون التحية والسلام .

نعـــم .

حدث هذا ولا يزال يحدث .

لقد كنا نشترط لأى مباحثات ، وسيطا يلتقى بكل طرف على انفراد .

نعـــم .

هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك الأول . وهكذا أيضا تمت مباحثات فض الاشتباك الثانى .

كما أن ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف الأول . دون تبادل كلمة مباشرة .

نعـــم .

هذا حدث .

ولكننى أقول لكم اليوم .. وأعلن للعالم كله .. أننا نقبل بالعيش معكم في سلام دائم وعادل . ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير . أو بقذائف الأحقاد والكراهية .

ولقد أعلنت أكثر من مرة . أن اسرائيل أصبحت حقيقة واقعة . اعترف بها العالم . وحملت القوتان الأعظم مسئولية أمنها وحماية وجودها .

ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننا نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام . فعلا وحقا .

وتحطم الجدار في عام ١٩٧٣

كان جدارا من التخويف بالقوة القادرة على اكتساح الامة العربية من أقصاها الى أقصاها .

كان جدارا من الترويج بأننا أمة تحولت الى جثة بلا حراك . بل إن منكم من قال إنه حتى بعد مضى ٥٠ عاما مقبلة . فلن تقوم للعرب قائمة من جديد .

كان جدارا يهدد دائما بالذراع الطويل القادر على الوصول الى أى موقع والى أى بعد .

كان جدارا يحذرنا من الابادة والفناء ، اذا نحن حاولنا أن نستخدم حقنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة ·

الجدار الآخر

وعلينا أن نعترف معا ، بان هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣ · ولكن بقى جدار آخر ·

هذا الجدار الآخر ، يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم ، حاجزا من الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الأوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطىء لكل حدث أو حديث ·

وهذا الحاجز النفسى هو الذى عبرت عنه ، في تصريحات رسمية ، بأنه يشكل سبعين في المائة من المشكلة ·

وأننى أسألكم اليوم ـ بزيارتى لكم ـ لماذا لا تمد أيادينا ، بصدق وإيمان وإخلاص ، لكى نحطم هذا الحاجز معا ؟

لماذا لا تتفق ارادتنا ، بصدق وإيمان واخلاص ، لكى نزيل معا كل شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد واخفاء حقائق النوايا ؟

لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال ، وبجسارة الابطال الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى ؟

لماذا لا نتصدى معا بهذه الشجاعة والجسارة لكى نقيم صرحا شامخا للسلام ، يحمى ولا يهدد ·· يشع لاجيالنا القادمة أضواء الرسالة الانسانية نحو البناء والتطور ورفعة الانسان ؟ ··

لماذا نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء ، وازهاق الأرواح ، وتيتيم الأطفال ، وترمل الزوجات ، وهدم الأسر ، وأنين الضحايا ·

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق التى أوردها في أمثال سليمان الحكيم ·

« الغش في قلب الذين يفكرون في الشر . أما المشيرون بالسلام فلهم فرح » .

« لقمة يابسة ومعها سلامة . خير من بيت ملىء بالذبائح مع الخصام » .

لماذا لا نردد معا من مزامير داود النبى .

« اليك يارب أصرخ .. أسمع صوت تضرعى اذا استغثت بك . وأرفع يدى الى محراب قدسك . لا تجذبنى مع الاشرار . ومع فعلة الإثم . المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم أعطهم حسب فعلهم . وحسب شر أعمالهم . أطلب السلامة وأسعى وراءها » .

لن يجدى التوسع شيئا

أيها السادة :

الحق أقول لكم إن السلام لن يكون إسما على مسمى ما لم يكن قائما على العدالة وليس على إحتلال أرض الغير .

ولا يسوغ أن تطلبوا لانفسكم ما تنكرونه على غيركم .

وبكل صراحة . وبالروح التى حدت بى الى القدوم اليكم اليوم فانى أقول لكم ، إن عليكم أن تتخلوا نهائيا عن أحلام الغزو وأن تتخلوا أيضا عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب .

ان عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئا .

ولكى نتكلم بوضوح فان أرضنا لا تقبل المساومة . وليست عرضة للجدل .

ان التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا في منزلة الوادى المقدس

طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام » ولا يملك أى منا ، ولا يقبل ، أن يتنازل عن شبر واحد منه ، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه ·

فرصة السـلام

والحق أقول لكم أيضا ، إن أمامنا اليوم ، الفرصة السانحة للسلام وهى فرصة لا يمكن أن يجود بمثلها الزمان اذا كنا جادين حقا في النضال من أجل السلام ·

وهى فرصة لو أضعناها أو بددناها ، فلسوف تحل بالمتآمر عليها ، لعنة الانسانية ولعنة التاريخ ·

ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟

أن تعيش في المنطقة مع جيرانها العرب ·· في أمن واطمئنان ··

هذا منطق أقول له نعم ·

أن تعيش اسرائيل في حدودها ، آمنة من أى عدوان ·

هذا منطق أقول له نعم ·

أن تحصل اسرائيل على كل أنواع الضمانات التى تؤمن هاتين الحقيقتين ·

هذا مطلب أقول له نعم ·

بل إننا نعرف أننا نقبل كل الضمانات الدولية التى تتصورونها وممن ترضونه أنتم ·

نعلم أننا نقبل كل الضمانات التى تريدونها من القوتين الأعظم ، أو من أحداهما ، أو من الخمسة الكبار ، أو من بعضهم ·

وأعود فأعلن بكل الوضوح أننا قابلون بأى ضمانات ترتضونها لأننا في المقابل ، سنأخذ نفس الضمانات ·

خلاصة القول اذن عندما نسأل ، ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟

يكون الرد هو أن تعيش اسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وأمان وفي اطار كل ماترتضيه من ضمانات يحصل عليها الطرف الآخر .

السلام مستحيل مع الاحتلال

ولكن كيف يتحقق هذا ؟

كيف يمكن أن نصل الى هذه النتجة لكى نصل بها الى السلام الدائم العادل ؟

هناك حقائق لا بد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح .

هناك أرض عربية احتلتها ـ ولا تزال تحتلها ـ اسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية .. القدس التى حضرت اليها باعتبارها مدينة السلام . والتى كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحى للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث .

وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس في اطار الضم أو التوسع . وانما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين .

وأهم من كل هذا فان تلك المدينة يجب ألا تنفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا ومقاما لعدة قرون . وبدلا من ايقاظ أحقاد الحروب الصليبية . فاننا يجب أن نحيى روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين .. أى روح التسامح واحترام الحقوق .

إن العبادة الاسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر بل إنها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذى لم ينقطع في هذا المكان سياسيا وروحيا وفكريا .

وهنا ، فإنه يجب ألا يخطىء أحد تقدير الأهمية والاجلال اللذين نكنهما للقدس ، نحن معشر المسيحيين والمسلمين .

لا أتقدم برجـــاء

ودعونى أقول لكم بلا أدنى تردد ، أننى لم أجيء اليكم تحت هذه القبة لكى أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الأرض المحتلة .

إن الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، أمر بديهى لا تقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد .

ولا معنى لأى حديث عن السلام الدائم ولا معنى لأى خطوة لضمان حياتنا معا في هذه المنطقة من العالم في أمن وأمان . وأنتم تحتلون أرضا عربية بالقوة المسلحة . فليس هنالك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير .

نعـــــم ..

هذه بديهية لا تقبل الجدل والنقاش اذ خلصت النوايا . وصدق النضال لاقرار السلام الدائم العادل لجيلنا ولكل الأجيال من بعدنا .

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية . فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها . وليس هناك من يقبل اليوم في العالم كله شعارات رفعت هنا في اسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتساءل أين هو هذا الشعب ؟ .

ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو إنكار من أحد .

بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو إنكار .

إنها واقع استقبله المجتمع الدولى . غربا وشرقا . بالتأييد والمساندة والاعتراف في مواثيق دولية وبيانات رسمية لن يجدى أحد أن يصم آذانه عن دويها المسموع ليل نهار أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها

التاريخية . وحتى الولايات المتحدة الأمريكية . حليفكم الأول التى تحمل قمة الالتزام لحماية وجود اسرائيل وأمنها والتى قدمت - وتقدم الى اسرائيل - كل عون معنوى ومادى وعسكرى .

أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة وأن المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره . وطالما بقيت معلقة دون حل . فان النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادا جديدة . وبكل الصدق أقول لكم إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين وأنه لخطأ جسيم لا يعلم إمداه أحد أن نغض الطرف عن تلك القضية أو أن ننحيها جانبا .

الوطن الفلسطينى

ولن أستطرد في سرد أحداث الماضى منذ صدر وعد بلفور لستين عاما خلت . فانتم على بينة من الحقائق جيدا .

واذا كنتم قد وجدتم المبرر القانونى والأخلاقى لاقامة وطن قومى على أرض لم تكن كلها ملكا لكم . فأولى بكم أن تتفهموا اصرار شعب فلسطين على اقامة دولتـه من جديد في وطنه .

وحين يطالب بعض الغلاة والمتطرفين أن يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى . فان معناه في الواقع وحقيقة الأمر مطالبة لهم بالتخلى عن هويتهم . وعن كل أمل لهم في المستقبل .

أننى أحيى أصواتا اسرائيلية . طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى . وصولا الى السلام وضمانا له .

ولذلك . فاننى أقول لكم ايها السيدات والسادة إنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه في اقامة دولته وفي العودة .

لقد مررنا نحن العرب بهذه التجربة من قبل ، معكم ، ومع حقيقة الوجود الاسرائيلى وانتقل بنا الصراع ، من حرب الى حرب ، ومن ضحايا الى مزيد من الضحايا حتى وصلنا اليوم ـ نحن وانتم ـ الى حافة هاوية رهيبة ، وكارثة مروعة اذا نحن لم نغتنم اليوم معا فرصة السلام الدائم العادل ·

عليكم أن تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة ، كما واجهته أنا ·

ولا حل لمشكلة أبدا بالهروب منها أو التعالى عليها ·

ولا يمكن أن يستقر سلام ، بمحاولة فرض أوضاع وهمية ، أدار لها العالم كله ظهره ، وأعلن نداءه الاجماعى بوجوب احترام الحق والحقيقة ·

ولا داعى للدخول في الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطينى ·

ولاجدوى من خلق العقبات ، إلا أن تتأخر مسيرة السلام ·

أو أن يقتل السلام ·

وكما قلت لكم ، فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ، كما أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح ·

والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية ، واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم ، هى في أن تقوم دولته ·

ومع كل الضمانات الدولية التى تطلبونها ، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها ·

وعندما تدق أجراس السلام فلن توجد يد لتدق طبول الحرب واذا وجدت فلن يسمع لها صوت ·

السلام كتابة جديدة للتاريخ

وتصوروا معى اتفاق سلام في جنيف ، نزفه إلى العالم المتعطش إلى السلام ·

اتفاق سلام يقوم على :

أولا : إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية التى احتلت في عام ١٩٦٧ ·

ثانيا : تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في اقامة دولته ·

ثالثا : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية . بالاضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة ·

رابعا : تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقا لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة . وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة . وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية ·

خامسا : انهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة ·

كتابة جديدة للتاريخ

أيها السيدات والسادة :

إن السلام ليس توقيعا على سطور مكتوبة . بل إنه كتابة جديدة للتاريخ ·

إن السلام ليس مباراة في المناداة به للدفاع عن أية شهوات أو لستر أية أطماع . فالسلام في جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع والشهوات ·

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث تعلمنا جميعا . أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية لا يمكن أن تقيم الأمن . ولكنها على العكس تحطم ما يبنيه الأمن ·

وعلينـــــــا ..

من أجل شعوبنا ..

من أجل حضارة صنعها الانسان . أن نحمى الانسان في كل مكان .. من سلطان قوة السلاح ٠

علينا أن نعطى سلطان الانسانية بكل قوة القيم والمبادىء التى تعلى مكانة الإنسان ٠

رسالة السلام

واذا سمحتم لى ، أن اتوجه بندائى من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل .. فاننى اتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة إلى كل رجل وأمرأة وطفل في اسرائيل ٠

إننى أحمل اليكم من شعب مصر الذى يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام ٠

أحمل إليكم رسالة السلام رسالة شعب مصر الذى لا يعرف التعصب . والذى يعيش ابناؤه من مسلمين ومسيحيين ويهود بروح المودة والحب والتسامح ٠

نضال السلام

فيا كل رجل وأمرأة وطفل في اسرائيل .. شجعوا قيادتكم على نضال السلام ٠

ولتتجه الجهود إلى بناء صرح شامخ للسلام .. بدلا من بناء القلاع والمخابىء المحصنة بصواريخ الدمار ٠

قدموا للعالم كله . صورة الانسان الجديد . في هذه المنطقة من العالم . لكى يكون قدوة لانسان العصر .. انسان السلام في كل موقع ومكان ٠

بشروا ابناءكم .. أن ما مضى . هو آخر الحروب ونهاية الآلام . وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة . للحياة الجديدة .. حياة الحب والخير والحرية والسلام ٠

ويا أيتها الأم الثكلى ..
ويا أيتها الزوجة المترملة ..
ويا أيها الإبن الذى فقد الأخ والأب ..
يا كل ضحايا الحروب ..
إملأوا الأرض والفضاء . بتراتيل السلام ..
إملأوا الصدور والقلوب . بآمال السلام ..
إجعلوا الانشودة حقيقة تعيش وتثمر ..
إجعلوا الأمل دستور عمل ونضال ..
وارادة الشعوب هى من ارداة الله ..

معركة السلام العادل والدائم

أيها السيدات والسادة :

قبل أن اصل إلى هذا المكان . توجهت بكل نبضة في قلبى . وبكل خلجة في ضميرى . إلى الله سبحانه وتعالى . وأنا أؤدى صلاة العيد في المسجد الأقصى . وأنا أزور كنيسة القيامة . توجهت إلى الله سبحانه وتعالى . بالدعاء أن يلهمنى القوة . وأن يؤكد يقين ايمانى . بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها . التى أرجوها من أجل حاضر سعيد . ومستقبل أكثر سعادة ..

لقد إخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد التى عرفتها الدول المتحاربة . ورغم أن احتلال الأرض العربية مازال قائما . بل كان إعلانى عن استعدادى للحضور إلى اسرائيل مفاجأة كبرى هزت كثيرا من المشاعر . وأذهلت كثيرا من العقول . بل شككت في نواياها بعض الآراء . ورغم كل ذلك فاننى استلهمت القرار بكل صفاء الايمان وطهارته . وبكل التعبير الصادق عن ارادة شعبى ونواياه .

واخترت هذا الطريق الصعب . بل إنه في نظر الكثيرين أصعب طريق .

اخترت أن احضر إليكم .. بالقلب المفتوح والفكر المفتوح .

اخترت أن أعطى هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام .

واخترت أن أقدم لكم - وفي بيتكم - الحقائق المجردة عن الأغراض والاهواء .

لا مناورات لكسب جولات

لا لكى اناور .

ولا لكى أكسب جولة .

ولكن لكى نكسب معا . أخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر .

معركة السلام العادل والدائم .

إنها ليست معركتى فقط . ولا هى معركة القيادات فقط في اسرائيل . ولكنها معركة كل مواطن على ارضنا جميعا . من حقه أن يعيش في سلام .

أنها التزام الضمير والمسئولية في قلوب الملايين .

ولقد تساءل الكثيرون . عندما طرحت هذه المبادرة . عن تصورى لما يمكن انجازه في هذه الزيارة . وتوقعاتى منها .

وكما أجبت السائلين . فاننى أعلن أمامكم اننى لم أفكر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة . وانما جئت هنا لكى أبلغ رسالة .

ألا هل بلغت اللهم فأشهد .

اللهم اننى أردد مع زكريا قوله : « أحبوا الحق والسلام »

واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم . ونحن له مسلمون » .

صدق الله العظيم

والسلام عليكم »

• وثيقتا كامب ديفيد

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

نص الوثيقة الاولى :

انتهى مؤتمر كامب ديفيد بعد جهود مكثفة بالاتفاق على وثيقتين هامتين لتحقيق تسوية شاملة للنزاع العربى ـ الاسرائيلى ٠

وفيما يلى نص الوثيقة الاولى والتى عليها اسم (اطار السلام في الشرق الاوسط)

اجتمع الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل مع جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الامريكية في كامب ديفيد من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ واتفقوا على الاطار التالى للسلام في الشرق الاوسط وهم يدعون اطراف النزاع العربى ـ الاسرائيلى الاخرى الى الانضمام اليه ٠

ان البحث عن السلام في الشرق الاوسط يجب ان يسترشد بالاتى : ـ

ـ ان القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل اجزائه ..

سيرفق القرران رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ بهذه الوثيقة ..

بعد اربعة حروب خلال ثلاثين عاما ورغم الجهود الانسانية المكثفة فان الشرق الاوسط مهد الحضارة ومهبط الاديان العظيمة الثلاثة لم يستمتع بعد بنعم السلام • ان شعوب الشرق الاوسط تتشوق الى السلام حتى يمكن تحويل موارد الاقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة اهداف السلام وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الامم •

- ان المبادرة التاريخية للرئيس السادات بزيارته للقدس والاستقبال الذى لقيه من برلمان اسرائيل وحكومتها وشعبها وزيارة رئيس الوزراء بيجين للاسماعيلية ردا على زيارة الرئيس السادات ومقترحات السلام التى تقدم بها كلا الزعيمين وما لقيته هذه المهام من استقبال حار من شعبى البلدين كل ذلك خلق فرصة للسلام لم يسبق لها مثيل وهى فرصة لا يجب اهدارها ان كان يراد انقاذ هذا الجيل والاجيال المقبلة من مآسى الحرب •

وان مواد ميثاق الامم المتحدة والقواعد الاخرى المقبولة للقانون الدولى والشرعية توفر الان مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول • وان تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة ٢ من ميثاق الامم المتحدة واجراء مفاوضات في المستقبل بين اسرائيل وأى دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام والأمن معها هى أمر ضرورى لتنفيذ جميع البنود والمبادىء في قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ •

ان السلام يتطلب احترام السيادة والوحدة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة في المنطقة وحقها في العيش في سلام داخل حدود آمنه ومعترف بها غير متعرضة لتهديدات او اعمال عنف •• وان التقدم تجاه هذا الهدف من الممكن ان يسرع بالتحول نحو عصر جديد من

التصالح في الشرق الاوسط يتسم بالتعاون على تنمية التطور الاقتصادى وفي الحفاظ على الاستقرار وتأكيد الأمن.

وان السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية .. وبالاضافة الى ذلك في ظل معاهدات السلام يمكن للاطراف على اساس التبادل ـ الموافقة على ترتيبات أمن خاصة مثل مناطق منزوعة السلاح ومناطق ذات تسليح محدود ومحطات انذار مبكر ووجود قوات دولية وقوات اتصال واجراءات تتفق عليها للمراقبة والترتيبات الاخرى التى يتفقون على انها ذات فائدة.

ان الاطراف اذ تضع هذه العوامل في الاعتبار مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ومعمرة لصراع الشرق الاوسط عن طريق عقد معاهدات سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل فقراتهما. وهدفهم من ذلك هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار وهم يدركون ان السلام لكى يصبح معمرا يجب ان يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع اعمق تأثير.

لذا فانهم يتفقون على ان هذا الاطار مناسب في رأيهم ليشكل اساسا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب بل وكذلك بين اسرائيل وكل من جيرانها الاخرين ممن يبدون استعدادا للتفاوض على السلام مع اسرائيل على هذا الاساس.

ان الاطراف اذ تضع هذا الهدف في الاعتبار فقد اتفقت على المضى قدما على النحو التالى :

الضفة الغربية وغزة :

ينبغى ان تشترك مصر واسرائيل والاردن وممثلو الشعب الفلسطينى في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل

جوانبها ولتحقيق هذا الهدف فان المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ينبغى ان تتم على ثلاث مراحل :

(أ) تتفق مصر واسرائيل على انه من اجل ضمان نقل منظم وسلمى للسلطة مع الاخذ في الاعتبار الاهتمامات بالأمن من جانب كل الاطراف يجب ان تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات ولتوفير حكم ذاتى كامل لسكان الضفة الغربية وغزة فان الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية منها ستنسحبان بمجرد ان يتم انتخاب سلطة حكم ذاتى من قبل السكان في هذه المنطقة عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية . ولمناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية فان حكومة الأردن ستكون مدعوة للإنضمام للمباحثات على اساس هذا الاطار ويجب ان تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الاراضى وضمانات الأمن الشرعية لكل من الاطراف التى يشملها النزاع .

(ب) ان تتفق مصر واسرائيل والاردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة وقد يضم وفدا يضم مصر والاردن . وقطاع غزة او فلسطينيين آخرين وفقا لما يتفق عليه .. وسيتفاوض الاطراف بشأن اتفاقية تحدد مسئوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس في الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب القوات الاسرائيلية وسيكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التى ستتبقى في مواقع أمن معينة وستتضمن الاتفاقية ايضا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام .

وسيتم تشكيل قوة بوليس محلية قوية قد تضم مواطنين اردنيين . بالاضافة الى ذلك ستشترك القوات الاسرائيلية والاردنية في دوريات

مشتركة وفي تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

وستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم ذاتى (مجلس ادارى) في الضفة الغربية وغزة في اسرع وقت ممكن دون ان تتأخر عن العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما ولإبرام معاهدة سلام بين اسرائيل والاردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية وستدور هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والاردن والممثلين المنتمين لسكان الضفة الغربية وغزة .

وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنهما مترابطتان احدى هاتين اللجنتين تتكون من ممثلى الاطراف الاربعة التى ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما مع جيرانهما وتتكون اللجنة الثانية من ممثلى اسرائيل وممثلى الاردن والتى سيشترك معها ممثلو السكان في الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والاردن واضعة في تقديرها الاتفاق الذى تم التوصل اليه بشأن الضفة الغربية وغزة

وسترتكز المفاوضات على اساس جميع النصوص والمبادىء لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

. وستقرر هذه المفاوضات ضمن اشياء اخرى موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن ويجب ان يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومتطلباتهم العادلة بهذا الأسلوب سيشارك الفلسطينيون في تقرير مستقبلهم في خلال فترة الانتقال .

١ ـ ان يتم الاتفاق في المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن وممثلى السكان في الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائى للضفة

الغربية وغزة والمسائل البارزة الاخرى بحلول نهاية الفترة الانتقالية ·

٢ ـ ان يعرضوا اتفاقهم للتسوية من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة ·

٣ ـ اتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان في الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها انفسهم تمشيا مع نصوص الاتفاق ·

٤ ـ المشاركة كما ذكر اعلاه في عمل اللجنة التى تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن ·

٥ ـ سيتم اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن اسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها ·· وللمساعدة على توفير مثل هذا الآمن ستقوم سلطة الحكم الذاتى بتشكيل قوة عربية من الشرطة المحلية · وتشكل هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة وستكون قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الاسرائيليين والاردنيين والمصريين المعينين لبحث الامور المتعلقة بالأمن الداخلى ·

(٦) خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر واسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر باتفاق الاطراف صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة في ١٩٦٧ مع اتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع الاضطراب وأوجد التمزق ويجوز ايضا لهذه اللجنة ان تعالج الأمور الاخرى ذات الاهتمام المشترك ·

(٧) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما البعض ومع الأطراف الأخرى المهتمة لوضع اجراءات متفق عليها للتنفذ العاجل والعادل والدائم لحل مشكلة اللاجئين ·

مصر ـ اسرائيل :

١ ـ تتعهد كل من مصر واسرائيل بعدم اللجوء للتهديد بالقوة او استخدامها لتسوية النزاعات · وان اى نزاعات ستتم تسويتها بالطرق السلمية وفقا لما نصت عليه المادة ٣٣ من ميثاق الامم المتحدة ·

٢ ـ توافق الاطراف من اجل تحقيق السلام فيما بينهما على التفاوض باخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام بينهم خلال ثلاثة أشهر من توقيع هذا الاطار بينما تتم دعوة الأطراف الأخرى في النزاع للتقدم في نفس الوقت للتفاوض وابرام معاهدات سلام مماثلة بغرض تحقيق سلام شامل في المنطقة وان اطار ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل سيحكم مفاوضات السلام بينهما وستتفق الأطراف على الشكليات والجدول الزمنى وتنفيذ التزاماتهم في ظل المعاهدة .

المبادىء المرتبطة :

١ ـ تعلن مصر واسرائيل ان المبادىء والنصوص المذكورة ادناه ينبغى ان تطبق على معاهدات السلام بين اسرائيل وبين كل من جيرانها مصر والأردن وسوريا ولبنان ·

٢ ـ على الموقعين ان يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كتلك القائمة بين الدول التى هى في حالة سلام كل منها مع الأخرى ·

وعند هذا الحد ينبغى ان يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق الأمم المتحدة ويجب ان تشمل الخطوات التى تتخذ في هذا الشأن على :

ـ اعتراف كامل

ـ الغاء المقاطعات الاقتصادية

ـ الضمان في أن يتمتع المواطنون في ظل السلطة القضائية بحماية الاجراءات القانونية في اللجوء للقضاء ·

٣ - يجب على الموقعين استكشاف امكانيات التطور الاقتصادى في اطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة في صنع جو السلام والتعاون والصداقة التى تعتبر هدفا مشتركا لهم ٠

٤ - يجب اقامة لجان للدعاوى القضائية في الحسم المتبادل لجميع الدعاوى القضائية المالية ٠

٥ - يجرى دعوة الولايات المتحدة للاشتراك في المحادثات بشأن موضوعات متعلقة بشكليات تنفيذ الاتفاقيات واعداد جدول زمنى لتنفيذ تعهدات الاطراف ٠

٦ - سيطلب من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المصادقة على معاهدات السلام وضمان عدم انتهاك نصوصها وسيطلب من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التوقيع على معاهدات السلام وضمان احترام نصوصها كما سيطلب منهم مطابقة سياستهم وتصرفاتهم مع التعهدات التى يحتويها هذا الاطار ٠

عن حكومة جمهورية مصر العربية — عن حكومة اسرائيل

محمد أنور السادات — مناحم بيجين

شاهد : عن الولايات المتحدة الأمريكية

چيمى كارتر

نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧

ان مجلس الامن

اذ يعرب عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الاوسط واذ يؤكد عدم جواز حيازة الارض بطريق الحرب والحاجة الى العمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تحيا في أمن ٠

واذ يؤكد ايضا ان جميع الدول الاعضاء بقبولها ميثاق الامم المتحدة قد تعهدت بالالتزام بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق ٠

١ ـ يؤكد ان تطبيق مبادىء الميثاق يقتضى اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ينبغى ان يشمل تطبيق كل من المبدأين التاليين ٠

(أ) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراض احتلت في الصراع الاخير

(ب) انهاء كل دعاوى او حالات الحرب واحترام والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة ووحدة اراضيها واستقلالها السياسى وحقها في الحياة في سلام داخل حدود امنة معترف بها متحررة من التهديدات بالقوة او باستخدام القوة ٠

٢ ـ يؤكد ايضا ضرورة :

(أ) ضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية في المنطقة

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين

(ج) ضمان حصانة الاراضى والاستقلال السياسى لكل دولة في

المنطقة عن طريق اجراءات تشمل اقامة مناطق منزوعة السلاح ·

٣ ـ مطالبة السكرتير العام بتعيين ممثل خاص يتجه الى الشرق الاوسط لاقامة واجراء اتصالات مع الدول المعنية من اجل تنشيط الاتفاق ومساعدة الجهود المبذولة لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقا لأحكام ومبادىء هذا القرار ·

٤ ـ مطالبة السكرتير العام بابلاغ مجلس الامن في اسرع وقت ممكن بالتقدم في الجهود التى يبذلها الممثل الخاص ·

نص قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨
في ٢١ / ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣

١ ـ ان مجلس الامن يدعو جميع اطراف القتال الحالى بوقف كل اطلاق النيران وانهاء كل نشاط عسكرى فورا في مدى ١٢ ساعة على الاكثر من اتخاذ هذا القرار في المواقع التى يحتلونها الان ·

٢ ـ يدعو جميع الاطراف المعنية بالبدء فورا بعد وقف اطلاق النيران في تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بكامله ·

٣ ـ يقرر المجلس ان نبدأ فورا وفي نفس الوقت مع وقف اطلاق النار المفاوضات بين الاطراف المعنية تحت اشراف مناسب تهدف الى اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ·

نص الوثيقة الثانية

أعلنت أمس وثيقة السلام التى وقعها امس الرئيس انور السادات ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ووقع عليها كشاهد ايضا الرئيس الامريكى جيمى كارتر · وفيما يلى نص الاتفاقية :

(توافق اسرائيل ومصر من أجل تحقيق السلام بينهما) على التفاوض بحسن نية بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع هذا الاطار ·

وقد تم الاتفاق على أن تتم المفاوضات تحت علم الامم المتحدة في موقع او مواقع يتفق عليها الجانبان ·

تطبيق كافة مبادىء قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ في هذا الحل للنزاع بين مصر واسرائيل ·

مالم يتفق الطرفان على غير ذلك يتم تنفيذ معاهدة السلام في فترة تتراوح ما بين عامين انى ثلاثة اعوام من توقيع معاهدة السلام ·

وقد وافق الطرفان على المسائل التالية :-

(أ) الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ·

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء ·

(ج) استخدام المطارات التى يتركها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للاغراض المدنية فقط بما فيها الاستخدام التجارى من قبل كافة الدول ·

(د) حق المرور الحر للسفن الاسرائيلية في خليج السويس وقناة السويس على اساس معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تنطبق على جميع الدول وتعتبر مضايق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية على ان تفتح امام كافة الدول للملاحة او الطيران دون إعاقة او تعطيل ·

(و) انشاء طريق بين سيناء والاردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة المرور من جانب مصر والاردن ·

وتمركز القوات العسكرية كما يلى :

(أ) الا تتمركز اكثر من فرقة واحدة (ميكانيكية او مشاه) من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة خمسين كيلو مترا شرقى خليج السويس وقناة السويس ·

(ب) تتمركز فقط قوات الامم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالاسلحة الخفيفة لاداء المهام العادية للشرطة داخل المنطقة التى تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ و ٤٠ كيلو مترا ·

(ج) ان تتواجد في المنطقة في حدود ٣ كيلو مترات ضمن الحدود الدولية قوات اسرائيلية عسكرية محدودة لا تتعدى اربع كتائب مشاه ومراقبون من الامم المتحدة ·

(د) تلحق وحدات دوريات حدود لا تتعدى ثلاث كتائب بالبوليس المدنى للمحافظة على النظام في المنطقة التى لم تذكر آنفا ·

ان يكون التخطيط الدقيق لحدود المناطق سالفة الذكر وفقا لما يتقرر خلال مفاوضات السلام ·

يجوز ان تقام محطات للانذار المبكر لضمان الامتثال لبنود الاتفاق ·

تتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية :-

(أ) في جزء من المنطقة التى تقع في سيناء الى الداخل لمسافة ٢٠ كيلو مترا تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية ·

(ب) في منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور في مضيق تيران ولا يتم ابعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الامن التابع للامم

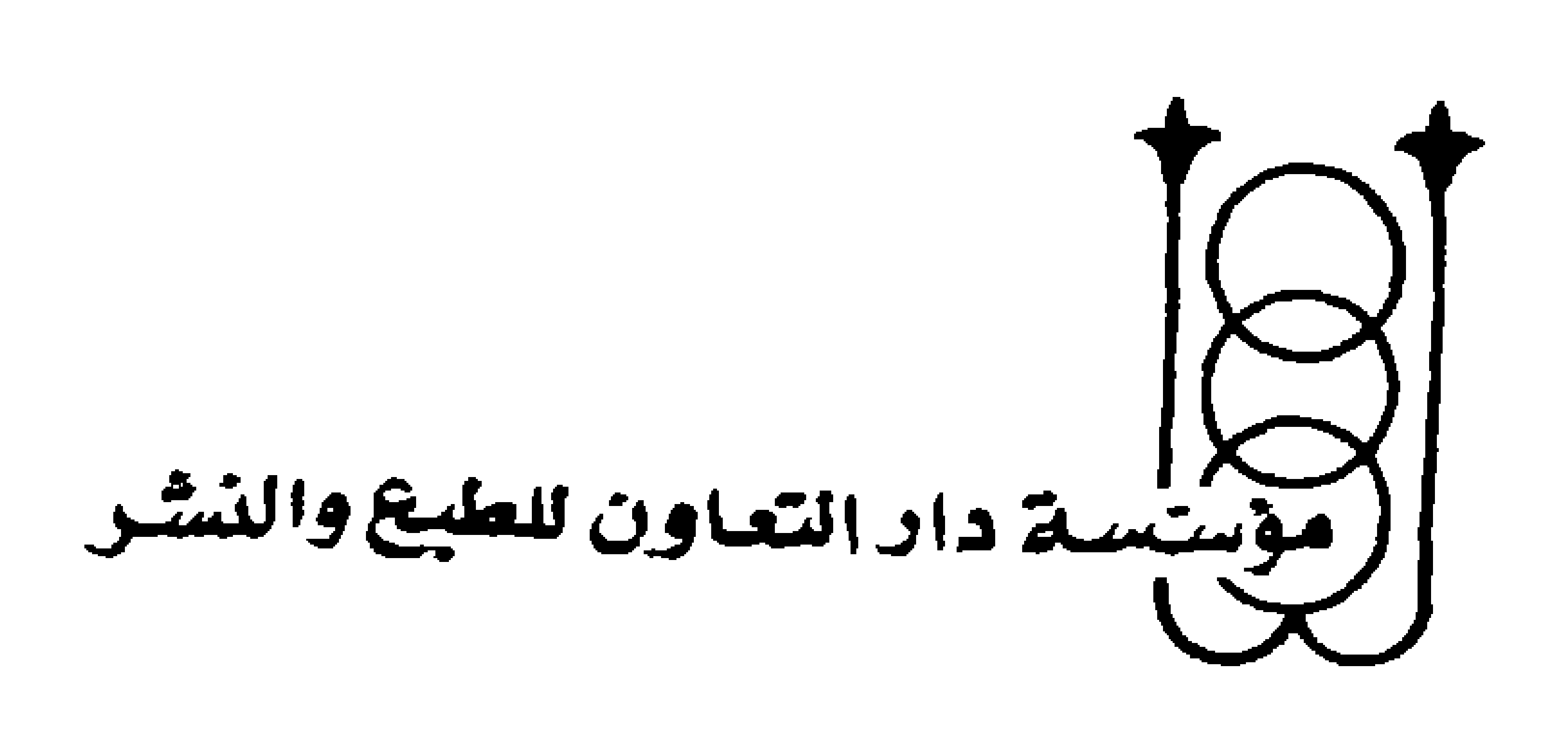
المتحدة على مثل هذا الابعاد بإجماع، اصوات الاعضاء الخمسة الدائمين ٠

وبعد توقيع اتفاقية سلام بعد اتمام الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل بما في ذلك قيام علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وانهاء المقاطعات الاقتصادية والحواجز امام حرية حركة السلع والاشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين طبقا للقانون ٠

الفهـــرس

صـــفحة

صـفحة



رقم الايداع ٥٤٦٧ / ٧٨

الترقيم الدولى ٩٧٧

